

بمجموعة
يسري ساكر

جملات من الفولكلور المغربي

lisanarabs.blogspot.com

الجزء الأول

الجمع والتدوين

يسري ساكر

منشأة
لسان العرب

تقديم
دكتور عباس البراري
استاذ الادب المغربي والشعبي
بجامعة محمد الخامس
رسومات
الشاوي محمد

مجموعة يسري ساكر

جملات من القول للكتور المغربي

الجزء الأول

تقديم
دكتور محمد عباس المراري
أستاذ الأدب العربي والشبي
بجامعة محمد الخامس
رسومات
الشاوي محمد

الجمع والتدوين

يسري ساكر

جميع حقوق الطبع محفوظة
لدار النشر المغربية

© Les Editions Maghrébines





اهداء الكتاب

- • • • الى ملك العراق
- • • • تقديرًا للجميل الجديد
- • أمل الفرحا ومستقبله المشرق

تقديم

بقلم دكتور محمد عباس الجرارى

التناول الصحيح للتراث سواء على صعيد الجمع أو الدراسة يعنى موقفا من هذا التراث قائما على رصد موضوعي نزيه ورأى مدعم مقنع ، وان تبين التذوق أو اختلفت الرؤيا سلبا وايجابا اليه .

والموقف الذى اتخفناه والتزمنا به ودعونا له — ولا نزال — ينطلق من النظر الى التراث من خلال مفاهيم العصر ومناهجه وقضاياها بما يتيح لنا الكشف فيه عن جوانب القوة والفعالية ويجعلنا اذا نحن ضبطنا هذه الجوانب قادرين على امتلاك التراث فى الصميم وعلى اخضاعه للواقع وربط حركته فى التاريخ القريب واقعيه بصيروره المستعمل .

وتحقيقا لهذه الغاية تم نفرق فى التراث بين ما هو مدرسى وما هو شعبي واعتبرنا هذا مكملا لذلك لما يمتاز به من خصب وغنى وحيوية وتلقائية، وزدنا الحاحا على هذا ما وجدناه فى التراث الشعبى المقربى من تنوع وغزارة واحتفاظ بلامح الاصاله والمراقة مع النزوع المستمر الى التطور والتجدد .

وإذا كانت هذه السمات تعد من خصائص تراثنا الشعبى ككل ، فهى فى الجانب الادبى منه اوضح وبرز لتوصل هذا الجانب باللوان من القول

واشكال من الأقوالب وانماط من أدوات التعبير متنوعة وغنية بتنوع البيئة المغربية وغنى روافدها ، لكنها ابدأ تلقى في البوتقة الوطنية لتتكشف عن وجدان مغربي موحد قادر على التكيف والامتصاص بعفوية وتلقائية غريزيتين .

ومع ذلك فإن الراى العام الاىبى فى المغرب والمثقف عموما ما زال يىدى حذرا شديدا من الاىب الشعبى لعدم ادراك قيمة مضامينه وجودة نفيته ، ثم لخوفه من العامية على اللفة المدرسية وما يرتبط بها من تعريب حين يتعلق الامر بالادب الشعبى الصادر بالمربية او لخوفه من اللهجات الامازيغية على الوحدة الوطنية حين يكون الامر متعلقا بلبب هذه اللهجات وانا كنا بالنسبة للعامية العربية قد فرغنا من القول حين كشفنا عن ايجابية العناية بها ، فلما بالنسبة للهجات الاخرى لا نملك الا ان نؤكد جدوى الاهتمام بها ومصدر فيها من آداب دون ان ننسى قرابتها مع العربية فى الاصل ودون ان ننسى كذلك مدى ما اقتبسته منها خلال العصور سواء على صعيد اللفظ او التركيب فضلا عما نقلته من مضامين .

وإذا كنا نهبنا فى السابق الى حاجة اللفة العربية — فيما تحتاجه لتطور والتجدد والتوسع — الى العامية وسيلة من وسائل الاغناء وتقريب الهوة بين اذنى الكتابة والتخاطب ، فاننا نزمع ان اللهجات الامازيغية بما لها من خصائص العربية قادرة على ايجاد قنوات للاتصال نيب قليلا او كثيرا مما بينها من فوارق .

وهناك حذر آخر يىديه بعض المثقفين تجاه مضمون الاىب الشعبى حين يتلمق الامر بالحكيمة الشعبية اذ يرون ان انتشارها يزيد فى شذنا الى ارضية التخلف لانه لا يدل الا على خرافية عقلية متداولها او على عدم وجود وعى لديهم يدركون به مختلف الظواهر والحقائق والتناقضات الفيلسفية والاجتماعية ، ولا يدل هذا فى النهاية الا على انهم كانوا ابدأ خارج التاريخ بعيدين عن التخطيط لمصيرهم وتحقيقه ، او التحكم فيه على الاقل وانهم لجأوا الى الخرافة لمجرد التمريض .

ولسنا نشك فى ان الخرافة كانت مجالا واسعا للتعبير فى المجتمع خلال مراحل من تاريخه لم تكن تتسم بالترقى والتطور ، لكن استمرار

انتشارها يعنى — بالإضافة إلى الجانب الترسبى فى الذهن والفكر — ان المجتمع كان يلجأ الى التعبير بها حين لا تتاح حرية التعبير ، وحين يفرض عليه توجيه شأنه ان يثبت لمقابلة معينة .

من هنا كانت الخرافة متنفسا له يرفه بها عن نفسه ، ويعبر عن موقفه ويعد بواسطتها آلامه ويقرب آلامه ، بل انه كان يجد الحل أو السبيل للراحة والاطمئنان حين تضغط المشاكل عليه ، فيقف أمامها حائرا أو غير قادر على المواجهة .

ومع ذلك وأنا كما لا نستطيع ان ننكر ان هذا النوع من الأدب ، يزيد انتشاره فى البيئات التى تعانى من التخلف ، فقلنا نلاحظ ميلا يكاد يكون غريزيا الى الخرافة حتى فى المجتمعات التى تخطو نحو التعلم كما هو الحال فى المجتمع المغربى والعربى عامة ، حيث يتضح هذا الميل ليس فى الإيمان والإعتقاد فحسب ، بل حتى فى الممارسة والسلوك .

وهذه حقيقة لا تؤكده الا ان العلم فى مجتمعنا ليس غير مادة نظرية لم تتحول بعد الى تطبيق وهى تؤكده بلقائى ان متعلمينا لم يتعمقوا فى المفهوم الحقيقى للعلم ولم يدركوا ابعاده ولم يتتسربوا روحه وانهم نسي النهاية لم يربطوه بالحياة .

حقا ان الانسان مدفوع بالفريزة والتفكير مما سواء على النطاق الفردى أو المجتمعى الى معرفة ذاته من الخصائص والطاقت والامكانيات والقدرات على لإضافة والعطاء، حقا ان عناصر تركيبة هذه الذات تتغير على مر العصور كما تتغير المؤثرات الفعالة فيها ، ولكن الجوهر يبقى الى حد بعيد وخاصة عند الطبقات البسيطة ميالا الى الاحتفاظ بمقومته العقلية والأذهنية لازتباطه بواقع مادي ونفسى معين ، وان مال الى بعض التطور بقدر ما يتطور التاريخ فى هذا المجتمع .

وهو بهذه الملامح أكثر ظهورا فى ما يمارس الشعب من عادات وتقاليد وما يبدع من آداب وفنون وخاصة فى مجال القص والحكى .

وهذا ما يحفزنا — نحن مارثنا بصدد البحث عن الذات — الى العناية والاهتمام بهذا النوع من الادب الشعبى والدعوة الى جمعه أولا ، وإلى

دراسته ثانياً ومن جوانب مختلفة - انثروبولوجية ونفسية وتاريخية
وإدبية .

من هنا كان تقديرنا لهذا العمل الذى أنجزه صديقنا المصرى الأستاذ
يسرى شاكى فى إطار جمع الحكايات الشعبية المغربية .

وهو عمل جليل وضخم تطلب منه سنوات طويلة من التتبع والجمع
فى غير قليل من المعاناة المصنية المرهقة ، وكان سبق له أن أطلعنا على
مشروعه منذ أزيد من ثلاثة أعوام فأثقفنا عليه مما قد يصيبه من المثقة
والعناء ولكننا لم نلبث أن شجعناه حين الفيناه مصمماً وبروح قوية عالية
على المضى فى البحث الميدانى عن الحكاية هنا وهناك وعلى مواجهة

الصعوبات التى تعترضه ملابدة ومعنوية . وكنا قد تعرفنا عليه من خلال
مسلسلته للأغنى الذى قدمت التفرقة المغربية حلقاته الناجحة فاعجبنا
بالعمل وقدرنا صاحبه .

ولا شك أن الحس الفنى الذى يتمتع به الأستاذ يسرى باعتباره
مخرجاً لتفزيونيا ساعده الى حد بعيد فى إنجاز مشروعه الذى يقدم فى
هذا الكتاب لولى مجموعة منه . والحكاية القسيميية التى تعرض
هذه المجموعة تمثل أقاليم قديمة لا يعرف مؤلفها ولا زمن
انشائها وان كانت فى مجموعها ترجع الى عمق ضارب فى
التاريخ ، لما تكشف عنه من ملامح عريقة ، وقد انتقلت عبر العصور
والأجيال ولا تزال عن طريق الرواية الشفوية ، وان وجدنا بعضها مدونا
عند آذنين عنوا بها فى مرحلة متأخرة وخاصة من المستعربين .

وهى أبداع شعبي ، يعكس مدى الثقافة والخيال لدى المجتمع
المتنشرة فيه على الرغم مما قد يلاحظ من اقتسابه بينهما وبين حكايات
متداولة فى مجتمعات أخرى كالمجتمع المصرى .

وتلك ظاهرة لا تعنى النقل بقدر ما تعنى التماثل فى التجربة والمقارب
فى الاصول الفكرية، كما أنها تثبت عملية التبادل الثقافى الذى كان أبداً
موجوداً بين الشعوب ، وخاصة حين تجمع بينها أواصر الجنس والمقيدة
وروابط اللغة والتاريخ ووحدة قضايا المصير .

ويمكننا أن نميز من بين حكاياتنا ما يعتمد التاريخ وسير الأنبياء والإبطال وما يتخذة شخوصه من الحيوانات الوحشية والليفة وما يلجا الى الجن في أبراز العلاقات بينه وبين الانس تختلف تأييدا ومحاربة وقد تصل الى حد الحب والعشق والزواج . وانها قبل هذا كنه ترع يرتكز على الاساطير والاساطير تعنى كل ما هو خارق وفوق الحول الانساني ، ولكنها نمط في التعبير عن واقع معين ووجود متميز يتسم بالخوارق انطلاقا من تصورات معينة لتكون والانسان وتكشف عن حقائق ترتبط بتاريخ المجتمع وواقع عقليته وتفكيره وعقيدته عبر الزمان، وهي حقائق تدل على مدى ما كانت تقوم به من وظائف ثقافية منبثقة في الغالب من قيم خلقية أو دينية. فمثل هذه القصص يحكى تجارب الانسان في حياته الخاصة والعامة ويحكي صورة ممارسته لوجود بما تفرض من مواجهة وصراع لم يكن في المرحلة البدائية الاسطورية قادرا على التعبير عن موقفها دون التوسل بما يسعفه به الكون — والعلوى خاصة من صور وانماط مرئية ومنخية ، ثم لم يلبث أن نخلص نفسيا وفكريا وذهنيا من اضمثق بهذا العالم ليرتبط قليلا او كثيرا بالارض ولكنه حتى في هذه المرحلة المنظورة ، اعمل تخينه وتصور ان الارض تتسع لخوفات خارقة مهولة فاننا انما نصيص خرافية .

والحكاية الشعبية بعد هذا تلج على انتجسم في تناول الوقائع وعلى تشخيص الحيوان والجماد وقد يدل هذا التشخيص الى ايجاد تداحل بينها وبين الانسان سواء في الشكل او الصفات ، حيث نصادف اناسا بأطراف حيونن كما نصادف بهائم وأحجارا تفكر وتنتطق .

وهي تفصل الاحداث وتهتم بعناصر الدقة والتحليل والتعليل لعدم استنادها الى علم او منطق او عقل .

ثم انها تعتمد على الدين وترتبط به حتى ما كان منها يرجع الى اصل بدائي ، بل اننا نجد خرافات الخوارق تعتبر ان في الجن مسلمين وغير مسلمين .

ويبدو واضحا أن الارتكاز على الدين والجانب الفيبي منه خاصة ، كان دائما يقرب الخرافة الى الجهاهير ويجعل لها تأثيرا في انفسهم لقوى واعق ، والغلب ان ياتزم القاص الشعبي تصميما ميا يطرح في بدايته

الاحداث وأشخصوص ، وهم في انغالب يدون تعريفات خاصة ، وانما يحملون أسماء مثل ، أسلطان والوزير والفقیه والساحر والمعجوز واللص وانحطاب والصيد .

ثم يصل الراوى الى العقدة وقمة الصراع بما في ذلك من تآزيم للموضوع او الموقف ومن احراج يختبر فيه نكاه البطل او قدرته الجسمية، وقد يبدو انفراج في الازمة بتمويه في الحل ، ينطلق من افتراضات ناتجة عن مواقف ، وفي النهاية يتضح الحل الصحيح ، وهو غالبا ما يكون انتصارا للبطل او لقيمة الخير

وللخاص تقاليد في السرد حيث يبدأ ويختم بعبارة معينة ، كما انه يستعين بالفناء والدعاء ، وقد يتوسل بانحكم والامثال وعبارات الوعظ والارشاد ، وبالكلمات المسجوعة والتركيب الالفبائية وخاصة فسى تجسيم لاحد المواقف او الرمز لقيمة ما ، بالاضافة الى ما للفرز من دور محوري حين يتعرض البطل للحظة دقيقة، يضطر فيها الى اظهار القدرة على حله .

والخاص الشعبى لا يهتم كثيرا بالشكل والاطر ويتعامل مع الحكاية بحرية تتدخل فيها ثقافته ومزاجه وذاكرته وظروفه الزمانية والمكانية وموقف القاص .

ولكنه اذا كان لا يحفل بالشكل الفنى ، فنه يحفل بلجوهر والمضمون لارتباط الحكاية بادوار تؤديها تهدف الى التوجيه الحلقى والى نقد انواع معينة من السلوك ، وتهدف الى التوعية الوطنية والقومية والى بث القيم والمثل الانسانية كما تهدف الى التسلية والترفيه والترويب .

وبعد فان هذه المجموعة تحتاج الى دراسة ترصد جوانب كثيرة كما اسلفنا وقد كان على الاستاذ يسرى نساكر ان يثير بعضها في المهدمة التى كتب ، ولكن حسبه انه قصد الى جمع شتات مبعثر ، وذلك في حد ذاته عمل له قيمة يستحق عليه كل تنويه . وان وعد بانجاز هذه الدراسة في الجزء الثانى من المجموعتا وما اظه آلا موفيا بوعده وموفقا الى ذلك . واذا كنا ندعوا الى دراسة هذه الحكايات فاننا لا نخفى ان مهمة دراستها ودراسة الادب لشعبى عامة ليست سهنة على الاطلاق ، فهى اذا كانت تحتاج الى شجاعة ادبية لخوض غمار الريادة فيها ، فانها اكثر من ذلك

تحتاج الى حس وطنى والى ضمير واع يلزمها فى الدارس حتى يهتدى الى
العناصر الحية والجوانب الإيجابية فيتح عليها ويبرزها ويلقى من الساحة
كل التسنوائب واساليبيات .

ولا شك أن طلابنا فى الدراسات العليا ممن يميلون للتراث الشعبى
مهياون اينهضوا بهذه المسؤولية ، وهم مطالبون بذلك حتى لا يتركوا
المجال فارغا للباحثين الاروبيين والامريكيين الذين يقبلون على دراسة
آدابنا وفنوننا الشعبية وكذلك العادات والتقاليد بايعاز وتشجيع مسن
حكوماتهم التى ترصد الاموال لذلك وتهىء المراكز والمعاهد ، واطننا فى
غنى عن الإشارة الى ما يشوب أعمال هؤلاء وما لهم فيه من خفيات .

ولعله خير لنا أن نبادر الى دراسة آدابنا الشعبية بروح وطنية
وقومية من أن نترك المجال للمنحرفين والمفرضين يمشون به ويوجهونه
لخدمة أهداف هدامة .

مقدمة

بقلم : يسرى شاكر

بهذ الوف السنين وتبل ان تنشأ الحضارات القديية في مصر وبابل والهند والصين ، لعبت الحكايات دورا هاما في تاريخ البشر ، بل لا مبالاة في القول انه انصبت في وعائها الكبير الكثير من افكار ومعتقدات المجتمعات الانسانية الاولى العريقة في القدم ، فانحكايات قديية قديية ، ربما الى ابعد مما يصل اليه تقديرنا .

لها هو اصل هذه الحكايات وهل يمكن لنا ان نطلع ولو على حكاية واحدة كما رويت اول مرة ، والمقصود النص الاول الاصلي للحكاية ؛ مع الادلة والاستيد التي تثبت ذلك ، وللأسف انه لامر يصعب تحقيقه تماما . وعندنا تقدمت العلوم منذ قرون قلائل استقطمنا ان نرى ينظر العلم صورا من ماضى الانسانية السحيق ، فساعدنا ذلك الى ان نطلع ونعرف هذه الحكايات القديية بطريقة افضل ، لكن تعرفنا على هذه الحكايات جاء عن طريق با وجنناه وما رصدناه من بقاياها في حكايات أحدث منها ، مكتوية ومدونة ، وهذه الحكايات الحديثة نسبيا وصلت الينا من مصر القديية وبابل — ويرجع تاريخها الى حوالي ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد — ومن الهند والصين كذلك .

ومن المريب ان الكثير من هذه الحكايات القديية نتعرف عليها دون مشقة في حكاياتنا المعاصرة ، في المغرب وفي كل بلاد العالم ، كما نرى الحكاية المغربية « جحا قاضى الفيران » ، وكما في حكاية « المنافقون » كذلك ، واصل كل منهما حكاية « الصنق والكذب » المصرية القديية التي اكتشفت عام 1930 مدونة على أوراق البردى ، ويرجع تاريخها الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، وهذه الحكاية تشبه عددا كبيرا من الحكايات المعاصرة ، يقول عالم الفولكلور ديولاين ، « قولت الحكاية

عند اكتشافها بدهشة من الباحثين ، ذلك أن موضوعها عرف خلال عذد كبير من الحكايات الهزلية وحكايات الكذب ، إلا انه يصور هنا في الاصل القديم المون في صورة رائعة ، فالفكرة التي تتمثل في ان احد التسينيين مستحيل كالاخر ، هذه الفكرة تصور هنا في اطار جدى وجديد كل الجده، وقد تسربت الحكاية المصرية الى الحكايات الهندية وحكايات الف ليلة، كما انها رويت في جنوب أوروبا وجنوبها الشرقى ، وربما انتقلت من مخطوط الى آخر ، على انه غالبا ما كان يشار اليها في مجال الوعظ والارشاد ، فقدت الحكاية اصلها الاسطورى وبقيت منها فكرة انتصار الخير على الشر ، او الصدق على الكذب ، كما ان « حكاية المتجولين » ، عند الأخوان جريم ، تلك التي نقا فيها الاسكافى الشرير عين الضباط الخير ، هي بحق ابتداد للحكاية المصرية، ففيها كذلك انتصر الخير على الشر في النهاية ، رغم كل الاخطار وكل المكائد .

اما اشهر الحكايات الخرافية المصرية فهي حكاية « انوب وياتو » او « انوبو وبيتيو » ، التي دونت قبل الميلاد بحوالى الف وثلاثمائة سنة، وعرفت في أوروبا عام 1852 ، وهي موجودة في الادب الشعبى المغربى في حكاية « الاخوان » (1).

وقد روى هيرودوت كذلك حكاية « اللص الباهر » ، نقلنا عن مصر القديمة، وتتفق الكثير من الحكايات المعاصرة عن حيل اللص الماهر مع الحكاية المصرية ، والحكاية المغربية « أبناء اللص 2 » ، تعتبر رواية مطورة للحكاية المصرية ، لكن في صورة أكثر اشراقا واكمل فنا .

وما حدث بالنسبة لهذه الحكاية المصرية حدث بالنسبة لاسوف الحكايات من الهند والصين في مختلف انحاء العالم ، فقد كانت هناك دائما موجات من الهجرات ربما بسبب تغير ظروف الحياة والطقس ، او بسبب الكوارث والابوة والغزوات والحروب ، فتمازجت واختلطت الاجناس البشرية في تاريخها القديم وكذلك حكاياتها .

وربما كان في تتبع حكاية واحدة وانتشارها بقدر الايمان ، مثل يوضح حيوية الانب الشعبى واصالته وقدرته على البقاء .

نقول حكاية الصدق والكذب المصرية القديمة ، كان الصدق والكذب

(1) ، (2) - حكايات منشورة في الكتاب .

أخوين ، وتشاجرا في يوم مع بعضهما لان كل منهما ادعى انه أتوى من الآخر ، ثم أراد الكذب أن يوتغ بأخيه الصدق ، فاصطحبه الى محكمة الالهة ، واتسم الكذب أمام المحكمة بأنه يوجد سيف كبير هائل الحجم ، قبضته مثل الشجرة ونصله مثل الجبل ، ولم يشأ الصدق أن يصدق هذا القول بالرغم من قسم الكذب ، فحوكم الصدق وفنقت عيناه .

ثم عمل الإخ الإعمى « الصدق » بوابا ، وأحبته امرأة وولدت منه ولدا ، فاق أترانه الذين يكبرونه نكاء وقوة ، ثم علم الابن بقصة والده ، فأراد أن ينتقم لابيه لما لحق به من ظلم ، فأتى بثور ممتاز واعطاه الى راعى عه « الكذب » وأعجب المم بالثور ، فحرض الراعى على سرقة ، فعمل ، وطلب الراعى من الصبى - بناء على أوامر الكذب - أن يختار من قطع عه ثورا آخر ، ولكن الصبى أخبر الراعى بأنه ليس هناك ثور مثل ثوره ضخامة ، فهو حينها يقف عند بحر آمون يصل احد قرنيه الى الجبل الشرقى بينما يصل القرن الآخر الى الجبل الغربى (1) وهو يلد كل يوم ستين عجلا .

ولم يصدق الراعى هذا القول ، حينئذ تيده الصبى وحمله الى عه « الكذب » وطلب منه أن يحضر أمام محكمة الالهة ، وهناك ادعى الكذب ، أن مثل هذا الثور لا يوجد ، وعندئذ سأل الصبى الالهة عما اذا كان هناك سيف كالذى ادعى الكذب انه تد رآه ؟ ، وعلى هذا تحتم على المحكمة أن تتراجع وتعيد النظر في الحكم القديم بين الصدق والكذب ، فأصدرت حكمها بأن ييرا الصدق .

وقد انتشرت هذه الحكاية المصرية حتى وصلت الى أقصى انحاء الارض ، وصلت الى الصين البعيدة ، وهناك انصهرت في بوتقة الشعب الصينى ، فاضفى عليها من روحه وملاحج شخصيته وأصبحت حكاية من الادب الشعبى الصينى ، لكن أصلها مصرى .

وتقول الحكاية الصينية ان فلاحين وجدا أثناء حراثة حقلها كتزا منحونا في الارض ، وهو عبارة عن إباريق فضية ، وقد اتنع احدهم الآخر بأنه سيحتفظ بالإباريق الفضية لمدة من الزمن حتى يذهبها سوب الى السوق فيما بعد ليبيعاها .

(1) - يقع وادى النيل بين مرتفعتي تعده من الشرق والغرب .

وحيث طلب الفلاح من صديقه في يوم الذهاب الى السوق ، ادعى الصديق بانه فقد الاباريق لان الفئران اكلتها ، فاخذ الفلاح معه ابن صديقه ورجل ، ولما افقد الرجل ابنه واخبره الجيران اهم شاهدوه مع صاحبه ، اسرع اليه وساه عن وده ، فاخبره انه حدث انشاء اصطحابه لابنه ان نزل طائرا من السماء وخطف الابن وطار به عاليا ، فلما ابدى الرجل عدم تصديقه لهذه الحكاية الخرافية ، قتل الفلاح ، ولهاذا لا تصدقها وقد صدقتك حين قلت لى ان الفئران اكلت الاباريق الفضية ، فاحد الشيئين مستحيل كالاخر ، تماما كما في القصة الاصلية المصرية . وقد اعددت هذه الحكاية الصينية كتمثيلية تلفزيونية ، وقدمتها على شاشة التلفزيون المصرى عام 1962 في برنامجى « اطفال الشمعوب » ضمن حلقة «اطفال الصين» .

ونحن نجد هذه الحكاية في كتاب ابن المنفع العظيم « كليله ودبنة » وقدمتها ضمن حلقات «كليله ودبنة» التي انتجتها للتلفزة المغربية علم 1975 ونجدها في نلب اوروبا، تقبولها حكاية جان « القاضى الفلاح » ، التشيكوسلوفاكية ، ان جان الفلاح اعطى فرسه الى فلاح غنى لترعى مع حصانه ، وعندما ولدت الفرس ، اخذ الغنى الحصان الصغير ، وادعى ان حصانه قد ولده ، مع استحالة حدوث ذلك بالطبع ، فاشتكى جان للقاضى ، لكن القاضى اخذ رشوة من الفلاح الغنى ، فحكم بان يعطى الحصان الوليد للغنى ، وقال لجان الفلاح انه يمكن للحصان ان يلد ، واراد جان ان يسترد حصانه ، فانتبهت فرصة زيارة الامير للاقليم ، واحضر شبكة لصيد السمك، واخذ يرميها فوق صخور الجبل اثناء وجود الامير، وسأل الامير جان ،«كيف تصيد السمك من فوق الصخور؟»، فاجابه جان ، «ولهاذا لا يمكن صيد السمك في الجبل ، مادام يمكن للحصان ان يلد في هذه البلاد » ، وعندما عرف الامير القصة عاتب القاضى فطرده ، وعين جان الفلاح قاضيا واعيدت له فرسه ومهرها كذلك . وقد اعددت هذه الحكاية وقدمتها كتمثيلية في حلقة « اطفال تشيكوسلوفاكيا » على شاشة التلفزيون المصرى عام 62 ، فكم هو ثرى ومعطاء ذلك الادب للشعبى الذى لا ينفيه حقه من الاهتمام والتقدير .

وما حدث للحكاية المصرية ، حدث لالوف الحكايات الهندية كذلك وغيرها من حكايات البلدان المختلفة ، وليس من المهم تدوين الحكاية ، حكاية « الصدق والكنب » كانت تروى قبل ان تكتب وتدون ، ثم دفنت .

أوراق البردى التي دونت عليها الحكاية في المقابر ولم تكتشف إلا سنة 1930 ، ومع ذلك ظلت الحكاية حية وموجودة ، وانتشرت في بلدان كثيرة ، وكان من الممكن أن لا تكتب على أوراق البردى ، وكان يحدث لها نفس ما حدث ، فالصدفة وحدها أتاحت لنا العثور عليها مكتوبة ، فأمكننا أن نعرف تاريخ تدوينها على وجه التقريب فمن ثم أمكننا أن نتأكد من أصل الروايات العديدة للحكاية ؛ وهو أصل مصري ، والحقيقة أنه يرجع الفضل في حفظها وانتشارها إلى رواة الحكايات الذين تداولوها وعن طريقهم انتقلت وانتشرت في بلدان كثيرة . وقد أمكن لرواة الحكايات أن يحفظوا وينقلوا جيلا بعد جيل ؛ وعلى مدى حقبة طويلة من الزمان ذلك التراث القيم ، حكايات الإنسان القديم ، تلك الحكايات التي تعكس صورا من حياة الإنسان وواقعه ومشاكله وآماله وتصوراته وأحلامه ، ولقد ساعدنا رواة الحكايات على كشف ونهم حقبة مجهولة وغامضة من تاريخ الإنسانية في أيلها الأولى وساهموا دون أن يدروا في تقدم المعرفة الإنسانية .

يقول أحد علماء الفولكلور [1] ، « يريد الفولكلور أن ينشئ من جديد التاريخ الفكرى للإنسان لا كما تمثله وتظهره كتابات المفكرين الكبار والادباء والشعراء ؛ بل كما تصوره وتظهره أصوات الشعب الأقل جهازة مع أنها هي الأكثر صدقا وتعبيرا » .

ورواة الحكايات الذين يرجع إليهم الفضل في حفظ الحكايات وتداولها ، هم في الحقيقة فنانون وادباء موهوبون وان كانوا لا يعرفون القراءة والكتابة لان الكتابة لم تكن قد اخترعت بعد ، يقول عالم الفولكلور المقتر الاستاذ كراب . « ان رواية الحكاية جزء لا يتجزأ مما نسبه في الادب بانشاء ألنثر القصصى ، وان كان بعض هذا ألنثر يحتاج نشره الى قلم ومحيبرة . بينما تروج انواع اخرى بالقتال من الانواء الى الاذان ، فليس هذا اختلاف بينهما ، فهو اختلاف فى تلك الامور التى تختلف عليها المدارس الادبية المتباينة فى قضايا الذوق والتكليف . ويستطرد (كراب) « انى ارى ان الحكاية والاغاني الشعبية تعبيرات ابيية بحتة تصور العبقرية الشعبية التى تصل بوازع من تلك الدوافع التى تغذى الذهن الخلاق عند رجل الادب والعالم والفنان » .

(1) - استلا كراب فى محله القيم « علم الفولكلور » .

والعور الهام الذى لعبه ذلك الفنان الموهوب « الراوى » يدفنا للاهتمام به اشد الاهتمام ، ومن حسن الحظ انه مازال يعيش بيننا رواة حكايات ، استطاعوا ان يقدموا لنا بعض المعلومات .

لقد أمكن لهؤلاء الفنانين المجهولين ان يحفظوا لنا التراث وتداولوه فى امانة أدبية يحسدون عليها ، ويمكن الاستشهاد برواية الحكايسنات الفلاحة « فهانين » التى حكى للاخوان « جريم » اجمل واخلد احكايات الشعبية ، يقول الاخوان جريم « كل من يؤمن بقانون استحالة دوام الحكاية الخرافية مدة طويلة دون تغيير بسبب الاخطاء التى تاتى من انتقال الحكاية من جيل الى آخر ، وبسبب عدم اهتمام الاجيال بالاحتفاظ بها ، عليه ان يستمع الى تلك الفلاحة ليعرف كم هى متمسك بنص الحكاية ، وكم هى حريصة على صحتها ، وهى لا تغير شيئا من نص الحكاية مطلقا عند روايتها مرة اخرى ، واذا ما ادركت انها اخطأت فى السرد ، اعادت على التو الرواية الصحيحة ، فان انتمسك بالتراث المقول يعيش بين اناس رسوا لحياتهم نظاما معينيا لا يحددون عنه ، وهم فى تمسكهم بهذا التراث اقوى من ميلنا نحن الى التغيير ، وافلاحة فهانين تحفظ فى ذاكرتها بحكايات كثيرة ، وهى تقص حكاياتها فى حذر وفى ثقة وحيوية صادقة ، بل انها تستمع فى الواقع بما تقصه ، وطريقتها ان تسترسل فى رواية الحكايات ، ثم تعيد قصتها مرة اخرى اذا شاء المستمع ذلك .»

ويخبرنا الباحث الالماني « جوتفردهنسن » بأنه اعتمد فى مجموعته « مجموعة هنسن » على راو واحد هو الشيخ « اجبرت جيرتى » الذى امدّه بعدد هائل من الاغنيات والحكايات الهزلية.

ونحن نذكر على سبيل المثال ما حكاها قصاص من هنود امريكا الجنوبية الى احد جامى الحكايات ، قال : « ان ما يعثر عليه الانسان اليوم من اخبار آبائنا لهو اكبر قبيلة من الكنوز واللاليء ، والذى نعرفه عن آبائنا انهم كانوا يلتزمون باخفاء هذه الكنوز عن المتطفلين ، تماما كما يتحتم علينا نحن الان ان نقوم بحماية حكايات وطننا التى تبدو مبعثرة من قبل ان تذروهاالرياح المتغيرة وتطوح بها هناوهناك فى البيئات غير الصالحة» .

ويؤكد هؤلاء الهنود انفسهم انه لايحق لانسان ان يغير سن هذه احكايات بحال من الاحوال حتى لايفضب ارواح اجداده، وقد كان من المحتم على قصاص من قبيلة « الاروكاتر » ان يهبط الجبل فى ساعة متأخرة من

اللبل لكن ينقل كلمة في حكاية من الحكايات حتى لا تشوب الرواية الاصلية سائبة .

وقد يزاول الراوى اى مهنة من المهن ، فقد قام بهمة الراوى ، التجار والجنود والبحارة والصيادين والمغنيين والعمال ورواة الاتاميص المحترفين واصحاب الحرف المختلفة ، واهيانا يتخصص بعض الرواة فى هذه المهنة ولا يقومون باى عمل آخر ، ذلك اذا كانت ظروف المجتمع واحواله تتيح لهم دخلا يكتفيهم ان اقتصروا على مزاولتها .

ويقول احد علماء الفولكلور ، « ان هناك كذلك بكل تأكيد الاحساس بالشكل ، تلك الميزة التى يتصف بها القصاصون الجيدون ، فان تابلتهم حكاية هزيلة مهلهلة البنيان ، فانهم بما لديهم من احساس متميز بالشكل يردون هذه الحكاية من طريق تحويلها واستبدالها مرة اخرى الى شكلها المكتمل » .

وهذا الاحساس بالصحة وسلامة التركيب الفنى كان يتم دون دراسة التقنيات والقواعد التى نعرفها اليوم ، فقد أصبح الراوى خبيرا ومتخصصا فى عصر لم تكن العلوم قد عرفت فيه بعد الا بقدر لا يؤبه به ، وليس فى هذا اية مبالغة ، وحتى نتبين الى اية درجة رفيعة وصلت مواهب بعض رواة الحكايات ، نورد سطورا قليلة من حكاية صينية لنظهر المكات الادبية الذهلة التى تحلى بها هؤلاء الفنانين الشعبيين ، قال الراوى الصينى ، «لقد ابصر حينذاك من حوله غابات من العقيق الاصفر واشجار من معدن التفريت (I) الاخضر، وكانت الحشائش من حجر اليشب الكريم، والازهار من المرجان ، وفى وسط هذا البهاء كله يقع قصر التنين ، وقد اشرف على القصر مئات من البوابات المغلقة على ها بها ، كما انتشرت فى جنباته الازهار والورود الساحرة فى وفرة ممتعة، وكانت المياه الفضية تتواج فى الجداول وهى مختزنة ، وفى قاعها تسبح الاسماك ذات القشور الذهبية ، وفوق الاشجار المزدهرة عدد لا حصر له من الطيور السحرية الملونة التى تغنى وهى تطير صاعدة هابطة .

وطلع تنين احمر فى لون الدم القانى ذو اشعاعات قرمزية ، ولحية نارية ، وجذب العمود الذى كان مشدودا اليه بسلسلة ، ثم تصف الرعد من حول التنين ولمع البرق ، واختلط الثلج بالمطر فى شبه دوامة عاصفة ثم كانت صرخة راعدة هائلة ارتفع عندها التنين الى السماء واختفى » .

(II) - نوع من المسمان النفيسة .

وهكذا تدم رواة الحكايات الصينيون لنا صورا من الجمال الاخاذ لم يستطع الكثير من الشعراء والادباء تقديمها .

ولقد اعتمدت بالطبع في جمع كل الحكايات التي دونتها على الرواية الشفاهية ، واستمعت ابي العشرات من رواة الحكايات ، ويختلف الرواة فيما بينهم من ناحية المواهب والاحساس الفني ، فالراوى الجيد يمكن ان تدون حكايته كما يرويها ، لكن هؤلاء قليلو العدد مثل الفلاحة «مهماتين» التي تكلم عنها الاخوان جريم ، وقد ساعدنى الظروف والتوقيت في المغرب بعدد من الرواة المتنازين ، وارى من الاجحاف عدم التكلم عنهم اعترافا بفضلهم في انجاز هذا العمل ، وبلاسف الشديد وانا لحتج على ذلك ، تجبرنى التقاليد على عدم اذاعة اسمائهم واخفاء بعض التفاصيل .

وهن الرواة الذين استمعت اليهم ، سيدة من فاس ، قصت على حكايات من الفولكلور المغربي ، يمكن القول في ثقة اننا لو قارنا بينها وبين بعض الحكايات العالمية المعترف لها بالامتيار ، يمكن القول ان هذه الحكايات المغربية تماثلها ان لم تتفوق عليها .

والسيدة ولدعوها ناطمة : ربة اسرة ومتروجة من رجل اعمال ناجح ، وهى جدة ولها احفاد، ولديها خمسة ابناء في الجامعة وبعضهم تخرج منها ، وكلهم بصفة عابة مهتازون في دراستهم وسلوكهم ، وعرفت السيدة ناطمة بقوة الشخصية ، وبالذكاء الحاد .

وهى لا تقرا ولا تكتب وتحفظ حوالى 30 حكاية ، كلها جيدة وبعضها ممتاز او ممتاز جدا ؛ احسن حكاياتها ، لالانوفويا « لالانغو في التلنفة » ، ودهاء النساء ؛ يابا خذ معلتى . المناقتون . شراب الزبيب ، وبعض حكايات اخرى ستنتشر ان ساعدت الظروف .

كانت تجلس وقد غيرتها فرحة صادقة، وقد سرها وجود من يتلفه على سماع حكايتها الحبيبة الى قلبها . وتبدأ وتروى الحكاية في جبل قصيرة مترابطة : وواضحة ومعبرة ، وانى اذكرها مرة وهى تحكى حكاية «لالا نوفيا» واعمالها التبيحة المترتبة على جهلها وعدم خبرتها ، وكانت تضحك من اعناق قلبها ضحكات صافية صادقة ، فتذكرت كلام الاخوين جريم عن استمتاع الراوية الفلاحة « مهماتين » بما كتبت تقصه لها ، وحين اخبرت السيدة ناطمة بذلك اجابت ، « انا امراة بسيطة ولا اعرف

نماها معنى ماتقول، لكننى فهمت أن هذه السيدة كانت تستمتع وهى تحكى الحكايات ، وهذا حق فانا احكى لك الحكايات لمدة ساعات بالرغم مما فى ذلك من مشقة لان هذا العمل يسعدنى .

وكانت دقيقة غاية الدقة ، لا تؤخر ولا تقدم كلمة واحدة ، وحين كنت أستحيتها على الاسترسال فى القص بسرعة ، حين نحاول تكرار جملة معينة ثلاث مرات كما تقتضى أصول الحكاية ، كانت عندئذ تبتم فى هدوء وهى غاية فى الادب ودهائة الخلق وتسالنى الصبر ، وتكرر الجملة ثلاث مرات ، ثم تسترسل فى قص الحكاية دون أن تابه لاعتراضى .

وكانت تعبر وهى تحكى ببلابحها ، وبصوتها ، تخفضه أو ترنعه وتلون نغماته ، وتحرك يديها أو أصابعها ، كانت تندمج وتعيش حكاياتها، أذكرها وهى تحكى حكيمة (شراب الزبيب) وهى تصور جو «المشور» وما يحدث فيه ، ووصفها البديع لشكل الغلام وملابسه وللكؤوس النظيفة. الخ . ومن أحسن الرواة الذين استمعت اليهم ودونت عنهم أصح الروايات لحكايات رائعة وقيمة ، السيد «تمعيشة» ، وهو قصاص محترف وفنان أصيل ، فى الستين من عمره تقريبا ، يقرأ ويكتب ولكن ثقافته بسيطة بل تكاد أن تكون بنعدمة وكل ما قرأه بعض كتب القصص والحكايات مثل ، «الف ليلة وليلة» ، «وحزرة البهلوان» ، «والاميرة ذات الهمة» وبعض الكتب الشعبية مثل ديوان سيدى عبد الرحمان المجدوب وما شابه ذلك وهى قليلة ومحدودة على أية حال .

لكنه يحفظ فى ذاكرته مئات الحكايات التى يرويها الناس شفاهيا فى المغرب .

ومن أروع وأجبل حكاياته التى دونتها :

— أولاد الحاكم انلاطون — طائر الحكبة — الرجل الذى يببض —
أخدم يا التاعس — اللص الظريف — زوجة من الريف — القزم — مهارة اللصوص — فرطت — أبناء اللص .

وفى أول لقاء معه بينت وأوضحت له رغبتى فى معرفة الحكايات التى تروى شفاهيا والغير مدونة فى الكتب ، ففهم بسهولة وبسرعة ، وحكى لى حكاية « فرطت » وأضر هو على هذه التسمية ورفض أن تسمى « اللى فرط كرت » وكان رايه أن الكلمة التى تتردد دائما فى ثنايا الحكاية

وترتبط احداثها ، هي كلمة — فرطت — . بالاضافة الى ان لهذه الكلمة
خبرس لطيف في الاذن .

وكان يحكى الحكايات بعونه الاجش وهو اكثر ناثرا بها يحكيه من
السيدة فاطمة : وخاصة حين كان يحكى حكايات اللصوص والحكايات
الهنزية . فلا يمكن للانسان ان يتهاك نفسه من الضحك ، وهو شأن
الفكاهيين الاميلين لا يضحك من المواقف الضاحكة ، لانه يبتلها ويؤديها،
بل نلح فقط ابتسامته فتكون اكثر تاثيرا على المستمع .

وبعض حكاياته الخرافية مثل « طائر الحكمة » و « اولاد الحاكم
املاطون » ، تستحق وتستلزم الدراسة وتبحث ، ومن الغريب انه
يسجل هذه الحكايات ويؤمن بها جاء فيها من خوارق وغرائب على
انها اشياء واقعية .

ايها حكايات اللصوص وعى احب الحكايات الي قلبه ، فكنت اراه
مبتلا موهوبا وهو يحكيها . سألته مرة لماذا يميل الي حكايات اللصوص؟
ناجاني بعد تفكير . « الحق اننى اميل الي حكايات اللصوص لما فيها من
تشويق واثارة ولما فيها من حيل تبين الذكاء والمهارة ، لكن لا ، لا لا ،
ارجوك صدقنى ، ان كل الحكايات التى احفظها الان حبيبة الي قلبى
بالتساوى ، ان الحكايات بالنسبة الي مثل ابنائى ، آه ... لقد احببت
!!حكايات منذ زمن بعيد حين كنت صبيا يانعا ، وحفظتها ورويتها منذ
صغرى للجيران والاطفال ، وقد خدمت في مهن كثيرة ، مهن بسيطة ، فانا
رجل فقير ، لكننى كنت دائما مهتما بالحكايات ، احب سماعها ، ويسعدنى
ان ارويها للناس ، ولذلك احرقت مهنة القصاص منذ ما يزيد عن ثلاثين
علا ، حقيقة وقبل سنوات كثيرة كنت افضل بعض الحكايات مثل حكايات
اللصوص ، ولكننى ادركت خطاى وعلمتنى التجارب ان راي راوى
الحكايات لا قيمة له ، فالهم راي الناس ، فانا الان مبتلا احفظ الكثير من
الحكايات ، فان سألتنى عن احسنها ، لا شك اننى ساؤكد لك انها هذه
الحكايات التى حكيتها لك اخيرا ، وهى احسن ما عندى لكن ليس هذا
رايى بل هو راي الناس الذين استمعوا لها ، وانت ايضا اعجبك ، اليس
كذلك ؟ .

ولم ارد عليه لاننى كنت احدث فيه وقد تنازعتنى شتى الامكار ،
وتذكرت قول تولستوى العميق الدلالة بأنه لا وجود للفن بدون جمهور .

أما «حدة» فهي فلاحه بن نازة ، هاجرت من بلدتها حين كانت في الخامسة عشرة من عمرها لتعمل خادمة عند بعض الأسر في الدار البيضاء والرباط وفاس ومكناس ، و «حدة» في الخامسة والعشرين من عمرها ، قصاصة بالقطرة والسليقة وراوية حكايات عظيمة ، وهي غاية في الذكاء ، حية ونشيطة ولا تكف عن الحركة ، وتتقن جميع الأعمال المنزلية اتقاناً ممتازاً ، ذلك ان ارادت ، لكنها تصطدم دائماً مع الأسرة التي تعمل عندها لانها لا تقبل الضيم ولو كان بمقدار قليل ، مما جعلها تنتقل بين عدد كبير من الأسر التي رات في سوكن «حدة» تطاولوا على ما اعتادوا ان يعتبروه حقاً من حقوقهم ، في حين تعتبرهم «حدة» ظالمين . وقد روت لى «حدة» عدداً ونيراً من الحكايات الممتازة النادرة ، واحسن حكاياتها ؛ بعيداً عن الاثنى — حكاية سبع بنات — مغامرات نئب — الخاتم السحرى — البرق — حديدان الحرامى — حتى يشيب الغراب ويزدهر المعاز بالورود — عائشة بنت الخطاب (1) .

وتعتبر «حدة» الحكايات اشياء هامة بالنسبة اليها فهي تؤمن بما جاء فيها على أنه حقيقة وواقع ، فالحكايات ثقافتها وديناها وعالمها الذي تبشر فيه ، ومن طرف ما يذكر ان «حدة» كانت ترفض ان تحكى حكاية قبل ان تستأذن من الأسرة وتشتترط الاعفاء من العمل ، نصف يوم مثلاً ، لان رواية الحكاية عند «حدة» لها اصول وقواعد ، فلا بد من الاصغاء التام ولو من مستمع واحد ولا تسمح لاحد بالمقاطعة ، والا فانها تتوقف ويستحيل بعدها ان تعاود رواية الحكاية .

لكن ما تشترطه حدة يعتبر حقاً من حقوقها ، وبعد الاستماع اليها يهتف الانسان ، « معها الحق » ، ذلك ان حدة كانت تندمج نهائياً وتنفعل بشدة وفي تحكى ، وانى لانكرها وهي تحكى حكاية — بعيداً عن الاثنى — حين تردد ونادى الرجل اخوته الحيوانات ، كل واحد باسمه ثلاث مرات واه ياسبع ، واه ياسبع واه ياسبع الخ . . . وكانت تنادى وترفع صوتها وتطيل النداء ، وتطلق كلبة سبع والعين مضمومة ومنونة ، واذا عرفنا انه كان على بطل حكاية حدة ان ينادى اخوته الحيوانات الستة كل منهم باسمه ثلاث مرات ، فان الاستماع لحدة وهي تغير نغمة ودرجة صوتها لتكون مناسبة مع أهية كل حيوان من الحيوانات التي تناديها ، كان

(1) — بعض هذه الحكايات منشور في الكتب والبعض الاخر سينشر في الجزء الثاني لبحثي الى مزيد من المراجعة والبحث .

الاستماع لحدة متعة من المتع ، فقد كانت تنقلنا الى جو الحكاية والغابة
تباها كما يفعل لكنها الابداء الموهوبين .

ولعل «حدة» وتمعيشة والسيدة فاطمة كانوا رواة حكايات ممتازين،
وقد دونت عنهم عددا كبيرا من الحكايات الهامة ، لكن الهم هو اننسى
عرضت عليهم ما جمعته من غيرهم من الحكايات ، واستتمت الى آرائهم
والى بعض هذه الحكايات نفسها حين رويها لى مرة اخرى ، وكانت
مراجعتهم قيمة بالنسبة للعمل الذى اقوم به وتساوى تماما ما قدموه الى
من حكاياتهم الخاصة التى دونتها عنهم .

وقد استمعت الى عشرات الرواة الآخرين ، ومن الاجحاف عدم
الاشارة الى بعضهم بعد الكلام عن الثلاثة المهمين بشيء من التفصيل .

ومن الرواة الذين يجب ذكرهم ، السيدة م . وهى والدة لاعب كرة
مشهور، وقد دونت عنها حكايتين فقط، حكاية الطائر الازرق الجبيل(1)،
بنت القائد سلامة (2) ، وظنى ان حكاية الطائر الازرق الجبيل من اروع
حكايات الفولكلور المغربى ، نبايتها مشوقة لاقصى حد ، وبنائها النفسى
غاية فى الاحتمال وغنية بالاحداث الغريبة . والسيدة م . كبيرة السن ،
وهي رقيقة وخجول الى اقصى حد ، وصوتها دانا منخفض،
وهي تحكى حكايتها فى ببطء شديد ويتهل ، وتحس وانت تستمع اليها
انها تتعامل مع الكلمات والجميل فى حنان غريب، وهى لا تنظر الى المستمع
او المستمعين وهى تحكى ، بل تنظر الى بعيد ، فيهبأ اليك انها تنظر الى
صور جميلة ساحرة وتنقلها اليك من لوح محفوظ .

أذكرها حين كانت تصف لوعة الامر حين افتقد محبوبته ، ثم حين
طلب فى توسل ولهنة من بائع الملح ان يحكى عن جبالها ، فأحس بالعجز،
فأى كلمات يمكن أن تنقل صورة السيدة وهى تردد الكلمات فى رقة وحنان
ويكاد وجهها أن ينفجر اشراقا وبهجة حين تحكى عن الاميرة وهى تثير
عواطف الامر والشواته وتصف روعة لقاء الحبيبين .

وقد أفاضتني فائدة لا تقدر حين راجعت معها عددا من الحكايات التى
جمعتها من غيرها ، كانت تقول مثلا ، « نعم ، لكن نهاية القصة تروى

(1) - حكاية الطائر الازرق منشورة بالكتاب .

(2) - ستظهر هذه الحكاية فى الجزء الثانى لحاجتها الى المراجعة والتنسيق .

بطريقتين . او تعترض او تستحسن وكنت اسمع منها ادق الاحكام واصوبها .

وظنى انه من الاعتراف بالفضل ومن الواجب الكلام عن شخصيتين اخريتين ؛ احدهما محمد ، فلاح من نواحي « امننتوت » دونت عنه حكاية – الرمان السفري – وتستحق بمفردها دراسة خاصة ، حكاية مغربية اصيلة ، بمعنى ان سلسلة الموضوعات القديمة التى تتضمنها قد ضهبت اليها سلسلة موضوعات مغربية بحنة ، عن ذبح الكبش . ففى نهاية الحكاية « ازاح الابن الحجر ونظر مرأى فى باطن الارض فراغاً ، رآى سماء أخرى تحت الأرض ، وبعيدا هناك وقفت امه العجوز ومعها الكبش تناديه وهى تبكى لانها لا تجد من يذبح لها الكبش ويسلخه ، فرمى لها خنجره ، لكن الخنجر تاه فى الفضاء الموجود تحت الارض ولم يصل اليها ، فرمى جليبه الذى تبدد فى الفضاء كذلك ، فرمى لها نفسه ، لكنه ذاب وتبدد هو الآخر فى الفضاء ، لكن نقطة دم منه بقدره الله العلى القدير ، وصلت حيث توجد امه ولامست الكبش فذبحته لها . (1)

فانه من النادر ان يصادفنا فى الحكايات ذلك تناول الفنى الغريب الذى يعرض فى اعجاز تقليدا من التقاليد المغربية الاصيله فى صورة جديدة كل الجدة وجبيلة وعجبية لاتصلى حد .

ومحمد رآوى الحكاية « بربرى » اصيل ، فى الخمسين من عمره ؛ اشتغل فلاحا فى بداية حياته ثم بناء وعاملا فى المناجم ، وهاجر الى مراكش وعمل كبائع متجول ثم كبستاني وحارس عند بعض الاسر فى الدار البيضاء واخيرا رجع الى قريته وزاول املاحة ، ويحفظ كثيرا من الاشعار البربرية العاطفية ، ولديه عددا قليلا من الحكايات احسنها حكاية الذئب والقنفذ مع الاسد – الام الحنون (2) – البقرة الذهبية (3) وحكاية الرمان السفري الرائعة والفريدة فى مميزاتها ، ويرجع اليه الفضل فى لفت نظرى لحكايات القنفذ .

والشخصية الثانية ، « للاسعدي » وكان يجب الكتابة عنها ابتداء وقبل اى راو آخر ، لولا اعتبار ، هو اننى دونت الكثير من حكاياتها نقلًا عن تلاميذها واقاربها بالنسبة لظروف مرضها الشديد لكبر سنها فقد تاربت التسعين من عمرها الجديد .

(1) - انكاسات المذهب النفسى ، انظر ص 20 .
(2)،(3) - حكايات منتشر فى الجزء الثنى من الكتاب

للا سعدية مهندسة الحكايات الخرافية ، كماها فخراً أنها صاحبة
اجمل حكايات هذه المجموعة « بولاي محمد الكاس » وغيرها من الحكايات
التيبة ، مثل ، المقدر والمكتوب ، السلطان الكبير والسلطان الصغير ،
« بهوت النساء » وقد روت لى بنفسها هذه الحكايات ، غير الحكايات
التي دونتها عن تلاميذها واهمها - يابا خذ معلمنى ، وللا نومويا ودماه
النساء ، المتافقون ، شرابم الزبيب ، مولاي على فحيح (1) .

وفى اثناء استماعى لبعض الرواة ، كان البعض منهم يردد حين
ينسى بعض التفاصيل ، «سأسال للا سعدية» وعندما سالت عنها وطلبت
مقابلتها ، كان الرد ان هذا بن الصعب تحقيقه لظروف مرضها المتواصل
شفاها الله .

وانتهزت فرصة شفائها النسبى ، وذهبت اليها ، دخلت مع بعض
لغارها غرفة نوبها التي لا تكاد تغادرها ، وقد جلست للا سعدية فسى
سريرها بطلمتها المهيبة ، تشع عيناها بريقا مشرقا وحننا ولطفا ، ولا
يتناسب صوتها المعبر الجميل مع تقدم عمرها بحال من الاحوال ، ورحبت
بنا وحادثتنا فى شؤوننا الخاصة ، وبعد مدة التفتت الى وقتلت ، « لقد
سمعت بن فلانة وفلانة وفلان انك مهتم بسماع الحكايات وكتابتها ، لقد
حوا لى عنك كثيرا ، وأنا انصحك ، احسن من تحكى لك هى للا فاطمة،
هذه ابنتى وخليفتى ، تحفظ جيدا وذاكرتها قوية » ، وصدقا ما قالت،
حين راجعت معها الكثير من حكاياتها التي سمعتها من تلاميذها ، كانت
احسن راوية لحكاياتها هى للا فاطمة ، وهن الطريف مقارنة ما سمعته
هن للا سعدية ، فالكثيرون يقولون ، للا سعدية هى صاحبة حكاية كذا
وحكاية كذا ، وكان هذه الحكايات ملكا لها ، ثم هناك اجماع على قوة
ذاكرة للا سعدية الخارقة للعادة ، وقد تحققت من ذلك بنفسى ، ومن
الطريف المقارنة بين ما سمعته عن للا سعدية وبين ما تحدثنا به احدى
باحثات الفولكلور عن القصاصين الاتراك وتقاليدهم وواهبهم ، وعن
ملكية بعض الاسر التركية للحكايات . فنجدها وكأنها تصف للا سعدية،
نهناك تشابه فى كثير من الامور ، تقول الباحثة ، « ان الحكايات الخرافية
لم تكن مادة حرة يحق لكل راو ان يرويها ، لنى مجتمع القصاصين الاتراك
كان من الممكن النظر الى بعض الحكايات بوصفها نوعا من الملكية الخاصة
لقاص بعينه ، وكانت بعض الحكايات تعتبر ملكا لبعض الاسر ، فاذا حكى

(1) - ستنشر فى الجزء التالى من الكتاب .

شخص حكاية تنتهي الى اسرة اخرى فان هذا يعد سرقة كبيرة وينظر اليها على انها عمل دنىء كما ينظر الى سرقة الحصان ، وعند ذاك ، يحرم على سارق الحكاية الا يتناول من الطعام سوى الخبز والماء . ذلك ان القاعده والعرف في مجتمع هؤلاء القصاصين لا يسمحن الا لقله موهوبه من القصاصين برواية الحكايات المعقدة مثل الحكاية الخرافية ، ولقاص بمفرده الحق ان يروي حكايات شخص آخر يكون جده او استاذه او معلمه حتى يمكن الاعتماد على روايته للحكاية وعدم مساسه بكيانها المستقل .

وكان معنى ذلك ان انتقال الحكايات وانتشارها كان يتم في المقام الاول، لا عن طريق مجموعة كبيرة من الرواة ، وانها عن طريق قلة من القصاصين الموهوبين . ذلك ان جمهور المستمعين كان يرفض القاص رفضا باتا ان لم يكن حائزا على مواهب ممتازة ، بل يمكن القول انه كان ينظر الى المتلقين بوصفهم عنصرا حافظا للحكايات وضابطا لها على الدوام ، وكان على القصاص ان يعيد حكايته دون اية تغيرات ولو رواها على فترات زمنية متباعدة ، فقد كانت الذاكرة القوية هي اول صفات انقاص، والاغرب انه كان في مقدرة القاص ان يستمع الى حكاية مرة واحدة ثم يعيد روايتها بعد سنوات بنفس الطريقة ، مع ذكر ادى التفاصيل ، حقا كان بعض هؤلاء القصاصين يمتلكون ذاكرة قوية لدرجة مذهلة تشير الدهشة، وربما يرجع ذلك الي ان الذاكرة لم تكن قد ضعفت بعد عن طريق القراءة الواسعة كما يحدث في عصرنا الحاضر .

وارادت للاسعدية ان تكون كريمة ممي في اول لقاء ، فبدأت تحكي لي حكاية « مولاى محمد الكاس »، ثم حكّت لى فيها بعد حكايات قيمة ، كثيرة ، وكانت تعليقات وآراء للاسعدية صائبة ومثيرة للتأمل والتفكير . فكانت ترى ان الحكايات ستندثر في المستقبل القريب ، لان الناس أصبحوا مشغولين ومتوترين ، ولان الحياة خارج البيوت أصبحت جذابة ، فهناك المقاهى والمسارح والسينمات والنوادي وغيرها من وسائل اللهو والترفيه، والحكايات كما تقول لا تزدهر ولا تنتشر الا في بحيط الدار في المقام الاول حيث الاسرة والاصدقاء ، نقبل عقود قليلة من السنين كان الناس يجتمعون كثيرا في البيوت ويسمرون ولم تكن هناك اذاعة ولا تلفزيون ، والحياه خارج الدار كانت غير جذابة ، وربما لهذه الاسباب اختار الاخوان جريم لمجموعة حكاياتهم العظيمة عنوانا هو « حكايات الاطفال والبيوت » .

وللا سعدية صاحبة مثل عليا، وهي اخلاقية النزعة، وتهيل الى الحكايات التي تتضمن العظة والعبرة، ولذلك كانت تقدر حكاية «المانقون» تقديرا كبيرا. ولما حكيت لها حكاية «القرم» ، حزنت كثيرا لانها لم تعرف هذه الحكاية من قبل ، وكانت ترد في تائر « حكاية عظيمة لانها تحض وتدعو الى الرحمة والشفقة بالصبيان والعمال البسطاء في الحرف المختلفة وكان يجب على ان احفظها منذ زمان بعيد ، يا للخسارة » ، ثم تفسر حالتها وتهتف فرحة في براءة « حكاية مرحة ومبهجة ومشوقة » . وعندما اعددت حكايتها بهوت (1) النساء للنفزة ، وكانت اول حكاية لها تراها مجسمة على الشائسة ، اصيبت بدهشة شديدة وفرحة غامرة ، ودخلت الى قلبها ، اما عندما اعددت « للا فوفويا » في النفزة باسم للا غنسو ، كانت سعادتها لا توصف ولا تقدر وكسبت قلبها تماما ، وساعدتني الى اقصى حد تسمح به صحتها .

ولم تكن للا سعدية متعصبة لارائها ، نبعذ ان شاهدت حكاياتها المختلفة على شاشة التلفزيون غيرت رايها عن انتشار الحكايات وقالت ، « ما دمتم ستعرضون الحكايات في التلفزيون والاذاعة والمجلات والكتب كما بينت لي، فانا واثقة ان الحكايات ستعيش ولن تندثر » ، نقلت لها صادقا وقد هزنى تائرها ، كيف يمكن لنا نحن ابناء الجيل المعاصر ان نسمح لهذه الكنوز ان تندثر ، سنجمعها وندونها ثم نطورها ونسعد قلبك ياسيدتي المبجلة ، فبكت للا سعدية في تائر صادق وكانت دموع الفرح، لانها ايقنت ان حكاياتها قيمة وانها ستعيش .

وهي كفنائة اصيلة تحب الفن وتقدره ، اذكر مرة انسى حكيت لها عن احد الرواة، مهندس قابلته في اليوسنية (2) وهو شخصية مرحة ولا يكف عن المزاح والضحك ، حكى لي حكاية اشكون الحمار - الكى بالسكين - الاحق لا يصلح لشيء - وعندما استمعت الى الحكايات ، صاحت اعجابا ، « حكايات جميلة ، اشكون الحمار » ، وهزت راسها ثم نالت في صوت معبر «الجاهل ، باللروعة ، هذه حكاية عظيمة يابنى - ولهذا السبب بدأت بها عملى في النفزة - والكى بالسكين حكاية تعجبني، لها «الاحق لا يصلح لشيء» (3)، فاسمعها منى واعادت على روايتها اكثر اكتمالا وعنها دونتها في الكتاب .

(1) - دهسا .

(2) - مدينة في المغرب .

(3) ويسونها في فلس حكاية محمد البهل كما اخبرتنى « للاسعدية »

وحين توطدت اواصر الصداقة بيننا كنت امازحها بلطف واتول لها، لا يمكن ان اغفر لك انك تفضلين حكاية «للا فونويا» على باقى الحكايات، فكانت تضحك وتقول ، « يابنى انهم ، الفتاة اليوم تذهب الى المدرسة وتتعلم وتتوظف وعقلها متطور . لما قديما فكان لا بد ان تحكى لها حكاية « للا فونويا » ، فان تصرفت البنت اى تصرف اخرق قلنا لها فى سخرية ، انت تصرفين مثل للا فونويا ، صدقنى لقد لعبت حكاية للا فونويا دورا كبيرا فى تربية الفتيات ، وليست حكاية للا فونويا فقط بل كثير غيرها من الحكايات ، لكن للا فونويا كانت اهمها لانها مضحكة وهزلية ، صدقنى مانا عجوز ، وقد عشت هذا العصر وعرفته فى صباى وشبابى . »

وبجانب سيدة الحكايات للا سعدية والرواه الذين اشرت اليهم ، هناك عدد كبير من الرواة استمعت منهم ودونت عنهم حكايات كثيره ، وسأبين الطريقة التي اتبعتها اثناء جمع الحكايات وقديمتها ، لكن قبلا ، اود ان اروي حكاية علم الحكايات ، علم الفولكلور ، هذا العلم الذى ولد على يدي الاخيرين جريم منذ حوالي مائة وستين عاما ، اما الحكايات فهى متداولة وحية وموجودة منذ الالف السنين، وقد تنقلها الناس شفاهيا فى كل مكان ، ويبدو ان الادب الشعبى قد عرف اول عصور ازدهاره فى القرن السادس قبل الميلاد فى بلاد الهند والاعريق ، لكن عصر الازدهار الثانى كان اروع عصور الازدهار ، وكان هذا فى القرن الحادى عشر وما تلا ذلك من قرون ، نقد بدأ جمع وتدوين الادب الشعبى .

فى هذا الوقت ظهرت مجموعة الشاعر الكشميرى « سوماديو » ، « ملتقى التيارات لختلف الحكايات » ، كما تطورت فى مصر مجموعة حكايات الف ليلة وليلة ، واستقرت على الصورة التي هى عليها الان تقريبا ، وفى اوربا بدأت فى الظهور منذ القرن الثالث عشر ، مجموعات هامة مثل « مجموعة دى كامرون » لبوكاشيو ، و « ثلاثة عشر ليلة ممتعة » لسيترابارولا ، ومجموعة « بيتا ميرونى » لشاعر نابولى الكبير « بازيل » ، وفى فرنسا ظهرت حكايات « امى لوى » لشارل برو ، وقد استهداها من انواع الشعب مباشرة ، وقد اخذ عنه الاخوان جريم بعض الحكايات واثبتاها فى مجموعتهما الشهيرة .

وكان الاخوان وليم وجاكوب جريم ، عالمى لغويات وأساطير كبيرين، وقد عملا معا حوالى خمسين عاما فى ميادين اللغويات والمأثورات الشعبية واصدرا معا مجموعة حكاياتهما المشهورة ، التى أستغرق جمعها وتدوينها أكثر من ست سنوات فى جزئين عام 1812 وعام 1814 ، فأحدث ظهورها ضجة كبرى ونجحت نجاحا ساحقا واثرت على فنون الادب الشعبى نسى كل بلاد العالم ، وما تزال حكاياتها تحمل حتى اليوم الحيوية والجدة التى كانت عليها أيام ظهورها ، بل أنها لم تزد فى المائة وستين عاما الماضية إلا نالقا ، وماتزاي فنون الموسيقى والشعر والفن التشكيلى تستمد منها موضوعاتها، ويعتبر «جاكوب جريم» السباق الى تأسيس علم الفولكلور دون منازع حين اصدر كتابه «الميثولوجيا الالمانية» و «الاجرومية الالمانية»، لكن من الناحية التاريخية يعتبر مع أخيه وليم بن مؤسس علم الفولكلور ومن الرواد الاوائل ، فقد اشتركا فى كثير من الأبحاث والدراسات . ثم توالى بعدها الأبحاث والدراسات ، وانه لمن المتع حقا الأطلاع عليها وتتبعها، الا ان ذلك يخرج عن نطاق هذا الكتاب، بل يحتاج لكتاب منفصل ، لكن يجب الألام ببعض المعارف والمعلوهات عن الادب الشعبى بصفة عامة حتى يمكننا أن نتدر تلك الحكايات التى رواها ويرويها الشعب ، فان مزيدا من المعرفة يعنى مزيدا من الاستمتاع ، فمن يعرف شيئا عن الموسيقى يستطيع ان يتذوق ويستمتع أكثر بها يسمعه ، ومن قرأ، ودرس شيئا من الشعر يمكنه ان يتدر القصيد ويستمتع بأشعر أكثر من ذلك الذى يجهل عنه كل شىء ، كذلك الامر بالنسبة لرحلات الفضاء وتفتت الذرة ، كما هو بالنسبة للادب والفن ، فلا بد أن يلم الانسان اليوم بقدر من الثقافة العامة ليستطيع ان ينمو ويتقدم ويزيد فهمه فمن ثم استمتاعه بالحياة، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى، هناك هدف وهو لفت النظر وتنبه الأذهان الى ادراك ما يشتمل عليه الادب الشعبى من ثراء فنى خصيب يتيح لنا ان نستفيد منه فى مختلف مجالات النشاط الفنى والادبى .

لقد أصبح الاهتمام بالادب الشعبى واجبا قويا ، ذلك الاهتمام الذى يجب ان يبدأ بجمعه وتدوينه ثم بيعته وتطويره، لاهمية الادب الشعبى الفائقة الحد ، ذلك الادب الجميل الذى أمكنه أن يبقى وان يعيش الوف السنين ملتصقا زملتحها بالشعب فى قاعدته المريضة ومرحبا به فى بيوت التجار والنبلاء وبلاد الملوك والباطرة ، ومزاحما للادب الرسمى ومتفوقا عليه ، لانا لو قارنا عصور الازدهار والاحتطاط لكل بن الادبين لفسز

الادب الشعبي بقصب السبق بسهولة ، ويمكن القول أنه ظل نابضاً بالحياة ومشوقاً وجذاباً وأخذ على مر الزمان ، ولا مغالاة في القول بأن الاهتمام بالادب الشعبي يعتبر أحد العوامل الهامة التي يمكن لها ان تساهم في تقدم شعبي المغرب العظيم .

وأخوف ما أخافته ذلك الرأي الغريب وهو ان الادب الشعبي يقصد من الاهتمام به التخدير ومناصرة الرجعية ، وباللعجب فمئذ سنوات قلائل كان ينظر في مصر لكل مهتم بالادب الشعبي على اعتبار أنه شيوعي أو يساري على الاقل ، والادب الشعبي برىء من هذا الرأي وذلك .

فالادب الشعبي ليس له هوية معينة ، فقد قرأت كتاباً أصدرته حكومة الصين الشعبية اسمه « لا تخفوا الاشباح » ، وهو عبارة عن حكايات عن الجن والعفاريت ، واستطاع الكاتب ان يستخدمها بهارة يصدر عليها ليعلم الاحداث والشباب الشجاعة ، والحكايات كلها عادية جدا تدور حول موضوع واحد ، فلاح أو طفل أو امرأة تقابل غريتنا ولا يصيها مكرهه ، وليست هناك حكاية واحدة تتضمن اية دعاية سياسية والصين الشعبية كما يقولون دولة شيوعية متطرفة .

وفي الصفحات القليلة دراسة موضوعية لاهم أنواع الادب الشعبي (1) ، الحكايات - وتركز الدراسة على الحكايات وتتبع اصول موضوعاتها وتحللها وتشرحها ، وكان ايرادها ضروريا ليعايد القارئ الكريم على تفهم وتذوق الادب الشعبي ، والاستمتاع بحكاياته القيمة الممتازة وتقدير جهالها .

وإذا القينا نظرة على الحكايات في عصرنا الحاضر لوجدناها تجمع بين القديم والجديد ، وبين الحكمة العميقة والخيال الصرف ، وبين الجد والهزل وبين الكثير من المتناقضات والصفات المتباينة المختلفة ، فما هو اصل هذه الحكايات ومن أين استمدت موضوعاتها ؟ ، ومن المهم ان نعرف على مضمون الحكايات أو موضوعاتها ، ومن بعد على شكلها .

وقد استمدت الحكايات موضوعاتها من العقائد البدائية القديمة ومن الطبيعة ومظاهرها ومن عالم الحيوان ومن السحر والاحلام ومن العادات والتقاليد وغرائب الحياة . فقد عرف الانسان في الأزمنة السحيقة الكثير من العقائد البدائية ، مثل المذهب الروحي والفتشيسية .

(1) - تعتمد هذه الدراسة على آراء العالم الالماني الكبير « فريدريش ديولان » التي اوردتها في كتابه « الحكاية الخرافية » .

والطوطمية : لكن هذه أسماء أطلقها العلماء على التصورات البدائية ، أما الإنسان القديم ، فلم يكن يعرف عن هذه الأسماء شيئا ، فقد كان يكون وما يحتوى بالنسبة إليه صورا من التعبير عن القوى ، أو رموزا ، وللإيضاح سنعرض تصورات بعض المعتقدات القديمة ورواسبها وانعكاساتها على الحكايات .

والذهب الفيتشي أو العقيدة الفيتشية كما عاشت عند البدائيين ، تبين أنه من الممكن أن تتضمن وتبتك بعض الأشياء ذات الصلة الوثيقة بالإنسان. مثل الإظفر. والشعر والدم والبصاق ، والصورة والإسم والملابس الخ .. تتضمن هذه الأشياء وما يماثلها وتكمن فيها قوة الإنسان وقدرته : لأنها جزء من كيانه ، وأن من يمتلك شيئا من هذه الأشياء ، يمتلك الشخص ذاته ، ويمكن بها يفعله في هذا الشيء أن يؤثر في الشخص نفسه .

فى الملحة الكتبية « تريستان وايزولد » ، تطايرت شعرة ذهبية في وجه الملك « مارك » ، فأصبح كل هم الملك أن يتخذ من صاحبة الشعرة زوجة له ، وهذا يعنى أن الشعرة كانت تجذب الملك بقوة السي صاحبها ، إذ أن الشعرة تعد جزءا من كيانتها ، وتكمن في الشعرة جانبية صاحبها وقدرتها ، وفي حكايات كثيرة إذا ما نظر انسان الى خصلة شعر انسان آخر ، فانه لا يهدأ له بال حتى يفوز بهذا الشخص نفسه، وكذلك كان كل هم فرعون في حكاية الاخوين المصرية ان يفوز بالمراه التي حبل اليه التيار خصلة من شعرها ، وفي حكاية مغربية وقف الفارس امام نبع وأراد أن يسقى حصانه ، فجفل الحصان ولم يقدر أن يشرب ، فترجل الفارس ، ووجد أن لسان الحصان قد التفت حوله شعرة ، ولما اخذ الفارس الشعرة ونظر اليها ، صمم على أن يجد صاحبها ويتزوجها وهذا الموضوع نفسه نجده كثيرا في الحكايات الهندية والمنغولية والارمنية.

وكانت قوة شمشون تكمن في شعره ، وفي كثير من الحكايات تمنح بعض الحيوانات الخيرة البطل الذي ترغب في مساعدته شعرة من شعرها، وما أن يحرق البطل هذه الشعرة او يمسح عايتها بيده ، حتى تجيء الحيوانات اليه وتهرع الى مساعدته،(1) ويحكى في الحكايات الروسية وحكايات بلاد الشمال انه في وسع الانسان أن يقيد آخر بشعرة قييدا أقوى من قيد أكثر الاغلال سكا، وقد تكمن القوة في العظام، او في الدم، (1) - كما في حكاية اصقباة الانسان وعدوه .

وتد تكون القوة في الرداء أو الجلد أو الريش، ومن ظفر برداء شخص آخر فانه يستحوذ على صاحب الرداء نفسه ، كما في حكاية الفتيات البجمات (1) ، وتقول الحكاية أن البجمات كن يخلمن ريشهن فيتحولن الى فتيات ، وسلب بعض الرجال أرديتهن من الريش ، فأصبحن أسيرات، ثم هربت البجمات منهم بمجرد أن استطعن استرداد ريشهن قسرا ، وهناك حكاية مماثلة في الف ليلة وليلة ، وفي حكاية مغربية ظلمت «بلارج» (2) ريشها ونحوها الى فتاة جميلة ، وعندما أراد البطل أن يستحوذ عليها عمل خدعة وحرق ريشها في «مجمر» موثد الفحم فأبقاها في الصورة الانسانية وأمكنه أن يتزوجها .

وفي حكاية مصرية - اغريقية - أن نسرا أو هو في الاصل حقا «الريح» ، قد غرر بفتاة حتى سلب منها حذاءها ثم قذف به في حجر ملك، وان هذا الملك لم يهدأ له بل حتى أصبحت الفتاة صاحبة الحذاء زوجة له . والفتاة لم تقهر أن تهرب من الملك حيث أنه يملك حذاءها ، فكان بذلك يملك جزءا من ذاتها ، وربما تسرب موضوع الحذاء الى حكاية وعاء الرماد (3)، وينبغي أن لا ننسى أن الإيجاء والقلم استحوذا . منذ أقدم العصور على قوة لها اثرها على الحب . وفي حكاية مغربية «مولاي علي فحيح» (4) تصبح الاميرة من نصيب الفارس الذي رمت له مندليها بالرغم مما قبله من مصاعب وعقبات .

ومن أهم معالم الفتشية كذلك ، تلك الفكرة التي انتشرت عند كثير من الشعوب، والتي تقول أن كيان الانسان يعيش في صورته ، وان من يملك صورة شخص يملك القدرة التي يؤثر بها في ذلك الشخص ، وفي العصور الوسطى كانت الساحرات يزعمن القدرة على ايداء شخص بأن يلحقن الاذى بصورته ، ونحن نعرف من طقوس الصيد عند انديانيين ومن شواهد العصر الحجري - رسومات الكهوف - ان الانسان كان في وسعه ان ينجح في قتل الحيوان بان يطعن مسبقا صورته بالرمح في موضع معين، وعند الصيد يصيب الرمح الحيوان في ذلك الموضع بسهولة .

وفي حكاية «يوحنا» من مجموعة «جريم» رأى البطل صورة

- (1) - حكاية خرافية فرنسية .
- (2) - حكاية بلارج بنشورة في المكسب .
- (3) - حكاية سنديلا ، أو «سنديون» المعروفة .
- (4) - منتشر في الجزء الثاني من الكتاب .

الاميرة ولم يهدأ بآلبه حتى ناز بها ، وقد رفضت الاميرة كل الخطاب قبل ان يظهر الامير ، لانها رأت صورته في حلم ، ومن ثم قد احبته ، وتزوجها . وهناك عدة حكايات طويلة مماثلة في الف ليلة وليلة .

والمرأة مثل الصورة ، تهلك قوة سحرية لانها مسطحة وينعكس عليها العالم بأسره ، ويكتفى أن تحتوى على صورة الانسان وان لم تحتو عليها في الحقيقة ، وكهم دهش الانسان البدائي حين رأى نفسه لأول مرة في المرآة الاولى ، وهكذا كانت صورة المرآة بحق اول الامر صورة روحية للانسان ، وبعد ذلك أصبحت المرآة شيئا يستطيع أن يخفى العالم بأسره داخله ، ومن ثم استطاعت المرآة ان تعرف خبايا الامور ، وبهذا تكونت من المرآة البسيطة مرآة الحكاية الخرافية السحرية ، وفي ارقى انبلدان الاوروبية اليوم يوجد من يزاول مهنة التنبؤ بالفيب عن طريق انبلورة السحرية !

وكذلك اسم الانسان ذاته يحتوى على كيانه وقوته ، والامر كذلك ايضا بالنسبة لاسم الكائن المهول أو الحيوان أو الجهاد .

وكل من يعرف اسم كائن يكون له سلطان عليه ، ففي اسطورة «بارميسغال» عندما علمت «الزا» اسم البطل «لوهنجرن» ، تحطبت قوته الخارقة، وهناك مثل الماني يقول «إذا مانطق الانسان باسم الذئب جاء يعدو» ، ومثل مصري يقول «جبنا سريرة القط جه ينط» ، وفي حكاية على بابا والاربعين حرامي ، كان مجرد معرفة الاسم كافيا لينفتح الكهف اذا ما نطق أحد «افتح ياسمسم» ، وفي حكاية مغربية «بعيدا عن الانثى» (1) حين نادى البطل اصديقه الحيواناته بأسمائها ، أسرعته اليه واتقنته من أعدائه .

وكذلك يتسبب لمس اشياء معينة في ظهور الصفة الخاصة بالكائن، وكانت الشعوب البدائية ان أرادت أن تستجلب المطر ناتما ترش المياه على الأرض ، وان أرادوا أن يثروا العاصفة والريح ، كانوا يلطبون سطح ماء بركة بفرع شجرة ويقذفون الى البركة بالاحجار ، وكذلك هناك اشياء أخرى كالأشجار والزهور والخواتم وغيرها ، تشاركنا حياتنا ، فإذا افتقر أخوان فان أحدهما يذبح بسكين في بطن شجرة ، وبهذه الطريقة يمكنه أن يعرف ما يحدث لأخيه ، كذلك تثير الزهور التي تذبل الى مرض

(1) - حكاية منشورة في الكتاب .

انسان او موته ، كما في حكاية مولاي محمد الكاس المغربية ، وفي حكاية مغربية اخرى « الاخوان » اعطى الأخ لآخيه خاتما وبين له انه ان سخن الخاتم في اصبعه ، فمعنى ذلك انه في خطر ، واحيانا ينطق شيء يملكه شخص آخر ، كما نعل المهرز الذى تهلكه الغولة لينبها الى هروب البنات الصغيرات في حكاية « سبع بنات » المغربية ، ذلك لان المهرز ينسى الى الغولة فيمكن فيه جزء من قوتها الساحرة .

فالقوة والتغدره تكمن في الشعر او الدم او البصاق او الرداء او الاسم لو في اى شيء ينهى للشخص او للكائن بصلة ، ففى العقيدة الفتشية يمثّل الاحساس بالرابطه العبيطة بين الافراد والاشياء التى تكون مقدره من قبل ويتحتم بعد ذلك تحقيقها ، وهذا يبدو لنا بوصفه احدى الملامح الاساسية. في الحكايات الخرافية بصلة عامة ، وهذه الموضوعات قديمة في خصائصها وهى تنتمى الى عالم كان التفكير الرمزي فيه قويا للغاية ، ووراء هذا التفكير يقف الاحساس بنظام هائل يشمل عالم الانسان ، وتنعكس تصوراتها في الحكايات ويجب علينا ان نتواضع ولا نعتبر هذه الامتكار الرمزية للانسان القديم غريبة للغاية ، فاننا نعرف في عالمنا اليوم ما يشابه هذه الامتكار احيانا ، وحسبنا ان نذكر الاثبات الباهظة التى تصل اليها الاشياء الغائبة التى كانت يوما ملكا للشخصيات المشهورة ، او القبية الرمزية الكبيرة التى يضيفها القواد الحربيون على عصا المرشالية الخ..

وكان المذهب الروحي كذلك احد المعتقدات القديمة ، يقول عالم الاجناس الكبير تايلور ، « كان المذهب الروحي ممتقدا بدائيا واسع الانتشار ، فقد كانوا يعتقدون ان شيئا غريبا اشبه بالخيال يعيش فى الانسان هو الروح ، وهو موجود وجيبس داخل الجسد طالما كان الانسان مستيقظا ، حتى اذا نام الانسان ترك الروح الجسد وخرج منه وهام طليقا وطار وعاش تجارب غريبة من الاحلام ، ثم يرجع الروح ويدخل الى الجسد فيستيقظ الانسان ، وفي نهاية الحياة ينفصل الروح عن الجسد الى الابد لكى يهيم في العالم او لكى يتقمص جسدا آخر ، وفي هذه الحالة يموت الانسان ، واغاب تصور للروح شيوعا لديهم هو تصورهما في صورة طائر وربما يرجع هذا الى اعتقاد الانسان ان الروح شيء خفيف الوزن ، اذ انه يقدر على الطيران في الاحلام .

ونحن نجد الروح في شكل طائر في اعتقادات قدماء المصريين ، وفي

الحكاية الخرافية الالمانية « مخاندل بوم » - مجموعة جريم - وهى
 لحكى عن زوجة الاب القاسية التى تقتلت طفل زوجها ، وقد عوقبت بعد
 ذلك بحبسها داخل المنزل حيث قتلت شر قتلة ، فى هذه الحكاية تحولت
 روح الطفل الصغير الى طائر اخذ يتغنى بالالم الذى قدر له ان يقاسيه :
 وفى كثير من الحكايات الهندية يتحول الانسان الى صورة طائر ، وفى حكاية
 سفريية(1) حولت امراة الاب القاسيه ابنة زوجها الى حياة، بان غرزت
 ابرة مسحورة فى راسها ، وقد تظهر الروح احيانا فى صورة فار او اسمعى،
 وكثير من الحكايات تلعب فيها الانمى دور الحيوان الروح ، فلقد لاحظ
 الانسان البدائى ان الحية تخرج من باطن الارض وتزحف على سطحها :
 وكان مستقر اجساد الموتى دائما هو باطن الارض .

وتصورت المجتمعات البدائية كذلك ان الروح تتقمص المظاهر
 والقوى الطبيعية ، فتصبح شخوصا وتعد كائنات انسانية الملامح ، ففى
 حكاية يذهب البطل ويقابل السيدة الشمس ، وفى حكاية سفريية يخطف
 البرق (2) فتاة ويذهب بها الى قصره فى السماء ، والريح تحمل نسي
 حكاية المتية الاميرة الى قصرها السحور ، ونجد فى الحكايات الاشجار
 تتكلم والصخور تنطق الخ... لان هذا الاعتقاد فى تقمص الروح للطبيعة
 ومظاهرها انتشر انتشارا واسعا مدهلا وما يزال يعيش بعضه حتى
 اليوم عند الجماعات البدائية .

وكان **الحيوان** من اهم الاصول التى استهدمت منه الحكايات
 موضوعاتها ، والمقصود حكايات كثيرة وفيرة العدد لدرجة مدهلة ، فقد
 عاشت البشرية فى مرحلة الصيد قرونا طويلة ، وكان الحيوان زميلا
 للانسان فوق الارض ، ومن المؤكد ان عددها كان كبيرا جدا ويفوق بالوف
 الاضعاف عدد هذه الجماعات الانسانية التى كانت موجودة فى ذلك
 التاريخ القديم .

وكان العصر عصر الصيد ، والخطابين ، ولذلك نجد حكايات عن
 الخطاب لا يمكن حصرها منتشرة فى كل مكان ، وهى تعكس واتعسا
 معاشا لجماعات الخطابين القديية . لكن لعل حكايات الحيوان الشارحة
 المفصرة اكثر قدما ، تلك الحكايات البدائية فى شكلها ومضمونها ، والتى
 تعتبر ادب وعلم البدائيين الذى يعتمد على الملاحظة قبل كل شىء .

(1) ، (2) حكاية البرق منشورة فى الكتاب .

وهذه الحكايات التي تعال وتفسر أوفر عددا وأكثر انتشارا من حكايات « الحطاب » ومعروفة لدى كل الشعوب في جميع أنحاء العالم ، وهى تشرح وتعلم وتحكى وتسلى فى نفس الوقت ، مزججة هذه الاغراض مزجا بديعا وانه لزوج عجيب ، وهو محير فى بعض الاحيان ، لكنه حى ومثير وحذاب .

تحكى هذه الحكايات مثلا ، لماذا كانت السلحفاة بطيئة الحركة ولارنب شفة مشقوقة ولابن آوى لونا مخططا ، ولطائر اللقلاق منقارا اصهر ، ولماذا ينبع الغراب ، ويملك الجمل اذنين صغيرتين ... الخ .

ومما يذكّر على سبيل التعليل والتفسير ، ان السلحفاة طار بها النسر حسب رغبتها ، وأطبقت بأسنانها على عصا يحملها النسر الذى أمرها بالصمت ، لكنها تكلمت وفتحت فمها ، فوثقت وتكسرت عظامها ، ولذا فهى بطيئة الحركة ، وأن القمر صنع الارنب على وجهه لانه ابلغ رسالة خطأ فاشقت شفته ، وان ابن آوى اراد ان يسرق الشمس فاحترق جاده وصار لونه مخططا من الاحتراق، وان اللقلاق حمل النار من السماء فحرق منقاره، وان الغراب نثر لان صديقا اهو ج اغضبه ، ويملك الجمل اذنين صغيرتين لانه لم يكن قنوعا واراد ان يمنح قرونا فموتب على ذلك ، الخ ...

وقد راقب الانسان الحيوان وعاش معه آمادا طويلة ، واستكشف الكثير من طباعه وغرائبه ، والناس الذين ارتبطت حياتهم بحياة الحيوان ارتباطا قويا ، وفى مقدمتهم الصيادون ، كانوا يبجلون الحيوان ويخشونه لقوة عضلاته وسرعته وقوة غرائزه وثقته بنفسه ، فالكثير من الحيوانات اتوى من الانسان ، ولا بد ان يخافها الانسان ويخشى غضبها وهجومها، ففى تلك الازمان السحيقة لم يكن الصيادون هم البشر وحدهم ، لان الحيوان كان يقوم بنفس الدور ويصبح الانسان هو الفريسة .

ويرجع كثير من الاساطير اصل بعض الجماعات الى الحيوان ، وقد احتفظ عدد كبير من القبائل البدئية وكذلك بعض الاجناس فى الحضارات الراقية بصلتها بالحيوان . فعند الجرمانيين يرتبط جنس « اليلفنج » الشهير بالذئب ، واسم بطل الملحمة الانجليزية الشهيرة « بيوفولف » التى ظهرت فى القرن الثامن الميلادى بين ذلك ، وكان المصريون القدماء يصورون معبوداتهم فى صور تحمل رسوما للحيوانات وكانت كثير من

المعبودات البابلية نصفها انسان ونصفها حيوان ، وقد تلد بعض النساء في الحكايات حيوانا ، والبطل « ايفان » في الحكايات الروسية كان ابنا لبقرة ، وكثير من ابطال الحكايات المختلفة وضعوا في الغابات من اناك الذئب او الاسود الخ ...

ولا يزال عبير ذلك الماضي البعيد يصل الينا ، ففى وقتنا الحاضر يعتبر الاسد رمزا للدولة البريطانية والنسر الامريكى رمزا للولايات المتحدة ومن الاسماء الانسانية نجد اسم السبع والنهر والضحى والفار والقط ... الخ.

وربما كانت هذه التصورات الانسانية البدائية التى تسربت في قوة ووفرة وغزارة الى الحكايات سببا يدفع للظن ان الحكايات كانت بالنسبة لتلك المجتمعات تغلغلا في المراحل الاولى لاصلهم ومحاولة جادة لاستكشاف ماضيهم .

وتحكى حكاية رائعة من حكايات الهنود الحبر ، عن جدهم الكبير « اولال » وتبين كيف تركهم ورحل الى السماء ، بعد ان وعد عشرته بالعودة الى الارض مرة اخرى بوصفه ابنا للشمس ، ومستصير عندئذ كل الحيوانات حامية له ، وعندما رجع « اولال » ، ساعدته كل انواع الحيوانات ، حتى الطوايط والفران كذلك ، والحكاية اسطورة قديمة اصيلة ، لكنها تشرح في الوقت نفسه خصائص كثيرة وصفات متنوعة لعدد كبير من الحيوانات المختلفة بالتفصيل وبدقة تامة ، وذلك ومقاسا لسلوكها من خلال عملية انتاذ « اولال » .

وكانت تصورات الانسان القديم ان الحيوان يعيش في عالم قائم بذاته، وغالبا ما تكون صورة ذلك العالم شبيهة بعالم الانسان ، ذلك ان الانسان القديم استانس ودجن وروض كل الحيوانات التى عاش معها ، استانسها في خياله وتصوراته قبل ان يستانس بعضها في عالم الواقع ، واضفى على عالم الحيوان طابعا انسيا ، ولذلك نجد الحيوانات في الحكايات ، تماما كما هو الشأن في عالم الانسان ، تكيذ المكائد وتتصارع ويخدع بعضها البعض وتمزج وتهزل ، وتغضب وتحزن وتقاتل ، وتتزوج ، وتتصاحب الخ كثيرا ما تحكى الحكايات عن الطيور التى تضع البيض الذهبى او الجواهر وعن الاممى التى تمتلك المشب الذى يتيح الخلود للانسان ؛ وهذه كلها آمال واحلام انسانية .

وحكايات الحيوان الوفيرة والتي لا يمكن حصرها ، احتفظت بحيويتها وجاذبيتها وجبالها الغريب على مدى الزمان ، وبداية ظهورها يرجع دون شك لاحقاب موغلة في القدم ، تسبق حضارة بلبل ومصر القديمة .

وقد اعطى الاغريق لهذه الحكايات شكلا جديدا وصاغوها صياغة فنية رفيعة ، وهكذا نالت حكايات « ايزوب » اعجابنا وتقديرنا .

لكن الحكايات الهندية عن الحيوان اقدم واروع ، واستطاعت أن تفوز بعصب السبق عن جدارة وقد قدمت الحكايات الهندية في شكل جديد وصياغة رائعة ، قدمها الفرس والعرب ، في صورة عجيبة اذهلت العالم ، في الكتاب القيم « كلية ودمنة » .

وكذلك قدم « لافونتين » بعض الحكايات الهندية في شكل جديد حين اطلعنا على خرافاته الجميلة .

وكانت الطبيعة التي يعيش الإنسان في رحابها ويتأثر بظاهرها وتقلباتها شغل الإنسان الشاغل ، فلم تقتصر الحكايات الشارحة والمفسرة على عالم الحيوان فقط ، بل تمدتها الى الظواهر الطبيعية .

وتحكى حكايات متميزة عن الشمس والقمر والليل والنجوم والماء والنار ، وتبين الحكايات أن الشمس كانت تود أن تظل مشرقة على الدوام ، نطلب الإنسان مساعدة الليل ، فحجب الشمس واجبرها أن تغرب ، وتصور الحكايات التثوية والسيبرية الليل في صورة وحش هائل يستقر فكه الاسفل في الارض ويصطدم فكه العلوي بالسماء .

وكثير من الحكايات تحكى عن القمر الذي اثار خيال البدائيين لدرجة كبيرة ، فلنقهر عريان لأنه لا يتلامم معه أى لباس نتيجة تقلبه بين الزيادة والنقصان، ويتحطم القمر كل شهر وتضع النجوم من حطام القمر القديم، وفي حكاية ، أن القمر كأن يلاحق الشمس بهغازلاته مفضيت الشمس ولطخت وجهه المستدير بالرماد لكي يدعها في هدوء ، ومنذ ذلك اليوم والقمر يحتفظ بتلك البقع على وجهه .

وفي حكاية امريقية ، اتفقت الشمس والقمر على أن يطرحا اولادهما في الماء ، لكن القمر خدع الشمس والتي بكيس مملوء حجارة في الماء ، ولذلك كانت الشمس وحيدة في السماء ، أما القمر فانه يسير في صحبة اطفاله النجوم اثناء الليل تحت القبة الزرقاء .

وكانت السحب في الأزمنة القديمة أجنحة للجبال وتوزعت الجبال بمساعدتها في كل مكان لكن السحب لم تنس أصلها ولذلك تنجذب السحب إلى قمم الجبال .

وتبين الحكايات ان الماء كان في البداية في السماء ، ثم تجرأ بطل في الذهاب الى هناك وهبط به الى الارض ، او ان المياه كانت في باطن الجبال وشق بطل شجاع الجبال فتدفقت المياه من الشقوق ، وان الانسان سرق النوم من حيوان الضب الذي ينام دائما . وهناك حكايات كثيرة عن النار وكيف جاءت الى الارض ولماذا تنطفئ ، وحكايات عن النباتات والاعشاب والاشجار ، فلك الحكايات التي استمدت من الطبيعة موضوعاتها كثيرة ووفيرة ويصعب حصرها .

ولقد عرفت المجتمعات البدائية والحضارات القديمة السحر ، وكان الساحر شخصية هامة متميزة بأعمال كثيرة ، منها مهمته كطبيب يعالج الامراض التي كان الظن انها ارواح شريرة تسكن جسم المريض ، وعليه ان يخرجها من الجسد لينال المريض الشفاء .

ومهمته ايضا ان يستنزل المطر اذا تأخر وان يقاوم الكوارث الطبيعية ككسوف الشمس وخسوف القمر ، والعواصف والرعد والبرق ، وان يسترضيها ، ويبيده احيانا ان يقرر بقاء الجماعة او رحيلها ، واقتادها على الحرب او جنوحها الى السلم ، وحيثما يحوز الساحر القدرة على بسخ الانسان في صورة حيوان او في شكل حجر ، ويمكنه ان يفعل العكس كذلك .

ويحكى الاغريق عن الساحرة « كيرك » التي كانت تسحر المسافرين والبحارة وتسخمهم في صورة حيوانات .

ونحن نعرف حكايات كثيرة عند قدماء المصريين عن فنون السحر والسحرة وعن قدرة السحرة المصريين على تحويل انفسهم الى هياة حيوانات عندما يقتضى الناس اثرهم ، وفي حكاية « بروثيوس » الشهيرة في « الاوديسا » يحدث نفس الشيء ، وكذلك الامر في الحكايات الشرقية والجرمانية ، وكما في حكاية مغربية « بعيدا عن الاثنى (1) » ، حين يتحول الخول الى اشكال حيوانات مختلفة وهو يطارد المرأة وابنتها .

(1) - منشورة في الكتاب .

-وفي « الف ليلة وليلة » حكايات كثيرة عن السحرة الذين يمسخون اللسان الى صورة حيوان ويمكته ان يسترد صورته الانسانية عن طريق قيامه بأعمال معينة كمساعدة البطل أو ان يقوم شخص آخر يمتلك قوة سحرية بتخليصه من هذا المسخ .

وتنتشر بكثرة لا مثيل لها سلسلة موضوعات عن الهروب السحري في عدد كبير من حكايات الشعوب المختلفة ، والتي تتلخص في ان شخصين يهرب احدهما من الاخر ويكون عارفا بفنون السحر ، والذي يطارد الهارب يكون غالبا غولا أو عفريتا أو حيوانا ، وعند ذلك يرعى الهارب قطعة خشب تثبت غابة ثم يقذف حجرا ، فيتكون منه جبل عال ، ويسقط قطرة ماء ، فتتحول الى بحر قد يغرق فيها الغول أو العفريت .

وقد أستهدت الحكايات من «الاحلام» موضوعاتها، فقد ظن القدماء انهم يستطيعون بواسطتها ان يعرفوا الغيب والمستقبل ، وكانت شعوب الحضارات القديمة كالنصرانيين والبابليين والهنود تؤمن بالاحلام التي تنبأ بالمستقبل ويرون فيها حقيقة تنبؤية ولعل مئات الكتب عن الاحلام نسي ايماننا الحاضرة تشهد بأن هذا الاعتقاد لم يخف بعد .

وكان سكان جزيرة كتشاكا البدائيون شمال جزر اليابان يصفون على الحلم قوة البرهان وتحكى حكاية ان بعض سكان هذه الجزر قد أخبروا فتاة برغبتهم في الحصول عليها كزوجة لواحد منهم ، وأنه سبق له ان حصل عليها في الحلم ، وبناء على هذا الحلم عدلت الفتاة عن رفضها الاول وقبلت الزواج به ، وتعد خيانة المرأة في الاحلام عند بعض البدائيين قليلا على خيانتها الحقيقية ، كما ان الحلم عند بعضهم اقوى حجة من احوال الشهود .

ويقول الاديب الكبير «دسيتونسكى»، «قد تكون الاحلام حقيقة نية صادقة وغاية في التعقيد ، ولا يدرك كلها ، ومثل هذه الاحلام مثل القصص ، عالم مكتمل من الاحداث يرتبط بالخفايا الدقيقة والتفاصيل غير المتوقعة ، ببتدئة بأرقى صور حياتنا حتى ادناها ، الى درجة ان « تولستوى » نفسه — وانا اتسم على هذا — لم يكن ينجح في تصويرها ومثل هذه الاحلام لا يراها الكتاب والمثقفون وحدهم بصفة خاصة ، وانا يراها في بعض الاحيان اكثر الناس بساطة وكذلك طبقة الموظفين ورجال الدين .»

وكثيرا ما تقودنا الحكايات الخرافية الى موضوع الليل ، ويتكرر في كثير من الحكايات ان تتزوج الفتاة بحيوان او غول ، لكن الزوج يتحول في اثناء الليل الى انسان ، ولا يحق للزوجة ان تلتقي عليه ضوعا ، فان نعلت ، اختفى الزوج ، كما في حكاية « الحب والروح » الرومانية ، وكما في حكاية « ميلوزين » التي اعاد « جوته » كتابها . وكذلك في حكاية مغربية « ناطحة بنت الخطاب» (1) وغالبا مايكون الزوج غولا في الحكايات الكلتية وشيطانا في الحكايات الاوروبية وجنا في الحكايات العربية ، وهذا زواج في الحلم لانه يتم فقط اثناء انليل . وفي الحلم ينال الانسان صورة محبوته ، فاذا استيقظ في النهار فقدما . وهناك احلام اليقظة التي قدمت موضوعات كثيرة للحكايات ، ويبدع خيال الانسان الذي يعيش في الغابة او الصحراء او القاع الثلجية اشكالا غريبة ، وتقدم لنا حكايات انروبج واسلندة نماذج عديدة تنشأ من تأثير الطبيعة الهائل ، كما ان وقت الظهيرة بحرارته الخائفة يجعل رعاة منطقة البحر الابيض المتوسط يعيشون في نزع من اشباح الظهيرة . وكذلك تلك الاشكال من عفاريت ومردة وجن وشياطين التي يعرفها العرب ، ليس مردها الخيال محسب وانما هي تتضمن واقعا خاصا ومعاشا في انحاء الصحراء الشاسعة . فالخيال في هذه الاحوال يستزج مع الواقع وتنبثق منها اشكال غريبة وعجيبة .

ويروى عالم الفولكلور السويدي « جونز جرانيرج » في بحث له عن « اشباح الغابة في التراث الشعبي المتأخر » ، مثلا لذلك ، فقد ذكر انه في بعض مناطق الغابات التي لا يعيش فيها احد سوى تاطعى الاخشاب وحارقي الفحم والصيادين ، لا يظهر شبح الغابة الا متخذاً صورة امرأة شابة جميلة، وان تكن تبيحة من الخلف، وتبين الحكايات انها تمشي داخل الاشجار وتخرج منها ، اما في مناطق الغابات التي يحلب فيها الحيوان والتي لا تعمل فيها غالبا الا النساء الحلابات ، غالبا ما يظهر شبح الغابة في شكل كائن نكر .

وقد تركت العادات والتقاليد الخاصة بالحضارات وبكل الأزمنة اثارها في الحكايات الخرافية ، فمثلا عرفت كثير من المجتمعات البدائية عادة اختطاف العروس وكذلك عادة سرائها ، ونحن نجد الكثيرين من ابطال الحكايات الخرافية يختطفون الفتيات ثم يتزوجون منهن ، ولهذا يخفى الاباء في الحكايات البنات داخل قلعة او قصر ويحجزونهن حتى لا

(1) - وكما في حكاية مولاي احمد القديل المشورة في القلاب .

يراهن انسان : وينبغي على الفتاة في احوال كثيرة ان تظل داخل القصر او القطعة حتى تتزوج او يختطفها البطل .

لما عن عادة شراء العروس ، فيصادفنا في الحكايات تكليف الاباء لخطاب بناتهم بالقيام باعمال شاقة ، فالبطل يتحتم عليه ان يهزم ارضاً خصبة او يجتث او يبنى تصراً او يحضر دوايا محملة بالمال الخ ..

ونجد كذلك في الحكايات الخرافية تلك العقوبات القاسية : فالشهير او المذنب تربط يداه وساقاه في اربعة احصنة ثم يقاد كل حصان في اتجاه ، او هو يسلق او يشوى او يحرق ، والى غير ذلك من العقوبات ، وكل هذه العقوبات ليست مجرد خيال او من صنع الحكايات الخرافية وانما هي مأخوذة من قانون العقوبات الحقيقى عند الكثير من المجتمعات البدائية ، فقد كانت العقوبات قاسية : وليس لنا ان نتعجب ، فالرومان اخترعوا عقوبة الصلب ؛ وكان الترك يقتلون العصاة فوق الخوازيق ، واخترعت محاكم التفتيش الكثير من العقوبات المرعبة التى لا تخطر على بال البدائيين ولم يمض زمن بعيد على حرق « جان دارك » .

وكثيرا ما نجد في الحكايات اطفالا يتركون في الغابة بغية التخلص منهم ، او يسلمون للبهائم بطرق اخرى ، ويقوم بالهمة عبد او خادم ، واهيانا يشفق ويرحم ، فيملا قسبة بدماء حيوان ويدعى انه ذبح الطفل ، او يوضع الطفل في صندوق ويرمى الى الماء الخ ...

والتخلص من الاطفال كان يحدث في الواقع كثيرا ، ففى ايسلندة ولدى جميع الشعوب الجرمانية كان من حق الاب ان يتخلص من الطفل الرضيع اذا كان يبدو ضعيفا وهزيلا ، وعرف العرب في الجاهلية واد البنات ، وقد نهى عنه الاسلام وحرمه ، وتتخلص الكثيرات من الابهات غير الشرعيات في عصرنا الحاضر من اطفالهن بطرق مختلفة . وعرفت بعض المجتمعات البدائية عادة اكل اللحوم البشرية ، وكان تصورهم ان الانسان يستأثر لنفسه عن طريق اكل اللحوم البشرية بما لدى غيره . من القوة والقدرة ، وينعكس اثر ذلك في الحكايات الخرافية ، فنظمتهم المردة والفيلان لحسم الانسان وخاصة لحم الاطفال الذى يطلبه الغول او الغولة ، فقد ارادت الغولة في الحكاية الالمانية ان تاكل « هانزل وجريتيل » ، وفي حكاية حديدان الحرامى ارادت الغولة بكل وسيلة ان تاكل « حديدان » وهو اصغر اخوته ، وفي حكاية سبع بنات تحاول الغولة ان تاكل اصغر البنات ، وفي كثير من

الحكايات تقول الغولة، «ندير لحمك في ضفمة ودمك في جفمة الخ» (1) وكذلك عرف الكثير من الشعوب عادة التضحية البشرية ارضاء للمعبودات لكي تسالها وتساعدنا ، واحتفظت حكايات كثيرة بانار هذه السعادة ؛ فيحكى دائما عن كائن مهول ، تئين او غول او بارد يجب ان يقدم له كل يوم او كل عام انسان ؛ حتى يقع الاختيار على ابنة الملك ويجيء البطل ويقضى على الكائن المهول وينقذ ابنة الملك الخ...

واستمدت الحكايات موضوعاتها من الكثير من العادات التي لا يبكى الاشارة اليها بأكملها ونكتفى بما اوردها .

ولقد احتفظت الروايات المتناقلة والادب بغرائب الحياة اليومية وغرائب الانسان العادى ، وما يزال بعض هذا يعيش في الحكايات الخرافية حتى اليوم ، نادا تميز شخص بذكاء نادر او حس دقيق او اشتهر بغباء غير عادى او اصابته مصيبة غريبة او جرت له حادثة عجيبة؛ فان الحكايات في العصور المتأخرة كثيرا ما تتوسع في هذا كله وتنبه ، وتنسب الحكايات بعض الحوادث الى شخصية مشهورة ، او تخترع لها شخصية مثل جحا ، فتحكى حكاية عن الصبي الذى كلف بحراسة الباب ، نخلع الباب ، واخذه معه ليحرسه ، او عن الغبي الذى ضرب صديقه بفأس على وجهه ليصيب ذبيلة كانت تقف على وجه صديقه ، او تحكى عن القروذ التي قيل لها ان تسقى الاشجار من جذورها فخلعت الاشجار ، لكي تعثر على الجذور ، او تحكى عن شاب كان يفنى عليه ان يحمل وعاء مملوء زيتا وأن يحمله في حذر اذ كان به ثقب ، فلما حاول الشاب ان يبحث عن الثقب ، انقلب الوعاء وسال الزيت كله ، وحكاية «الاحيق لا يصلح لشيء (2)»، تتضمن أحداثا مماثلة لكن في صورة رائية لان الحكاية تربط في سلاسة وبساطة بين أحداث كثيرة مرحة وتنسبها لشخص واحد .

ومن اجل الحكايات، الحكاية الثامنة من حكايات اليوم الثامن في كتاب «ديكاهرون» لبوكاشيو ، وتبين ان امراة كانت تمسق احد الفرسان ، وفي يوم اراد الفارس ان يزورها ، فارسل اليها تابعه ليخبرها بقدمه ، ونال التابع اعجاب المرأة ، نحاولت اخراءه ، وفي هذه اللحظة جاء الفارس فخبأت المرأة التابع وانكرت انها راته حين سالها الفارس

(1) - الحنى انها تاكل لحمه وتشرب دمه .

(2) - حكاية منشورة في الكتاب .

عنه ، ونجاة جاء زوج المرأة فلم تضطرب وامرت الفارس ان يندفع الي الخارج شاهرا سيفه وهو يسب ويلعن وينذر بانها ستتحمل مسؤولية ما حدث ، وعندما سالها زوجها بندهشا عن سبب ثورة هذا الفارس ووجوده في بيته ، اسرعت واخرجت التابع من مخبائه وقالت لزوجها ، انها انتقدت واجارت هذا التابع حين رأت سيده الفارس يطارده ويغنى قتله . ويمكن ان يتحول الفارس الى شابط والتابع الى جندي او رجل وابنه او عم وابن اخيه او تاجر ومساعد الخ . . والحكايات كلها تشير الى ذكاء شخص غير عادى ، يتخلص من مواقف معقدة .

ومن تصفح في عناية الصحف المعاصرة لصانف دائئا مثل هذه الحكايات ، فالحياة تقدم الكثير من الحوادث الغريبة ، وقد وجدت هذه الحوادث دائئا طريقتها الى الحكايات .

وقد امكن للجمعات القديمة ان تحقق رغباتها بحق في الحكايات الخرافية ، تلك الرغبات التي لا يمكن ايدا ويستحيل تحقيقها في الحياة الواقعية ، ففي الحكايات نجد الموائد تمطيء دائئا من تلقاء نفسها بها لذ وطاب من المأكولات (1) واللحوم والطييب الطعام التي لا تنفذ اسدا ، وبالاسلحة التي تصيد دائئا او السيف الذى يمكن لمن يحوزه ان يقتل جيشا باكله ، والطيور التي تضع بيضا من الذهب او الاحجار الكريمة كما في حكاية «طائر الحكمة» المغربية ، والخواتم الذى يستطيع الانسان بواسطتها - ويخدمها جن او سارد - ان يحصل على ما يريد ويمتنسى . والبساط الذى يمكن ان يطير بالانسان الى اى مكان ، كل هذا وغيره يرجع الى احلام الانسان ورغبته في تحقيق هذه الاشياء المستحيلة ، وعندما عجز عن ذلك في حياته الواقعية ، حققها في حكاياته الخرافية .

كانت هذه هى الروائف الهامة التى استمدت منها الحكايات موضوعاتها ، وانها لختلفة ومتباينة ، وغنية وثرية ومعين لا ينضب لخلق عمل فنى ممتاز ، فغرائب الحياة اليومية والحوادث العجيبة وفيرة ومشوقة وتتدفق عبر الايام والسنين ، مضمونة الاستمرار مادام الانسان يدب على الارض .

والتصقت وتلاحمت موضوعات الحكايات مع الحياة الانسانية اصدق تلاحم والتصاق ، فانصبت في وعاء الحكايات الذى لا حد لسعته ، عادات

(1) - حكاية الطائر الازرق

الانسان وتقاليدہ، وكم كانت كثيرة وغريبة ومتنوعة ، لانها جاءت عبر العصور المتباينة ، مروراً بأقدم المجتمعات البدائية حتى ارقى الحضارات، وانعكست كذلك على موضوعات الحكايات احلام الانسان وآماله ،اهدائه وقدم الخيال المساعدة ، فاخترع البساط الذى يطير وغطاء الراس الذى يخفى من يلبسه عن الانتظار ، والموائد التى تمتلىء بالطعام بدون تدخل الانسان والكيس الذى لا يفرغ من النقود ، والطيور التى تبيض بيضا. ذهبيا الخ ...

وكان تأثير مرحلة الصيد التى عاشتها الجماعات الانسانية لحقب طويلة تأثيراً شديداً وكبيراً ، وأمد الحيوان وعالمه موضوعات الحكايات بمواد ونيرة، وولقت تلك التصورات الموهلة فى القدم بظلمتها على الحكايات.

لقد كان الادب الشعبي والحكايات أهم أنواعه . اقرب لما نسميه اليوم ، بالدرسة الواقعية فى الادب . فقد انعكست حياة الانسان انعكاساً واضحاً ومعبراً فى حكاياته . وتحليل الحكايات العلمى . اتاح لنا ان نكتشف الكثير من تاريخ الانسان القديم وعالمه الروحى .

لكن هذه العناصر النيرة التى كانت أصول موضوعات الحكايات ، لم تكن تادرة وحدها ان تخلق اى عمل فنى ، فمن ابداع هذه الحكايات ؟ من هو الفنان الاول ؟ فنحن نعرف ان اقدم الحكايات ، هى تلك الحكايات التى تسر وتشرح وتعلل ، وهى ليست سوى عرض قصير ، او اجابة مفاجئة عن سؤال مفاجئ ، وهذه الحكايات التى تتحدث عن خصائص الانسان والحيوان والارواح والاشجار والارض والسماء والبرق والرعد الخ ، وهى تسر اكثر مما تحكى ، ولا تشير الى الشخصيات التى تعيش وتجارب، وانما تتكلم عن الموضوع نفسه، عن الحدث فالعرض فيها اكثر علمية واكثر موضوعية .

وهذه الحكايات فى احسن صورها،حكاية طويلة تجمع بعض الحكايات التعليلية القصيرة وهذه الحكايات الطويلة ننسبها تميز بين كل الحوادث فى غير توقف ولا تكون لها بداية او نهاية سليمة ، لكنها تتميز بالحيوية والوضوح وبالتنوع ، كما انها مليئة بالصور الجديدة دائماً وبالمنافذات ، على انها لا تعرف بصفة علمية اى نظام ، وانما تتقفز من موضوع لآخر ، كما تصرف القارئ عن الموضوع الرئيسى دائماً ابداً باتطباعات جديدة واثارات جديدة .

لكن ليس لنا أن نخضع بشكل هذه الحكايات البدائية الذي يبدو انه لا يتبع اية قاعدة او نظام ، فقد بينت الابحاث التي تحدثت عن نسن الحكايات لدى الشعوب البدائية ، انه كان لها شكلها المحدد ، وان بدا لنا غريبا وعجيبا ، وانه كان على الرواة أن يحتفظوا بالحكايات دون أن يغيروا منها شيئا ، حتى لا يسيئوا الى اجدادهم او الى الازواح ، ومثل قصاصى الهنود الحمر يبين ذلك ، لكن على اية حال ، كان من الصعب علينا ان نقبل الراى الذى يقول ، ان هذه الحكايات تعكس احساسا آخر بالشكل وكما قال احد علماء الفولكلور الالمان عن هذه النقطة ، « لقد امكن تقبل هذه الفكرة بالتدرج ، فقد كان من الصعب تفهم ذلك الشكل الغريب للحكايات البدائية ، لكن الم تعتبر الموسيقى الشرقية والاسيوية بالنسبة لنا نحن الاوروبيون الحائنا مضطربة او بالاحرى نغمات شاذة ، مع ان السلم الموسيقى فى هذه الموسيقى ذو تكوين ثابت ومنظم ، وان اختلف عن سلم موسيقانا الغربية ، فالانسان يعيش مرتبطا بتقاليد الشكلية الى درجة انه لا يستطيع ان يفهم اى نظام شكلى آخر الا بصعوبة بالغة ، وهكذا الامر بالنسبة لشكل هذه الحكايات البدائية » .

ذلك لان الحكايات التي تنتسب الى الحضارات المختلفة ذات بنية محددة كل التحديد وشكل متميز تماما ، وهى تختلف كل الاختلاف عن بنية وشكل الحكايات البدائية التي نفسر وتعلل ، لكن علينا ان نتصور ان هذه البنية المحددة وهذا الشكل المتميز لحكايات الحضارات ، كان تطورا طبيعيا نشأ عن هذه الحكايات التعليلية القديمة ، والا هم هو كيف تكونت الحكاية فى البداية ، فمثلا هناك سلسلة اجابات على اسئلة ، تقول :

1 — اختزن البطل الماء فى برميل — 2 — أخفى البطل الماء فى الجبل — 3 — جاء بطل آخر فى شكل طائر وشرب الماء — 4 — طارد البطل الطائر وبعد ذلك اخرج الماء من جوفه ، فمن الذى حول هذه الاجابات الى حكاية نبين كيف جاء الماء الى الارض ؟ ، لابد ان هناك شخصا جهولا جمع هذه الاجزاء ذات مرة بعضها الى بعض ، واعاد روايتها فى صورة ننية ونفسا لما سيصير شكل الحكايات فى المستقبل ، وعندئذ اخذت الحكايات تنتشر بين الشعوب .

لقد كان ذلك الشخص المجهول او الفنان الاول الذى ابداع الحكايات، هو الراوى الذى امكته ان ينقل تلك التصورات ، او سلسلة الاجابات البسيطة الى بطل من الابطال ، او ان يصور الصراع بين بطلين من اجل

شيء له تيمة - الماء - مما أدى إلى وحدة الموضوع وإلى تناقض بين الأشخاص وبذلك تمت المرحلة الأولى في سبيل تكوين الحكاية الخرافية ونحن نتعرف في عدد كبير جدا من الحكايات على التناقض بين الخير والشر وأقوى والضعيف وبين الأخوة المخلصين وغيرهم من المنافقين وغير ذلك من التناقضات المختلفة .

ثم نمت الحكاية بعد ذلك عن طريق تكرار الموضوع ثلاث مرات ، وهو أحد القواعد الملحمية لأغلب أنواع الأدب الشعبي ، فائتين من أشخاص الحكاية يحاولان دائما الوصول إلى الهدف لكن بدون فائدة ولا يصل إلا الثالث دائما ، أو يحاول البطل تحقيق غرضه ، فيفشل في المحاولة الأولى والثانية ، وينجح في المحاولة الثالثة الخ ...

وقد أشار الأستاذ أندريه بولس في بحثه « أشكال بسيطة » إلى الشكل الأدبي للحكاية الخرافية قال ، « أنها تشترك مع القصة في بعض الأمور ، فكلاهما يتضمن مجموعة من الحوادث تجمع بينهما طريقة معينة في العرض ، لكن في حين تمثل القصة جانباً من جوانب الحياة ، فإن حوادث الحكاية الخرافية لا تعيش إلا داخل إطار الحكاية ، فإن لها عالمها وهي تعيش في مجال خاص بها ، وهي تمثل مضموناً سامحاً ، وتوضح الأمور كما يجب أن تكون في الحياة ، وتصور كل ما هو عجيب لا بوصفه أمراً عجيباً ولكن بوصفه أمراً طبيعياً ، كما أن لشخصها ذلك الوجود الغير محدود .

ويرى الأستاذ ماكس لوتى ، أن الخصيصة المميزة للحكاية الخرافية تتمثل في كونها ذات بعد واحد وأنها مسطحة وذات أسلوب تجريدي ، وهي وإن كانت تحكى عن المردة والسحرة والاقترام فانها لا تنشئ علاقة مع عالمنا الممكن ادراكه ، إذ أنها ذات بعد واحد ، وهي كذلك لا تصرف التركيب المنطقي الدقيق ، كما أن شخصها غير مجسمة بلا عالم خارجي أو داخلي ، بل ينقصها كذلك عالم المشاعر وتظل المشاعر والروابط وصلة القربى ذات تمغزى إذا كانت هناك ضرورة لاستخدامها في سياق الحكاية ، حتى العنصر الزمني لا تعرفه الحكاية ، وكلما ازداد سرد الحكاية وضوحاً كان ذلك ضماناً لوصولها لهدفها وتأكيداً لاصلتها .

ويجب الوقوف هنا قليلاً ، الوضوح ، يالها من كلمة ، انها تكشف السر ، فالوضوح هو الضمان الاكيد لبقاء الحكايات وحيويتها وقدرتها على الانتشار ، وهو دليل على الإصالة ، لكن كيف يتأتى هذا الوضوح ، وكيف

تكتسبه الحكايات ؟ والجواب هو ، عن طريق الرواة ، لكن من هو الراوي؟
فليس كل ن حكي حكاية يعتبر راويا ، فالمقصود هؤلاء الذين يتمتعون
بالوهبة الادبية ، وبذاكرة جيدة ، ويستمتعون بما يقصون .

ومهما كان النقد الذى يوجه للرواة احيانا ، فان ذلك لا ينقص من
فضلهم ولا يقلل من اهمية الدور الكبير الذى قاموا به وما زالوا فى سبيل
حفظ التراث ونشره ، يقول عالم انفولكلور الالماني « ديرلاين » ، والذى
يستحق ان ننصح به بصفة عامة فى عصرنا لحاضر بالنسبة لجمع الحكايات
هو التزام سماتها الصادقة ، حقا اننا نعترف بعدم كفاية بعض الرواة
احيانا ، لكننا نعتقد على العموم اننا نحصل عن طريق هؤلاء القصاصين
وحدهم على صورة اكثر دقة للحكايات « ، ويستطرد « وهذه الافكار لم
تغب عن بال الاخوين « جريم » ، - مؤسسى علم الفولكلور - فقد كان
جاكوب جريم يطلب داتها لحكاياته الخرافية ان تكون قدر الامكان ذات
معالم كاملة ، وكما كان يود لو استطاع ان ينشر الحكايات فى صورتها
الاصلية لو كان ذلك مميرا ، ذلك لانه كثيرا ما كان يجمع بين اجزاء كثيرة
من الحكاية ثم يقارن بعضها ببعض : ويؤلف بينها فى شكل حكاية محتملة
بعد ان يسقط كل ما هو بعيد عن بنيتها العضوية وبذلك يخلق من الروايات
العديدة غير الكاملة ، حكاية مكتملة ، لكن الرواة المجيدين مثل الفلاحة
« فهناين » والسيدة « دروتش فيلد » - التى أصبحت زوجة وليم جريم
نبا بعد - استطاعتا ان تهذا الاخوين بأزوع الحكايات القيمة التى
ضمتها مجموعتهما المشهورة .

اما عن اسلوب الحكايات ، ورب قائل يقول ، وهل للحكايات اسلوب
مادامت تروى شفاهيا ، لكن المقصود الاسلوب الذى يكتب به جامع
النصوص الحكايات ويدونها ، حين ينقل الحكاية من صورتها الشفاهية
الى لغة صحيحة ، فليس من حق جامع النصوص ان يستخدم اسلوبه
الادبى ، والا بعد عن الامة الادبية التى يستوجبها جمع الحكايات ،
فالحكاية لابد ان تكتب فى اسلوب سهل وبسيط وواضح (1) وكلما اقترب
الاسلوب من صورة الرواية الشفاهية كان ذلك اضمن للنجاح . وفى
تحليل علمى لاسلوب الاخوين جريم يعزو عالم الفولكلور « ديرلاين » النجاح
(1) - وهناك استثناءات قليلة بالنسبة لبعض الحكايات التركيبية و حكايات القور
« الفجر » وبسبب الرواة الشرقيين و بعض الرواة الالمان الى زفرقة
الحكاية الخرافية .

الساحق المذهل للحكايات الى أسلوبها اللغوى فيقول ، « أما عن الصيغة اللغوية للحكايات الخرافية التي نقرأها تباهاً وثق بها ثقته كالمه ، فمصدرها «وليم جريم» ، فقد كان يهدف الى ان يحكى الحكاية الخرافية وفقاً لأحكامها ، اذ كان يشعر حقاً بمشقة كبيرة في نقل الحكاية من بنيتها الروائية الشفاهية الى صيغة مكتوبة تظل تحتفظ للحكاية بحيويتها وشكلها الخاص ، وهكذا نجد « وليم جريم » يختصى كلية وراء عمله الكبير فكثيراً ما تبدو لنا حكاياته وكأنها لم تجد الاديب الذى يطبعها بطابعه وانما تبدو وكأنها تخرج من افواه الشعب مباشرة ، ولعل هذا هو السر فى لنجاح الفريد الذى احرزهُ الاخوان جريم من حيث ان حكايتها تمثلىء بالعناصر الفنية ويكتمل منها ، هذا بلاضافة الى ما تتميز به من بساطة وقرب من روح الشعب .»

فلنعزرننا القارئ الكريم الذى يميل الى البلاغة والمحسنات اللفظية من جناس وطباق وبديع ان افنتدها عند قراءه الحكايات ، وقابلة اسلوب بسيط ، لان هذا الكتاب جمعت فيه الحكايات ودونت ، وهو عمل تسجيلى لحفظ التراث ويقدم المعطيات والمادة الخام للكتاب والادباء والفنانين ، ليتيح لهم اعادة كتابتها بأسلوب ادبى رفيع ، او اقتباسها ووضعها فى قوالب فنية حديثة كمسرحيات وتمثيلات وغير ذلك من وسائل بعنها وتطويرها ، كما فعل الرسام والموسيقى والفنان التشكلى فى اغلب بلدان العالم ، لان بعث التراث يلعب دوراً هاماً ويساعد على تقدم الادب والفن .

أما عن جمع الحكايات التى استمر أكثر من خمس سنوات : فلابد من اشارة موجزة اليه ، فقد تحريت ان اجد على الاقل روايتين لكل حكاية؛ واحياناً ثلاثة روايات او خمس او أكثر ، واحتاج الامر الى صبر كثير وجلد ، وكان لا بد من مقارنة الروايات العديدة للحكاية الواحدة ، حتى يمكن الوصول الى حكاية مكتملة من الناحية الفنية والعلمية . ولذلك فانه بالرغم من جمى لأكثر من ثلاثائة حكاية : الا انه لم يبق منها بعد لأراجعة والمقارنة المضمية الا حوالى مائة حكاية : اما الباقى فيحتاج الى مزيد من البحث وجمع روايات أكثر للحكايات الغير مكتملة حتى يقسنى تدوينها ، اما المائة حكاية فيقتضن هذا الكتاب ما يزيد قليلاً عن نصفها . لان الباقى مازال يحتاج الى شيء من التنقيح والمراجعة ، والامل ان ينشر فى الجزء الثانى من هذا الكتاب .

لكن قبل الخوض في الكلام عن شكل الحكايات ، يجب أن نفرق بين الحكايات وبعضها، فهناك أساطير وحكايات خرافية وحكايات ضاحكة وحكايات بطولية ، « وكلها أنواع من الأدب الشعبي ، وهذا التصنيف قدمه لنا المتخصصون في الأدب الشعبي ، أما الشعوب نفسها فلم تعرف هذه التسميات ولم تفرق بين الأنواع المختلفة من الحكايات . فحكايات ألف ليلة تتضمن حكايات خرافية و أساطير وحكايات بطولية ، ومجموعة الاخوان جريم تحتوي علي حكايات شعبية وخرافية و أساطير الخ ، وكذلك الأمر في مجموعات الحكايات الهندية الكبيرة » ، وليس هناك داع للكلام عن كل نوع من الحكايات بالتفصيل مما يخرج بنا عن نطاق هذا الكتاب ، لكن لا مانع من الإشارة باختصار الى تلك الأنواع من خلال الكلام عن شكل الحكايات وعن طريق مقارنة بعضها ببعض .

فهذا حكايات البطولة يلقي البطل فيها نحيب دائما في النهاية ، فهي انب تراجيدى ، ولاتبدأ الطبيعة البطولية على الإطلاق الا من خلال هذه النهاية التراجيدية ، أما بطل الحكايات الخرافية فدائها تنتهي حينه نهاية طيبة ، كان يتزوج الاميرة ، او يتولي الملك او ينال هدنة وترجع له حقوقه الخ.. وهناك الاسطورة او الاساطير وهي موعلة في القدم ، مثل الاساطير الاغريقية المختلفة ، واسطورة « ايزيس وايزوريس » المصرية . وهناك « الفبلولات » ، وهي الحكايات التي تضيف علي الكائنات الطبيعية وبخاصة الحيوان خصائص بشرية .

ولعل المقارنة بين الحكايات الخرافية والحكايات الشعبية ، وهما اهم أنواع الحكايات تبين خصائص كل منهما ، فالحكاية الشعبية تحكى عن الموضوع نفسه، عن الحدث، والعرض فيها أكثر علمية وموضوعية، أما الحكاية الخرافية فتحكى عن أبطال ، وهي ذات طريقة تجريدية في العرض ، كما انها تسو بالموضوع والصور الى درجة المثالية ، وعلي العكس الحكاية الشعبية ، فهي حسية ، تصور فيها العوالم الأخرى نسي دقة وتفصيل ، فهي تحكى عن العناريت والمردة والجن ، فنتحدث عن ماضيهم وعاداتهم اليومية ، ولا تعرف الحكاية الخرافية مثل هذا ، فان تحدثت عن المردة والجن فانها لا تصنفهم ، وهي لا تحكى عن العالم الأخر من أجل أن تثير في نفوسنا تصورا له كما هو الحال في الحكاية الشعبية ، وانما لتجد في هذا العالم القوى التي تكون مساعدة أو معادية للبطل ،

ولهذه القوى وظيفة محددة دائما وهى أن تعود البطل الى الهدف المحدد من قبل .

والحكاية الشعبية تتميز بشكلها البسيط ، وهى لذلك لم تتعرض عبر مئات السنين الا لصور ضئيلة من التفسير ، وكثيرا ما نجد الحكايات الشعبية المتشابهة تعيش في اماكن مختلفة تماما وترتبط بشخص مختلف ، وليس هذا من قبيل الصدفة فان ما تحكيه الحكايات الشعبية الكثيرة يمكن ان يصادف كل شخص .

لها الحكاية الخرافية بنية مركبة ذات شكل معين ، ولا تؤخذ مأخذ الحقيقة ، والنهاية السعيدة التى لاتصور حكاية خرافية بدونها تقترب لانبودج من أليلودراما الحديثة ، وتتحرك الحكاية الخرافية بين ما هو جاد وما هو هزلى ، اذ غالبا ما تتواجد فيها الاثياء المزعجة الغريبة ، والانكار التى تبيض بالرقعة ودقة الاحساس ، فهذه الاثياء وتلك ضرورية فيها على السواء .

اما الحكاية الشعبية فجادة فى طابعها وتؤخذ مأخذ الجد ، وينفى لها ان تعيد ذكر المواقف التى حدثت فى الواقع ، وهى تبحث دائما وابدا عن شواهد تؤكد حقيقة ما حدث .

لكن لا يمكن التعميم بصفة مطلقة والقول بأن الحكاية الشعبية تؤخذ وقائمها بأخذ الصدق وان هذا لا يحدث أحيانا للحكاية الخرافية ، لان الحكاية الشعبية قد تروى أحيانا مالا مغزى له كما أنه لا يفتنى فى بعض الحكايات الخرافية الغرض التعليمى والجدي .

وإذا شئنا ان نختصر أحداث الحكايات الخرافية بصفة عامة نجدها تتلخص فى :

1 — بطل يحوز دائما مقدرة خارقة للمادة ، 2 — وجود كائن مهول (غول ، سارد ، عفريت ... الخ) يسيطر ويأسر المرأة او الاميرة ويكاد ان يقضى عليها ، 3 — يتدخل البطل وينقذ المراه بأن يصر الكائن المهول ويتخلص منه بأى شكل ، 4 — وينوز البطل بالاميرة فى النهاية .

والشخص لو البطل يعيش التجربة فى بؤرة الحكاية الخرافية ، لكن الحدث هو الذى يعيش فى بؤرة الحكاية الشعبية ، ومصير الشخص او البطل هو الذى يفرض على الحكاية الخرافية الامتداد بالموضوع ، لكن

يمتد تسلسل الحكاية الشعبية بالحدث : فالحكاية الشعبية تعبر موضوعي لها الحكاية الخرافية فتعبر ذاتي ، وتقابل الحكاية الشعبية في الأنواع الأدبية الراقية القصة : أما الحكاية الخرافية فتقابلها الرواية، وكل هذا بصفة تقريبية وليس بصفة قاطمة .

لكن يجب القول انه لا يحق التحدث عن موضوعات خاصة بالحكاية الشعبية وموضوعات خاصة بالحكاية الخرافية ، فالحكاية الشعبية وغيرها من أنواع الحكايات المختلفة تتألف في عمومها من نفس الموضوعات . وإنما يجب التفريق على أساس أخرى يهتم بها المتخصصون بالإضافة الى أن كثيرا من الحكايات لا يمكن تحديد نوعها . لان هناك سمات مشتركة بين أنواع الأدب الشعبي كما سيجيء . وتشابها أو اختلافا في الشكل والمضمون بدرجات متفاوتة .

وهناك نقطة هامة دارت حولها أبحاث علم الفولكلور سنين طويلة، وساهم في بحثها علماء عديدون وهي كيف يمكن الاحتفاظ بالحكايات دون تغيير يذكر في ملامحها الأساسية عبر المئات بل الآلاف من السنين ؟

وقد قدم لنا الاستاذ «ألبرت فسلسكي» تفسيراً بين فيه أهمية وجود الراوي الذي أبداع الحكاية واعتنى بها ، قال « ان هذا الذي يسمى «الشعب» كان يمهل دون أن يدرى على هدم الحكايات ، فلم يكن يجد في بعض الأحيان أناسا يتعمقون بمثل هذا الإحساس بالجمال الذي تحلى به القصاصون القدامى ؛ ولذلك فانه من الضروري أن تستهلك الحكايات وأن تفقد محتواها وأن تموت ، ما لم يحتفظ لها بنص مكتوب ، مخطوطا كان أم مطبوعا ، وعن هذا النص تنتشر الحكاية مرة أخرى بين الشعب ثم لا تلبث أن تمسخ بحق . »

ولا شك في أن هناك شيئا من الحقيقة فيما قاله « فسلسكي » ، لكنه بالغ في رايه هذا ، فقد اثبتت اكتشافات حكايات قديمة مدونه مثل الحكايات المصرية والبابلية والهندية ، قدرة هذه الحكايات على الحياة آلاف السنين بين الشعوب دون أن يعثرها تغيير يذكر في ملامحها الأساسية ودون الرجوع لاية رواية مدونة ، ثم أن الرواية المكتوبة التي يمتد بها « فسلسكي » كثيرا ليست في الغالب سوى ما نقلته الرواية الشفهية، لكن كان له الفضل في لفت النظر الى أهمية الرواية المكتوبة ومدى تأثيرها في الأدب الشعبي . لكن المشكل يظل قائما ، فلم يجد السؤال بمعد اجابة شافية ، فكيف يمكن تفسير هذا الثبات العظيم للحكايات ، وقد قدم

العالم الدهركى المشهور « اكسل اورليك » تعليلا رائعا ، وعزا ذلك الى ما اسماه بالقوانين المحمية للادب الشعبى .

نقد عرفنا ان الحكاية الخرافية لا تبدأ فجأة بالحركة ولا تنتهى نجاة: وذلك ما اسماه الاستاذ « اورليك » قانون البداية . وقانون النهاية : والادب الحديث يبرز الاحداث عن طريق تصويره للتصميات نصويرا دقيقا او عن طريق استخدامه وسائل اخرى ، اما في الحكايات فابراز الاحداث يكون عن طريق التكرار بصورة اكثر تركيزاً ، بل اكثر اقتصادا ، ويتصل ذلك بقانون العدّ ثلاثة ، اذ يتحتم عنى الانسان ان يكرر المحاولة ثلاث مرات حتى يصل الى غرضه والمحاولة الاخيرة هى التى تتم بنجاح ، والاخ الاصغر هو الذى يصل الى ما حاول ان يصل اليه اخواه دون جدوى ؛ وهذا القانون ذو طابع ملحمى صرف وتعرنه اغلب انواع الادب الشعبى. اها قانون المشهد العام ، فبين انه لا يظهر فى الموقف الواحد اكثر من شخصين فى وقت واحد ، فاذا تصارع البطل مع الثنتين ، فان الامر نى هذه الاثناء لا تلعب اى دور يتطلبه موضوع الحكاية وهى لا تشارك فى الصراع الا بوصفها انسنا ابكم ، ولا تساهم مرة اخرى فى الموضوع الا بعد ان يقتل الثنتين . ويرتبط بهذا القانون ، قانون التناقض ، فالحكايات تصور التقيضين دائما ، الكبير والصغير ، والغنى والفقير ، الخير والشر ، ائشاب والكلب الخ وقدم لنا الاستاذ « فالتر اندرسون » فى ابحاثه قانون الحق الذاتى للحكاية الخرافية ، وهو يعنى ان الروايات المختلفة العديدة لحكاية واحدة قد تنحرف قليلا عن صورة الحكاية الاصلية ، لكن هذه الروايات المختلفة تتأرجح كليا حول نقطة ارتكاز لا تتغير دائما ، فقد تتلين هذه الروايات المختلفة عن بعضها البعض ، لكن الحكاية تظل فى عيومتها كما هى غير متغيرة وتبقى احقبا زمنية طويلة .

ويعقب عالم النولكلور الكبير « ديرلاين » على هذا الرأى فيقول ، اعتقد ان اندرسون على حق نى هذه الدعوى ، من حيث ان الحكاية ، وان انتشرت انتشارا بعيدا عن طريق مختلف القصاصين ، فاتها تحتفظ بحقاها الذاتى وتظل كما هى فى صورتها العامة فى الروايات المتعددة المختلفة ، ويحق لنا ان نتمسك بقانون « اندرسون » ، الحق الذاتى للحكاية ، نى تفسير ثبات الحكايات العظيم » .

ولعل هذه القوانين الشكلية الصلبة الخاصة بالحكايات وما يبدو على اطرها من ضيق هو نى الحقيقة سر توتها وقد ساعدت الحكايات على

الثبات والاحتفاظ بملاحمها الاساسية ، فالحكاية التى نستمتع اليها لاول مرة تبدو لنا معروفة الى درجة كبيرة حتى اننا نكاد نعرف مسبقا الحط الذى سيسير نيه الموضوع .

وقد سبقت الاشارة الى الاحساس بانشكل الذى يتحلى به رواية الحكايات الجيودون دون ان يعرفوا شيئا عن هذه التثنيات ، فقد امكن لهؤلاء الرواة بما يتمتعون به من احساس متميز بانشكل ان يردوا الحكاية انضعيفه عن طريق تحويرها واعادتها الى شكلها المكتمل ، لكن كيف حدث هذا ؟ يجب ان نتوقف هنا لان الاحساس بالشكل ، اى السعى وراء نظام محدد فى التتصيلات يخضع لقواعد معينة لا يشمل نوعا من الحكايات فقط ، بل يشمل كل الانماط الشعبية الاخرى ، وهو الذى حدد شكل الحكايات وارغم ادبائها المشهورين فى عالم الادب ، وغيرهم من المجهولين فى الاوساط الشعبية ، ان يخضعوا جميعا لهذه القواعد ، وكيف حدث هذا الامر ؟ لان هذا السؤال لا يتعلق بالادب الشعبى وحده ، فهو لا ينفصل عن السؤال عن اصل ادبنا بصفة عامة وعن عناصره انشكالية اتى جعلت لكل الانواع الدرامية منها والملحمية والغنائية طابعها الخاص ، ان هذا من شأنه ان يبعد بنا عن الحكايات ، لكنه يبين لنا ان الحكايات لا تنفصل عن الاشكال الاخرى من اشكال التعبير عن الروح الانسانى ، وانها تهتل دائها وابدا الجوهر والاساس الذى يستهد منه الابداء والفنانون ابداعهم .

فنحن نعتبر فن «هومير» و «سوفوكوليس» و «شكسبير» و «جوتة» الفن الخالد او الثروة الخالدة التى هى ملك لكل الشعوب ، لكن هومير عاش فى ظل النسيان حقبة من الزمن تبلغ الف عام ، وعاش شكسبير فى نسيان بضع مئات من السنين ، ثم اجتهدت الاجيال وعملت وتعلمت حتى تبكى ادب شكسبير وجوته من غزو عقول بعض الشعوب ، اما الحكايات فقد عاشت على العكس من ذلك بين جميع الشعوب فى جميع الازمنة محتفظة على الدوام بحيويتها وجاذبيتها ، فحكاية الصدف والكنب المصرية وحكاية اللص الماهر التى رواها هيروندت وحكاية الحب والروح الرومانية، بنا تزال تشبه الكثير من حكاياتنا المعاصرة ، وقد رأينا ان الحكايات فى الهند والصين واستراليا وامريكا ولدى الفرس والعرب والشعوب الاوروبية ، تعد تعبيراً ادبياً يقبل عليه ويميل اليه كل شعب . ولذلك قام العلماء والباحثون وجامعوا النصوص بجهودات شاقة جبارة لجمع

الحكايات ودراستها وتصنيفها وخاصة في بداية القرن العشرين ، وكانت أكبر هذه الجهود هي التي قام بها علماء « المدرسة الفنلندية » وعلى رأسهم « كارل كرون » و « أنتى آرنى » ، وانضم اليهم علماء كثيرون من بلدان العالم اجمع مثل « اولريك » في الدنمرك ، و « جستون » و « كوكسون » في فرنسا ، و « هرتر » ، و « كوكر » و « بولتسة » في ألمانيا ، وقد سلبت للباحثين الحكايات التي جمعت من جميع انحاء العالم وجعلوها في متناول العلم . ووضعوا خطة لتصنيف الحكايات واكتشف « أنتى آرن » نظما للتدوين توسع فيه العالم الايرى الكبير تومسون ، الذى وضع بعد عمل شاق مضمنا دليلا لموضوعات الحكايات عليه نسي الشمول والاكتمال ؛ وقد رتبته فيه الموضوعات وفقا للاغراض التي يمكن الوصول اليها نتيجة فحص مادة هائلة من الحكايات والاساطير والفابولات . وقد كان الادب الشعبي موردا لا ينضب له معين للادباء والفنانيين في كل انحاء العالم قديما وحديثا ، فأغلب روائع « شكسبير » مقتبسة من الادب الشعبي مثل هلمت ، وروميو وجولييت وترويض النمرة الخ ... وقدم جون « اميليوزين الجديدة » ودكتور فاوست ، وأعاد « يوجين أونيل » تقديم فاوست في صورة جديدة .

أما الشاعر الروسى العظيم بوشكين ، فاقتبس من الفولكلور الروسى « روسلان ولودميلا » والفجريون ، وقدم قاجتر اوبرا « تريسان وايزولد » مستوحيا الاسطورة المشهورة ، واستغل موزارت اسطورة « ايزيس وايزويرس » وخلق منها اوبرا عالمية « الناي السحري » . وفي العصر الحديث من الصعب حصر ما قدم فهو كثير مثل اسطورة « سيزيف » التي اعاد البير كامى كتابتها كمسرحية ، وقدمها جان بول سارتر كرواية « الغثيان » ، ومثل اسطورة الكترا ، التي قدمها جان جيردو كمسرحية ، ويوجين أونيل في مسرحيته الرائعة « الحداد يلبق بالكترا » ، وسارتر في مسرحيته « الذباب » ، واسطورة أنتيجون التي قدمها جان أونيبى كمسرحية ، وكوكو كمسرحية رسم مفاظها بيكسو ، ووضع موسيقاها الموسيقى المعاصر « أونيجر » واسطورة اوديب التي قدمها كوكو في مسرحيته « الالة الجهنمية » الخ ...

وفي لغتنا العربية قدم الحكيم « ايزيس » والفريد فرج ، الزير سالم ، « وعلى جناح التبريزى » وفي المغرب قدم الأستاذ عبد السلام الشرايبي مسرحية « الحراز » وهي من أجل المسرحيات التي شاهدها ومسرحية « سيدى قدور العلبى » .

والحكايات في مراحلها الاولى لا يمكن فصلها عن بداية المراحل الاولى للانسانية ، فهي عون لا غنى عنه لعلم الفولكلور وعلم حضارات الشعوب : اذ انها تكشف لنا عن تطور حياة الانسان الروحية والاجتماعية ، كما انها انتقلت من شعب لآخر فساعدتنا على اكتشاف بعض العلاقات والتأثيرات بين الشعوب بعضها البعض . ولولاها لظلت هذه العلاقات والتأثيرات محتجبة .

ان الادب الشعبي هو الادب الخالد . ودراسته تؤدي الى ادراك اسس الادب بصفة عامة ؛ ذلك ان تاريخ الادب حين يتجاوز حدود الادب الرسمى، ويحاول ان يشهد بابحاثه اسس الادب وطبيعته بصفة عامة ، فانه يتحرك خلال تصورات مضطربة وتعسفية للغاية . فكل من اراد ادراك طبيعة الادب حقا، فعليه ان يوسع دائره مجاله . كما ينبغي عليه ان يدخل في هذا المجال الشعر المحنور على اقنوره، وفي اقدم الكتب، وكذلك نقوش البيوت والحكايات التى تتضمنها كتب التقاليم والمجموعات القديمة والحديثة للحكايات .

ان الادب جيمعه يبدو كيانا قائما حيا يتحرك على الدوام ، يخرج منه الادب الرسمى ثم يعود ليصب فيه ويمتزج به من جديد . حتى يخرج من ذلك ادب جديد مرة اخرى .

فالنظرة الى التراث الشعبى بأسره بما فى ذلك الحكايات الخرافية والشعبية والاساطير والموسيقى الشعبية والفن الشعبى بصفة علمه . يجب ان تكون نظرة تقدير وتبجيل نالادب الشعبى - كما حدث بالنسبة لجموعة الاخوان جريم - يقدم معطيات قيمة ونادرة للادباء والفنانين . وقيمة العمل الفنى ترجع للكفاءة والمهوبة ؛ والفن تناول. ويكفى الادب الشعبى فضلا انه يضى على الاعمال المتبسة من التراث. ان كانت رفيعة ؛ صفة الاصاله ؛ وهى صفة اساسية لاي عمل فنى عظيم. وربما كان الادب الشعبى المصدر الاصلى لكل ادب ؛ ويكفيه فخرا ان الحكايات وحدها استمدت موضوعاتها من تصورات كل الازمنة والحضارات وصاغت ذلك في صور فنية جبيلة وعجيبة ومشوقة . وهاجرت في شكلها الفنى المكتمل الى اغلب بقاع العالم ؛ ومن ثانيا الحكايات تشوق فكرة عظيمة تنوق لوحدة الانسانية ؛ فهى تهمل الان بحق الحصيلة المشتركة لكل الشعوب .

(1) من النهار الأول كاي موت المش

(2)

الفرق الصديقان ، وسافر احدهما الى بلدة بعيدة ، وتزوج كسل ،
منها دون ان يعرف الآخر .

ومضت ثلاث سنوات ، وعاد الصديق من رحلته ومعسه زوجته ،
وذهب ليزور صاحبه ، واخذوا يتبادلان الحديث ، حتى اشتكى احدهما للآخر
من ساوك زوجته وقال ، « الحق يا صاحبي ، ان ما يضايقني منها انها
تعاملني بقسوة ، فان كلمتني رنعت صوتها ووجهت لي الكلام وكأنها
تسبني ، وكما ان مطالباها لاتنتهي وعلى ان البيها ، وان تأخرت قليلا عن
مبعاد رجوعي الى الدار لا تتورع عن اهانتني ، وأحيانا تضربني ، ان
امراتي شرسة » :

فتعجب الصديق واسف لها صار اليه حال صاحبه ، فنقل له ،
« ربما كنت لنت المسؤول عن ذلك ، فقد كان يجب عليك ان تفعل كما
فعلت انا ، فقبل ان اتزوج سمعت الكثير عن زوجتي الحالية ، وانها
قوية وقاسية ، ونصحتني امي ان لا اتزوجها ، فقد خانت ان تسريء
معاملتي وتسبب لي الهم والمشاكل ، ولكن في اول يوم بعد العرس ،
جاءت قطعة ونحن نتناول طعام الانطار ، وخطفت الخبز ، نامسكت
السكين بسرعة وطممنت القطعة طعنة قاتلة ، وما ان رأت زوجتي ذلك
حتى صارت تخشى باسى وتعاملني معاملة طيبة » .

ففرح الصديق حين سمع هذه الحكاية ، وشكر صاحبه على
نصيحته ، وفي اليوم التالي ، أحضر قطعة واثناء تناول الطعام ، ترب
قطعة من اللحم اللذيذ من القطعة عمدا ، فاخطفتها القطعة واكلتها ،

(1) - كاي موت : يموت

(2) - المش : القط



فأسرع وأمسك بالسكين وطعن القطة، فقتلها، فصرخت زوجته وغضبت
وأخذت تسبه وتلعنه

تأسرع وأمسك بالسكين وطعن القطة فقتلها ،. نصرخت زوجته ؛
وغضبت وأخذت تسبه قائلة ، « انك لرجل مجرم سفاك ، لماذا قتلت
أقطة الصغيرة المسكينة ، الأيتها خطيت قطعة من اللحم ، أيها الجضع
اليخيل ، والله لاذهبن الى القاضي واشكو اليه ما فعلت؟ » ، تدهش
الرجل وكان يتوقع نتيجة مخالفة لذلك ، وخاف زوجته ، وتعلم ولم
يبدر ماذا يقول لها ، ومضت تسبه وتؤذبه ولا تكف عن الصياح .

فذهب إلى صديقه وحكى له ما حدث ، فقال له الصديق ، « لقد
تأخرت ، كان يجب عليك في أول يوم ان تقتل القطة ، لا بعد زواجك
بثلاث سنوات » قالها باللهجة الدارجة « في النهار الاول كسليموت
المش » وصارت مثلاً .

زوجة من الريف

كان الرجل فقيها يقرأ القرآن ويعلم الصبغة القراءة والكتابة ويؤم الناس في الصلاة : وعاش في احد احياء المدينة محترما ومقدرا طوال حياته .

ولم يكن له الا ابن واحد : انشاء ورياه على التقوى والصلاح ، وحين مات الفقيه . كان الابن قد اصبح رجلا ، فاجتمع تلاميذ الفقيه ومريديه وقالوا لابن ، « من مات وترك نرية سالحة فكأنه لم يموت ، ونحن نعرفك وعهدنا نيك والصلاح والتقوى . وانت خليفة لابيك ، فلتؤمننا في صلاتنا وتكمل وعظنا وارشادنا وتعلم اولادنا كما فعل ابوك من قبل » .

ولم تخرج سنوات حتى جاءوا اليه وطلبوا منه ان يتزوج ، وعرضوا عليه بعض البنات من اهل القرى . لكنه رفض وابى وصمم ان يتزوج فلاحا من الارياف ، لانه يؤمن ان اهل المدينة مراوغون . واصحاب حيل ، وأن ساء المدينة اقلبهن لصات وسارقات وغير مخلصات . ولا يعرف احد من اهل القرى هذه الامكار ، وعلى اية حال قال له الناس : نلتزوج بمن تشاء . المهم ان تتزوج . فخرج الفقيه الشلب من المدينة وذهب الى القرى والارياف ليجتهد عن زوجة فلاحا . وحصل معه القرآن الكريم وكتب الدين الشريف . حملها فوق كتفه بعد ان وضعها في كيس كبير .

وفي يوم دخل احدى القرى وجلس في وسط السوق ، نالفت الشبان حوله . وقد ظنوه احد المغنين او رواة الحكايات. لكنه ما ان وضع كيسه على الارض واخرج كتبه واخذ يقرأ القرآن حتى انفضوا من حوله ، ولم يبق امامه الا فلاحا عجوز تجاوزت السبعين من عمرها ، فقال لنفسه ،



ولم يبق امامه الا امرأة عجوز جاوزت السبعين من عمرها.

ليكن . كمانى هذه العجوز الطيبة تستمع آلى . ومضى فى قراءته ،
والمرأة تنظر اليه وتبكى ، وهو يقرأ وهى تبكى ، حتى انتهى ، لكنها
استمرت فى بكائها بعد أن سكت ، فسألها الفقيه : « ما الذى يبكيك يا
اباه ؟ » فلم تجبه . وبكت . فقال لها ، « يالك من عجوز طيبة تبكين تأثرا
بكلام الله تعالى » ، فلم ترد عليه ومضت فى بكائها فقال لها : « لملك
مؤمنة تقية تخشعين عند سماع كلام الله » . فكفكت العجوز دموعها
وقالت له ، « والله لقد نظرت اليك والى لحبتك الصغيرة وهى تتطاير
فى الهواء فذكرنى شكلك بخروف كان عندى . سرقه اللصوص . فبكيك
لأننى تذكرت الخروف وهو كل ما كنت املك » . ومضت تبكى .

فرجع الفقيه الى المدينة وأسرع الى تلاميذه ومريديه وطلب منهم
أن يبحثوا له عن زوجة من أهل المدينة . لأنه غير رايه ، وسأله عن
السبب ، فحكى لهم ما حدث له فى سوق القرية مع العجوز ، وقال :
« اذا كان هذا حال النلاحة العجوز كيف يكون حال الشابات
الصغيرات ؟ » .

السلطان الكبير والسلطان الصغير

تشاجر رجل مع صاحبه وتخاصما ، وقاطع كل منهما الآخر ، وكان حتى لو قابله لا يقرأه السلام .

ومضى عام وتدخل الاصدقاء ، وامكنهم بعد لاي وجه ان يصلحا بينهما ، وذهب الرجل مع صاحبه يوما الى الغابة وجلسا ليستريحيا ، فقال الرجل لصاحبه ، « اننى اود ان اطلق شعر راسى ، فان كان معك موسى فأرجوك ان تحلق لى شعرى » ، فأجاب صاحبه ، « نعم لحسن الحظ معى موسى ، وسأحلق لك » .

ويدأ يحلق بالفعل ، وكان قلبه مازال مملوءا بالحق ، فوضع موسى على رقبة صديقه وقال له ، « لا يوجد مخلوق معنا ، فلو ذبحتك فلن يعلم احد بالامر » ، فأجاب الرجل ، « لو ذبحتنى فالسلطان الكبير يفضح جريمتك ويوصل الخبر الى السلطان الصغير » .

وكان الرجل يبغض صاحبه ويريد قتله ، فذبحه فى الحال ، وحفر حفرة بجانب شجرة ودفنه فيها ، وعاد الى داره ، خائفا يرتجف ، ولكن الايام والاشهر والسنوات مضت ، ولم تكتشف الجريمة .

وبعد ثلاث سنوات ، تذكر الرجل ما حدث ، فسار الى الغابة وذهب الى نفس المكان الذى دفن فيه صاحبه بجوار الشجرة ، فرأى كرما له اوراق ذات لون اخضر زاه ، وتتدلى من الكرم عنقايد مستوية الشكل ذات حبات كبيرة من العنب الاصفر الجميل ، فمد الرجل يده وتطف عنقودا واكل منه ، فوجده اطلق من السكر ، وشمم رائحته العطرة كرائحة المسك ، فتمعجب ، وخاصة ان الوقت كان شتاء ، حيث

وتناول السلطان عنقودا بن
العنب وصرخ لأنه شاهد في
السلة رأس الرجل المقتول
الحيقة تقطر دما.



لا ينضج العنب ولا يوجد ، فأحضر سلة وملاها بالعنب ، وذهب إلى
السلطان ليهديه هذا العنب الفريد من نوعه وفي غير موسمه .

فلما مثل أمام السلطان تبين الإرض بين يديه ، وقدم له هديته ،
فاندعش السلطان لجمال عناتيد العنب ولعطرها الفواح ونضجها في
غير أوانها ، وتناول السلطان عنقوداً من العنب ، وصرخ لأنه شاهد في
السلة رأس الرجل المقتول الحليقة تتطير دنا ، فهتف وسأل الرجل ،
« ماذا أحضرت لي » ، ورأى الرجل رأس صاحبه في السلة تتزف
منها الدماء ، فصرخ ، « لكنني لم أحضر إلا عناتيد العنب » ، وحكى
للسلطان القصة من أولها ، فقال له السلطان ، « لقد فضح السلطان
الكبير جريمتك وأوصلني الخبر » ، وأمر السلطان أن يقطعوا رقبتة كما
فعل مع صديقه .

(1)

بهوت النساء

كان لتاجر غنى ابنة وحيدة جبيلة . غاية في الذكاء والفطنة ؛ تعيش في دار أبيها الكبيرة ولا تؤنس وحدتها بعد موت أمها سوى جاريتة اثيرة لديها ، وكانت هناك بجوان دارها ، دار صغيرة يملكها فقيه شاب، يسكن فيها ويستخدمها في نفس الوقت كهدية صغيرة « مسيد » (2) يعلم فيها الأطفال مبادئ القراءة والكتابة والحساب وأصول الدين ويحفظهم ما تيسر من القرآن الكريم ، وكانت الفتاة ترى الفقيه الشاب كثيرا ، غلفت نظرها طولها انبىادى واستقامة عوده ورجولته الفياضة ، وصوته الرنان المؤثر وهو يلقي الدرس او يقرأ القرآن ويعلم التلاميذ، وكان تقيا ؛ اكتسب احترام الناس وحبهم بسلوكه القويم وادبه الجم . ووقعت الفتاة في حبه دون ان تدري، وبدأت تنتحل المعانير، فتفتتح النافذة المواجهة في الوقت المعين الذي تعرف انه يخرج فيه او يدخل الى داره ، وتنتهز الفرصة فتحييه قائلة : « صباح الخير او عم مساء » ، فكان الفقيه الشاب ينظر الى الارض ، ويرد التحية في ادبه ولطف دون ان ينظر اليها .

واشتعل الحب في قلب الفتاة فتغير حالها ، وعانت الطعام ، وكثرت سروردها وأصابها الوهن ، وأعترفت لجاريتها الاثيرة بما تقاسيه من ضنى الحب وعذابه ، لكن ما العمل ؟ ان اباهما تاجر غنى، وهو يرفض ان يزوجه الا لشاب ثرى من أسرة كبيرة ، ابا الفقيه الشاب فلن تشفع له عند أبيها وسابته وسجاياه الطيبة ، وهى لا تقدر ان تعترف بحبهما لابيهما . ولم تكن تدري ان الفقيه الخجول هو ايضا يقاسى ما تقاسيه ،

(1) - بهوت : حيل

(2) - ويسبى في حمر الكتاب والجمع كتابيب .

وتكوى قلبه نيران الحب المشتعلة ، وحاول الشاب أن يتغلب على حبه بالصلاة وقراءة القرآن والاوراد ، والانهمك في العبادة ، وكان يقرأ كثيرا من الكتب والفتاة تراقبه وتتبع خروجه ودخوله وحركاته وسكناته ، وكانت دائما تحييه في الصباح : وتقرأه السلام ، وتنتهز الفرص لتراه .

وفي يوم بعد أن حيته ، سألته سؤالا غريبا ، قالت له : « هل قرأت كتاب بهوت النساء ؟ » ، فاطرق كعادته واجابها ، « لا ، الحق اننى لم اقرأ هذا الكتاب » ، وظلت تسأله كل يوم بعد أن تحييه : نفس السؤال ، ويجيبها نفس الإجابة .

وبعد أسبوع احضرت وعاء من الفخار وملاته بنوع ممتاز من زيت الزيتون وأمرت جاريتها أن تضعه في الصباح الباكر تحت نافذتها ، فنفذت اجارية الامر ، وعندما خرج الفقيه من داره وجد الوعاء الملىء بزيت الزيتون امامه ، وأظلت من النافذة وهتفت به ، « صباح الخير » ، فلم ينظر الى اعلى ويخفض بصره واجاب : « صباح الخير » ، لكنه رأى صورتها بنعكسة على سطح زيت الزيتون الشبيه بمرآة ، فأشاح البصر ، فقالت في رقة ، « لا ، بل انظر الى دون أن ترفع بصرك ، سترانى هناك في الزيت » ، واضطرب وخفق قلبه المتيم بحبها ، ولم يجب ، فابتسمت ، وظل ينظر في الزيت وكانها أمامه تواجهه ، ورد بصوت منخفض ، « هذا حرام » ، فأجابه في صدق وبصوت حنون : « لا ، اود وأرغب أن أتزوجك ، لاننى احبك » ، فذهل الشاب لما سمع ولصدقتها الذى ينعكس على ملامح وجهها الفتان واهتز من اعناقته وهتف ، « لكن ما العمل ؟ ، ان اباك لغنى واننى لفقر ؟ » ، فهزت رأسها تنفى هذه الفكرة وقالت له ، « اعرف كل شىء عنك ، فأنت تملك هذه الدار الصغيرة ، معها وأنا اعوضها لك ، واذهب الى أبى وادفع ثمنها صداقا لى » ، فضحك في ياس ، واجابها ، « حتى لو بعثها ، فان ثمنها لقليل ، وان يرضى به ابوك صداقا لك ، وأنا لا املك غيرها ، وهى مدرستى ومسكنى » ، فردت عليه ، « اننى واثقة مما أقول ، بع الدار واقبض الثمن ، واخبرنى حين تشم هذا العمل وأنا سادبر لك خطة » .

وباع الفقيه الشاب داره ، فطلب منه المشتري أن يخليها ، فرجاه أن يصبر قليلا ، وخرج في اليوم التالى في الصباح ينتظر أن تطل الفتاة من النافذة ، وحين رآها خفق قلبه وفرح ، وأخبرها أنه



لكنه رأى صورتها منعكسة على سطح زيت الزيتون الشبه بمرآه ...

تد باع الدار ومعه المال . وسألها ان تبين له ما تود منه أن يفعله لاته يريد أن يقابل اباه ويخطبها منه . فاجابته . بان عليه ان يذهب لابيهما ويطلب منه ان يتزوجها . ويقدم له ما يملك من المال كصدق ؛ واكدت له ان اباه سيوافق . لكن لاته يحبها ولا يود ان يفارقتها . نسبحاول ان لا يتم الزواج وسيقول له . ان ابنتي كسيحة ومشلولة وتبيحة وتمصيرة وخنفاء . وثقيلة السمع ولا تصلح ابدا للزواج . فعليه عندما يسمع هذا الكلام ان يرد . انني موافق على الزواج منها وانا اعلم واعرف كل هذه الميوب . وعليه ان يشهد الشهود على هذا الكلام . وندئذ سيضطر ابوها للموافقة على الزواج . وعليه ايضا ان يطلب من ابيهما ان يعجل بالزواج ويحدد الموعد بعد يومين . فهز الفقيه راسه اعجابا بسعة حيلتها وذكائها . وبينت له ان اباه لا يرغب ان يقابل اى خاطب لها في الدار . بل يفضل ان يلتقيه في الحانوت . ووصفت له الحانوت . وقالت « ان ابى مشهور . وهو الحاج فلان وحاتونه معروضة في السوق » .

فاسرع الشاب الى الاب فرحا والتي عليه السلام . وفي خجل طلب منه ان يزوجه ابنته واطهر استعداداه لدفع مبلغ معلوم هو ثمن الدار الذي يحمله معه . فرد عليه الاب . « يا بنى . لا امان ولكن بنتي كسيحة ومشلولة وتمصيرة وخنفاء انفنانة؛ وثقيلة السمع . وتبيحة الشكل ؛ ولا تصلح للزواج ابدا » . عندئذ اجاب الشاب فى هدوء . « اننى راض بكل هذه الميوب واعطيها ، وعلى استعداد ان يشهد على الشهود بذلك » ، فاعاد الاب الكلام وأوضح عدم صلاحية ابنته للزواج وبين عيوبها مرة ومرة . لكن الشاب اصر على طلبه وقدم المال وطلب ان يعجل بالزواج فقال الاب . « ان فلتزوجها الان » ، وأرسل لاحضار العدول (1) وكتبوا عقد الزواج ، واستلم الاب المال ووعده الشاب ان يرسل اليه ابنته في الصباح .

فخرج الشاب من الحانوت لا تسعه الدنيا من الفرحة ، لقد تحققت آماله وتزوج محبوبته ، وكما كانت جميلة ، وذكينة ، وذات صوت حنون وبسمة فتاة ، انه لا يصدق ، لقد كانت بعيدة المنال ،

(1) - العدول : اعيان القاضى السرى و الاحوال الشخصية ، يقومون بما يقوم به « المذنون » في مصر .

والحلم أصبح حقيقة ، وقد وعدته ان تموض له ما قدمه من مال .
وهل يهم المال ؟ .

ولم يستطع ان ينام حتى الصباح . وظل مستيقظا يفكر نسي
السعادة المرتقبة ، وفي الصباح الباكر . سمع طرقات على الباب
نفتحه . ورأى اثنين من العبالين يحملان محضنة صغيرة . ويسادراه
بالتنهئة وطلبوا المكافأة . وانزلا من المحفة شيئا شبيها بامراه .
وادخلها الدار ، فذهل الشاب . فقد رأى امرأة قصيرة كسيحة .
شبيهة بقرد . بشلولة وقبيحة ، واعجوبة من الاعاجيب . وسألهم ،
« ما هذا ؟ » ، فضحكا ، واجاباه : « زوجتك » . وسمع صوتا ائسه
بقيق الضفادع يقوز ، « أهلا بك يا زوجي العزيز » . فصرخ
« ما هذا ؟ » : فحكى له العبالان ان فلانا التاجر ، وكان هو التاجر
الذي تزوج ابنته . قد اعطاهما دينارا نظير ان يوصلا العروس الى
دار زوجها النقيب فلان الذي تزوجها بالبرحة ، ولما كانت كسيحة
مشلولة فقد حملها واحضراها اليه .

فصعق لما سمع ولما رأى ، فاخذ يردد بشدوها . « غير
معتول : هذا غير معتول . لقد لعبت بي افتاة وسخرت بني . آه
من النساء » .

ورويدا ، رويدا تأكد مما حدث وكأنه احدث اسطورة من
الاساطير ، ياللفظاعة لقد باع داره وخسر كل ماله وتزوج هذا الشيء
المسكين القبيح الذي يفترض انه امرأة ، واخذ يفكر . ومهر نسي
خاطره السؤال ، هل قرأت كتاب بهوت النساء ، هل قرأت كتاب
بهوت النساء ؟ ، لكن ايصل الامر الى هذه الدرجة ، هذا غير
معتول ، وكاد ان يجن .

وخرج من داره ووقف تحت نافذتها يود ان يصرخ ويصيح ،
« ايتها المحتالة الخداعة » ، وفتحت النافذة واطللت عليه ، وهم ان
يهتف بها ويسبها وينفجر غضبا ، لكن ما ان رآها ونح وجهها المشرق
الفتان ، وظهرت عيناها الالام لما وجدته فيه من كرب وضيق وحنق ،
فسألت دموعها وبدا الحنان يغير وجهها وضحكت في براءة وسألته ،
« هل قرأت بهوت النساء ؟ » فوجم وسكت وهز راسه ، كأنه يقول
نعم قرأته ، واى تراءة ، انه العجب العجاب ، ورفع يديه محذارا .

مبلبل الفكر . لقد رأها تبكى ، ربما ندمت على ما فعلت من جريمة . لكنها لم تدعه سوى لحظات قصيرة حتى قالت له . « عذسى ان تتزوجنى وأنا انقذك من زوجتك القبيحة » : فانفج يقول لها : « اعك ! هذا غير معقول . الم ابع الدار وهى كل ما املك ورضيت ان ادفع ثمنها صدقاتا ونفذت اوامرك، انا لا اصدقك ولا أنهمك : لقد اسأت الى وسخرت منى » . فلم تدعه يكلم كلامه . وصاحت به . « اسمعنى لقد فعلت ما فعلت لانتى أحبك واريد الزواج منك . ان اسى غنى ولا يمكن ان يرضى بك . لذلك ديرت هذه الحيلة لاغنيك فتقدر ان تتزوج بى ويرضى ابنى بزواجى منك » .

فاستفسرها عما تعنيه فاستطردت قائلة : « ان الرجل الذى تزوجت ابنته الشوهاء لتاجر أغنى من ابنى ، والان عليك ان تذهب الى سوق الحمير ونشترى حمارا اجرب رخيصا . وضع فوقه قفصة وضع فيها زوجتك . وأمشى الى السوق وناد كما ينادى المتسولون واطلب الصدقة من اجلها : عندئذ سيجئ اليك ابوها ويطلب منك ان تكف عن التسول بابنته » . وبينت له ماذا يقول لابنها . وان يرضى اخذ اصدقاك الذى دفعه ولا يرضى الا بوزنها ذهبيا .

ونفذ الشاب ما قالته ، وحبل زوجته من قفصة فوق حمار اجرب، وذهب الى السوق ، وأمام حانوت ابيها اخذ ينادى ويتقن النداء ، وطلب الصدقة من اجل الكسيحة ، من اجل المشلولة : من اجل المرأة الشوهاء ، فالتف الاولاد حوله وخرج التجار يتعجبون واجتمع الناس يتسألون ما الخبر . وأسرع جار الى ابيها يخبره ، فخرج من حانوته يجرى غير مصدق ما يرى ، وامسك بالفقيه الشاب ، ورجاه ونهاه عن هذا السلوك الشائن ، وصاح به ، « كيف سولت لك نفسك ان تعرض ابنتى فى الاسواق فوق حمار اجرب داخل قفصة وتطلب من اجلها الصدقة ، وأنا ابوها من أغنى التجار واشهرهم » ، فرد عليه الفقيه الشاب فى ثبات وهدوء وقال ، « انتى لم آت عملا قبيحا فهذه زوجتى وأنا اطلب الصدقة لانتى فقير » ، فصاح التاجر ، ولكننى تاجر وغنى ولى مكاتنى وسمعتى ، وقد بينت لك واوضحت عيوبها » ، واخذ الناس يزجرون الشاب ويلومونه على عمله القبيح ، لكن الشاب كان حاسما وحازما ، فاجاب التاجر ، « نعم انك لم تخدعنى وبينت لى عيوب ابنتك ، وقلت لى انها كسيحة ، ومشلولة

وتبحة وثقيلة السمع ولا تصلح للزواج ، وقد قبلت كل هذه الميوب ورضيت بها ودفعت لك مبلغا كبيرا من المال كصداق لها ، وأنا لا اعترض ولا احول طلاقها ، لكن الست معي ، ان امرأة بهذه الصفات لا تصلح للزواج وقد قلت انت نفسك هذا الكلام .

نهتف التاجر ، « اذن لماذا تزوجتها ؟ » ، فرد الفقيه الشاب ، « لاسترزق بها ، انها لا تصلح للزواج ، فقد كان غرضي وما زال ، ان استرزق بها ، ان اتسول بها ، وخاصة اننى فقير لا امتلك شيئا انهمت ؟ » ، ناقض الناس وقالوا ، الحق في جانب الفقيه ، عندئذ عرض التاجر ان يرد للفقيه الشاب الصداق نظير ان يطلقها ، لكنه رفض ، فعرض التاجر مبلغا مضاعفا ، فلم يرض الفقيه ، وظل الاب يساوم ويرجو حتى عرض ان يزنها بالذهب ، فوافق الفقيه وطلقها ، واخذ اكياس الذهب ورجع الى داره .

واسرع ووقف تحت النافذة وكأنه على ميعاد ، فقد فتحت الفتاة النافذة في الحال وابتسمت له ، ورات اكياس الذهب ثقيلة بين يديه ، فسألته ، « هل نجحت الحيلة ؟ » ناجبها ، « نجحت » ، فهبطت اليه وقالت له ، « لكننى أخاف ، فانت لا تعرف التجار وربما يكون ابوها قد خدعك وغشك واعطاك ذهبا مزيفا » ، فسألها مرتبكا وقد خاف ان يكون ابوها قد خدعه ، « وكيف نتأكد من ان الذهب غير مزيف ؟ » ، ناجبته ، « ان جارتى تعرف الذهب خيرا من صانعه ، اعطني الذهب » ، فاعطاهم الذهب ، فأخذته ودخلت الدار ، ووقف ينتظر النتيجة ، وغابت الشمس ولم تخرج اليه مرة ثانية ، لكن بعد مدة اطلت من النافذة ، فسألها ، « هل الذهب حقيقتى لم مزيف ؟ » ، فرجت عليه مندهشة ، « اى ذهب » ، فدارت به الدنيا ومر في خاطره ، السؤال ، هل قرأت كتاب بهوت النساء ، وتذكر الحيلة الاولى حين دفعت الى الزواج بالراة الشوهاء وظن انها ستستحوذ على الذهب ولا تردده اليه ، لكنه حين ابصر وجهها المشرق وعيونها الصادقة ، ازدادت حيرته ، وتبلبلت أفكاره ، نهتف بها ، « بالله لا تسخرى منى ولا تسحقى قلبى ، انا لا افهك » ، فقبلت له ، « اذهب الى ابى واخطبنى ، وعندئذ سأعطيك الذهب لتقدم منه الصداق لابى » ، فهتف من قلبه « اى ذهب ألم تتأكدى من حتى بعد ، لقد أحببتك منذ وقت طويل ، وفاض حبنى حين رأيت

صورتك في زيت الزيتون ، وبعث داري ، ونفذت أوامرك وأنا أسير
حبك وليس لى أهل في الحياة ولا أحلم الا بالزواج منك ، خسذى
الذهب « ، نرعدت بصوت مؤثر حنون « لقد تأكدت من حبك ، لقد
تأكدت من حبك « ، وأعطته الذهب ، وذهب الى أبيها ودفن المر
الغالى وتزوجها ، وعاشا سعيدين ، ولكن دائماً يقول لها ، لقد
ترأت كتاب بهوت النساء ، ياله بن كحلب ! .

الحمار الذكي

يروى أنه كان هناك ثنّب عجوز يعيش في الغابة ، وقد تقسم في العمر الى درجة أنه أصبح غير قادر على الصيد والحصول على طعامه ، فلم يعد في امكانه أن يجرى بسرعة ويطارد فريسته ، فقد ضعف وخارت قواه . وفي يوم بينما كان الثنّب العجوز يسير في الغابة ، وقد أمضه الجوع ، قابل ثعلبا عجوزا ، ضعيفا مثله وأكثر منه جوعا . وبعد أن تبادلوا التحية والسلام سارا بجوار بعضهما يتبادلان الحديث عما يقاسى كل منهما في هذه الايام العجائب المريرة ، وتفكرا الماضي وأيام الشباب والكميات الكبيرة من الطعام التي كان من السهل الحصول عليها ، وأخذ كل منهما يحكى للآخر عن ما كان يصيده ويأكله ، فأضر بهما ذلك غاية الضرر ، فقد سال لعايهما ، وشعر كل منهما بالآلم الجوع الحادة ، فهتف: الثنّب ، « يا أخى الثعلب ، لقد عرف عنك المكر والدهاء وقدزرتك على اتيان الحيل العجيبة ، الا يمكنك أن تجد لنا طريقة لنحصل على شيء من الطعام ، أرجوك ، انتي واثق من ذكائك ومهارتك » ، فابتسم الثعلب العجوز ، وقد نثار فيه مديح الثنّب شيئا بن الغرور ، وتهد وأجاب قائلا : « ان الامور صعبة هذه الايام ، لكن لو كنا سعداء الحظ لصادفنا خروف شارد عن قطيعه ، فافتراس الخراف اسهل انواع الصيد ، واننى لاتفنى ذلك من أهلك فقط يا أخى الثنّب ، اما أنا فتكتبنى جحاجة أو بطة صغيرة . »

وأثار حديث الثعلب عن خروف ضال شبهة الثنّب ، فأسرع في خطواته ، ومضى ينتظر هنا وهناك لعل اللحم يتحقق ويكون سعيد الحظ ، كما قال الثعلب .

وبعد برهة من الزمن توقف الذئب نجاةً عن السير وهتف بمنفعلًا:
« انظر انظر هناك » ، وأشار الى حقل بعيد ، ونظر الثعلب ودمشق
النظر ، لكنه لم ير شيئًا ، فسأل الذئب ، « ماذا تقصد يا أخي الذئب ،
انا لا ارى اى صيد ؟ » ، فأجاب الذئب : « ها هو أمامك ، الحمار الا
تراه واقفاً هناك في الحقل ، حقا يبدو انه حمار عجوز ، لكن ذلك لا
يهم فاللحم هو اللحم ، ونحن اكلى لحوم على اية حال » ، فاندھش
الثعلب وهز رأسه أسفاً وقال : « يظهر يا أخي الذئب ان الجوع
يدفع للجئون ، انا لم اسمع في يوم من الايام ان الذئب والثعلب هاجمت
الحمير في الحقل وأكلتها ، ثم لا تنس ان ركبة الحمار قوية شديدة
بخصرية المطرطة ، صدقتى ، ان قوة الحمار والحصان والبغل تتركز في
أرجلها ، انا نفسى حدثت لى حادثة ، مرة قابلت حصانا .. » ، لكن
الذئب لم يسمح للثعلب ان يروى حكايته وقاطعه قائلاً : « هذا لا يهم الان ،
ان علينا ان نخدع الحمار ونحاصره ، كل منا من ناحية ، حتى اقترب
منه وأصبح خلفه ، فاقفز عليه وأكله من رقبتة » ، فتضايق الثعلب
وسأل الذئب ساخراً ، « ما هى حيلتك ، كيف ستخدع الحمار حتى
يسمح لك بالاقتراب منه دون ان يركلك ؟ » ، فأجاب الذئب ، « سأخدع
الحمار واوهمه بأنه مريض ، ويأتنى طبيب ليريد ان اعالجه واداويه ،
حتى يأمن لى واقتراب منه وانترسه » ، فعارض الثعلب المعجوز الذئب ،
وبين له ان حيلته ستفشل ، لانه ادرى منه بالحيل والخدع .

لكن الذئب الجائع ، وقد استبدت به آلام الجوع اسرع ناحية
الحمار في الحقل ، وتبعه الثعلب من بعيد وهو غاية في الحذر . وحين
راى الحمار المعجوز الذئب مقبلاً ومن ورائه الثعلب ، انتبه ووقف حذراً
يرقب ما سيحدث .

ولم يقترب الذئب من الحمار ، ووقف على بعد خطوات منه ،
وحياه واتراه بالسلام ، نرد الحمار المعجوز الذى خنكته التجارب على
تحية الذئب في ادب ، ولم يفارقه حذره ، وحادثه الذئب وقال له في مودة ،
« كيف محالك يا أخي الحمار ، ان الجوع اليوم حار ، هل يضايك هذا
الجوع الخلق ؟ .. » ، وهز الثعلب رأسه موافقاً ، لكنه ظل خلف الذئب
بمسافة بعيدة ، واقتراب الذئب بضع خطوات من الحمار واكمل حديثه
قائلاً ، « ان الجوع الحار مضر بالصحة ، واننى لارى اثر ذلك عليك .

وبسرعة ركله الحمار ركلة قوية شديدة



فلونك متغير ، نعم لونك متغير لا شك في ذلك ، لكن الجو الحار لا يفعل هذا بالحمير ، فما هو السبب ؟ : وسكت الذئب واطرق براسه مفكرا ، ثم استأنف حديثه ، « آه ، أخاف ان تكون قد شربت من ماء تذر أو ربما غفوت ونمت قليلا : فهاجك الذئب دون ان تشعر به ، وهو يسبب الكثير من الامراض ، على اية حال انك لسعيد الحظ ، نأنا طبيب واحب الحمير وسرني ان اعالجك واداوئك » ، فسخر الحمار من الذئب وقلل له ، « هذه اول مرة في حياتي اسمع ان الذئب قد أصبح طبيبا ، وصديقا للحمير ، ولماذا يهمك امرى ؟ » نهز الذئب راسه مدعيا انه قد تضايق من كلام الحمار وقال له ، « وما الخطأ في هنا ، ان الحيوانات كلها اخوة ، وأنا احب الحمير لاننى .. » ، فقاطعه الحمار قائلا ، « ربما ، من هذا صحيحا ، لكن ما يثير دهشتى يا اخي الذئب اننا لم نتقابل قبل اليوم ، هل تعرف حتى اسمى ؟ » ، فاندعش الذئب وهتف ، « وهل للحمير اسماء كبنى البشر حتى اعرف اسمك » ، فسخر الحمار منه ضاحكا وقال ، « انك جاهل ولاشك في ذلك يا اخي الذئب ، الا تعلم ان الحمير اسماء ، وان كل حمار مكتوب اسمه على حاضر رجله اليمنى الخلفية » ، ورفع الحمار في بطيء وببساطة رجله اليمنى الخافية ، واقترب الذئب ونظر الى الحاضر ليرى اسم الحمار ، وسرعة ركله الحمار ركلة توية شديدة ، حطمت أسنانه وقذفت به عاليا ، ووقع فوق الارض يتلوى من الالم ، وجرى ناحية النسابة وهو يعوى ويصرخ ، وارتعد الثعلب فقد اذهله ما حدث ، فقال له انحمار ، « وانت يا اخي الثعلب ، الا تريد ان تعرف اسمى ؟ » ، فترجع الثعلب الى الوراء بسرعة وهو يردد ، « لا ، لا ، لا ، أنا آسف ولا استطيع ذلك لاننى لا اعرف التراءة والكتابة » ، وجرى الثعلب ناحية الغابة .

اللص الظريف

كان لأحد اللصوص ثلاثة أصدقاء غير متزوجين ، أحدهم يعمل نجارا والآخر صيادا . والثالث نجبا « سحارا » لذلك كانوا يتقبلون كثيرا ويجزون طعامهم بأنفسهم .

وفي يوم من الأيام طلب النجار من أصدقائه ان يعطيه كل واحد منهم قدرا بسيطا من النقود نظير أن يجهز لهم عشاء يتناولونه معه في داره . فأعطوه ما طلب ، وكان النجار يسكن خارج البلدة في دار صغيرة . بعيدة عن العمران .

وذهبوا اليه في الليل وتناولوا ما أعده لهم من الطعام ، ثم أخذوا يتسامرون ويشربون الشاي .

وفجأة سمعوا صفيرا كصفير الرياح ، ودويا كدوى الرعد ، وانطلقا التنديل فانتابهم الهلع والخوف ، فقام اللص وتحسس طريقه وأوقد القنديل ، فذهلوا إذ رأوا بينهم في الدار فتاة جميلة كالبدر ، شابة حسناء فانتة ، تلبس ملابس العرس وتزين بالجواهرات النفيسة، وتفحدر دموعها على خديها فتزيدها فتنة علي فتنة :

كأنت ساكنة ، تنظر إلى الإمام شاردة ، فكان خوفهم منها أكثر من دهشتهم ، لأن باب الدار مقفول ، وما حدث ، حدث في غمضة عين، فظنوها من الجان ، سألهما الصياد ، « هل أنت ملكة ؟ » ، وارتعش النجار خوفا منها ، أما المنجم فهتف ، « انها عيشة قنديشة (1) انها جنية » ، فجرى النجار من شدة خوفه وخرج من الدار فتبعه

(1) - شخصية خرافية بشرية يسمك فوكها الرب

المنجم في الحال ، ومن ورائه الصياد ، وتردد الصياد برهة ، لكنه خاف فجرى معهم بعد أن أقفل باب الدار ، لكنه وقف وطلب منهم الوقوف وقال لهم ، « نرجع إلى الدار ونتكلم معها ، فهي لن تقتلنا على أية حال » ، فلم يؤاقتة أحد لان الخوف تلك من طلوبهم ، ثم تفرقوا وذهب كل منهم إلى بيته الا النجار ، فقد بات ليلته عند صديقه اللص بعد ان اتفقوا جيبعا على اللقاء في الصباح الباكر ، ليجدوا لهذا الحادث غسيرا وللشكل حلا .

وفي الصباح تقابلوا ، وقد تبدد خوفهم ، وشجعهم اللص وأصياد نذهبوا إلى دار النجار وفتحوا الباب في حذر ، ودخلوا الدار فسم يجدوا الفتاة ، فصاح المنجم ، « ألم أتل لكم انها جنية » ، فردد النجار . « حقا ، والا نمن أين دخت والباب مقفول » ، فقال اللص ، « علي أية حال ، أن صديقنا منجم ، فان كان يقين مهنته ولا يكذب علينا ، فليعرف لنا حقيقة هذه الفتاة ، فإخذ المنجم يعبث نسي رمله ورمى حصاه ورسم الأشكال» وضرب الخروف وعدد النجوم» ، وهمهم وتتم ، ثم قال ، « أن من كانت في دار النجار أمس بنى آدم ، وهي عروس خطلها عفريت يجيها حتى لا تتزوج ، وكان في طريقه معها إلى داره حين ناداه صاحبه ، واستخضره ، فاصبح في عجلة من أمره ليذهب إلى صاحبه . فاحتر ماذا يفعل ، وكان بجانب دار النجار ، فادخلها إلى الدار ، فحفظنا منها وهرينا وتركنا الدار ، وعاد العفريت بعد ساعة وأخذها وانصرف » .

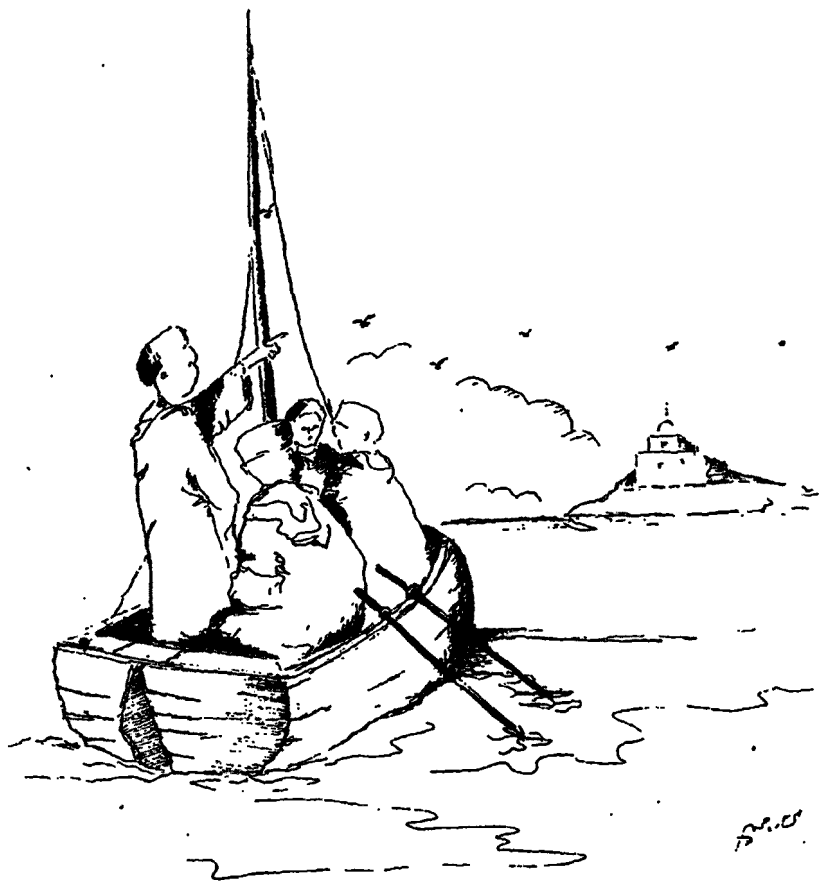
فطلب الإصغاء من المنجم أن يخبرهم أين توجد الفتاة ، فعاد يعبث في رماله ورمى حصاه ، وهمهم وتتم ، ثم قال ، « انها في جزيرة بعيدة داخل البحر وهي تعيش في قصر العفريت هناك » .

ففرح اللص والنجار والصياد ، لان المنجم كشف لهم السر، وعرفوا حقيقة الفتاة بل ومكانها ، وقال اللص للنجار ، « ها قد آن الاوان لتفتننا ، فهل يمكنك ان تصنع لنا قاربيا يتسع لنا فنذهب ونحضر الفتاة ؟ » ، فرد النجار ، « بالطبع » ، وأخذ النجار يعمل في نشاط حتى صنع مركبا متينا بأربعة مجاذف ، وابتحروا يرشدهم المنجم في طريقهم إلى شاطئ الجزيرة حيث تعيش الفتاة مع العفريت . ووصلوا إلى شاطئ الجزيرة بعد سبعة أيام ، فقال اللص ،

الآن يمكنني إنا اللص أن أسرتها من العفريت ولو كان يخبئها داخل عينيه ، « وطلب من أصحابه أن ينتظروه ، وسار حتى وصل إلى قصر العفريت ، فتسلق السور ونزل داخل القصر وتسلل داخله في خفة ، فوجد الفتاة جالسة تبكي والعفريت نائما ، واضعا رأسه على فخذه وممسكا بشعرها وقد لفه على يده ، وما إن رأت الفتاة اللص حتى سألته ، « من أنت ؟ » ، فقال لها ، « أنا واحد من الأربعة الذين ظهرت إياهم في الدار منذ أيام » ، وحكى لها ما حدث عن هروبهم وبحثهم عنها ، فهنفت ، « لقد أرسلكم الله لتفتنوني من هذا العفريت » ، فقال ، « سأقص شعر رأسك واضع حجرا تحت رأس العفريت بدلا من فخذك » ، ثم مضت أن تقص اللص شعرها ، فتقدم في مهارة وخفة ، وأخذ يسحب شعرة واحدة من خصلة شعرها التي يمسكها العفريت ، ويلفها حول يده ، ثم شعرة أخرى وشعرة ثالثة ، وأخذ يسحب الشعرة واحدة بعد واحدة من يد العفريت حتى أصبح العفريت يقبض على بضع شعيرات ، فمسحها من قبضته ثم وضع حجرا تحت رأسه بدلا من فخذه وصحبها معه ، وهرب بها من قصر العفريت ، وما إن وصلا إلى الشاطئ حيث المركب ، حتى فرح أصحابه لأنه استطاع أن يسرقها من العفريت ، لكنهم ما أن هموا بركوب المركب ، حتى أحسوا بالأرض تهتز من تحتهم وراوا العفريت مقبلا يجرى ، فقد صحا وأم يجد الفتاة وشم رائحة بنى آدم من حوله .

فنهتوا بالصياد يستحثونه على قتل العفريت ، فأمسك بتوسه وسدد سهمه ، وأطلق ، فطاش السهم ولم يصب العفريت ، وصاح الصياد ، « ياربى لم يبق لدى إلا سهمان ، وصوب سهمًا ثانيًا وأطلقه فلم يصب العفريت ، وأصبح على قرب منهم ، فصرخ الصياد ، « فليس تجد كل منكم بشيخه » ، وصاح اللص ، « دعوتى غير مقبولة » ، فصرخ الصياد « بل ادع نائله يفر للجبيح » ، وسدد السهم الثالث والأخير وأطلقه ، فأصاب العفريت في جوهرة رأسه ، فardاه قتيلًا .

ففرحوا ، وأعجبت الفتاة بالصياد الذي أنقذهم كلهم من العفريت ، ونزلوا إلى المركب وأخذوا يتحدثون ، فقال الصياد ، « إن الفتاة من حقى ، فانا الذى قتلت العفريت ، وأريد أن أتزوجها » ، فقال اللص ، « لا بل أنا الذى سرقها من العفريت » ، فقال النجار ، « أنا الذى



وأبحرو يرشدهم المنجم في طريقهم الى الجزيرة حيث تعيش الفتاة مع
العفريت

منعت المركب الذي جئنا به الى مكانها « . فصاح المنجم ، « لولاي لها
عرفتم أين توجد الفتاة ، فلن يتزوجها احد غيري » . .

واخلفوا كل يريد ان يأخذها لنفسه ، وتشاجروا ، فقاتلت
الفتاة ، « صبرا حتى نصل الى البر وتتفون » ، فسمعوا لكلامها
وجبنوا حتى وصلوا الى الشاطئ ، عندئذ قال النجار ، « لنذهب
الى القاضي ليحكم بيننا » ، فرد اللص « ان الفتاة جميلة ولسوف
يأخذها القاضي منا ويطردنا » ، فقال المنجم ، « فلنذهب الى
السلطان ليحكم بيننا » ، فرد اللص « سيأخذها السلطان منا ويأمر
بتقطع رؤوسنا » .

فقال الصياد ، « عندي حل » ، فسألوه « ما هو ؟ » ، فأجاب ،
ليتبارز كل اثنين منا حتى يقتل واحد الاخر ، ثم يتبارز الاثنان الباقين
فيقتل واحد منهما الاخر ومن يبق حيا منا سيأخذ الفتاة » ، فلم يرضوا
بهذا الحل ، فقال اللص ، « ليس امامنا إلا ان نذهب الى السلطان
لينظر في امرنا » ، ورضيت الفتاة بهذا الحل .

ومشوا جميعا الى قصر السلطان ، وكان الوقت ليلا ، فقال
اللص ، « انتظروا حتى اناديكم » ، ودخل القصر وتسلل في خفة الى
غرفة الملك ، فوجد السلطان مسترخيا واهمه الوزير يتسامران ، فنفخ
اللس البنج ، فتخذر السلطان والوزير ، وغابا عن الوجود ، فحمل
اللس الوزير ، ووضع له فوق راسه قنسوة بقرون ، وجعله في هيئة
العفاريته ، وحمله وربطه وربطه متينا في اعلى شجرة ، ثم رجع الى
السلطان ونفخ عليه ضد البنج فاناق قليلا وسأل السلطان ، « هل
نمت يا وزير ؟ » فرد اللص ، « لا بل نمت انت يا مولاي » ، فمتشعب
السلطان وهو نصف مستيقظ ، وقال له اللص ، « ساحكى لك حكاية
يا مولاي ، كان لص له ثلاثة اصدقاء ، نجار ومنجم وصياد وكانوا غير
متزوجين » ، وحكى له ما حدث من ساعة العشاء ، وحضور الفتاة
وتكل ما جرى الي ان قال ، « وعندما رجعوا بالفتاة ، خانوا ان يذهبوا
الى القاضي فيأخذها منهم ويطردهم ، فقاتلوا لنذهب الى السلطان
ليحكم بيننا ، وخانوا منه ايضا » ، فضحك السلطان وسأل ، « وماذا
حدث بعد ذلك ؟ » ، فأجاب اللص ، « تسلل اللص الى القصر ، وأبقت
اصحابه ينتظرون ، وكان الملك مسترخيا يتسامر مع الوزير كما نفضل

الان يامولاي ، نفتح اللص البنج فتخدر السلطان والوزير ، وحمل
 النص الوزير ووضع له قطنسوة بقرون ، وربطه في أعلى شجرة وعاد
 وأتق السلطان قليلا وسأله ، بماذا تحكم ، فسأل السلطان ،
 « وماذا اجاب السلطان ؟ » ، فأجاب اللص ، « يأخذها النجم » فرد
 السلطان ، « لا ، لقد اخطأ السلطان ، بل يأخذها اللص » ، فأسرع
 اللص وأحضر أصحابه ، وعاد سؤال السلطان ، « ما رايك يا مولاي
 من يأخذ الفتاة ؟ » ، فأجاب السلطان « قلت لك لا يأخذها غير اللص ،
 فهو ظريف » ، فصاح اللص ، « لقد حكيت يا مولانا واننا راض
 بحكمك » ، وانصرف اللص واصحابه .

وبعد ساعت اتقى السلطان ، فسمع صياحا يأتي من الحديقة
 فنادى الحراس وسألهم ، « ما الخبر ؟ » فأخبروه بأن في الحديقة
 عفريتا فوق الشجرة ، فذهب السلطان الى الحديقة ، وتشجع
 الحراس بوجود السلطان بينهم ، وصعدوا الشجرة ، وانزلوا الوزير
 وأزالوا القطنسوة والقرون ، وأندهش الملك وسأل الوزير ، « ما هذا ؟ » ،
 فأجاب الوزير ، « والله لا أستطيع ان أفسر ما حدث لي ، ولا أعرف
 كيف حدث » ، فقال الملك ، لقد حكيت لي حكاية اللص واصدقائه
 والفتاة الي خطبها العفريت وأخذوها منه وقتلوه » ، لكن الوزير
 أنكر أنه حكى حكاية للملك ، فأعاد الملك الحكاية ، وسأل الوزير
 مرة أخرى ، فأنكر الوزير ، فعزف الملك ان اللص قد تسلل الى القصر
 حقيقة ، وخدره هو والوزير بالبنج ، وعلق الوزير في الشجرة ، لان
 ما حكاة قد حدث ، وأعجب السلطان بهارة اللص الفاتحة الحد
 وظرفه ، وقال للوزير ، « لقد كان في امكان اللص ان يسرق ، أو
 يقتلنا ، ولذلك ارى ان نعطي له الامان ، ليظهر ويتقدم الينا » ، فقال ،
 « نعم نعطي له الامان ، وحين يجيء الينا نقتله » ، فلم يرض
 السلطان بهذا الرأي وأنب الوزير .

ونادى المتنادي ، « ان من حكى حكاية للسلطان ، يظهر وله
 الامان » ، وعندما سمع اللص بذلك توجه الى القصر .

ولما مثل امام السلطان قبل الارض بين يديه ، وسأله
 السلطان بعد ان ضحك كثيرا ، « لكن اريد ان أعرف ، لماذا ربطت
 الوزير وعلقتة فوق الشجرة ؟ » ، فأجاب اللص ، « باننى ان تكلمت

مع اى شخص كبير ، يقاطعنى دائما من كان حوله ، لقد خفت ان
يقاطعنى الوزير وانا احكى لمولاي « ، فقال السلطان ، « انك رجل
ذكى وظريف ولا يصح ان تكون لصا » ، فاعلن اللص توبته ، وعينه
السلطان حارسا لبیت المال حتى لا يسرقه احد .

التاجر المخادع

كان الرجل يعمل تاجرا ، يبيع ويشتري مختلف أنواع الشاي ، وفي يوم اشترى كمية كبيرة من الشاي الرديء بثمن رخيص ، لكنه لم يخفض سعره وظل يبيعه بثمن الشاي المساوي الجيد .

وتضايق الكثير من الزبناء ، واشتكوا ، وبينوا للتاجر ان الشاي الذي يشترونه منه رديء الى درجة كبيرة ، لكنه كان يخدعهم بمسول الالفاظ ، ويطيب خاطرهم ، ويحجج بمختلف أنواع الحجج الكاذبة .

وكان اكثر الزبناء تنمرا رجل عجوز ، وفي اول الامر قال له التاجر : « انا لا اشك في صدقتك ، لكن صدقتى ، ان الشاي جيد النوع وربما كان سبب شكواك ، الماء ، فاحيانا يغير ماء البئر من طعم الشاي ورائحته » .

وانصرف العجوز وقد صدق ما قاله له التاجر ، ولم يعد يأخذ من ماء البئر ليصنع منه الشاي ، واحضر الماء من عند جاره ، لكن مذاق الشاي الرديء لم يتغير .

نذهب العجوز الى التاجر ، واشتكى له مرة اخرى ، فقال له التاجر ، « ربما يرجع السبب الى البراد ، فقد يكون قديما او لم يغسل جيدا » .

وانصرف العجوز ، واشترى برادا جديدا ، وغسله جيدا ، وجهر انشاي ، لكن الطعم الرديء لم يتغير .

ورجع العجوز الى التاجر ، وبين له انه قد غير الماء ، واشترى



برادا جديدا ونظفه ؛ ومع ذلك فان مذاق الشاى ظل كما هو ، رديئا الى درجة كبيرة .

ف فكر التاجر برهة ، ثم قال للمجوز : « آه ، لقد عرفت السبب انه الفحم ، أن الفحم الرديء ي تلف الشاى ويجعله رديئا » .

مذهب المجوز الى الفحم ، وأختار اجود انواع الفحم ، وغسل انبراد ، وأحضر ماء من عند جاره ، لكن ذلك لم يغير من الامر شيئا .

وأسرع المجوز الى التاجر ولخبره بما فعل ، فهتف التاجر ، « لقد نسيت ، الآن عرفت السبب ، قل لى يا عماه ، كيف توقد الفحم وتشعله ؟ » ، فأجاب المجوز بندهشا ، « اشعل فيه النار وانفخ عليه بالمتفاخ » ، فصاح التاجر ، « هذا هو السبب ، فوهة المتفاخ ، ربما كانت أضيق أو اوسع من اللازم » ، فصاح المجوز ، « وآله لن أغير هذه المرة المتفاخ ولا فوهته أنك تاجر مخادع » ، وانصرف المجوز غاضبا .

أهلها أحق منها

كان الرجل يعمل تاجرا ، دائم السفر والترحال ، وذات يوم جهز قافلة وحملها بمختلف السلع ، لكنه كان حذرا فقد عرف بخبرته وتجربته ان لا يامن للزمان ، لان الريح والخسارة في علم الغيب لا يعلمهما إلا اللعنجلت وتمالت قدرته ، لذلك أبقى نصف ماله في داره وأوصى زوجته ان تحفظه لدواير الزمان (1) ، وقال لها ضاحكا ، « هذا ليس مالى او مالك ، بل ان له صاحبا هو داوير الزمان ، فوعدهت المرأة بحفظ المال لصاحبه دواير الزمان .

وبعد أيام سافر التاجر مع قافلته ، ليبيع ويشترى ، قاصدا بلادا بعيدة ، وخبأت الزوجة المال في قدر لتحفظه كما وعدت زوجها .

ومضت أسابيع ، وذات يوم دق باب دار التاجر متسول يطلب صدقة ، فردت عليه الزوجة ، بالقول المعتاد ، « الله يعطيك » ، لكن المتسول ألح كمادة المتسولين ، فأجبت ، « ليس عندى مال » ، فرد ، « أعطيني اى شيء ، فانا أتاسى الجوع ولم أكل منذ ثلاثة أيام ، أعطيني اى قدر من المال » ، فقالت المرأة ، « ليس عندى الا اموال دواير الزمان ولا أستطيع ان أعطيك منها » ، فضحك المتسول يائسا وظن ان المرأة تسخر منه وقال ، « وهل تعرفين إبتها المرأة المنمة دواير الزمان ؟ » ، وتنهده وهو يردد ، « دواير الزمان » ، فانددهشت المرأة وكانت على قدر كبير من السذاجة وسألته ، « أتعرف أنت دواير الزمان ؟ » ، فأجاب في مرارة ساخرا ، « اعرف دواير الزمان ، ومن يعرفه غيرى ، أنا دواير الزمان » ، يقصد ان يقول لها انه فقير ويعرف (1) - كلمة مصرية « هابة » معناها ايلم الضيق وقلة الرزق وأصلها ، « انا دار الزمان » .



فهمتفت : « سامحني يا عم! دوايير الزمان، لم اعرفك، ولماذا لم تقل من اولك لحظة أنك دوايير الزمان، ولماذا لم تجئ منيذ أسابيع لتأخذ أموالك.

الفقر ، وكل أيامه ضنك ، فهتفت ، « سابحنى يا عم دواير الزمان ، لم اعرفك ، ولهذا لم تقبل من اول لحظة انك دواير الزمان ، لهاد لم تجيء منذ اسابيع لتأخذ اموالك ، لقد تركها زوجى لك ، واوصانى ان احفظها من اجلك ، اصبر فساحضرها لك » ، وجرت المرأة الى داخل الدار .

فتفتح المتسول فمه من شدة الدهشة والعجب ، فقد اتدفعمت المرأة فى الكلام وقالت ما قالت ، وهو غير مصدق لها حدث ، وظل واجبا . وانتابه الدوار ، لكن المرأة عادت تحمل قدرا ثقيلا واعطته له ، فحمله بين يديه ومضى الى حال سبيله وهو يردد ، « هذا رزقى ، وقع علي من السماء » .

ومضت شهر وشهور ، وعاد التاجر الى داره ، عاد حزينا مهموما ، فقد اصابته الخسارة تجارته ، وفقد كل لماله ، وبعد ان حكى ما حدث له لزوجته ، وبين لها ان حظه كان سيئا ، فقد تقلبت الاسعار ، وفقد كل ماكان معه ، وتهد وقال ، « انحمد لله لاننى ايقيت نصفه اموالى هنا فى الدار ، احضرى لى يازوجتى المال » ، فسألته ، « اى مال يا زوجى العزيز ؟ » ، فرد ، « مال دواير الزمان » ، فضحكت وقالت له ، « ولكن دواير الزمان جاء بعد سفرك باسابيع ، واخذ ماله » ، فتهق التاجر وصرخ واستفسرها ، واخذ يهزها ويسالها ، « اى رجل ؟ من هو دواير الزمان ؟ احكى لى ما حدث » ، فروت له المرأة ما جرى لها مع ذلك المتسول بالتفصيل .

فكاد الرجل ان يصعق ، وكان يعلم ان زوجته علي قدر من الحق ، لكنه لم يكن يتصور ان تصل الامور الى هذا الحد ، وصرخ التاجر ، « لا بد ان اذهب الى اهلك واشكوك اليهم ايتها الحقااء ، كيف تزوجتك ايتها المرأة » ، ذلك ان التاجر كان قد زوجته امه من هذه المرأة .

فقرز ان يسافر الى بلاد زوجته ، ليشكو اليهم حقها ، ويطلب منهم المساعدة او يطلقها ويردوا له الصداق .

واخذ التاجر طريقه الى بلاد زوجته ، ولم يكن له دابة يركبها ، فسار على رجليه اياما واسابيع حتى وصل الى مشارف بلدة زوجته ، وكان الطريق الطويل قد غير هيئته ، فقد اتسخ جسمه ولطخ التراب

ملابسه ، وأنهكه آسیر والتعب ، لذلك حين وجد عينا من الماء تحوطها
الأشجار جلس بجانبها ، وخلق ثيابه واخذ يغسلها حتى يقابل أهمل
زوجته في حياة حسنة ، وعلق ثيابه لتجف فوق شجرة ونزل ليستحم
في العين .

وجاءت بعض نساء القرية ليلان الاوعية بالبهاء من العين ،
نأحس الرجل بالحرج وحاول ان يتوارى عن الانتظار ، لكن دون فائدة،
وكانت راسه بالطبع تظهر فوق الماء ، فتراتها امرأة وهتفت ، (انظرن،
انظرن) ، وهتفت أخرى ، « باسم الله ، باسم الله » ، وسألت
الثالثة هلمة ، « أنسى أم جنى ؟ » ، وأخذت النسوة الهلمسات
يسلمن ويسألن ، « أنسى أم جنى ؟ » ، فاندھش التاجر وتحقق من
حقيقتهم ، فرد ، « أنسى » ، فأخذن يسألنه ، « ومن أين أتيت ؟ » فرد
ساخرا ، « من الآخرة » ، فبكت احداهن ولولت وتالت له ،
« استخلفك بالله هل قابلت ابنتى خدوج ، لقد ماتت في الاسبوع
الماضى ؟ » فأجابها ، « نعم قابلتها » ، فسألته المرأة ، « وهل تريد
خدوج شيئا ؟! انى على استعداد ان اعطيها كل ما كانت تحبه من
دمالج (1) وعقيق ومضمة (2) ، ان كان ذلك يدخل السرور على نفسها؟ » ،
وقبل ان ينيق التاجر من دهشته ، اندفعت امرأة أخرى في البكاء ،
وسألت عن أمها وعرضت ان ترسل لها معه مجوهراتها ، فأجاب
التاجر ، انه راجع بسرعة الى الآخرة وعلى استعداد ان يوصل كل
شيء الى الاموات ، فرجته بعض النساء وتوسلن اليه ان يحمل أشياء
كثيرة الى من فقدن ، واخرى اتوصينه بتبليغ السلام والاشواق ،
فوعدهن باجابة مطالبهن .

وتحقق ان الحمق متوفر في هذه البلدة ، وأوضح للنساء انه
ليس لديه وقت كثير يضيعه ، فأسرعت النساء لتحضرن له ما يرغبن في
ارساله الى مقيداتهن .

وعدن بسرعة وما ان مضت دقائق حتى كان تد ملاً صندوقاً
بالجواهر والاموال وانخر الملابس ، وأخذت النساء تثرثن ، هذه
توصي بالسبلم الى جدتها واعطائها عقدها اللؤلؤى والاخرى ترسل
الدهاليج ، وثالثة الجوهر ، واخرى تنطنا خريريا نفيسا

(1) - دمالج : اساور

(2) - المضمة : حزام من الذهب او الفضة تزين به النساء في المغرب .

كل ذلك والتاجر غائص في الماء غير مصدق ما يجري أمام عينيه ،
وتأكد من حق نساء هذه البلدة ، وأخيرا صرخ التاجر ، « لقد حان
بعماد رجوعي ، فليكن بالانصراف لانه محرم على أن اظهر امامكن ،
لكن النساء استمررن توصينه وتستطفنه بالله أن يهتم برجائهن ،
وانصرفن أخيرا بعد أن اظهر التاجر غضبه من بقائهن .

وخرج التاجر من العيين ، ولبس ثيابه وتأكد ان اهل زوجته
أحبق منها ، ولا نائدة من الكلام معهم ، أو الشكوى اليهم ، وفرح بما
جمعه في الصندوق وحمله فوق رأسه وسار عائدا في طريقه الى بلدته.

وحين عادت الفسوة الى البلدة ، وكانت من بينهن واحدة أرسلت
الكثير من الجواهرات الى أختها ، وكانت منفعة أشد الانفعال ،
وعندما رجع زوجها الى الدار لسرعت تخبره بما حدث ، فاندھش
الرجل وصاح غاضبا ، « يائلمتاء ، فقد عرف أن النساء قد خدعن ،
وأسرع الى حصانه ليلحق بالحتال ، وبينما كان التاجر يسير حاملا
الصندوق فوق رأسه، رأى من بعيد غبارا يتطاير وشبح حصان يجري
مقبلا نحوه ، وكان الى جانبه حقل من الذرة فتوقف ، ودخل الحقل ،
وخبا الصندوق بين أعواد الذرة ، وأمسك بعض الاحجار واخذ يرميها
اتجاه الطيور وكأنه صاحب حقل الذرة يطارد الطيور ويبيدها عن
محصوله .

واقترب الرجل راكبا حصانه ، ووقف على مقربة من التاجر
وسأله ، « هل رأيت رجلا يسير ويحمل صندوقا ؟ » ، فأجاب التاجر:
« نعم لقد رأيت رجلا يسير ويحمل صندوقا » ، ففرح الرجل وسأله،
« وفي اى اتجاه سار ؟ » ، فرد التاجر ، « انه دخل حقل الذرة ومضى
في هذا الاتجاه » ، وأشار الى ناحية بعيدة من الحقل واستطرد ، « ولماذا
انت في عجلة وتسال في لهفة عنه ؟ » ، فأجاب الرجل ، « انه محتال
ولص واريد أن ألحق به » ، فقال له التاجر ، « لقد مر من هنا وكان
يحمل صندوقا ويبدو عليه التعب والانهك » ، فقال له الرجل ، « لكننى
لا أستطيع أن أسير في حقل الذرة راكبا الحصان ، فأرجوك أن تحرس
الحصان حتى ألحق به وأمسكه » ، ونزل من فوق الحصان وأعطى
لجابه للتاجر ، وجرى في حقل الذرة في اتجاه الناحية التى أشار اليها
التاجر ، وما ان ابتعد الرجل حتى احضر التاجر الصندوق من بين

أعواد الذرة، ووضعها فوق الحصان وركبه وجرى به ، فانتبه الرجل والتفت ، وأذهله ما رأى ، لقد رأى الحصان يجرى وقد ركبه التاجر وأباه الصندوق .

فأخذ يصيح ، ويطأه بالرجوع ، لكن التاجر رد عليه من بعيد ، « اعذرنى ، لقد أخذت الحصان ، لاني أود ان اذهب الى الاخيرة بسرعة ، لاوصل الحاجيات الى اتاريكم الموتى » ، فجرى الرجل في سرعةً مخترقا حقل الذرة ليلحق بالتاجر .

وثناء جريه كان يكسر أعواد الذرة ، وزآه صاحب الحقل الحقيقي، فجاء مسرعا وقد ظن انه أحد اللصوص اتي ليسرق محصوله ، فامسك به وانهال عليه ضربا بالمصا .

أما التاجر فقد رجع الى زوجته راكبا حصانا ، ومحملا بصندوق مليء بالجواهر والملابس ، ودخل الدار وهو يردد ، « أهلها أحق منها » .

الكبي بالسكين

كان الرجل ميسور الحال وقد رزقه الله بسبع بنات ، ومضت السنوات وكبرت البنات وأصبحت شبابت جبهيلات ، لكن الأب كان يحب بناته ولا يريد أن يسرع بتزويجهن ويتمنى أن يزوجهن خير الرجال .

وفي يوم دخل الرجل الى داره دون أن تشعر به الفتيات ، وكان يتحادثن عن آمالهن ورغباتهن في الزواج ، فقالت واحدة منهن ، « انى احب ابن عمى فلان واود ان اتزوجه » ، فتوقف الاب في مكانه مذهولاً ولم يتحرك ، وبقى يستمع ، وقالت بنت اخرى ، « انا انا فيكاد المشق ان يهلكنى ، انى احب ابن خالى فلان ولا بد ان اتزوجه » ، وقالت ثالثة ، « حبيبى خفيف الروح ثريف ولطيف ، من يجمعنى به ويزوجنى له ، فانى احبل من ابى ولا استطيع ان اطلب منه ان يزوجنى اليه » ، وقالت الرابعة ، « ان لم يرض ابى ان يزوجنى من ابن خالى فلان فساقتل ندى » ، وقالت الخامسة وهى تضحك ، « انا احب ولد جارنا .

نشونوا ويشوننا

ما يجب حد اخبارنا (1)

وقالت السادسة ، « اريد ان اتزوج ولو رجلا اترع لكن يجب ان يكون غنياً وانا على استعداد ان اتبل راسه القرعاء كل يوم ، » اترع ويفلوسه ، هلت لى راسه نبوسه » ، وقالت السابعة وهى تتشهد ، « اريد حنطر بنطر كطايته (2) اكثر من رطل » .

وأدرك الرجل انه قد اخطأ ، وكان يجب عليه ان يزوج بناته منذ

(1) - لا يطلع أحد على سرنا

(2) - كطلة : خبيرة من الضمر ، اكثر من رطل ، المعنى ان تكون خبيرة طويلة .

مدة طويلة ، لذلك غير رايه واسرع بتزويجهن ، فزوج الاولى الى ابن
عها ، والثانية الى ابن خالتها ، والثالثة الى حبيبها خفيف الروح ،
والرابعة الى ابن خالها حتى لا تقتل نفسها ، والخامسة الى ابن الجيران
والسادسة اليه رجل اترع غنى .

اما السابعة فقد احتار لانه لم يجد ، « حنطر بنطر كطايته اكثر من
رطل » . وظل يبحث حتى وجد رجلا له هذه الصفات ، لكنه كان فقيرا
ويعمل « كياسا » (1) في الحمام ، نذهب اليه وقال له ، « اننى اعرف
انك رجل فقير لكننى ساعطيك ابنتى هدية ، سزوجها لك ولن اطلب
منك او اكلفك شيئا ، نوافق الرجل نرحبا ، وذهب الاب الى السوق
واشترى الاثواب الملائمة والحاجيات الاخرى ، وزف ابنته الى الرجل
انذى تمتت الزواج به .

ومضت الأيام وحملت الفتاة لكن زوجها كان فقيرا ، فمقاست
كثيرا وتآلمت ، فالفقر يسبب الكثير من المشاكل ، واضناها الحرمان
من ضروريات الحياة .

ومضت عدة شهور ، واخذت تتوحم واشتمت سمك الشابل (2)
اكن زوجها لم يتدر ان يحضره اليها ، ففكرت ورات ان تذهب وتزور
اختها التي تزوجت الاترع الغنى ، وتطلب منها ان تحضر لها ما اشتمته
من الطعام . وذهبت الفتاة الى اختها ، فرجبت بها الاخت وكرمتها ،
وقدمت لها الحلوى ، وادخلتها الى غرفة واسعة مليئة بالفراش الوثير
والوسائد الحريريّة المطرزة ، واخبرت الفتاة اختها انها تتوحم وترغب في
ان تاكل سمك الشابل الشهى متليا ، فأسرعت الاخت وارسلت احدى
خادمتها الى السوق ، وطلبت منها ان تشتري كمية كبيرة من سمك
الشابل .

وسرعان ما عادت الخادمة ، فابرتها سيدتها ان تجهز السمك
وتقلبه بسرعة ، وناحت رائحة السمك الملقى الشهية ، فذهبت الفتاة
مع اختها الى المطبخ حيث يقلون السمك ، وحين نصجت بعض الاسماك
اخرجتها الخادم من المقلاة ووضعتها في طبق ، وكأنت الاخت صاحبة
الدار تساعد الخادمة بسكين ، تقلب به السمك في المقلاة ، وتناولت

(1) - رجل يعمل في الحمام ويهتم بإعادة المستحمين .
(2) - سمك يوجد بالإتجار الذى تصب في المحيط الاطلسى .



فهمست ياطف يد أختها بالسكين الساخنة التي تقلب بها السمك.

الثقاة التي تتوحم قطعة من السمك المظلي بسرعة وأبلمتها ، فتضايقت
الاخت من فعل أختها أمام الخادمة ، نهست بلطف يد أختها بالسكين
الساخنة ، التي تقاب بها السمك ، وقالت لها ، « أصبرى » ، نحرقت
السكين يدها ، وصرخت الاخت وقالت ، « الكى بالسكين ولا راجل
بسكين » (3) وصارت مثلاً .

(3) الكى بالسكين الساخنة أهن من الزواج برجل فقير

الظائر الأزرق

كان حتى كان ، كان الله في كل مكان ، كانت امرأة عجوز تجلس على شاطئ النهر ، غسلت صونها ، ثم نشرته فوق اغصان الاشجار ، وظلت تنتظر حتى يجف ، واتبلت حمارة محملة بالوانى والاطباق والكؤوس ، ووقفت على مبعدة من العجوز ، ولم يكن هناك احد يتود الحمارة ، او يسير وراءها ، وفجأة تحركت الاثياء فأخذت الاطباق والكؤوس والوانى ترتفع قليلا بهدوء وخفة في الهواء ، ثم تنزل الى الشاطئ وتتراجع في نظام حتى تغطس في الماء وتعلو وتهبط وتدور وتفسل نفسها بنفسها ثم تعود في نظام ، الطبق وراء الطبق ، والاثية الصغيرة فوق الاكبر منها ، والكأس وراء الكأس ، وجمعت نفسها فوق ظهر الحمارة ، ثم استدارت الحمارة ، وسارت في الطريق الذي يبدو انها تعريه .

فذهلت العجوز لما رأت واستبد بها العجب ، وأرادت ان تفهم الامر وتعرف السر ، فقامت وجمعت صونها نصف مبال ومشت وراء الحمارة وتبعتهما .

ووصلت الحمارة الى قصر جبيل يحيط به بستان ، وما ان اقتربت من الباب حتى انفتح الباب دون ان يفتح انسان ، فدخلت الحمارة وتسللت المرأة وراءها وانتقل الباب ، وظلت الحمارة تسير فوق المرات المعشوشبة : والمنسقة بقتان بين الاشجار المحملة بأشهى الثمار ، وانتشرت الورد في كل مكان في اسواق ونظام ترتاح لראها العيون ، وينعش غيرها القلوب ، حتى وصلت الى باب القصر فافتتح الباب ولم يظهر انسان ، وطارت الاوانى والكؤوس والاطباق ، والصوانى بخفة في الهواء ، ودخلت القصر ، فمشت العجوز وراءها



وأقبلت حمارة محملة بالوانني والاطباق والكؤوس ووقفت على مبعدة من
العجوز

مندهشة لما يحدث لهما ، ودخلت الاشياء الى غرفة متسعة فيها بعض الارائك المكسوة بالحريز الثمين ، وبعض المسائد التي وضعت حول بساط فاخر ، وما ان دخلت الاشياء الحجرية حتى جاءت مفضدة بحمولة في الهواء ، مثل الاواني ، ووضعت المنضدة نفسها في منتصف الحجرية ونزلت الصواني والاطباق والاونى والكؤوس فوقها ، ثم جاءت طائرة في الهواء بخفة ونظام امناف فاخرة من المأكولات ، دجاج ولحوم ناضجة ، وخضروات ونباتات وكل ما لذ وطاب ووضع نفسه نسي الاطباق حتى أصبحت مائدة الطعام معدة وجاهزة .

وسمعت الهراة العجوز شيئا خفيا من الضوضاء شبيها بحفيف الطيور وهي تطير في الهواء، فاختبات وراء آلباب ، ودخلت الغرفة طائران كبيران لم تر العجوز لهما مثيلا من قبل ، فلم تعرف من اي انواع الطيور هما ، لانها كتبت على قدر كبير من الحسن والجمال والفتنة ، يلعب ريش كل منهما ويضئ فيخطف سناه الابصار . أحدهما أحمر اللون عيناه حمراوان ، ومنقاره وردي والآخر في لون السماء أزرق العينين ، هبط الطائران في هدوء في الغرفة يرفرفان باجنحتها ، فانتشر في الحجرية عبر عطر أجمل من عبر الورد ، وما ان هدأت حركتهما حتى انتفض كل منهما فجأة وخلع ريشه ، وتحول الى انسان ، ولصيح الطائر الأحمر شابا جميلا فتانا له عينان حمراوان ، لونهما كلون الياقوت النفيس ويلبس ملابس الامراء ، وفي أصابعه خواتم شينة وحول عنقه قلادة مطعمة بالأحجار الكريمة ، وصار الطائر السماوي أمرا أشد نفنة وأروع حسنا من صاحبه، تتبعث من عينيه الزرقاوين الجبيلتين نظرات ساحرة ، وذهلت العجوز لما رأت فكتمت لنفسها حتى لا ينحظان وجودهما .

وجلس الاميران يتناولان الطعام ، وكان كل صنف ينتهيان منه بطير طبقه في هدوء وينزل على مائدة مجاورة ، الى ان أتى طبق من البللور مليئا بالبرتقال الناضج المسنوي الشكل ، الشبيه بكرات ذهبية؛ فتوقف الأمير صاحب العينين الزرقاوين عن الطعام ثم مد يده وأمسك ببرتقالة وأعطاهما لأخيه الأمير صاحب العينين الحمراوين وقال ، « هذا نصيبك يا أخى » ، وأخذ ببرتقالة أخرى ووضعها في طبقه وقال ، « وهذا نصيبى » ، ثم تناول ببرتقالة ثالثة وأخذ ينظر إليها في وجد ورقة وهيام وقال بصوت عذب مؤثر ، « وهذا نصيب حبيبتى الاميرة

مأثمة الغائبة عن العيون الحاضرة دوماً في القلوب « ، ويكى ، وبعد أن انتهيا من تناول الطعام ، أخذت الاواني والصواني والاطباق والكؤوس تطير في الهواء بهدوء وتخرج من الغرفة ، حتى وصلت عند الحجرة ، ورضت نفسها نوق ظهرها ، وسارت الحجرة ، وتسلت الحجوز وتبعمتها ، وانفتح باب البستان ، ثم انتقل ، وسارت الحجرة الى شاطئ النهر ، أما العجوز فقد رجعت الى دارها .

اما الاميران فما ان انتهيا من الطعام حتى قاما ، وليس كل منهما ريشه وانتفض وتحول الى هيئة طائر ، هذا مساوى وذاك احمر ، وطارا بعيدا حتى هبطا على ريوه امام شرفة قصر الاميرة عائشة ، وكانت الاميرة واقفة في الشرفة تنتظر ، وما ان راتهما حتى رددت في صوت حنون رقيق ، الطائر المساوى ، الطائر المساوى حبيبي ، كانت الاميرة عائشة قد رات الطائر المساوى منذ زمن لاول مرة ووقعت في حبه ، وكان يجيء كل يوم مع اخيه الطائر الاحمر وينزلان على الريوه ، ويتقدم الطائر المساوى قليلا فيفتن بحره الاميرة ويعصف بقلبها ، كانت نجه وتهواه ، لكن كيف نكله وهو طائر صابت ، ابا هو فكان يعشتها ويهواها ، ويجيء اليها كل يوم ، لكنه كان غير قادر على الانصاح عن حبه ، لكن عيون الزرقاء كانت تقول لها اشياء وتهيم بها في عالم مسحور سطرى بالبهجة واللذات ، ومضت ثلاث سنوات والحب ينمو ويشتل في القلوب .

وكانت الاميرة تتعذب في حبه ، نهى لاتدرى شيئا عن تصة الامر ، انها تحب ذلك الطائر الفتان ، لان عينيها الانسانيين تكلمتاها وتعدتاها بجنة الاهلام ، فهل هذا صحيح ؟ ، وهى تجهل الحقيقة ، ذلك لان الامر حولته هو واخاه ساحرة ، وكان عليها ان يظلا على هيئة طيور مدة من الزمان قاربت الانتهاء ، ولم يستطع الامر ان يخبر حبيته ، وعليها ان تصبر دون ان تعرف ، فكان عذابها اكثر من عذابه وحبه اقوى من حبه ، ونظرت الاميرة الى الطائر المساوى ، فتناجيا بالعيون ، حتى ناضتا بالدموع ، نخلعت الاميرة عقدها المرصع بالجواهر ورمته الى الطائر المساوى فابتلع حباته وطار يتبسمه الطائر الاحمر .

ولم تستطع الاميرة صبرا ، فقد اضناها الحب ، نجرت الى داخل قصرها ، وناذت جواريتها وامرت واحدة منهن ان تلبس ثيابها

وتأخذ مكانها ، وأخبرتها انها سترحل فان رجعت فستعود الامور الى جراها ، وان لم ترجع فستظل تلبس ملابسها وتقوم بدورها .

وحملت معها شيئا من مجوهراتها وصرة من المال ولبست ملابس الجارية وخرجت من القصر تريد ان تبحث عن الطائر السهاوى ، فهو يجرى من هناك ، من وراء الرتبة ، ترى اين يعيش ، ولماذا يجرى دائما من هذه الناحية ؟ انها تحب ، وتريد ان تعرف كل شيء عن حبيبها .

وكان الوقت عصرا حين غادرت الاميرة قصرها وسارت نسي طريقها دون ان تدري الى اين تذهب ، فكل ما تعلمه ان حبيبها يجرى من هذه الناحية ، فاخذت تنظر الى الاشجار ظمرا تراه او السى الساب عليها تلحه ويلمحا ، ولم تجده ولم تسعد عينها برؤياه او يخفق قلبها لوجوده .

وظلت تمشى حتى غابت الشمس وحل الظلام ، وراى ضوء كوخ على بعد ، فاقتربت منه ودفقت الباب ، ففتحت الباب المرآة المعجوز، التي تبعت الحمار منذ ساعات .

ورحبت بها المعجوز وأدخلتها كوخها ، وجلست الاميرة ترتاح ، فقد كانت متعبة ، وسألت المعجوز ان تقضى عندها ليلتها فاجابتهما المعجوز ، « مرحبا يا ابنتى ولتسامحيني لاننى فقيرة وليس لدى فراش وثير ، الا تلك الحشية التى انام عليها ، فان اردت فلتنامى بجانبى ، » فشكرتها الاميرة وقدمت المعجوز لها عشاء بسيطا ، وبعد العشاء جهزت لها « اناى » الشاى ، وشربتنا بضعة اقداح ، وسألت الاميرة المعجوز ان تحكى لها خرافة لتسليها قبل النوم ، فقالت المعجوز ، « سأحكى لك يا ابنتى حكاية رايتها بمعنى وهى أغرب من الخيال ، فقد ذهبت اليوم الى شاطئ النهر لاغسل شيئا من الصوف ، وعلقته ليجسف فوق الاغصان ، فجاءت حمارة محملة بالصواني والاوانى والاطباق والكؤوس . . » وضمت المعجوز تحكى ما جرى لها للاميرة ، حتى قالت ، « وهبط طائر سهاوى له عينان زرقاوان ساحرتان وطائر احمر صاحب عينين حمراوين » ، فخفق قلب الاميرة وجاشت عواطفها وامسكت بيد المعجوز منفعلة ، واخذت تسالها اسئلة قصيرة سريعة حائرة ، والمعجوز تجيب وتشر تشوق الاميرة ، التى تاكدت انه الطائر

السماوي حبيبها وحين قالت المعجوز ، « وتحول الطائران الى بشر » ،
صرخت الاميرة ، « وما شكل الإنسان الذي تحول اليه الطائر السماوي » ،
فوصفته المعجوز ، « امير فتان تشع عيناه الزرقاوان سحرا لا يقاوم ،
وهو مفتول العضلات مستقيم العود وله ، شارب جذاب ولحية صغيرة
تزيد وجهه الجميل اشراقا فوق اشراق ، ويفوح منه عبير اجمل من
عبير الورود » .

وما ان قالت المعجوز ان الامر ابقى يرتقالة وقال ، « وهذا نصيب
الاميرة عائشة لتناثبه عن اعيون الحاضره دوما في القلوب » ، حتى كاد
تلب الاميرة يكف عن الخفتان ، وغابت عن الوجود .

فرشت المعجوز الماء على وجه الاميرة الى ان انفتحت وهى تردد ،
« يحبنى يحبنى ، يحبنى الامر ، ناشدتك الله يا عمى ان تاخذينى بمسك
في الغد الى شاطئ النهر » ، فوعدها المعجوز .

ونابت الاميرة سعيدة فرحانة ، تحام بالطائر السماوي صاحب
العينين الزرقاوين الجميلتين ، ذلك انذى يتحول الى امير يشع من عينيه
السحر وتبلا انفاسه العطرة كعبير الورود المكان حوله ، ولم تستطع
المعجوز ان تمام ، لان الاميرة كانت تناجي حبيبها في الاحلام ، وبين الفينة
والفينة تهتف ، « يحبنى ، يحبنى ، يحبنى الامر » .

وفي الصباح نهضت الاميرة مبكرة غير مصدقة ان ساعة اللقاء
قد اقتربت ، وازادت ان تذهب الى شاطئ النهر في الحال ، لكن المعجوز
بينت لها ان الحمامة لا تجيء الا ساعة الظهر ، فهتفت بها ترجوها ان
تعيد عليها ما روته لها من قبل ، وان تصف مرة اخرى شكل الطائر
السماوي ، وكاتت المعجوز تحكى في طلاوة ورواء ، سألتهما التكرار ،
وكاتت لا تشبع ولا تهدأ ، ويسعدهما ان تسمع المعجوز تزيد وتعيد ، ذلك
ان الحب اضناها منذ وقت بعيد فقد صبرت وعانت ، وعصفت بقلبها
آلام العشق والهيام .

وقبل الظهر بساعة كانتا عند شاطئ النهر ، المعجوز تفنسل
صونها وتعلقه فوق الشجر ، والاميرة تحلم بلقاء الحبيب ، شاردة
هائمة ، وتطلب بين الفينة والفينة من المعجوز ان تعيد حديثها .

وابصرت الاميرة الحمامة مقبلة من بعيد تنهذى بحملها ، فهتفت

في لهنة تخبر المجوز وهي تقفز نرحمة ، « هاهى الحماره » ، فأومات
 العجوز برأسها وقالت ، « نعم يا ابنتى » ، وكما حدث من قبل أقتربت
 الحماره من شاطئ النهر ويدات الاوانى والكؤوس والاطباق تتحرك في
 الهواء وهبطلت الى ماء النهر في خفة وهدهد وغسلت نفسها في نظام ثم
 عادت الى ظهر الحماره التى اخذت تسير عائده الى انقصر ، ومشت
 الاميرة تتبعها العجوز ، وانفتح الباب ، وسارتا بين ممرات الحديقة
 القناء ودخلت الحماره انقصر ، وجاءت المائدة ، واختبات الاميرة خلف
 (حفة) مصراع الباب الابهن والعجوز خلف مصراع ابواب الايسر ،
 وعطر العبير الجو وزفر الطائران بجناحيهما وهبط الطائر السماوى
 اللتان يتبعه الطائر الاحمر ، ونفض كل منهما ريشه ، وتحول الى امر
 جميل يلبس افخر الثياب ويتحلّى بانفس المجوهرات ، وكادت الاميرة ان
 تغيب عن الوجود ويتوقف قلبها عن الخفقان ، فقد كان الامر حبيبا صاحب
 العينين الزرقاوين اجمل ألف مرة مما تالت العجوز ، ساحرا فتنا يشع
 وجوده ضياء ويشرق وجهه الصبوح كما تشرق الشمس في الصباح ، وجلس
 الامر واخوه امام المائدة ، وجاء الطعام الفاخر وملئت الاطباق ، وكل
 الاميران ما لذ وطاب ، ثم جاء البرتقال الذهبى واعطى الامر اخاه
 برتقالة ، قائلا ، « هذا نصيبك ياخى » ، ووضع برتقالة في طبقه وقال ،
 « وهذا نصيبى » ، ثم تناول برتقالة ونظر اليها في وجد ورقة وهيام
 وتال بصوت عذب مؤثر ، « وهذا نصيب حبيبتي الاميرة عائشة الغائبة
 عن العيون الحاضرة دوما في القلوب » ، وبكى ، وكانت الاميرة تبكى
 معه ، وحين قال اخوه ، « اننى اشم رائحة حلوة غريبة هنا » ،
 كانت الاميرة قد سبقته قبل ان ينتهى من كلماته وهرمت الى
 الامر المحبوب وهفتت من قلبها ، « لا لست غائبة أبدا عن عينيك
 الجميلتين » ، وبارغم من دهشته وزهوله فتح لها ذراعيه واخذها بين
 احضانه لحظات هى احدى لحظات العمر ، ساعة اللقاء بعد الضنى
 والعذاب ، واخيرا قال لها ، « لا استطيع ان اصف سمادتى وفرحتى
 بلقائك يا حبيبتي ، ولكن سرنا وقصرنا المسحور وما تعيش فيه من
 احوال غريبة لا يمكن ان يعرفه مخلوق ، فكيف جئت الى هنا يا
 اميرتى ، يا حبيبتي ؟ » ، فضحكت الاميرة وذمرت قليلا ولم تخف لان
 الحبيب لا يخاف من حبيبه ، بل خافت على العجوز فاجابت ، « احضرتنى
 امرأة طيبة عجوز » وحكت القصة ، وسالته ان لا يمس العجوز بسوء
 نهتف ، « ابدا بل اكانتها ، بل اكلتها بكنوز الارض ، لانها حققت لنا

الهناء والسعادة « ، فخرجت المجوز من مخبئها آمنة مطمئنة ، ورحب بها الاميران : وجلست ، وأبدي لها الامير صاحب العينين الجميلتين الزرقاوين الوانا من الشكر والمرنان بالجميل ، واعطتها الاميرة الكثير من مجوهراتها وشيئا من المال ، وانصرفت بعد ساعة مسرورة فرحانة .

وقبل مغيب الشمس قال الامير للاميرة ، « يا حبيبتي لا بد ان انفارتك « ، فصاحت فزعمة ، « تفارقتى هذا لن يكون أبدا » فمضى في لطف وحنان يطئن خاطرهما ويبين لها انه وأخاه قد سحرتهما ملكة من منكات الجان وحكمت عليهما ان يتحولا الى حياة الطيور لمدة ثلاثة أعوام ، وحزنت أمهما الملكة حزنا شديدا لهذا العقاب ، لكنهما توسلت الى ملكة الجان أن تترفق بالاميرين فبنت هذا القصر وسمحت لهما ان يتحولا في داخله سماعات قليلة كل يوم الى حياة البشر ، أما الحمامة فأصلها جارية مسحورة الى حياة حمامة ، وهى التى كانت تقوم بخدمتها ، وما رآته من أعاجيب كالاطباق تغسل نفسها ، والطعام يجيء طائرا في الهواء ليس الا شيئا يسيرا من قدرة ملكة الجان ، وأضاف الامير ، « لكن يشاء الحظ السعيد ان يجتمعى بك اليوم ، واليوم هو آخر يوم أبقي نيه طائرا مسحورا وغدا حين اعود وبعد تناول طعام الغذاء سأخلع ريش الطائر واحرقه وسأظل انسانا ، وأخى كذلك ، ولكن علينا أنا وأخى ان نذهب الى ملكة الجان لئلا تمنحنا الاذن وتعطينا العفو ، سنذهب ونتقابلها ، كما يجب علينا كذلك ان نبني هذه الليلة مع أمنا التى كادت تبوع الاحزان ان تمسى عينها ، فلتبقي اذن يا أميرتى هنا فى القصر وسأعود اليك غدا ساعة الظهر ولن انفارتك حتى الموت .»

فارتجت الاميرة وهلمت وهتقت ، « لا ، لا ، لا ، لا أستطيع ان أسمح لك بالذهاب حرام عليك ، فقد أضفانى الحب وغذبنى البعاد ، لا ، لا ، لا أستطيع فراقك » ، نهذا الامير من روعها وأوضح لها لزوم هذا الرحيل المؤقت ، وتأشدها ان تصبر يوما واحدا ، لكن الحب يظلم العقل ، فارتهمت الاميرة بين احضانه وتوسلت اليه ان يبقى ، فمن يرى المستقبل ، سيقضى الليل عند له ، وغدا سيرجع انسانا ، انه الان هنا معها ، ولا تريد أبدا ان يبعد عنها ، وأخذت ترجوه ان لا يفارقتها ، لكن الامير أعطى لها المواعيث ووعدها الوعد الاكيد بأن

سيعود اليها دون تأخير ساعة الظهر في الغد ، نسمحت له ان يطير
ويغيب يوما واحدا كما قال .

وبقيت الاميرة وحيدة في القصر ومضت طوال الليل تحلم احلاما
انيدية ولطيفة وعامرة بالطيب السعادة والهناء ، ذلك ان قلبها المليء
بالحب قال لها ان الامر يجيها وانه سيعود ، لابد ان يعود .

وفي الصباح هابت في انحاء القصر داخل الحديقة الجميلة كما
تهيم الفرائشة حول الورود ، وابتمت حين مرت بخاطرها فكرة ،
انها تريد ان تلعب بقلب امير قليلا ، وتشاغله وتثق ، وهي الواثقة
مرة اخرى من حبه الاكيد .

لذلك حاولت الخروج من القصر قبل الظهر بساعة ، لكن الباب
كان مقفولا ، فزحفت وخرجت من فتحة « القادوس » القناة الى تدخل
الى الحديقة وترويبها ، ومشت قليلا ، فقابلت باثما يبيع الملح على حماره ،
وطلبت منه ان يعطيها ملابس والحمار ، ووهبته الكثير من المال ، ففرح
فرحا شديدا ، وشكرها وانصرف .

فاخذت ملابس الرثة المقطعة ، ولبستها وجلست خارج سور القصر ،
فقد اذت ان تضنى قلب الامر قليلا ، لتثق من حبه تماما ، ولانه تركها
ولو لامر هام . ليلة واحدة ، وبعد ساعة رأت حبييها الطائر السماوي
والطائر الاحمر يقبلان من أعلى السماء ورفرفا بجناحيهما ، ونزلا داخل
القصر .

كان الامر الطائر فرحا بخلاصه وكذلك اخوه ، فانفض كل منهما
وتحول الى انسان ، لكن اين الاميرة ؟ ، اين الاميرة ؟ ، وارتفع صوته
يسأل اخاه الحائر ، اين الاميرة ؟ واخذ يبحث عنها في انحاء القصر
فلم يجدها ، وخرج يجرى هنا وهناك في الحديقة دون فائدة ، ماذا جرى
ياترى ، هل غضبت لانه تركها وانصرف ، اكان الامس حلما من الاحلام
لكن لا ، لقد عثقتها وارتمت بين احضانه ولو للحظات ، واستنشق
عبيرها الفواح ، لا ، لم يكن حلما ، هل عادت الى قصرها ، وجرى الى
خارج القصر ، فقابل بائع الملح الرث الثياب وسأله في لهفة ، « هل
رايت احدا يخرج من القصر ؟ » ، فاجاب بائع الملح الواثق بجوار
حماره ، « نعم رايت امرأة تخرج من القصر » ، فهتف الامر يسأله ،
« وما شكلها ؟ » ، فقال بائع الملح ، « انها شابة لم ار في حياتي مثيلا

لحسنها وروعة سحرها . عيناها سوداوان فتانتان آه من عينيها ،
يبرق سوادهما نيطيح بالمعقول ، وخداها تشع حيرتها جمالا كتفاحة
ناضجة . وشفتاها وردة ترتعش في الفجر وقد أنعشها نسيه ، ونهداها
كحبات رمان يداعبها الريح فترتصان في تناقل وهما معلقتان في اغصانها ،
وذراعاها بضتان غضتان طريفان كسبكتي بوري ، طويلتان ملفوفتان
ورجراجتان ، أما ساقاها فكانها مصنوعتان من الزبد الطازج ،
ان مشت نغزال : تخطو فتبيل وتبيل ، وتعصف بقلب العاشق الذليل ،
كانت الاميرة المنتكرة في شكل بائع الملح تصف نفسها وتكتم ضحكاتها ،
والامير يسمع ويريد ان ينطق فلا يقدر : فقد اثاره الوصف وبعث به الى
عالم حبه الجميل ، ورآها بنين الخيال ، وتحرق شوقا الى اللقاء ،
كان الوصف يشبعه ولو قليلا ، لذلك ما ان انتهى بائع الملح من كلامه
حتى هتف الامير من قلبه ألمعذب يسأله ، « ما شكلها ؟ ما شكلها ؟ » ،
فاعاد بائع الملح كلامه مرة أخرى ، وطلب منه الامير ان يصحبه ليبحث
عنها معه ، لكن بائع الملح قال له ، « لقد اوصتني ان سأل عنها الامير . » ،
فقاطعه صائحا ، « انا الامير ، انا الامير ، ماذا قالت لك ، ماذا قالت . . » .

فأحنى بائع الملح والتمس من الامير ان يسامحه لانه لم يمرنه
واضاف فقال ، « انها توصيك ان تصبر ولا تتفق لغيبها ، فهي ستعود ،
ستعود بصفة مؤكدة بعد يوم واحد » ، فأخذ الامير يستفسره ويلج في
السؤال ، لكن بائع الملح أكد انها لم تزد حرفا واحدا عن ما قاله له ،
وانه أبلغ الرسالة بالتمام .

عندئذ توصل الامير الى بائع الملح ان يدخل معه القصر ، ويبقى
حتى تعود الاميرة ، لكن بائع الملح اعتذر واحتج بوجود الحمار ، وأن
الحمار عزيز عليه أثير لديه . ولا يمكنه أبدا ان يفارقه ، فقال له
الامير ، « وما المتاع ، فليبق الحمار معنا » ، وصحب الامير بائع
الملح الريث الثياب وحماره الى داخل القصر ، وأجلس بائع الملح
بجانبه والحمار معها .

ورجاه في لطف ولهفة ان يعيد مرة أخرى وصف الاميرة ، فقال
بائع الملح ، « عيناها سوداوان فتانتان ، آه من عينيها ، يشع سوادهما
بريقا يطيح بالمعقول ، خداها تشع حيرتها جمالا كتفاحة ناضجة ،
وشفتاها وردة ترتعش في الفجر وقد أنعشها نسيه ، ونهداها كحبات
رمان يداعبها الريح فترتصان في تناقل وهي معلقة في اغصانها ، وذراعاها

نُضتان غُضتان ، طرِيتان كَسِمكتى بورى ، طويلتان مستحيرتان ؛
ملفونتان ورجراجتان ، وساقهاا كانها مصنوعة من الزيد الطازج ،
وان مشت مفزال، تخطو فتبيل وتبيل، وتعصف بقاب العاشق الذليل،
فجاشت عواطف الامير وعصف الحب بقلبه ، فتوسل وتوسل وناسد
بائع الملح ان يعيد كلامه مرة ومرة ومرات ، واخيرا اشفتت الاميرة على
حبيبها ووثقت من حبه ، فخلعت ملابس بائع الملح واظهرت حقيقتها
للامر ، وعاشا معا في انراح وليال ملاح .

مغامرات الذئب والقنفذ

كانت « القويح » وهى طائر صغير ، تسكن فى شجرة عالية مع فراخها انصغيرة الثلاثة ، وفى يوم جاء اليها الذئب وناداهما ، « يا قويح يا قويح » ، فنظرت اليه من أعلى الشجرة خائفة ترتعد وسألته : « ماذا تريد يا عمى الذئب ؟ » ، فأجابها مزمجرا ، « ارسى الى طيرا من اولادك : والا نحمر وننهر واستل، صباطى الاحمر. (1) واجيء اليك فوق الشجرة ، واكل اولادك الثلاثة كلهم ، ارسى لى واحدا ان اردت ان يبقى لك الاخران » ، فرمت القويح للذئب احد صغارها وهى تسكب الدموع واخذت تصرخ وتبكي وتولول .

وفى اليوم التالى ، جاء الذئب وكرر قوله ، فخافت القويح وارتمت ، ورمت له قويمما صغيرا من أبنائها ، واخذت تبكى وتتوح حزينة على صغيرها ، واتبل بلارج ، وهو طائر كبير طويل الساقين، ووقف فوق الشجرة فسمع الصراخ والنواح والعيول ، فنظر ، وعرف ان القويح هى مصدر تلك الاصوات فسألها : « ماذا دهك ايتها القويح ، مالك تصرخين وتبكين وتثرين ضجة ، وأنا اريد ان انام قليلا؟» ، فحكمت له ما حدث لها ، واوضحت انه لم يبق لها الا واحد من صغارها ، فغضب بلارج واطهر الحزن والاسف ، وقال للقويح ، « ان الذئب يكذب عليك ويهول ، فالذئب لا يستطيع ان يطير أبدا، فان جاء الذئب مرة اخرى وردد اكاثيه وقال والا نحمر وننهر واستل صباطى الاحمر واطير واجيء اليك فوق الشجرة ، وغير هذا من الكلام الذى لا معنى له ، فقولى له حمر ونهر واستل صباطك الاحمر ،

(1) - نحمر ونهر كلام قصد به التخوين ، واستل سبلى الاحمر معاما اطلع حذائى الاحمر .



وفي اليوم التالي جاء الخب وزمجر وردد قوله فأجابته القوبح، « حمر وتمر
واستك سباطك الأحمر... ».

نأنا لا أخاف منك وانت لا تستطيع ان تطير او تصل الى عشي نوق
الشجرة .

وفي اليوم التالي جاء الذئب وزمجر وردد قوله ، فأجابته القوبع :
« حبر ، وتمر واستن سباطك الاحمر » ، وضحكت وقالت له ، « انت ،
كذاب مدع ، لا تستطيع ان تطير او تطلع الشجرة ، وانا لا اخاف منك » ،
نصاح الذئب مرناعا ومندهثا ، « من تال لك هذا ؟ » ، فردت القوبع ،
« عمي بلارج طويل العوارج - السيقان - » : فانصرف
انذنب يائسا ، واخذ يبحث عن بلارج حتى وجده وقتل له ، « لباذا
تحاربتى يا عمى بلارج في رزقى ، وتكشف حيلى للطيور وتجعلها لا
تخشانى ؟ » ، فضحك بلارج وقال لذئب ، « الحق لقد رثيت لحالك نكيف
ترضى لنفسك ان تأكل صغار الطيور ؟ فأجابته الذئب ، « لان الاحوال
ضاقته بى يا بلارج ، ولم اجد ما آكله واضطرت الى هذا » ، فقال
له بلارج ، « اننى اصدقك فالاهور صارت سيئة على الارض ابا هناك
في الاعلى ، في السماء حيث اطمير ، فما أكثر الحملان والخرنان ذات
اللحوم الشهية ، تعال معى وأنا اذهب بك الى اماكن في السماء تجسد
فيها الخراف السمان دون رعاة او كلاب تحرسها » ، فقال لعاب
الذئب وقال ، « بارك الله نيك يا عمى بلارج خذنى معك » ، فقال
بلارج ، « ان شئت اخذتك ، لكن الاماكن بعيدة » ، فرد الذئب ،
« لايمهم لايمهم » ، وركب انذنب نوق ظهر بلارج وطار بلارج ، وصار
يملو ويملو .

وسأل بلارج الذئب ، « كيف تظهر لك الارض الان ؟ » ، فأجاب
الذئب ، « اراها كبنيدة الطعام المستديرة » ، فأخذ بلارج يملو ويملو ،
وسأل الذئب ، « كيف تراها الان ؟ » ، فأجاب الذئب ، « اراها كالغريال » ،
فطار بلارج واخذ يملو ويملو ، وسأل الذئب ، « كيف ترى الارض الان ؟ » ،
فأجاب ، « لا اراها يا عمى بلارج » ، فرماه بلارج من فوق ظهره ،
فسقط وهوى ، ونظر فرأى نفسه تهربا من البحر ، وبينما هو يهوى في
طريقه الى الارض قال لنفسه ، « آه لو وقعت على الارض لحرثتها
كسكين الحراث ولو سقطت في البحر لنجوت وتمدنت على المساكين
بالكثير من المال » .

ولحسن حظ الذئب وقع في البحر ، ونجا ، وخرج الى شاطئه

البحر سالما ، ووجد الذئب شبكة صياد ، فأخذها ووضعها أمامه على الشاطئ، ولأخذ يعبث بها ويخطط في الرمال ، وكثت هناك غولة تبس على شاطئ البحر ، نرات الذئب وسألته ، « ماذا تفعل يا اخي الذئب ؟ » ، فأجابها ، « أقرأ وأكتب » ، فقالت له ، « اذن سأحضر لك اولادى لتعلمهم القراءة والكتابة » ، فقال لها ، « احضريهم الى بلكرا في الغار » ، ووصف لها مكان غاره في الجبل .

وفي الصباح ذهبت الغولة ومعها ابناؤها الى غار الذئب، نطلب منها ان تتركهم ثلاثة اشهر عنده حتى يحسن تعليمهم القراءة والكتابة ، وعليها ان تاتيها بالطعام كل يوم له ولاولادها .

اما الذئب فقد اكل اولاد الغولة واحضر منحلا ملاء بالنحل ووضع على باب الغار ، وكانت الغولة تاتي كل يوم لتعطيه الطعام ، ولا تستطيع ان تقترب من الغار لانها تخاف النحل ، فتكتفى ان تساله عن اولادها، فيطمئنها .

لكن الغولة تطلت بعد ثلاثة اسابيع ، فاعتريت من الغار ودخلته، فلم تجد اولادها ، فهجمت على الذئب ، فاعطاها الذئب لوحا من الخشب ، فعضته الغولة من غيظها وانفجرت فيه أسنانها ، وجرى الذئب ، واخذت الغولة تجرى وراءه واستطاع الهرب منها بصعوبة، وكانت الليلة باردة واحتر الذئب، اين يذهب وقد بعد كثيرا عن غاره ، واخيرا وجد كومة من الحطب المنتعم فقد كان الحطب مشتعلا وانطلقا، تدخل الذئب داخل كومة الحطب ، ونام من شدة التعب ، لان الغولة ظلمت تجرى وراءه وتطارده من الصباح حتى المساء ، لكن الحطب كسفن بعضه مازال مشتعلا تحت الرماد ، وحين هبت الريح في الليل اشتعل نارا مرة اخرى ، وامسكت النار بالذئب فاستيقظ يصرخ والناسر مشتعلة في نروته ، وجرى الذئب ووجد أمامه عجوزا تصلى ويجلبها كومة من الرمال ، فلم يخف العجوز لكبر سنها ولا تشغلها في الصلاة، فقفز الى كومة الرمال واخذ يتقلب فيها ليطنسء النار المشتعلة في نروته ، فقطعت العجوز صلاتها وامسكت بمعصاها وانتهزت فرصة انشغال الذئب فسى تقلبه ليطنسء النار ، واخذت تضربه بقوة وعنف ، فجرى الذئب يصوب ويتألم والنار مشتعلة فيه ، حتى وجد عين ماء فقفز فيها ، وخرج منها

منهوك القوى وأخذ يردد ويقول ، « هذا هو عذاب الدنيا الذي عرفته ،
نلا تثق بالليالي إذا بردت ولا بالانار اذا انطفأت ولا بالمجوز اذا صلت » ،
ومسارت مثلاً .

المنافقون

لم يرزق التاجر الغنى الا بابن واحد ، ففرح بسولده فرحا شديدا واحاطه بالرعاية والعطف ، والوان من الرفاهية ورغد العيش ، وحين كبر الولد زادت فرحة الاب واخذ يذله ويحبب كل رغباته ، فنشأ نشأة غير سالحة ، لا يعرف حقائق الحياة ، لذلك كانت الام دائما تعارض الاب وتحاول ان تعود ابنها ان يعيش كما يعيش سائر الناس ، ليعرف شيئا من مصاعب الحياة ومشاكلها وخذع الناس وحيلهم ، لكن دون فائدة ، لان الاب كان دائما يذل ابنه ويسهل له الامور ، ويوافق على كل تصرفاته .

وما ان كبر الابن حتى عمل مع ابيه في التجارة ، لكن لم تمض سنوات قلل حتى مات الاب وورث الشاب ثروة ابيه التاجر الغنى الطائفة .

والنف حوله اصديقاء السوء ، يتلقتونه دائما ويمدحونه ويطرون اى عمل ياتيه حتى وان كان تبيحاً ، واخذ الشاب يبدد ماله ، ويقسم اللوام ، ويبتز منه الاصدقاء المال بشتى صنوف الحيل ، ويقترضون منه دائما ، ويوهبونه انه خير اخ وصديق ، وانهم كذلك يكون له المحبة والاخلاص الاكيد .

وتلقت الام وامضاها ما تراه من اسراف ابنها وتبذيره ، فنصحته كثيراً ونهته ، وحاولت بكل وسيلة ان توقف اندفاعه الى الهاوية ، لكنها لم تقدر . وكانت في الدار خادمة عجوز ربت الشاب ورعته منذ كان طفلا صغيرا ، وبعد ان نشلت الام والاتارب واصديقاء ابيه ، سألت الام المريبة ان تنصحه وتؤثر عليه وترجمه الى طريق الصواب ، لكن

الشباب وقد أحاط به أصدقاء به أصدقاء لا هم لهم إلا تعلقه ونفاقه وخداعه وإيهامه بأنه كريم وشهم ومخلص لأصحابه ، لم يسمع حتى لمريته .

ومضت سنوات ويدت النهاية تقترب ، فقد ضاع أغلب الميراث ، ولم يبق من المال إلا الشيء القليل ، فأخذت الأم مائة مثقال من الذهب وخبأتها ، ولها سألتها المريية مندهشة عن السبب ، أجابتها ، « ان ولدى سيهدد كل الاموال ، لقد أسكره المنافقون والمداحون وجعلوه يعيش في دوامة ، فأصبح لا يدري من أمره شيئا ، وليس ادل على ذلك من أنه لم يلاحظ أنني أخذت مائة مثقال من الذهب ، لكنني سأبقى هذا المال عندي وأخبئه حتى يرجع الى صوابه في يوم من الايام ويصبح رجلا فأعطيه المال» ، فصرخت المريية وهي غير مصدقة ان سيدها وابنها سيصبح فقيرا ، فشرحت لها الام وبينت لها مقدار ما اضاعه من المال وبتدار ما يتقى ، فأخذت المريية تبكي حزنا على ما صارت اليه الاحوال ولم تبك الام وهي أشد حزنا منها ، لانها كانت تمد بكت حتى جنت دموعها .

وصبح ما توقعتم الام ، وانتهى المال واقتلت الحوائيت ، وافلست التجارة ، وتبدد ما تبقى من دراهم قليلة ، فسأل الشاب امه شيئا من المال لانه خاوى الوماض فأجابه الام ، « اننى يا بنى لا امطك شيئا وقد أصبحنا فقراء ، ولا أستطيع أن أساعدك » فبهت الشاب ووجسم ، لقد أصبح فقيرا ، بل لقد أصبحوا كلهم فقراء ، لكن الام طهانت خاطره وقالت له ، « لقد كنت دائها تقول لى ان لك اصدقاء مخلصين ، وكنت تقول أنهم أكثر من اصدقاء وأنهم اخوتك ، وكثيرا ما اقترضتهم ، والفقير ليس بعيب يابنى ، فاذهب اليهم واطلب ما لك عندهم من دين ، نانت على آآل حتى الان لا تسألهم المعونة ، بل تسألهم ان يردوا لك ما اقترضوه منك وهو حق لك » .

فذهب الشاب الى اصدقائه واحدا بعد الاخر ، فاعتذروا كلهم بضيق ذات اليد بل ان بعضهم ادعى النسيان وعدم تذكر العين ، وآخرون أبدوا دهشتهم لان الشاب جاء يسأل رد تقوده التى ظنوها هدية أهداها اليهم في يوم من الايام .

ورجع الى أمه وحكى لها ما حدث فطلبت منه ان يذهب الى بعض اصدقائه الذين كان يقيم لهم الولائم ويهديهم الهدايا وينفق عليهم الالهوال

الطائفة كل ليلة ، طلبت اليه ان يذهب اليهم ويقترض منهم ، وتالمت المريية فرجت الام ان تعطى الشاب ما خباته من الذهب ، لكن الام قالت لها ، « انه لم يصبح رجلا بعد » ، ورجتها المريية كثيرا ، لكنها رفضت اجابة طلبها .

وسار الشاب الى اصدقائه وطلب من أحدهم أن يقترضه مائة دينار فاعتذر بشتى الاعذار الواهية، فطلب من آخر ان يفرضه خمسين دينارا، فكانت الاجابة بالمثل ، حتى انه طلب من احدهم عشرة فنانير ، فرفض ان يعطيها له ، بل الاسوا من ذلك ، انهم قابلوه في فلفلة وأهملوه ، فلم يعد أحد يهال لمقدمه كما كان يحدث من قبل او يرحب به، بل انخر احدهم وجوده مع أن الشاب سمع صوته داخل داره ، ولم يرض بعضهم ان يقابله ، فرجع الشاب الى ابيه وقد آلمه ما حدث ، وحكى لها ما جرى ، وعندما رأت المريية ما يقاسيه الشاب من محن وآلام ، توسلت الى الام ان تظهر الذهب وتعطيه للشباب ، فصاحت بها الام ، « صبرا انه لم يصبح رجلا بعد » .

وفي يوم تالت الام لابنها ، « لقد ذهبت يابنى الى من تسالهم الديون فلم يردوها لك وتهربوا منك ، وذهبت تحاول الاقتراض من اصدقائك ، فرفضوا واساءوا معاملتك ، وقد آتتني فكرة ، ماذا لو ذهبت الى مكان يجتمع فيه كل اصدقائك أو عدد كبير منهم ، واطلب منهم جميعا أن يقترضوك شيئا من المال لتتاجر به من جديد ، وتحاول تعويض ما فقدت ، فربما خجلوا من بعضهم وأعطاك كل منهم شيئا من المال، وخاصة وقد ساءت بك الاحوال وهم يعرفون انهم كانوا السبب» .

وعرف الشاب انهم يجتمعون عند أحد الاصدقاء كل ليلة ليلعبوا بأوراق اللعب (الكارطة) ، فاتخذ طريقه بعد صلاة المغرب الى دار ذلك الصديق ، وحين دخل الغرفة اتراهم السلام ، فرد بعضهم في فتور، وتجاهله البعض ، ولم يعره اى اهتمام آخرون .

وتفكر الشاب الماضي، وكيف كانوا يقابلونه ، فدارت به الدنيا ، وأخذ البعض منهم يقول له ، « جئت بامنحوس » ، وسخر آخر منه حين رأى بلفته مقطمة ، قائلا ، « يا هذا ، البلفة قديمة جدا. هل ورتتها من جدك ؟ » ، وضحكوا ، ولكي ينقذ الموقف قال في خجل وهو يتصنع الضحك ، « لا ، لا ، لقد اكلها الفار » ، فسخروا منه وقال



فاتخذ طريقه بعد صلاة المغرب الى دار ذلك الصديق، وحين دخل الغرفة
الراهم السلام، فرد بعضهم في فتور، وتجاهله البعض، ولم يعره أي اهتمام
آخرون

أحدهم ، « التار أكل البلغة ! أهى مصنوعة من السكر ؟ » ، وقال آخر
إنها مصنوعة من الجبن لان التار يحب الجبن « ، وضحكوا وتهتمسوا ،
ولم يقدر أن يطلب منهم ترضاً كما أوصته أمه أن يفعل .

ورجع الى أمه يائسا حزينا يمتلىء قلبه بالغضب ، وقد أحس
غدر الإصدقاء ، وأخذ يقارن ما كان يجده بالامس من مديح وفتاق بها
لإقاه اليوم من سخريه مريرة واحتقار وأزدراء ، وحين رآته أمه ،
سألته ، ماذا حدث ؟ ، وجاءت المربية وقد ذهلت حين رآته حزينا كئيبا .
متألما ، ولكنه لم يجب أمه ، وجلس مطرقا ، يتمتم ويكاد ينفجر من شدة
ما يقاسيه من آلام ، وبعد ساعة تكلم ، واعترف لأمه بخطئه الفادح
وجرمه الكبير ، وصاح ، « لقد بددت مالا كثيرا وانفقتة على حفلة
من البشر محتالين خداعين منافقين ، منافقين يا أمه » ،
وكان الندم ينبع من أعماق قلبه المتألم ، وحكى لها ما جرى له مع
الإصدقاء ، وكيف سخروا من بلفته المقطعة ومنه عندما أخبرهم أن
انفار لكها وكيف ضحكوا وتهتمسوا نون أى اهتمام بأمره أو مراعاة
لمشاعره ، وحكى لها كثيرا عن الماضي ، لقد صحا أخيرا ، لقد وعى
الدرس ، نصرخت الأم ، « هداك الله يابنى ، الان صرت رجلا ، لقد
عرفت خطاك واعترفت به ، لقد عرفت حقيقة أصدقاء السوء ، الان
عرفت الحياة وستنجح » ، وأظهرت الذهب وأعطته له ، وباركته الإله ،
ودعت له المربية . وجهاز قافلة صغيرة ، ورحل الى بلاد بعيدة ليتاجر
من جديد ليعموض بالناات .

لقد تغير ، فلم يعد ذلك الشاب العابث المستهتر المستسلم للفتاق
والمديح ، لا ، لقد رأى الناس والإصدقاء في صور مختلفة عن الماضي ،
وبدا يربح وينجح ، ولم تبيض ثلاث سنوات حتى كان قد عاد ومع
قافلة كبيرة وأموال كثيرة ، ففرحت به الام تاجرا ناجحا ، ورجلا يعتز به
ويعتمد عليه ، أما المربية فكانت فرحتها لا توصف ، وأحاطته بالوان من
الرعاية والحنان وطالبته أن يتزوج .

ولم يصدق أصحابه حين سمعوا بعودته ، وقد أصبح أكثر ثراء
منا كان عليه ، لكنهم ما أن تأكدوا من صدق ما يسموه ، حتى
هرعوا اليه ، يرحبون به ، أحدهم يقول ، « لقد اشتقنا اليك » ،
ويقسم الثاني أن البلدة كانت كئيبة بدونه ، ويهتف الثالث ، « والله لقد

ثلت للناس انك لرجل ، وستعوض ما خسرت وأكثر » ، فبيتسم الشاب ، لان هذا المديح والنفاق كان قد شبع منه ، وعرف ضرره ، وظن اصدقائه انهم يستطيعون ان يعيدوا الكرة ويلعبوا به ويستغلوه مرة اخرى ، فبدأوا يلتفتون حوله ويظهرون له الوان الود والمحبة والعطف .

اما هو فكان يضحك وبيتسم ويحكي لاهه ، ويبين لها انه واع وحذر ، ويطمئنها .

وقالت له آلام يوما ، « اماذا لا تدعو اصديقاتك للعشاء ؟ » ، وكاتوا نفس الجماعة او اغلبها التي سخرت من بلفته المقطعة يوما ، واقترحت الام ان تقدم لهم لبنا بالسكر مع الكسكس ، فقد مضى زمن اللواتم الفاخرة والاسراف والتبذير ، فدعا الشاب اصدقائه ، ففرحوا ورحبوا بالدموة .

واسرعوا الى داره في الميعاد المحدد ، وغسلوا ايديهم واستعدوا للاكل لكن الام لم ترسل الطعام ، فسكت الاصدقاء ساعة ، لكنهم بدأوا يقلقون ، وضحك احدهم ، وقال « لقد تأخر الطعام » ، فنادى الشاب مربيته وطلب منها ان تسرع ، فاجابته ، « لتصبر قليلا يا سيدي » ، فقد اوصتها الام ان تتأخر ، واحسن الاصدقاء بالجوع ، فقد تأخر الطعام كثيرا ، فقالوا له في لطف ، انهم قد جاعوا وانتظروا كثيرا ، فنادى المريية وقال لها ، « لقد طلبت عدة مرات ان تحضري الطعام وتأخرت كثيرا » ، فردت ، « نعم لقد تأخرت ، لاني اريد ان اسحق السكر في المهرز ، فلا يمكن ان تاكلوا الكسكس باللبن من غير سكر ، ولكنني لا اقدر ان اسحق السكر في المهرز (1) » ، فسألها عن السبب ، فاجابت ، « لان المهرز مثقوب ، اكله الفأر » ، فصاح الشاب متمجبا ، « المهرز مثقوب واكله الفأر » ، فردت بهدوء ، « نعم يا سيدي ، ان الفأر قد اكل المهرز وتقبه » ، فأخذ الشاب يجادلها في ضيق ودهشة ، « وهل من المعقول ان يأكل الفأر النحاس ؟ » ، وكان الاصدقاء جاثمين ويريدون الطعام بسرعة ، فقال احدهم ، « كني جدالا، نعم ان الفأر يأكل النحاس » انه يحفر الارض والجدران ويأكل الاحجار ، فلماذا لا يأكل النحاس ؟ » ، وقال صديق آخر بسرعة ، « نعم نعم ، نعم ، الفأر يأكل النحاس » .

(1) - ويسى في مصر « الهون » وغالبا يصنع من النحاس وتنفق وتسحق فيه التوابل وما يلائها .

المهم انتهوا من الجدال واحضروا الطعام ، ، وأقسم الثالث: إن الفران قد تثبتت المهراز عندهم وأنها تأكل النحاس والحديد ، حتى ينهى المشكلة وتحضر المريية الطعام ، تصرخ الشاب ، « اسمعى يا أمه اسمعى يا مرييتى ، انهم يقولون ويقسمون ان الفار يمكنه ان يثقب المهراز ويأكل النحاس والحديد والحجر ، اذن لماذا سخرتم مني وضحكتم حسين اخبرتمكم انه أكل البلغة ، والبلغة مصنوعة من الجلد » ، وثار الشاب وسبهم ، « اخرجوا من دارى أيها المنتقون ، اخرجوا ايها المنتقون » .

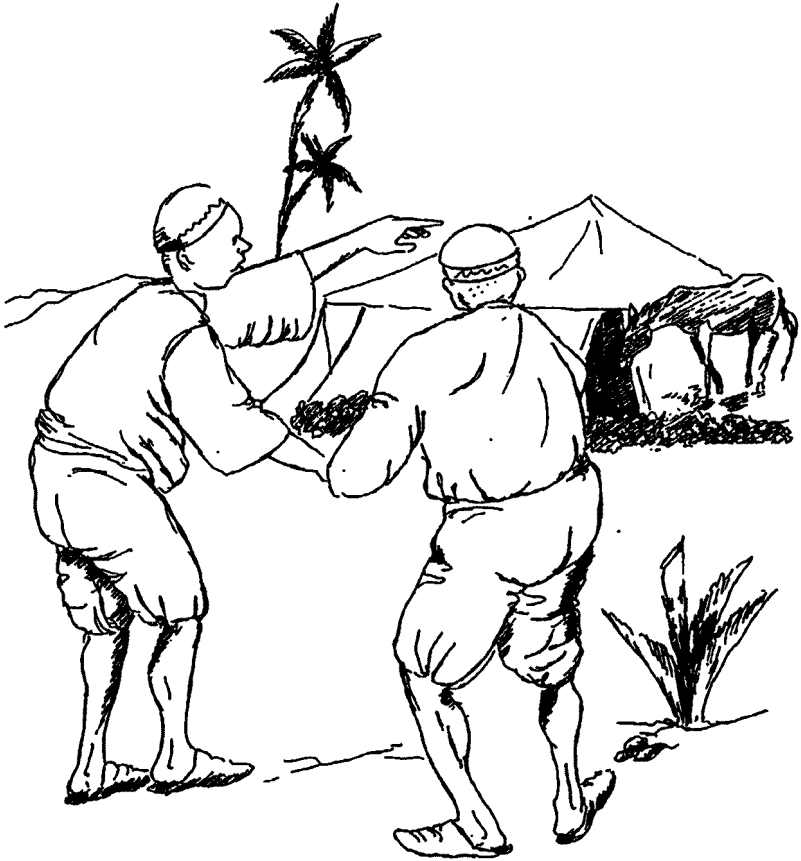
مهارة اللصوص

تماماً لصان على التوفاء والاخلاص كل لصاحبه ، وانتفاً اذا ضبط ، وامسك باحدهما ان لا يعترف ولا يقول شيئاً عن الاخر ، وكانا يسرقان بسهولة ويديبران الخطط والحيل ، وكثيراً ما سرقا اجمال والبقر والخيل ، ولم يكتشف احد امرهما ، وعاشا سوياً في خيام متجاورة مع زوجتيهما واولادهما .

وفي يوم اراد اللصان سرقة حصان اصيل ، فتتبعا صاحبه ، وظلا متربصين له حتى رجع الرجل الى مضرب خيامه ، ونزل من فوق الحصان واطلقه الى داخل خيمة من خيامه ، عندئذ تسلل اللصان بخفة تحسدها عليها الثعالب ، وركب احدهما الحصان بسرعة ، وجر الاخر الحصان من اللجام واخرجه بهدوء من الخيمة ، لكن الحصان كان لصيلاً ، فما ان خرج من الخيمة حتى صهل ، فسبح سهيله صاحبه ، وفتبه ، ونادى غلبته ليروا ماذا دهم الحصان ، فوجد الغلمان اللص راكباً الحصان والاخر يجره من اللجام ، وكان اللص نكياً نجري بالحصان ، لكن الغلمان احاطوا باللص الاخر وامسكوا به .

واخذوه الى التاضي ، فعذبوه ، لكنه وبى بعهده ولم يفكر شيئاً من صاحبه ، بل زاد واتكر ، وقال انه لا دخل له في الامر ، ولم يحاول سرقة الحصان ، وليس له شريك ، مع انه عجز عن تفسير سبب وجوده لى هذا المكان ساعة السرقة ، وابدى اوهى المعانير ، لكن الغلمان شهدوا انهم امسكوا به وهو يجري الحصان من اللجام .

ومضت الايام وهو محبوس في سجنه ، ابا اللصم الاخر فقد اخذ بالحصان وباعه وبيع اللجام والسرج كذلك ، واعطى نصف الثمن لزوجته السجين .



وفي يوم أراد سرقة حصان أصيك، فنتبعا صاحبه وظلوا ... متربصين حتى
رجع الرجل الى مضرب بييامه، ونزل من فوق الحصان، وأطلقه..

وحين اطمان ان الموضوع قد انتهى ، ذهب في اليوم المخصص
لزيرة المساجين ليرى صاحبه ، وقابله ، لكنه وجده محاطا بالحراس ،
ونظر السجين اليه وكأنه يريد ان يقول له دون ان يتكلم ، « انا لم اعترف
فيك ان تلفت نظر الحراس الى سرقة الحصان » ، فقال اللص
للسجين ليطمئنه ويحكى له ما حدث عن بيعه الحصان والسرغ واللجام
بطريقة ذكية ، ودون ان يلفت نظر الحراس ، قال ، « مول الاربعة
اربعين ، يقصد انه باع صاحب الاربعة لرجل - الحصان - بأربعين
دينارا ، » وشد واطلق بعشرة « ويقصد اللجام ، باعه بعشرة دناتير ،
« وارند وخط « بمشرين ، يقصد بانه باع السرغ بمشرين دينارا ،
وثلاثين وخمسة عند صاحبة « الكمة » ، يقصد اللص انه اعطى زوجته
السجين « صاحبة الكمة » خمسة وثلاثين دينارا .

وفهم اللص ان صاحبه باع الحصان بأربعين دينارا واللجام بعشرة
والسرغ بمشرين ، واعطى نصف الثمن لزوجته ، وهو خمس وثلاثين
دينارا ، لكن كان كل ما سمعه الحراس ، « مول الاربعة اربعين ،
وشد واطلق عشرة ، وارند وخط عشرون ، وثلاثين وخمسة عند
صاحبة الكمة » ، فلم يفهموا شيئا ، وان فهم السجين .

البرق

كانت المرأة جالسة فوق سطح دارها ، حزينة مهبومة لانها لم ترزق باطفال، وفجأة سمعت دوى الرعد ؛ وبعد قليل بدأت السماء تمطر، وأبرق البرق يخطف سناه الابصار ، فتأثرت من لون البرق الساطع ونوره الوهاج ، وهتفت ، « يا برق اعطني بنتا كى انرح بها ولو قليلا ، ثم خذها حين تريد » .

ولم تمض ايام حتى حملت المرأة ، وبعد شهر وضعت بنتا جميلة . ونسيت المرأة تماما ما حدث فوق السطح ذات ليلة ، فقد مضت سنوات وكبرت البنت حتى أصبحت شابة يطلبها الخطاب .

ونزل البرق من السماء فى صورة رجل ، وتقابل الفتاة وتال لها « اذهبي الى لك وقولى لها ان صاحب الامانة جاء يطلب امانته » ، فأسرعت الفتاة الى امها واخبرتها بما حدث ، فذهرت الام وقالت لابنتها ، « ان قابلت هذا الرجل مرة اخرى وأعاد عليك نفس الكلام ، فتولى له أنك نسيت ان تخبرينى بما حدث » .

وفى اليوم الثانى قابل البرق الشابة وسألها ، بماذا اجابت امها ؟ ، فقالت له ، « لقد نسيت ان اخبرها » ، فأوصاها ان تقول لها ان صاحب الامانة جاء يطلب امانته ، فذهبت البنت الى امها وحكت لها ، فارتضت الام وجعلت ، ورجت ابنتها ان تقول للرجل ان قابلته مرة اخرى انها نسيت ان تبلغ امها كلامه .

وفى اليوم التالى قابل الرجل الفتاة وسألها عن اجابة امها ، فقالت له الفتاة انها نسيت مرة ثانية ان تخبر امها ، فامسك الرجل باصبع الشابة وربط لها نية خيطا من الصوف وقال لها ، « هذا

الخيط ربطته في أصبعك لكي تتذكرى عندها ترينه ، متسرعين وتقولين
لايك أن صاحب الامانة جاء يطلب امانته .

نهزت الفتاة الي امها وحكت لها ما حدث ، عنئذ ، اطرقت
المرأة براسها وقد غلبها الحزن واضناها الالم ، وقالت للفتاة ، « ان
مابلت هذا الرجل مرة اخرى فقولى له ان امى تقول لك خذ امانتك . »

وقابل الرجل الفتاة ، وقبل ان يسالها قالت له ، « امى تجيبك
بقولها لياخذ صاحب الامانة امانته » ، فآخذها وطار بها الى السماء .

وبعد ايام انفتقد القمر والشمس والنجوم صديقتهم البرق ، لانهم
لم يعودوا يرونه ، لانه حمل الفتاة الى قصره واتفل ابواب القصر
السبعة ، وكان هذا سبب غيابه وعدم رؤية اصديقاته له .

فذهبوا الى البرق ورجوه مرة ومرات ، حتى رضى البرق بأن
يروا الفتاة ، وحين راوها ، فتهم حسنها و سحرهم
جبالها ، فناروا من البرق و ذهبوا الى اخيه الاكبر
الرعد ، وشكوه اليه ، لانه احتجب عنهم بسبب الفتاة ، وانه ليس من
حقه اخذها من امها ، واحضارها الى قصره في السماء .

فنادى الرعد اخاه البرق ، وأمره ان يرد الفتاة الى امها ، وان
لا يتعرض لها مرة اخرى ، فسمع البرق امر اخيه الرعد وأطاعه ووعده
بتفنيذه .

وقبل ان يرجع البرق الفتاة الى امها، جلس في قصره حزينا غاضبا
ما فعله اصديقاؤه ، لكن القمر والشمس والنجوم ذهبوا للبرق
يهنئون خاطره ، وقال له القمر ، « لا تحزن ايها البرق فان
كلا منا سيمطي لهذه الفتاة شيئا ، فان كتبت تحبها فلابد ان ذلك
سيسمك » ، واعطاهما القمر شيئا من نوره الساحر الفتان ، فان
دخلت الى اى مكان شع حسنها نورا مضيئا ساحرا ، اما الشمس
فأعطتها اللؤلؤ ، والملس ، والزهرد ، والياقوت ، فان ضحكت الفتاة
تساقط من معها كل حجر كريم ، اما النجوم فاعطتها الرائحة العطرة
الزكية التى ليس لها مثيل ، فان تكلمت الفتاة ، انبعثت من معها رائحة
الزهور ، وراح عطرها من حولها .



وقابل الرجل الفتاة، وقبل أن يمالأ قالت له :
« أمي تجيبك بقولها : لياخذ صاحب الأمانة أمانته » فأخذها، وطار بها
إلى السماء.

وأرجع البرق البنت لامها ، ففرحت بها ابها فرحا شديدا ، وكان كل من يمر بجانب دار الفتاة يشم الروائح الزكية التي لا تبيح الا من بستان ملىء بالزهور ، واندھش الجيران واخذهم العجب حين راوها تضحك فتساقط من فمها الاحجار الكريمة ، اما النور الوضاء الذي كان يشع من حستها ، فقد دفع الناس الى الكلام ، حتى وصل الخبر الى مسامح الملك .

فارس الملك الوزير للتحقق من الامر ، وعاد الوزير مبهورا ، وعندئذ امر الملك ان تزف اليه الفتاة في الحال ، وطلب من ابها ان ترسلها الي قصره .

وكعادة المغاربة فقد رأت الام ان ترسل مع ابنتها، ابنة اختها التي تماثل الفتاة في العمر ، لتؤنسها وتصف بها شعرها ، وخالتها لتستني بها وتخدمها .

لكن الخيرة دبت في قلب الخالة ، فهذه ابنتها ستذهب وتميش مع الفتاة ، حقا ستعيش معها في القصر ، لكن كوصيفة وما اقرب الوصيفة الى الخادمة ، حتى هي نفسها خالتها ستصبح تابعا لمن اتباعها ، وتمنت لو ان ابنتها كانت مكان الفتاة ، عندئذ دبرت خطة ، اتت بحبل وربطت قدمي الفتاة ويديها وراء ظهرها وهجرت عليها واقتلعت عينيها من محجريها، واحتفظت بها ، ووضعت الفتاة في صندوق ورمته في البحر ، والبست ابنتها الملابس الجديدة الخاصة بالعروس وزينتها وعطرتها ، واتخذت طريقها الى قصر الملك مع ابنتها مدعية انها العروس .

ورحب الملك بعروسه ، لكنه لم يشم روائح الزهور الزكية الفواحة التي حكا له عنها ، وان ضحكت العروس لم يتساقط من فمها كل جوهر كريم ، واما حستها فقد كان عاديا ، وليس هناك نور يشع منها ، وتساءل الملك عن فقدان هذه الميزات والصفات التي قيلت عن الفتاة ناجابته الام ، « هذه صفات لا تكون موجودة دائما ، واحيانا تفقدنا الفتاة ، ثم تعود بالتدريج » ، واوصت الملك بالصبر .

اما الفتاة المسكينة فقد ظلت الابواج تتقاذفها وهي داخل الصندوق حتى التقله صياد عجوز ، واصلته الدهشة حين فتحه ووجد فيه فتاة ضوح منها رائحة اخذاة قوية ، ولها شذى اجمل من شذى بستان كبير

ملء بالزهور والورود ، ويشع حسنها وجمالها نورا يضيء الدنيا حونها ، ونزع اذ وجدها دامية العينين تئن وتتوجع ، فدأوى جراحها ، ومع مرور الايام شفتيت عيناها ، لكنها صارت عبياء .

وحين احست بالراحة في كوخ الصيد المجوز بدأت بتقسيم وتضحك فتساقط من فيها أنفاس الاحجار الكريمة ، من ماس وياقوت وزمرد ومرجان ، فتعجب الصيد ، واخذ بعضا من الجواهر وبياعها ، فأصبح غنيا ، وحمد الله على ما اعطاه من فضل ، وازداد حبه للفتاة وعنايته بها ، وكانت تضحك فتساقط الجواهر من فيها ، مما زاد ثراء الصيد زيادة كبيرة .

وذات يوم قالت الفتاة للصيد ، « اننى اود ان أسالك معروفا ، فأجيبها ، « لا تسألنى معروفا بل لك ان نامرى فاطمك ، فقد كان قدومك خيرا وبركة على ، فقد تغيرت حالى واصبحت من الأثرياء ، وكل هذا بسببك ايتها الفتاة المباركة ، انك حورية من الفردوس ، ورائحتك من هناك ، « فضحكت الفتاة فتساقطت من فيها الجواهر ، واستأنفت الفتاة حديثها ، « اريد منك ان تحضر لى سلة مملوءة بالزهور الجميلة » ، فلبى الصيد المجوز رغبته ، واشترى السلة وملاها بالزهور الجميلة .

فأخذت الفتاة السلة ، وظلت طول الليل ساهرة لا تنام ممسكة بالزهور والورود مقربة اياها من فيها تنفخ فيها عطرها الفواح ، ويقف طوال الليل تنفخ انفاسها الزكية في الزهور .

وفى الصباح نادى الصيد وقالت له ، « ان اردت ان تكمل جميلك ... » ، فانحنى الصيد يقبل يديها ، ويبدى محبته واستعداده لبذل أى شيء في سبيلها ، فاستطردت ، « عليك ان تأخذ هذه السلة المليئة بالزهور وتذهب بها الى قصر الملك ، وتنادى على سلمتك وكائك بفتح ورود ، فان نادتك سيدة من القصر او الملكة وازادت احداها ان تشتري منك الورد ، لا تقبل ان تبيع الورد مهما كان الثمن كبيرا ، بل قل ، انى لا ابيع الورد الا بالميون ، فان اعطوك عينين ، بيع لهما الورد ، والا فارغض أى ثمن ولو كل مال الدنيا بأجمعه » ، فوعدها الصيد بالطاعة وتنفيذ رغبته .

وحمل الصيد السلة المليئة بالزهور وسار الى قصر الملك ،

وحين وصل تحت الاسوار بدأ ينادى على سلعته ، ولم تبض دقائق حتى سمع صوتا نساثيا يناديه ، ذلك ان رائحة الزهور الفواحة سبقته قبل ان يصل الى القصر ، فشمتهما ام العروس الزينة ، فذهلت وجرت الى ابنتها الملكة وهفتت بها ، « يا ابنتى ، ياللمصيبة ، اننى اشم رائحة بنت خالتك ، تعالى معى لنر ونعرف جلية الامر » .

واسرعتا الى خارج القصر ، لكنهما وجدتا الصياد المعجوز يحمل سلة الزهور وينادى كبائع ورود .

ففرحت المرأة وقالت ، « لقد نجونا ، هذا ليس الا بائع زهور » ، واقتربتا من الصياد ورائحة الزهور تفوح زكية من السلة فتعطر الجو ، وهلت الفتاة ، « حقا انها نفس الرائحة التى كانت تفوح من ابنة خالتى » ، وفرحت الام وابنتها فرحا شديدا لانهما ستشتريان الورد وتوهمان الملك بان الصفات التى فقدتها البنت بدلت تعود اليها .

واقتربت البنت ولهما من الصياد المعجوز ، وفي لهفة طلبت منه الام ان يبيعهما الورد نسالها الصياد ، « وماذا تعطينى كثن لهما يا سيدتى » ، فهدت عليه ، « اعطيك ثبنا غالبا » ، وتكرت له الثمن ، لكن الصياد اجابها فى هدوء ، « ان هذه الورد لا ابيعهما الا بالمعنون » ، فصاعفت المرأة الثمن ، فرفض الصياد ، فتكرت الملكة ثبنا اكبر فامتنع الصياد .

عندئذ قالت الام ، « عندى العيون » ، واحضرت عينى بنت أختها واعطتها للصياد واخذت منه الورد .

وعاد الصياد الى الفتاة العمياء الجميلة واعطاها العينين ، فوضعتهما فى مكانهما ، فعادت تبصر وترى كل شىء .

وذهبت الي والديها يرايتها الصياد ، ففرحوا بمودتها ، وطلبت ان يذهبوا جميعا الى قصر الملك .

ولما ملأوا بين يديه حكى الفتاة للملك القصة من اولها ، وقدمت البرهان بل البراهين ، فهاهى رائحتها الزكية تفوح وتبلا القصر ، وهاهو نور حسنهما البهى يضىء المكان ، فيكاد يخطف الابصار ، وضحك الفتاة للملك فانتثر اللمس واليقوت والؤلؤ والزمرد والمرجان على الارض متساقطا من فمها .

مغضب الملك غضبا شديدا ، وأحضر زوجته وأبها ، وأمر أن تحفر حفرة كبيرة وملؤها بالحطب وأشعلوا فيها النيران ، وقال الملك للفتاة ، « اتسم بالله ثلاثا لأبد أن تحرقيهما بيدك » ، فرمت الفتاة خالتها وأبنتها في حفرة النار . وفرحت الأم بعودة ابنتها التي تزوجها الملك ، ورزق منها البنين والبنات ، وعاشوا جميعا سعداء .

مصائب الناس

كان الرجل يعمل صيادا ، وكان لديه ابن وحيد ، يحبه ويتهنى ان يصبح صيادا ماهرا مثله ، اما امه فقد كانت تعبده وتخشى عليه مخاطر الصيد حين يصحبه ابوه معه كل يوم ، فهناك في الغابة الكثير من الوحوش ، ومن يدري فربما اصلبه يوما سهم من سهام ابيه ، لذلك كانت تحاول دائما ان تبقيه الي جانبها ولا تريد ان يخرج مع ابيه ، لكن الاب يبد لها مخاوفها ووصم ان يعلم ابنه حرفته ، وان يصطحبه معه دائما ، اما الام فقد كانت قلقة ، واجفة القلب ، دائما تخاف على ولدها الوحيد .

وحدث ما خافته الام ، فقد انترس الغلام في غفلة من ابيه احد الوحوش الضارية ، واحتار الصياد ، ماذا يفعل ؟ ، فهو يعرف مقدار حب الام لولدها ، فان اخذ اليها ما تبقى من جثة اثنها مستصدم صدمة كبيرة ، وربما تبوت من هول الصدمة ، لذلك فضل الا يخبرها ببوت ابنها ، يوضع الجثة في تفة ، وحين دخل الدار قال لها : « لقد احضرت لك لحما كثيرا من لحوم الصيد ، لكنني لن اسبح لك بطبخه وانضاجه ، الا في قدر تكون صاحبته لا تعرف الهموم ، فضحكت الزوجة وظننت الامر سهلا ، وان زوجها يسخر منها ، فاجابت ، « ساحضر اليك القدر الان من عند الجارة التي تسكن بجانبنا » .

وذعبت الام وسالت الجارة : « اريد ان استمير منك قدرا كبيرا لطبخ فيه » ، فردت الجارة : « نعم ساحضره لك » ، فقالت الام لها ، « لكن هل انت مهبومة او يحزنك امر من الامور » ، فتشهدت المرأة واجابت : « نعم انتى لحزينة ، ولدى من الهموم الشيء الكثير » ، ومضت

تشرح يا يسنيا ويحزنها ، عندئذ سكنت الام وقالت لها : « اذن لا اريد القدر ، لا اريد القدر » .

واسرعت الام الى جارة اخرى واعادت عليها نفس السؤال ، اكن الجارة الأخرى كانت اكثر عموما واحزاناً .

وظنت الام أن هذا من سوء حظها لكنها حين تصدت الكثيرات من النساء وجدت أن كلا منهن لديها من الهموم والاحزان الشيء الكثير ، لكن قيل لها أن امرأة شيخ التجار (1) وحدها هي التي لا تعرف الحزن والهم ، فتررت أن تذهب إليها على الفور .

وتصدت دار شيخ التجار، وهي دار نخبة تقع على اطراف البلدة وادخلوها الي غرفة متسعة ، ودهشت حين جاء شيخ التجار بنفسه ورحب بها .

وحين سأله عن زوجته أجابها : « انى اود ان تشاهدها وتقابلها في الحال » ، وصحبها الي بهو متسع ، وهتف شيخ التجار : « ها هي » ، وصعدت الام لها رات ، فقد وجدت امرأة شابة على قدر كبير من الحسن والجمال ، اكنها في ثياب مقطعة والدماء تسيل من جروحها التي في وجهها وذراعها ، وفي كل مكان من جسدها ، وقد حملت فوق كتفها عبداً اسود ، وحولها عبيد مهسكون بالسياط ، والمرأة الشابة تسير بحملها الثقيل وتبذل جهداً كبيراً لتتماسك فلا تقع على الأرض، ذلك لانها كانت حين تقع يضربها العبيد بالسياط ويجبرونها على التوقف ، فتسير بحملها وتدور في البهو والعبيد وراءها يفرقعون السياط لتخوينها . نصرخت الام : «اهذه زوجتك، غير معقول غير معقول كيف يحدث هذا ؟» ، وصرخت به ، ماذا تعمل ، وكيف تسمح أن يضربوها بالسياط ؟» ، فاجاب شيخ التجار ، « ان زوجتى غير آمنة على شرفى » ، لكن الام لم تصدق ولم تستطع أن تحتل ذلك المنظر المروع فقد كان الموت عندها امون من رؤية هذا ، فخرجت نجري من دار شيخ التجار ، وعلى بعد من الدار وجدت جارية تبكى وتولول ، وتصرخ : « يا لظلم الرجال للنساء ، يا نصيبك يا سيدتى ، اينقم الله منك يا شيخ التجار » .

(1) - ويسى في المغرب ابن التجار

نوقنت الام وقد اثار انتباهها ما سمعته واخذت تستفسر الجارية عن ما يحدث في اندار من فضائح ، نكت لها الجارية قصة غريبة وقالت : « تناولت سيدتي طعام الغداء مع سيدى شيخ التجار ، وبعد ان أنتهت من الأكل ، جاء احد العبيد ليصب الماء من الإبريق ليفسل لها يديها ، وكانت قد صبغت يديها بالحناء السوداء ، وزخرفت اصابعها وكنيها بالنقوش والرسوم الجبيلة ، واهجبت بتناسق لون الحناء الاسود مع يديها البيضاوين ، فهتقت : « الله ! ما اجل اللون الاسود مع اللون الابيض » ، وكان شيخ التجار يكمل طعامه ، فتوقف عن الاكل ونظر ، فرأى العبد الاسود يصب الماء على يدى زوجته ، وكانت الزوجة تتبسم وتضحك وهى تتكلم كعادتها دائما ، وكان العبد شابا مكتمل الرجولة جميل القسمات مفتول العضلات ، فظن شيخ التجار الغيور ان هناك شيئا بين زوجته والعبد . وكان دائما يسيء الظن بالنساء ، لكن سيدتى كانت تتكلم عن الحناء » .

ومضت تبكى ، فسألته الام في لهفة ان تكمل قصتها ، فتسالت الجارية : « عندئذ لست ادرى ماذا جرى لسيدى ، فقد تلم واحضر سوطا وصار يضرب سيدتى ضربا يفتت الاكباد ، ولم يكف بذلك ، بل امر ان تعذب وأن تحمل ذلك العبد فوق كتفيها لتدور به في انحاء الهوى وان يحيط بها العبيد ويضربوها بالسياط » ، نصرخت الام نزعاً مما سمعت ورات ، وجرت ، جرت بسرعة لتمود الى دارها ، حيث ظننت ان هناك الايمان والسعادة .

وحين رأت زوجها ، سألته : « لماذا طلبت منى أن استعير قدر امراة لا تعرف الهم والاحزان ، ان كل امراة حزينة ولديها من الهموم ما كنت اجهله ولا اتخيل وجوده ، لقد ارتكبت الان ان في الدنيا مآسى ومصائب وفضائح ، وقمت عليه ما رآته في بار شيخ بالتجار ، عندئذ قال الصياد لزوجه : « ان في هذه القفة جثة ولدنا الوحيد ، لقد خنت ان اخبرك وارتدت ان اخف من وقع الصدمة والحصية عليك فسألتك هذا السؤال .

قال الصياد لزوجته : ان في هذه القفة جثة ولدنا
الوحيد. لقد خفت أن اخبرك و اردت أن اخفف عن
واقع الصدمة والمصيبة عليك فسألتك هنا السؤال



صرخت الام ، وبكت وظلت تبكى ، وحزنت حزنا صادقا ، لكن
الامها كانت ستكون أفزع لو لم تر وتعرف الشيء الكثير عن هموم
الناس وأحزانهم .

وقال زوجها فليرض كل منا بمصيبته (2) .

(1) - هناك مثل مصري يقول « اللي بشوف بلاوى » (مصعب) للناس تهون عليه
بلاويه .

حكاية الفأر الذكي

كان الفأر صغيراً ساذجاً ، لم يكن قد عرف بعد ان القطة تاكل الفيران ، وقابل يوماً قطاً صغيراً مثله أمام جحره ، فاخذاً يلعبان سوياً ، وكان القط هو الآخر لا يعرف ان القطة تاكل الفيران ، وصعد يلعبان سوياً كل يوم حتى الغروب ، يجيء ألقط الصغير ، ويخرج الفأر الصغير من جحره ويجريان ، ويرحان ويلعبان حتى مغيب الشمس .

وذات يوم انهكما في اللعب وبدلاً من ان يعودا الى أهلها عند المغيب ، ظلا يلعبان حتى منتصف الليل ، وحين رجع القط الصغير الى أمه ، وجدها قلقة غضبانه ، وسألته ، « أين كنت ؟ » فاجابها ، « كنت العب مع صديقي » ، وحين استفسرت منه ، « من هو صديقتك ؟ » ، اجابها ، « أنه الفأر الصغير » ، فهدأت وسألته ، « كيف ، وماذا فعلت به قبل ان تأكله ؟ » ، فهتفت مندهشاً ، « كنت العب معه ، وهو صديقي فكيف آكله » ، فصرخت القطة ، واخذت تنهر ابنها على جهله وساذجته ، وقالت له ، « ان الله قد خلق لنا النار لنأكله » ، ولحبه الذ من لحوم الدجاج والارانب ، وقد خلق الله لنا نحن القطة لحم الفأر ليدفننا في الشتاء ويجعلنا خفافاً وماهرين في القفز والجرى ، ونستطيع ان نرى في الليل بسهولة » ، فاعتذر القط الصغير عن جهله ، وطلبت منه امه ان يحضر في أهد الفأر الصغير ويأكله ابابها ان اراد ان تسامحه ولا تعاقبه ، فوعدها بذلك .

ورجع الفأر الصغير الى جحره فلقى امه تبكي وتولول فقد ظنت ان مكروها أصاب فأرها الصغير ، لكنها حين راته ، أمسكت به ، وانهالت عليه تضره ، وسألته ، « أين كنت ؟ » ، فأخبرها انه كان يلعب



بدأت يوم انتمكا في اللعب وبتلا من أن يعودا الى أمهما عند المغيب
ظلا يلعبان حتى منتصف الليل.

مع صديقه ، فسألته ، « من هو صديقك الذى أنساك أمك وقلتها عليك وظللت تلعب معه بعد مغيب الشمس ؟ » ، فرد عليها ، « انه القط ، » ، نصرخت أمه غير مصدقة وصاحت ، « القط ، وكيف لم ياكلك ؟ » ، فأجاب ، « اننى لعب معه منذ مدة طويلة وهو صديقى ، فكيف ياكلنى ، وهل تاكل القطط الفيران ؟ » ، فضمنه الى صدرها وقالت ، « الحمد لله الذى أبناك سليما حتى اليوم ، ان هذا القط يسمنك ليأكلك ، الا فتعلم يا بنى ان القط هو عدونا اللدود ، ان القطط تاكل الفيران ونحن الذى طعام لديهم ، انهم متوحشون لا يعرفون الرحمة ، انهم يفترسوننا فى كل لحظة ، فايك ان تذهب للقط مرة اخرى ، واياك ان تخرج من الجحر ان رأيت على ترب منه ، واوصته ونصحتة كما أوصت ونصحت القطبة ابنا القط الصغير ، ووعدتها أيضا بتنفيذ ما أوصته به .

وفى الصباح ذهب القط للفار واندهش حين لم يجده فى أنظاره ، فأخذ يلعب حتى يجيء الفار ، ومضت ساعة ولم يخرج الفار من جحره ، لكنه كان لصفراؤه يراقب انقط ، ويود لو خرج ليلعب معه ، فاقترب قليلا من فتحة الجحر ، فراه القط وناداه ، « تعال والعب معى » ، فرد عليه الفار ، « لا لقد أوصتنى أمى » ، فسأله ، « بماذا أوصتك أمك ؟ » ، فأجاب الفار ، « أوصتنى بأن لا لعب معك ، لانك عدو لنا وانتم القطط تفترسوننا بغير رحمة ، وتاكلوننا نحن الفيران المساكين ، نحن اعداء ولا يصح أن نكون أصدقاء فى يوم من الايام ، وانت لابد أيضا ان تكون أمك قد أوصتك بأكلى وأفتراسى » ، فقال له القط ، « حقا ان القطط تاكل الفيران وهم اعداء لكم ولكننى صاحبك وصديقك والعب معك منذ أيام كثيرة ، وقد أوصتنى أمى ان أكلك ، لكننى لن انشد رغبتهما فاننى احب اللعب وأود أن نظل أصدقاء » .

ولم يجرؤ الفار على الخروج ، فقال القط ، « ما رأيك يا صديقى اذا شاهدتك بأن لا أخونك ولا أكلك وبذلك تضمن عدم خيانتى لك » ، فسأل الفار وكيف يكون المهد ؟ ، فأجاب القط ، « أمسك بيدك فى يدي ونشبك أصابعنا فى بعضهما ، ويقول كل منا للآخر انه سيظل صديقه طول الحياة ولا يخونه ابدا » .

وكان الفار الصغير يريد أن يلعب ، فقال ، « افن ستمطين

المهد ، مات يدك « ، فادخل القط يده الى داخل جحر النار وأمسك بيد الفأر وثبك كل منها أصابعه بأصابع الأخر ، نقبض القط وأمسك بيد الفأر مسكة قوية وجذبه الى الخارج وسخر منه قائلا ، « ألم توصيك أمك أن لا تأمن جاني ، ألم تحكى لك عن هذه الحيلة ؟ »

فأخذ الفأر ينزوع ويتوسل اليه ان يطلقه ، لكن القط قال ، « لا فائدة يا صاحبي ، فقد وعدت امي ان احضرك لها وأكلك أمامها ، فلا تتعبد نفسك ، ولا تفكر لحظة اننى سأتركك ، فقد انتهت حيلتك وسأخذك معي وأكلك أمام امي » ، فقال الفأر ، « الإمر لله ، وقد تأكدت الان من مصيرى ، وعلى أية حال ما دمت ساموت فلأياكلنى صاحبي احسن من أن يأكلنى قط غريب ، لكننى أطلب منك معروفا صغيرا لن يغير من الإمر شيئا ، فقبل ان تأخذنى الى أمك ، سأجلس فى حجرك بين يديك ، وكل ما أريد هو ان نقرأ الفاتحة وتدعو الله معى ان يلهم امي وأبى الصبر بعد ان تأكلنى ، حتى لا يبكي كثيرا ويصابا بالمعبي » ، وقرأ القط مع الفأر الفاتحة ، وكان الفأر فى جحر القط ، فرفع الفأر يديه يدعو الله ويقول ، « اللهم امنح اهلى الصبر والسؤلان على نقدى » ، فرفع القط يديه وقال ، « آمين يارب » ، فانتهز الفأر الفرصة وجرى ودخل الجحر ونجا من الموت ، وسخر من القط وقال له ، « ألم توصيك أمك أن لا تترا الفاتحة مع الفأر » ، فذهل القط وغضب وثار ، وأخذ يروح ويحىء أمام الجحر وهو ينادى النار مبيننا له انه كان يداعبه ، لكن الفأر الصغير الذى رأى الموت بعينه التزم الصمت ، فاتصرف القط غاضبا .

الرجل الذي يبيض

كان الرجل يعمل حطاباً ولديه سبعة اولاد ، يذهب للغابة كل يوم فيقطع الاشجار ويحمل ما قطعه من خشب ، ليبيعه ويكسب قوت عياله .

وبينما كان يحتطب في أحد الايام في الغابة ، هبت ريح شديدة عاصفة ، فكان كل ما يقطعه من الخشب ويكومه ، توقعه الريح وتدرجه بعيدا بعيدا ، حتى تعب الحطاب ولم يقدر ان يحافظ على الاخشاب ، فقال الرجل لنفسه ، « ان احسن شيء هو ان ابحث عن شجرة صغيرة واحفر حولها وانزع جذورها واخرجها من باطن الارض ، فيبدو ان رزق انيوم قليلين » .

ووجد الحطاب شجرة صغيرة كما فكر واراد ، وانحنى يحفر الارض حولها بناسه لينزعها من جذورها ، وقبل ان ينتهي من عمله اسطدبت ناسه بشيء صلب ؛ فتوقف عن العمل وازاح التراب بيديه ، فوجد قدرا من النحاس وكان مغلقا ، ففتحه ، وكتم كانت دهشته حين وجد القدر مملوءا بالعملات الذهبية ، وصرخ الحطاب من الفرح كما كانت الرياح تصرخ من حوله ، لكنه كان رجلا عسائلا ففكر وقال لنفسه ، « لو اخذت الذهب معي الي داري ، فلا بد ان الامر سيفتضح ، ستحكي زوجتي وتذيع السر ، وربما بنت او ابن من اولادي ، فيعرف القايد (1) وعندئذ يامر بالقبض علي ويأخذ الكرز مني ، لذلك ساجرب تجربة صغيرة ؛ واخذ الرجل شيئا قليلا من العملات الذهبية ، واتفل القدر مرة اخرى ، ودفنه في مكان عرفه وعينه واتخذ طريقه الي داره .

(1) - حاكم أو رئيس لقربة صغيرة مثل المدنة في مصر والمختلر في سوريا

وذهب الى السوق وباع هذا القدر القليل من الذهب ، واشترى
دقيقا وزيتا وخضرا كما يفعل في يوم ونير الرزق وليس أكثر ،
واشترى كذلك ثلاث بيضات .

وحين وصل الحطاب الى داره ، أعطى زوجته الدقيق والزيت
والخضر ، وادعى المرض بحجة انه اجهد نفسه في المسبل ، وقد
هبت العاصفة في ذلك اليوم ، وكانت الرياح شديدة ، ودخل الى غرفته
ووضع البيضات الثلاث في حزامه حول وسطه .

وبعد لحظات جاءت زوجته انيه ، فوجدته نائما على غير عادته،
وفد تغطى بغطائه الصوفى : بين ويتوجع تالبا ، فسألته في لهفة ، « ما
الخير ؟ » ، فاجابها ، « اننى أشعر بالآم غريبة وعجيبة في بطنى
ومؤخرتى » ، ومضى يئن ويتوجع ويتأوه ، وبعد دقائق صرح ،
« آه ، آه » ، وغطى نفسه جيدا ، ومد يده الى اسفله وفتح وقال متألما ،
« آه » ، ثم أخرج يده من تحت الغطاء وصاح نزعاً ، « ما هذا ! » ،
وثم لزوجته بيضة كان قد أخذها من حزامه ، فصرخت المرأة مذهولة
وضربت بكتيها على مخذيها دليل الاتفعال والاحساس بالعار ،
وصرخت ، « بيضة ، بيضة ، ايها الرجل ، أنت تبيض كالدجاج » ،
وأمسكت المرأة بالبيضة وكانت دائئة ، فقد أخرجها من حزامه اللتف
حول وسطه ، ومضى الحطاب يتأوه ويفتح ويقول آه ، وكأنه يبيض
ويعسر عليه الامر ، وأخرج لزوجته البيضة الثانية ، فجلست المرأة
بجانبه وقد الجبتها المفاجأة ، فلم تقو على الكلام ، فقال لها الحطاب،
« أنت زوجتى وأم اولادى ، وقد عشنا منذ عشرين عاما سويا ، فلا
تفضحينى » ، فاجابته : « سأسترك ولا افضحك » ، فطلب منها ان
تعطيه وعدا بان لا تحكى ماحدث امامها لاي مخلوق ، فوعده بذلك ، ثم
أخذ يئن ويتوجع مرة أخرى مدعيا انه يبيض ، وأخرج البيضة الثالثة ،
واعطاها لزوجته المذهولة ! .

ولم تمض ساعات حتى جاءت أم الزوجة لتزورها ، فلاحظت
سكوتها وشرودها ، فسألته عن السبب فاجابت ، « ليس هناك
شئ » ، لكن الاجابة كانت غامضة وبعد تردد ، وكأنها تجرأ ان
تعيد السؤال ، فألحت الام وسالت ، « هل ضايك زوجك ؟ » لكن
الزوجة تنهدت وكان الابر اكبر من ذلك ، ففضبت الام وقالت لها ،



وقدم لزوجته بيضة كان قد اخدها من خرامه، فصرخت المرأة مذهولة،
وضربت بكفيها على فخديها دليلك الانفعال، والاحساس بالعار وصرخت
بيضة، بيضة، أيها الرجل أنت تبيض كاللدجاج.

« انا امك ولا تخبريننى بها حدث » ، فتالت الزوجه ، « انها مصيبة يا امى لسد مرضى زوجى مرضا خطيرا وباض كما يبيض الدجاج . هل سمعت بالرجل يبيض ، والله لقد باض امامى ثلاث بيضات ، اخرجها من مؤخرته وامسكت بها دافنه فى يدى ، وهو مريض وناسم فى غرفته الان ، فاندھنت آلام ، وكالت لا تحب الحطاب ، نهى حياته ، وتالت ، « والله كنت قاده لازوركم واره وارى الورد . لكننى الان لا اود رؤيته بعد اليوم ابدا ، يا للعار ، رجل يبيض » ، وتابت وغادرت الدار .

وحين وصلت الى منزلها وجدت ابنها وزوجته فى البيت ، فقد كانت تعيش معها ، فادعت الحزن والشroud ، واخذت تتنهد وتقول ، « يا لطيف ، يا لطيف ، يا لطيف يارب ، استرنا ولا تفضحننا يارب ، وكان هذا على غير عادتها ، فاستنسرھا ابنها عن سر تنهداتها وكلامها الغريب ، فقالت له ، « اسكت يابنى فقد ذهبت اليوم لازور اختك ، فوجدت زوجها » ، وسكت لتثير تشوته ، فسألها ، « هل الم به مكروه ؟ » ، فاجابت ، « مكروه ! واى مكروه ، لقد وجدتته مريضا بمرض غريب وعجيب لم نسمع به من قبل ، ان زوج اختك يبيض » ، فاندھش الابن وصاح ساخرا ، « لا يا امى ، ههنا غير معقول ، فالرجل لا يبيض ابدا » ، فاقسمت له انها راته بعينها يبيض سبع بيضات ، وان اخته حزينة ومهمومة لما حدث ، وتحس بالعار وتتالم لان زوجها يبيض مثل الدجاج .

وبعد ساعات خرج الابن وذهب الى الحلاق ليقص شعره ، وكان هناك عدد من اصدقائه فقال لهم ، « هل تصدقون ان الرجل يبيض ؟ » فاندھشوا واجابوا ، « لا » ، لكن الابن أكد لهم انه يعرف رجلا — وخجل ان يقول انه زوج اخته — قد باض عشر بيضات .

اما الحلاق ، فقد حكى لجاره البقال ، انه قد سمع ان رجلا قد باض اربعين بيضة ، وان هذا يحدث لأول مرة فى البلدة ، وحكى البقال لاحد حراس الملك انه يوجد فى البلدة رجل مريض بمرض غريب ، وقد باض سبعين بيضة .

وفى الصباح بينما كان الوزير يسير فى طريقه الى القصر ليبتل بين يدى الملك ، حكى له الحارس انه حدث شيء غريب فى البلاد ، فلما

استفسر الوزير الحارس ، حكى له ان هناك رجلا قد باض مائة بيضة ، لدخل الوزير وقابل الملك واخبره بما سمعه من الحارس ، تكذب الملك الوزير وصاح غاضبا ، « انت وزير المؤكدة ، فكيف صدق هذا الخبر وتردده علي مسامعي ، كان يجب ان تحشم ؟ » ، و اراد الملك ان يثبت للوزير ان هذا الخبر كاذب ، فامر ان يحضروا له انحارس ، فاتوا به ، ومثل انحارس امام الملك ، وقبل الارض بين يديه ، واستفسره الملك وساله عن الشخص الذي حكى له القصة ، فاجاب ، « انه البقال فلان » ، فاحضروا البقال ، واتوا به الي الملك ، وحين سألته ، اجاب ، انه سمع الخبر من الحلاق فلان فاحضروا الحلاق ، فقال انه سمع من فلان ، « وهو ابن حماء الحطاب » ، فاحضروه للملك ، وحكى انه سمع الخبر من امه ، وان امه عرفت من بنتها ، اخته ، وان الرجل الذي باض هو فلان الحطاب زوج اخته ، فامر الملك ان يحضروا اليه الحطاب في الحال .

وجاء الحطاب ، وقبل الارض بين يدي الملك ، فسأله الملك ، « هل انت الرجل الذي باض مائة بيضة ؟ » ، فضحك الحطاب واجاب ، « مائة بيضة ، وهل من المعقول ان يبيض الرجال يا مولاي ؟ » ، فقال الملك ، « لكن هامو زوج اخذك يقول ان اخته زوجتك اخبرت امه انك بضت » ، فقال الحطاب ، « ان وراء هذا الامر سرا يا مولاي » ، وحكى للملك عن قصة عثوره علي القدر المملوء بالمملات الذهبية وعن خوفه من ان تنزع زوجته وأولاده السر ، فيصل الي مسابح القايد ، فيأخذ الذهب منه ، فاخترع حكاية البيضات الثلاثة التي ادعى انه باضها امام زوجته ، وطلب منها ان تحفظ السر ، وكانت هذه تجربة ليتأكد بها من قدرة زوجته على الكتمان ، لكنها اذاعت السر واصبحت الثلاث بيضات مائة بيضة .

فضحك الملك وسر من ذكاء الحطاب وحكيمته ، وقال له ، « ايها الرجل ، انك عاقل وحكيم ، وظريف خفيف الروح ، اذهب الي الغابة واستخرج كنزك فهو حلال عليك ، ولن يمسك احد بسوء ، رافقتك السلامة » .

(1)

حكاية اللص والمتسولين الثلاثة

تشاجر لصوص مع اصحابه اللصوص العشرة ، وتخاصموا معه وطردوه ، ربما لانهم يحسدونه على مهارته في السرقة وعلى حيله المعجبة .

ومشي اللص في الشارع متضايقا لما حدث ، ولفت انتباهه نداء غريب لتسول ، فنظر ، فرأى متسولا اعمى يجلس بجوار جدار ، يطلب الاحسان ويدعو لمن يعطيه صدقة ان يقضى ليلته في هناك كما يقضى هو ليلته ، فاندب اللص واراد ان يعرف كيف يقضى المتسول الاعى ليلته .

وجلس اللص على مقربة منه ، حتى غربت الشمس ، والاعمى يواصل طلب الاحسان والمعونة ، ويردد قوله الغريب دائما ، يدعو لمن يحسن اليه بقضاء ليلتي سعيدة كليلتي .

واشترى اللص رغيفين وقطعا من اللحم ، واعطى المتسول نصفها ، ولم ياكلها الاعمى ، بل وضعها في جرابه ، وبعد ساعة تام المتسول يدب بعصاه ليرجع الى داره ، فقبضه اللص .

وسار المتسول حتى وصل الى شارع يتبع في وسط البلدة ، ووقف امام دار متوسطة لا بأس بها ، واخرج مفتاحا من جيبه وفتح الباب ، ودخل الدار ، فتسلل اللص وراءه في خفة القطن ، ودخل الدار كذلك ، ورفع المتسول عصاه ودار بها دورة كاملة في صحن الدار وهو يرفعها ويهبط بها بسرعة للتأكد من عدم وجود أي

(1) - كتبت لها سبناريو وحوار واخرجتها للظرفة المغربية باسم « اللص والثلاثة عيان » عام 1976 .

انسان ، ولو لم يدر اللص مع الاعمى ، لاكتشف وجوده ، عندئذ
أقبل الاعمى باب الدار بالفتاح ، وصعد الدرج ، وتبعه اللص بخفة،
وفتح الاعمى بابا آخر ودخل ، وتبعه اللص ، وأقبل الباب ، وكانت
هناك غرفة صغيرة بها بعض المقاعد البالية وحشية قديمة مهلهله ،
وجلس الاعمى ، واللص على مقربة منه يراقبه ، وأخرج الاعمى من
جرابه الرغيف واللحم واكل نصفه وأعاد ما تبقى الى جرابه .

وكان هناك باب آخر تتسدل عليه ستارة رثة ، وقام الاعمى
واتجه الى الباب ، وأزاح الستارة وأخرج مفتاحا كبيرا وفتح الباب
ودخل الى الغرفة ، فبعه اللص مسرعا ، وأقبل الاعمى الباب ،
ونظر للصل ، وانتابه الدوار لما رأى ، فقد كانت الغرفة كبيرة
واسعة ممتلئة بالطنانيس الغالية والاثاث الفخم، فراش من الصوف
مغطى بالفراش الحريري، وستائر نخية، وأوتى فضية وكثير من التحف
الغالية ، وصناديق جميلة مزخرفة ، وفتح الاعمى احد الصناديق
وأخرج ملابس فخمة ، وتقاطين رائعة ، وخلع ملابسه ولبس الملابس
الفخمة وتميم بعمامة محلاة بالجواهر ، ولبس خواتم ذهبية مرصعه
بالاحجار الكريمة .

واتجه الى مقعد كبير فى خيلاء وجلس عليه ومد رجله ثم أخذ
يتحدث وكان حديثا عجيبا ، فهو يتخيل انه كبير من الكبراء او وزير من
الوزراء وأن هناك امامه عبيد وخدم وطلاب حاجات ، يد يده يقبلها
هؤلاء الذين يتخيل وجودهم ، ثم يتحدث بلسانهم ، ويرد عليهم ،
ويصبح هناك حوار ، الله يبارك فيك ، الله يبارك فيك ، نعم ، نعم ،
سأجيب مطالبكم وأحقق رغباتكم الخ ...

وبعد ذلك قام الاعمى واتجه الى صندوق آخر وأخرج منه صرة
ملينة بالعملات الذهبية ورجع الى مقعده وهو يقول ، « خذوا ذهباً،
وأخذ يخرج حفنة من العملات الذهبية ويعطيها لاشخاص وهميين ،
ويمد لهم يده ليقبلوها ، وهضى الاعمى فى تبثيله ، يتكلم ويسأل ويرد
ويحاور ، وكأنه ملك من الملوك ، عندئذ فهم اللص معنى كلام الاعمى
حين يدمو ان يعطيه صدقة ان يقضى ليلة كما يقضى هو لياليه .

وبعد ساعة خلع الاعمى الملابس الفخمة وأعادها الى الصندوق
وأرجع الصرة المليئة بالذهب الى مكانها ، وأخرج من الغرفة يتبعه

اللس ، واتفق بابها ، وأسدل الستارة ومضى الى الحشبة المهلهلة
ونام نومتها .

وذهل اللص لما رأى ، فهذا المتسول يملك المجوهرات والذهب
والإثاث والتحف ، ومع ذلك يتسول وينام على حشبة مهلهلة بل انه
لا يرضى أن يأكل الرغيف بأكمله والجراب ملء بالطعام ، وقال اللص
لنفسه ، « هذا الاعمى كتب عليه أن يعيش فقيرا ويوت فقيرا » .
واقسم ان يسرق منه كل شيء ، وظل اللص ساهرا يراقب الاعمى
وهو نائم ، وقبل الفجر بساعة قام اللص ونفخ ألبنج (1) على الاعمى
نخدره ، واخذ المفتاح ودخل الحجره واحضر ملاءة صوفية وملاها بكل
نفيس وغال ، وغادر الدار بسرعة ، وذهب الى منزله ، ثم عاد الى
دار الاعمى وجمع مرة ثانية ما تبقى من التحف والإثاث ، وسار الى
داره ، ثم عاد مرة ثالثة ومعه عربة صغيرة ، وأخذ كل ما تبقى
وخباه . ورجع وجلس امام دار الاعمى ليرى النتيجة .

واستيقظ المتسول الاعمى متأخرا وليس كماذته ، واحس براسه
ثقيلة ، ويتيار من الهواء يتخلل الدار ، لان اللص ترك الإسواب
مفتوحة ، فقام الاعمى وتناول عصاه وتحسس بها الباب ، فوجده
مفتوحا ، نصرخ ، وجرى الى باب الغرفة الداخلية ، وكان مفتوحا ،
ودخل الغرفة وتحسس بيديه ، فلم يجد شيئا ، لا الصناديق ولا البسط
ولا التحف ، ولا المتعد .

وصرخ ، فقد تأكد انه فقد كل شيء ، كل شيء ، كل ما جمع ،
كانت الغرفة خاوية ، فانكأ الاعمى على وجهه ويكن كثيرا ، لكن
ما فائدة البكاء ، فقام يترنج ، واستعان بعصاه ، وبذل مجهودا كبيرا
كى يستطيع أن يتماسك لينزل الدرج ويخرج من داره .

سار في خطوات ثقيلة ، فراه اللص وتبعه ، وظل الاعمى يمشي
حتى وصل الى منصرف في الطريق يجلس فيه متسول امسى عجوز ،
يطلب الصدقات ويدعو للمحسنين بأن تشملهم بركة من بركات اولياء
الله الصالحين .

اقترب الاعمى من المتسول العجوز وهتف باسمه فرحب الاخر

(1) - البنج بخدر ينترض ان يستعمله اللصوص لتخدير ضحاياهم .

به ودعاه للجلوس بجانبه ، فتهاك الاعمى وجلس وانفجر يبكي ، فاندھش المتسول المعجوز وهذا خاطره وساله عن سر بكائه ، وبصعوبة بلانغ حكي له قصته ، فقال له الاعمى المعجوز ، « ياخي لقد تعديت ، لقد تعديت ، ما حاجتك الى الطنانس والملابس الفحسة وانتحف والمجوهرات ، وما حاجتك الى ادعاء العظيمة وتخيل وجود خدم وعبيد وطلاب حاجات يقبلون يدك ، لقد تعديت » ، لكسه حين وجده غاية في الحزن أخذ يواسيه ، وقال له ، « لو فعلت مثلي ، لها جرى لك ما جرى » ، فسأله الاعمى ، « وماذا تفعل بالمال اذى تحصل عليه ؟ » ، فارهف اللص القريب منها سمعه ، ورد المعجوز ، « اننى يا اخى اجمع المال ثم احوله الي عمالات ذهبيسة واخبئه في عكازى ، فقد احضرت عكازا غليظا » ، ومد له العكاز الذى يمسكه ، واستطرد ، « وقد حفرته لابخيء فيه العملات الذهبية ، ولا يمكن ان يخطر علي بال احد ان هذا العكاز القديم القدر السذى يساوى درهما في داخله كنز » .

فتنهذ المتسول الاعمى وقال ، « ولكننى اصبحت لا املك درهما ، فما فائدة نصيحتك » ، فتعجب منه الاعمى المعجوز واجابه ، « ولكن يا صديقى من اين اتيت بالمال الذى سرق منك ؟ » ، فورد الاعمى ، « من الناس » ، فقال له ، « اذن فأطلب من الناس مرة اخرى واعمل بنصيحتى » .

وانصرف الاعمى ليواصل مهنة التسول ، ويجبع المال مسرة اخرى ، ويقى النص على مقررير من المتسول الاعمى المعجوز يراقبه ، ويفكر كيف يسرقه ، وبعد ساعة قام واتجه الى السوق واشترى عكازا يماثل تماما العكاز الملىء بالذهب ، وحفره وملاه بالملح ليصبح ثقيلًا مثل عكاز المتسول ، ورجع ورأى الاعمى يضع عكازه بجانبه وقد لف ذراعه حوله ، فقرر اللص ان يسر ويدعى انه تعثر في العكاز ويركله برجله ، ويعطى الاعمى العكاز المزور .

وبالفعل سار نهرولا وركل العكاز وهو يتعثر فيه ، لكن الاعمى تنبه وتثبت بالعكاز ولم يتركه ، ونشلت الحيلة .

فجلس اللص يفكر ، وهدهد تفكيره الي ان الاعمى لا يد وان يذهب الى المرحاض ليقتضى حاجته ، ولا يد ان يحاول حل سبرواله ، وعندئذ

تتاح له فرصة استبدال العكاز ، فظل ينتظر وينتظر ، وبعد ساعات قام الاعمى وتوجه ليقضى حاجته ، لكنه لم يترك العكاز ابدا ، ولم يستطع اللص أن يسرق العكاز بأية طريقة .

ومضى يتبع المتسول الاعمى ويراقبه ثلاثة ايام ، ولاحظ انه كثيرا ما يردد في نداءه وهو يطلب الصدقات دعاءه للمحسنين بأن تشملهم بركة من اولياء الله الصالحين .

فاشترى اللص رغيفا كبيرا من انخبز وملاه بقطع كثيرة من اللحم الجيد المشوى ، وقدمه الى المتسول وقتل له ، « انت دائما ايها الرجل الطيب تدعو للمحسنين بان تشملهم بركة من بركات اولياء الله الصالحين ، لقد أعجبتني دعوتك ، وقررت ان اشملك ببركتي ، خذ » ، وناوله الرغيف الكبير المملوء باللحم الشهى الساخن ، وانصرف ، وما أن ذاق المتسول الطعام حتى هتف ، « عد الى ايها الرجل الصالح ، عد الى » ، لكن اللص لم يجبه ، ومضى المتسول يأكل الطعام الشهى وهو غير مصدق ، وهىء له ان احد اولياء الله الصالحين قد شمله عملا ببركته .

وفي اليوم التالى كرر اللص نفس الشيء ، وان كثر قد زاد في كمية اللحم وانتقى صنفا أجود واشهى ، وحين ناداه المتسول لى لهفة ليقبل يده وليمنحه مزيدا من بركاته لم يرد عليه .

وفي اليوم الثالث كرر اللص نفس الشيء في وقت الظهيرة حين يخلو الشارع والاسواق من المارة ، وتبهل حتى امسك الاعمى بيده وقبلها وطلب منه ان يباركه ، فقال له اللص ، « ماذا تريد ايها الرجل الطيب ؟ » ، فاجاب المتسول ، « بركاتك ، بركاتك ، اريد ان احج » ، فقال له اللص ، « ان كنت على استعداد ، اطير بك الان الى مكة لاننى من اصحاب الخطوة » ، يقصد اللص قدرة الاولياء على اتيان المعجزات ، فآخذ الاعمى يقبل يده ورجاه ان يأخذه الى مكة ، فقال اللص في صوت قوى ، « اذن فثبت نفسك وامسك بى جيدا » ، وانحنى اللص وادخل راسه بين رجلي المتسول ، وحمله فوق كتفيه وهتف ، « سأطير بك » ، وسار به اللص وهو يتمايل ويردد ، « نحن الان فوق الجبال » ، وسار به الى سوق الغزل وكان السوق خاليا من الناس والتجار ، وسأله الاعمى ، « اين نحن الان ؟ » ، فاجاب ،

« في مكة في بيت الله الحرام ، وسأحضر لك ثوبا لتحرم به » ، وانزله من فوق ظهره وطلب منه ان يخلع ملبسه ، وترك الاعمى العكاز ، فاخطفه اللص منه في غيضة عين ، وصرخ الاعمى ، «عكازي» ، فنأوله اللص بسرعة العكاز المزور ، وقال له « يا لك من رجل طماع انا من الصالحين وتخلف مني ، انى اعرف سرك ، ان عكازك مائة بالذهب ؛ ساتركك انت وعكازك وذهبك » ، وتركه وانصرف .

نوجم المتسول العجوز وحزن كثيراً ، فقد كان يظن ان اللص من اولياء الله الصالحين ، والا فكيف عرف سره وطار به الى مكة ؛ وندم على عدم ثقته به ، واخذ يفكر كيف سيرجع الى بلاده ، ولبت الاعمى في مكانه ، وبعد وقت قليل جاء الناس والتجار الى السوق، ومن عادة الباعة والمشتريين ان يقرأوا الفاتحة حين تتم الصفقة، فقرأ احدهم الفاتحة ، فرددتها الباعة والمشترون من بعده ، فسبح الاعمى هذا، فظن انه في مكة ، ومضى يردد صائحا ، « لبيك اللهم لبيك » ، وازدحم السوق بالناس ولم يكفه الاعمى عن الابتغال ، فأشار طفل اليه ، « انظروا الى الاعمى السكران » ، وقذفه طفل آخر بالاحجار ، وطارد احد التجار الطفل ، وسأل الاعمى عن امره ، فأجابته «لقد احضرنى هنا الى مكة احد اولياء الصالحين » ، فضحك التاجر وقال له ، « انت في سوق الغزل في بلدة كذا » ، فهتف الاعمى ، « انا في مكة » ، فالتف الناس به يضحكون ، وبدأ الاعمى يدرك الموقف ، وتحسس عكازه جيدا وحمله في يده ليمرف وزنه ولاحظ الفرق ، واخذ يصيح « عكازى ، لقد سرق عكازى » ، فضحك الناس منه وقالوا ، « معك عكاز آخر ، وما قيمة عكاز ثمنه درهم ، ومضى يصرخ ويبكى ويندب ثروته الضائعة ويقول ، « ما يعرف المزود الا المضروب به » ، معناها (لا يدرك الا الملتالم .

اما اللص فحين وصل داره ورأى ما في داخل العكاز من عملات ذهبية مرصوفة فوق بعضها ، تعجب وقال لنفسه ، « لقد كتب انفق على هذا الاعمى ، ان معه هذا الذهب الكثير ويعيش متمسولا هكذا » .



منه، عيسى

فقرا أحدهم الفاتحة، فرددها الباعة والمشترون من بعده، فسمع الأعمى هذا
وظن أنه قبي: مكة ومضى يردد صائحاً لبيك اللهم لبيك ...

ورجع الى سوق الفزل وشهد ما جرى للمتسول الاعمى المعجوز والناس ملتفون حوله ، وهو يصرخ ويكيى ، ولم تكن هناك فائدة من البكاء والصراخ ، وسار الاعمى مترنحا كما ترنح زميله من قبل ، ومشى اللص وراءه وتبعه حتى وصل الى مخزل سوق الخضار حيث وجد متسولا اعمى يطيب الاحسان ويقول ، « من اعطاني صدقة ردها له مولانا عبد القادر » ، فقرأه الاعمى المعجوز السلام وهو يكيى ، فهتف به الاعمى ، « ماذا بك يا اخي ؟ » ، فحكى له ما حدث ، وزاد نقص عليه ما جرى لصاحبها كذلك ، فاخذ يواسيه ويهون عليه المصيبة ، ولكنه انبه قائلا ، « لو انك انت وصاحبك فعلتما مثلى لما استطاع احد ان يسرق ابوالكما فالل عزيز ، ونحن نجعله بصعوبة خلال سنوات طويلة ، فيجب ان نحفظ به معنا ولانفارقه » ، فسأله ، « وكيف يكون ذلك ؟ » ، وانتهبه اللص ليسمع ، واستطرد الاعمى وقال لصاحبه ، « امدد يدك وتحسس هذه الصدرية (لباس داخلي) ، لقد وضعت فيها ابوالى ، اجمع الصدقات واحولها الى عملة ذهبية ثم اخطبها بين قماش الصدرية واعمل فوقها رقعة ، وفي هذه الصدرية مئات القطع الذهبية وهى متسخة ومرقعة ولا يخطر على بال احد انها مهلوة بالذهب ، والبس فوقها اجليات المزق ولا اظلمه ابدا » .

فقال الاعمى المعجوز ، « ليتنى فعلت مثلك لان العكاز ليس مثل الصدرية » ، وفرح اللص بما سمع ، ولكنه احتار ، فهذا المتسول الاعمى لا يفارق الصدرية ولا يخلعها ابدا ، واخذ يفكر .

وبعد ثلاثة ايام وجد الحل ، فذهب الى بائع نحاس واشترى منه آنية نحاسية بغطاء ، واخذ اللص الاتية واشترى صينية مستديرة من النحاس بيكته ان يضع فوقها الاتية ، وذهب الى بائع النسلال واشترى سلة تصلح لان تكون غطاء كبيرا يغطى الاتية باكملها فوق الصينية ، وذهب الى قرية اشتهرت بتربية النحل واشترى كمية كبيرة من التحل الثرسى وطلب من صاحبه ان ييلا الاتية بهذا النحل ، ووضع الاتية فوق الصينية وغطاها بالسلة حتى لا يقدر النحل ان يهرب منها .

واخذ الاتية وذهب الى المتسول الاعمى ، وكان ينادى بطلب الصدقات ويدعو للمحسنين ان يرد لهم مولانا عبد القادر صدقاتهم .

فقره اللص السلام ، وأجاب الامى كمادة التسولين بهزيد من الاحترام المزوج بالذلة ، فقال له اللص ، « انك دائما تقول مولانا عبد القادر يرد الحسنات ، فشكرا لك لقد جئت لاكمثلك ، خذ » ، وناوله الصينية والانية فوقها مملوءة بالنحل ومغطاة بالسلة باحكام ، وتركه وانصرف .

فامسك التسول الامى بالصينية وهو يرتجف غير مصدق اذنيه ، ايكون مولانا عبد القادر بنفسه هو الذى ناوله هذه العطية، ولم لا ، فليس من عادة المحسنين أن يتصدقوا على التسولين بصينية فوقها شيء ثقيل مغطى ، وارتجف قلبه وهو يحمل الصينية الثقيلة ويتحسس السلة التى تغطيها ، لم لا تكون ذهباً ، وخيلت له اطباعه انه رجل مبارك ، زاره مولانا عبد القادر واعطاه .

فقام وسار حذرا ، سار خطوات وخطوات ، تكاد الفرحة ان تقتله ، حتى ابتعد كثيرا عن سوق الخضر ووصل الى مشارف البلدة حيث يقل المارة ، ودخل فى شارع جانبي يعرفه جيدا ، واراهف اذنيه حتى تحقق من خلو المكان ، كل ذلك واللس يتبعه فى خفة ، ومد يده المرتعشة ولزاح الغطاء ، ونجاة دوى طنين النحل الذى كان محبوبا داخل الانية ، يمنعه الغطاء من الحركة ، هاج النحل واخذ يقرص التسول الامى فى وجهه ورتبته وذراعيه وبطنه وارجله ، فى كل مكان من جسده ، وقد دخل الكثير من النحل بين ثيابه وجسده ، وقرصات النحل مؤلمة ، موجعة ، نصرخ التسول من شدة الالم ، ولم يدر ما يفعل ودون ان يشعر أخذ بسرعة يخلع ملابسه ويضرب على جسده ، ودون ان يدري خلع الصدرية ورماعا ، فتلقها اللص قبل ان تنزل الى الارض ومضى بها بعيدا .

وجاء الناس على صراخ الامى يسألونه ما الخبر وساعدهو ليتخلص من النحل ، وان كان النحل قد لسع عددا كبيرا من الناس .

وحين عاد اللص الى داره أخذ يسترجع فى خاطره ما حدث ، وراى امامه اكوابا من الذهب والمجوهرات والاثاث والتحف ، وتذكر حياة التسولين العمى الثلاثة وملابسهم الرثة المتسخة وتقتيرهم على انفسهم وحياتهم المتقشفة وهم يملكون هذه الاموال .

فقرر ان يتكوهم الى الملك ، ولها مثل اللص امام الملك قبل
الارض بين يديه ، وحكى له كل ما حدث ، فامر الملك ان يحضروا
المتسولين الثلاثة ، وأعطاهم الامان وطلب منهم ان يقصوا عليه
الحقيقة ، فاعتزنوا، وحكى كل منهم حكايته تماما كما رواها اللص .

فضحك الملك وقال لهم ، « كيف تطلبون الصدقات وعندكم كل
هذه الاموال ؟ » ، وامر بان يأخذ اللص نصف اموالهم ، وان يعيشوا في
أحد الملاجئ بنصف اموالهم الاخر ، حتى لا يطلبوا الصدقات
مرة أخرى .

أشكون الحمار⁽¹⁾؟ أو من هو الحمار؟

كان التاجر غنياً وجشعاً وأكثر من ذلك بخيلاً لدرجة لا تصدق ، ويروى أهل القرية أنه ورث البخل عن أبيه ، فبالرغم من ثراء الأب لم يرسل ابنه حين كان صغيراً ليتعلم في الجامع ، ليوفر نفقات تعليمه .

وحين مات الأب ورث الابن ثروته وصفاته ، وكان يقترض الفلاحين ويسترد دينه مضاعفاً منهم ، وعمل في تجارة الحبوب، وعرف كيف يضاعف أمواله ، فزادت ثروته مع الأيام ، وتزوج ، لكنه لم يرزق بأولاد .

ومضت سنوات واقترب هو وزوجته من الشيخوخة ، لكنه لم يكف عن الجشع مع زيادة ثروته وظل بخيلاً، تضرب ببخله الأمثال .

وفي يوم جاء إليه أحد الفلاحين وكان قد أخذ منه كيسين من الحبوب ليردها له بعد أشهر قليلة ثلاثة أكياس ، وكان العام تحطاً والمحصول ضعيفاً ، وأراد الفلاح أن يعطى للتاجر كيسين ويبقى الكيس الثالث للعام المقبل، فلم يقبل التاجر، ونهر الفلاح وسبه وهدده بالشكوى لحاكم القرية « القايد » ولم تجد نوسلات الفلاح .

وإنصرف الفلاح حزيناً وذهب إلى نقيه الجامع الذي يعلم الصبية القراءة والكتابة ، وحكى له قصته ، فقال الفقيه : « مسكين أنت يابني،

(1) - كانت هذه أول تنبيلة أعدت لها السبيلريو والحوار وأخرجتها وتبعتها في
في الظفرية المغربية عام 1971 بهذا الاسم .

فهذا الرجل بالرغم من ثرائه بخيل وجشع واننى لآكره ان اذهب اليه
لأرجوه ، لكن من اجلك ومن اجل أطفالك سأذهب اليه في الصباح « ،
وسكت الفقيه ثم هفف نجاة ، : « انه لآمر عجيب ، فقد لاحظت خلال الأيام
الثلاثة الماضية انه يجرى ويقف وراء النافذة ويستمع الى وأنا ألقى الدرس
على الصبية » ، وشكره الفلاح وأصرف .

وكما قال الفقيه، كان التاجر يجرى في الأيام السابقة ويقف وراء
النافذة ويستمع الى كلام الفقيه وهو يلقى الدروس على الصبية الصغار،
وكان هناك سبب ، فقد حدث منذ ثلاثة أيام ، ان سمع التاجر اثناء
سيره في طريق عودته الى داره شيئاً من كلام الفقيه أثار انتباهه ،
فالفقيه في ذلك اليوم ، وكان قد اتعبه الصغار ، وكما يفعل كل مطس
الصبية ان ثارت اعصابهم ، كان الفقيه ينهر الصبية ويسبهم قليلا ،
وكان يقول ، « آه منكم يا شياطين ، كم أتعب معكم ، يرسلكم اهلكم
انى حميرا واطلّ اؤديكم وأعلمكم وأريكم حتى تكبروا وتفلحوا ويصبح
منكم نتاجر والفقيه والقاضي ، في البداية تاتون الى حميرا وأنا اتب
وأنتم لا تقدرن » ، ولها كان التاجر جاهلا بالرغم من ثرائه ، فقد رفض
ابوه ان يعطيه ، استرعى انتباهه قول الفقيه يرسلكم اهلكم الى حميرا
وأريكم حتى تكبروا ويصبح منكم التاجر الخ ... عندئذ ظن ان الفقيه
يقدر ان يحول الجمار اليه بنى آدم ، فأسرع الى زوجته وأخبرها وهو
فرحان بها سمع ، وقال لها ، انه سيختار أحسن حمار عنده ويأخذه
الى الفقيه ليحوله الى بنى آدم ويصبح ابنه لآته ليس لديهما اولاد .

وذهب التاجر مع حماره المختار ، وطرق دار الفقيه في الليل ،
وفرّح الفقيه لآته وجدها فرصة ليرجوه كى يؤجل دين الفلاح . لكن
التاجر لم يدع له فرصة للكلام ، وقال له بمنفلا ، « لقد سمعتك تقول
للصبية انهم ياتون اليك حميرا وانت تتعب معهم حتى يصبحوا تجارا
مثلى فلنيس لدى اولاد ، وسأعطيك ما تطلب » ، فلم يصدق الفقيه ما
سمع وكتم ضحكته ، ثم تكلم الفقيه وطلب من التاجر ان يمهّل الفلاح
لسداد دينه ، فلم يوانق التاجر وغضب واتهم الفلاح بالطمع والخبث ،
ورجا الفقيه ان لا يتكلم في الموضوع لأن هناك موضوعا أهم وهو حصوله
على ابن ، وعاد الى حكاية الحمار ، عندئذ قال له الفقيه ، « ابن الامر
يحتاج الى وقت ، وطلب منه كيسا من القمح ، ففرح التاجر واحضر



وذهب التاجر مع حمارة المختار وطرق دار الفقيه في الليل.

بسرعة كيسا من القمح وسأله ، « ومتى يصير الحمار بنى آدم ؟ » ، فرد
الفتية ، « بعد سنة » وجاء الفلاح الى الفتية ، فأعطاه الكيس
فلحذه الفلاح ورده الى التاجر .

وبعد أن مضى عام جاء التاجر وطرق باب الفتية الذي لم يكن
موجوداً ، فاستقبله خادمه ، وكان يعرف القصة والايحب التاجر لجشمه .
وسأل التاجر عن الفتية ، فأخبره الخادم بغيابه ، فسأل عن ابنه فكنم
الخادم ضحكاته وأجابه ساخراً « آه تقصد سي بوعزة ، آه لقد صار
الحمار بنى آدم وسمى نفسه بوعزة » .

نهتف التاجر فرحا « واين هو ، اين هو ؟ » فاستطرد الخادم ،
« الحق لقد أصبح شابا ذكيا ، لم يرض ان يبقى هنا في هذه القرية
الصفيرة ، وقد رحل الى مدينة الصويرة ، وفتح هناك في السوق هديونا
وأصبح تاجرا مشهورا ، أسأل اى شخص في الصويرة عن بوعزة تاجر
الصوف ، يعرفه » ، فازداد انفعال التاجر من شدة الفرح وهتف ،
« وكيف تتركونه يرحل دون اخفى » ، فأجاب الخادم « لقد حاولنا منعه لكنه
لم يقبل » ، فقال التاجر ، « سأسافر في الحال الى الصويرة لأحضره » .
فقال الخادم في دهاء ، « لكننى أخاف ان لا يعرفك ، على اية
حال خذ معك المخلاة ، (الملائمة) انسى كسان ياكل
منها ، وسيعرفها بالطبع ، لكن عليك ان تحركها أمامه ، مرة ،
بن مرات حتى يتفكرك » ، وكان هذا ابعانا في السخرية .

فانصرف التاجر مسرعا وجهز نفسه للرحيل الى الصويرة ، ووصلها
بعد ايام ، وكان الخادم يعرف تاجرا مشهورا يبيع الصوف بالفعل في
الصويرة ، اسمه بوعزة ، لذلك عندها سأل التاجر عن بوعزة تاجر
الصوف ارشدوه اليه ، فاقترب من الحانوت على مهل ، وكاد قلبه
ان يتوقف من شدة الانفعال ، فقد كان بوعزة يبيع الصوف ، وهو
رجل في مقتبل عمره ، جميل الشكل ، منتول المضلات ، ووقف التاجر
بقابل ابنة المزعوم في فرحة وسعادة ، وقد اخفى المخلاة وراء ظهره .

ثم اقترب التاجر من بوعزة ببطء وأظهر له المخلاة وقد بسط
ذراعيه وأمسك بالمخلاة ، وترىها منه ، فظن بوعزة انه احد الزبائن
المسألة عن حاجته فلم يجب التاجر وهز المخلاة قليلا أمام بوعزة ، فسأله

مرة أخرى ان كان يريد شراء شيء من الصوف ، فابتسم التاجر وهز المخلاة مرة أخرى . عندئذ هتف به بوعزة : « ماذا تريد ايها الرجل ؟ » ، فابتسم التاجر وأجاب : « الا تعرفنى يا بنى ؟ » فهز التاجر راسه وبدا الغضب يتملكه وساله فى غلظة : « ماذا تريد ايها الرجل ابعد هذه المخلاة عنى يا احمق » . نهض التاجر يهز المخلاة ويتعد ويقرب وهو يلوح بالمخلاة ويقربها من بوعزة : فغضب بوعزة ونهره ، نصاح التاجر « الا تعرفنى يا حمارى انا ابوك؟ » ، واقبل بعض الزبائن والجيران ، وحين كرر التاجر حركاته ، اسك به بوعزة وقال له ، « لا بد لك رجل مجنون » ، فغضب التاجر وصاح به ، « انا مجنون ، الست اباك يا حمار » ، عندئذ ضربه التاجر ، واجتمع الناس ولولا تدخلهم لسامت العاقبة .

ورجع التاجر غاضبا الى تربيته وذهب الى الفقيه ، وحين رآه هتف به مستجدا ، « سيدى الفقيه لقد ضربنى ابنى الحمار العاق ، وكل ما اريده منك الآن ان ترجعه حمارا كما كان ، وانا على استعداد ان ادفع لك ما تطلب » .

فضحك الفقيه ، ودخل الى ساحة الدار ، وعاد معه الحمار ، وما ان رآه التاجر حتى انهال عليه ضربا وهو يقول ، « ادعيت انك لاتعرفنى وسببتنى وضربتنى ، خذ ، خذ ، » ، وانهال عليه ضربا ، وانصرف التاجر ومعهم حماره .

حكاية فتاة من خشب

يروى انه كان فى قديم الزمان ملك من الملوك ، ماتت زوجته الحسنة التى كان يحبها جدا قويا صادقا ، وتركت له ايسة تشبهها تلبها، جميلة وفاتنة مثلها .

وكان اذى الملك خاتم الحكمة اذى يخدمه جنى يلبس دائها اواير صاحبه ويحقق له رغباته .

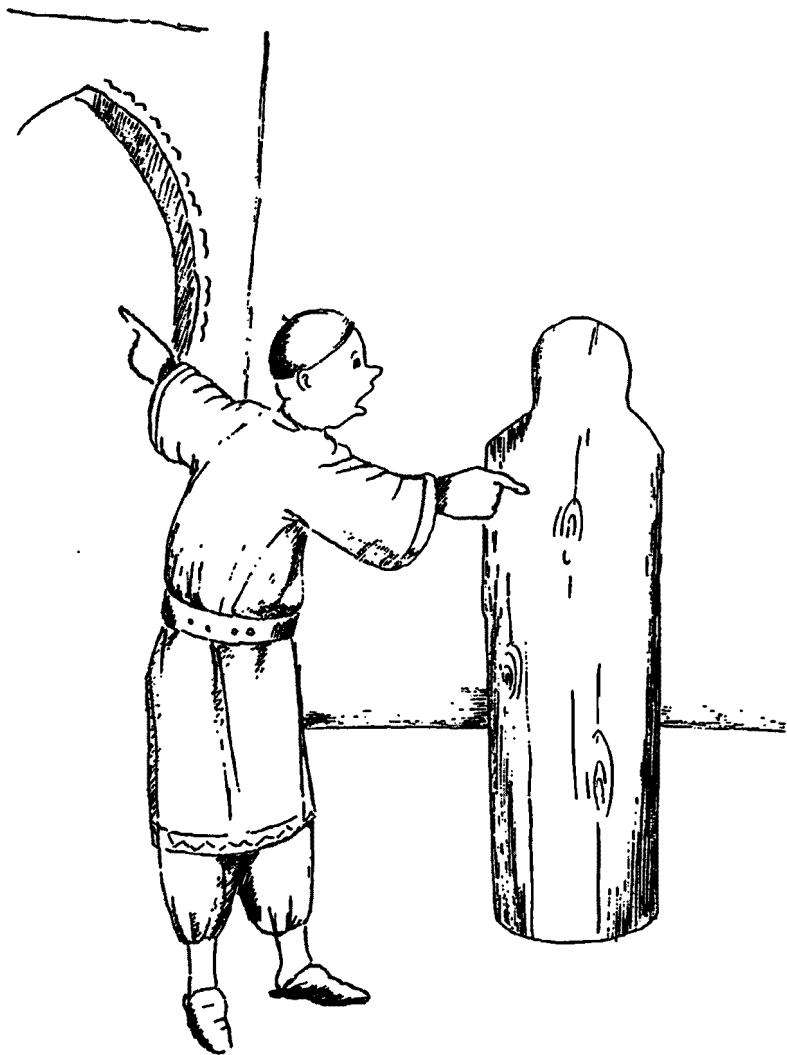
ومضت السنوات ولم ينس الملك زوجته الجميلة وظل وفيها لذكراها بالرغم من ثرائه وامتلاء قصره بالجوارى وحيازته للخاتم العجيب الذى يتيح له ان يحصل على ما يريد .

وكبرت الابنة واصبحت شابة حسنة ساحرة وفاتنة كاهما ، وتذكر نللك زوجته فى اوان ايام زواجه بها ، لقد كانت شبيهة بها ، وهيرة له انها زوجته وليست ابنته ، فقرر ان يتزوجها .

وعندما عرفت الاميرة الشابة رغبة ابيها ، وما اعترم ان يفعله ، اخذت الخاتم خفية ، وصرة من المال، وخرجت من القصر الى بلاد الله الواسعة .

وذهب الى نجار وطلبت منه ان يصنع لها تمثالا من الخشب ، فصنع لها النجار التمثال ، فدخلت فيه واغلقتة على نفسها .

وسارت فى طريقها ، ومرت ببلاد كثيرة وكانت تتادى وتتول ، « من يريد خادمة ، من يريد خادمة » ، فيضحك الناس ويرددون ، « خادمة من الخشب ، ما اعجب هذا ! » ، وتضايقت لانه ليس هناك من يريد ان يستخدمها .



ففتح الباب أحد الحراس ولم يجد أحداً

وسارت الى نادة أخرى ولم تسأل احدا من الناس ان يستخدمها ؛ بل ذهبت الى قصر الملك وطرقت باب القصر ، ففتح الباب احد الحراس ولم يجد احدا فأغلق الباب ، فأعدت الطرق ، ففتح الحارس الابواب مرة أخرى وأغلقه في ضيق لانه لم يجد احدا ، لكنها طرقت الباب للمرة الثالثة ، وحين فتحه الحارس ، قالت له ، « أريد ان اخدم في القصر » .

فاندھش الحارس وأسرع الى الملك وأخبره بأن هناك (خشبية) بنت خشبية بالباب ، وتتكلم كالبشر وتطلب ان تخدم في القصر ، فضحك الملك وأمره ان يدخلها الى القصر وأن تخدم في الحمام .

ولم يكذب يمشى اسبوع حتى حان ميعاد زفاف الامير ابن الملك الى ابنة عمه ، واهتمت الملكة بتجهيز كل ما يلزم حفلة العرس ، وكلفت كل جارية وخدمة بعمل معين لكنها لم تكلف الخادمة الخشبية يأي عمل لتقوم به .

فسألت الخادمة الخشبية الملكة ان تسمح لها بالخدمة في المطبخ، ففرحت الملكة وكلفتها بانضاج اللحم، لكن الفتاة الخشبية سألت الملكة ان تترك لها مهمة انضاج كل اصناف الطعام التي ستقدم في العرس ، وبينت لها انها على استعداد بأن تنجز هذا العمل في خلال سبع دقائق ، فان لم تعمل فليقطعوا رقبته ، لكنها طلبت ان يخرج الخدم والجوارى من المطبخ، وتبقى هي وحدها، فوافقت الملكة وهي مندهشة، ونفذت رغبة الفتاة .

وما أن انقفلت ابواب المطبخ ، حتى حكمت الفتاة خاتم الحكمة ، وجاء اليها الجنى خادم الخاتم ، فطلبت منه ان ينضج الطعام ويضعه في الاطباق والأواني في خلال سبع دقائق ، وقبل ان تضي السبع دقائق كان امرها تدنفذ ، ففتحت الابواب ، وخرجت الى الملكة ، وسألها ان تقدم لتذوق الطعام ، فذهلت الملكة لها رات .

واتيتمت الامراج ، وابتدا الضيوف يتوأمدون ، وأضيئت الإتوار وصدحت الموسيقى ، وطلبت الفتاة الخشبية من الملكة ان تسمح لها بأن تلبس ثوبا من أثوابها كمكانة لها على ما فعلت ، فتمعجبت الملكة ، لكنها وافقت ان تلبس الفتاة احد أثوابها .

واختارت الفتاة ثوباً من أثواب الملكة ، لونه كلون الشمس المشرقة ، وكانت الفتاة الخشبية حساناً فائقة رائعة الجال ، وكانت اميرة تعرف كيف تتزين ، لذلك فوجيء الدعون بفاتنة فاق جمالها جمال كل امرأة في الحفل ، تلبس ثوباً يضوى كما تضوى اشعة الشمس المشرقة ، حتى ان الملكة لم تدرك ان هذا الثوب هو ثوبها ، وحين اتبل الامير ، واقترب من العروس ومعه عقد من الجواهر الثمينة ، وسوار من الاحجار الكريمة ، وخاتم ثمين ، وكانت الاميرة الجميلة واتفة وراء العروس ، فصعق الامير جمالها ، فنسى عروسه ، واصابه الدوار ، ولم يدر ما يفعل فوضع الخاتم في اصبع الاميرة الجميلة ، واحسب معصمها بالسوار ، واتبسها المقد ، فغضبت العروس ، وخرجت من تاعة الاحتفال ، واختفت الاميرة الجميلة كذلك .

فوجيء الملك والملكة والضيوف بما حدث ، وعم القصر الهرج والمرج ، فكل ما حدث ، حدث في لحظات قصيرة ، حتى ان اغلب الموجودين لم يعرفوا ماذا جرى ، لكن العروس صممت على مفاسرة القصر ، وصاح الامير وانصح عن عدم رغبته في اتمام الزواج .

ولم يكد يمضى اسبوع على الحادث ، حتى كان الامير يعاني مرضاً تاسياً ، وحرار الاطباء في شفاه والسحرة كذلك .

وفي يوم تقدمت الفتاة الخشبية الى الملكة ، وبينت لها انها قادرة على شفاء الامير ، وانها تعرف دواءه ، ففرحت الملكة ورجتها ان تسرع بعلاج ابنها وشفاه .

فصنعت الفتاة سميدة (I) وقدمتها للامير ليشرها ، فرفض ، وكانت قد وضعت الخاتم الذي وضعه الامير في اصبعها بجوار الطبق المحتوى على السميدة ، وعندما رفض الامير ، قالت له ، « انظر بجوار الطبق » ، فنظر ورأى الخاتم ، فشرب السميدة ، وابتسم ، وسألها عن صاحبة الخاتم ، فاجابته ، « ستجىء اليك ان شريت السميدة ثلاث مرات ، مرة كل يوم ، وها انت قد شريت مرة ، فبقى لك مرتان ، اى يومان، ثم تجىء اليك حبيبك الذى كانت تلبس ثوباً فلون الشمس» ، فصاح الامير ، « اين هي ؟ » ، وبدأ يتهازل للشفاء .

(I) - حياء يصنع من الدقيق .

وفي اليوم التالي قدمت له السيدة مع السوار ، وفي اليوم الثالث قدمت له السيدة مع العقد ، وكان قد تارب الشفاء ، وسألها مهنها ، « أين حبيبتي ؟ » ، فخرجت من التمثال الخشبي ، وحكت له قصتها ولكنها طلبت منه ان يكتم السر .

وذهب الامير الى ابيه الملك ، وطلب منه ان يزوجه الى الخادمة الخشبية ، فتضايق الملك ، وغضب ، وقال له ، « لقد زوجتك من ابنة عمك ، وهى ابيرة جلييلة ، لباذا سلكت سلوكا قبيحا ووضعت انخام فى اصبع فتاة اخرى وكذلك العقد والسوار ، حتى غضبت ابنة عمك وغادرت القصر ، وكانت فضيحة » ، لكن الامير صمم على طلبه .

وحين علمت الملكة بالامر ، اصابها المرض ، لكن حب الام لابنها ، وما قاسته حين داهمه المرض اخيرا ، جعلها توافق على الزواج ، ورجت الملك ان يوافق على الزواج، ولما كان الملك يحب ابنة حباشديدا فقد قبل ان يزوجه الخادمة الخشبية .

وحكت الاميرة خاتم الحكمة ، نجاء خادمه الجنى ، فأمرته ان يبني لها قصرا من البللور قبل ان تنتهى حفلة زفافها ، وان يبلاه بانخر انواع الاناث التي لم تد لها الناس مثيلا من قبل ، وان تكون الكؤوس من اذهب والحشمايا من ريش النعام ، والبسط مزخرفة بأروع الرسوم، وان يكون القصر أكبر من قصر الملك ، وله حديقة جميلة تسر القلوب وترتاح لرؤياها العيون ، وطلبت منه كذلك ثوبا فى لون القمر ، وقرطا به جوهرة نادرة فى شكل العين ، وحجرا كريما ثمينا فى شكل الفم لتضعه على جبهتها ، واحضر لها الجنى فى الحال ما طلبت من ثوب وجواهر ، ووعد باقامة القصر قبل ان ينتهى حذل الزفاف .

واتميت الافراح ، لكن الملك كان غضبانا ، والمملكة كانت حزينة ، فالتاس تكتم ضحكاتها ، والحاشية تسخر ، فالامير سيتزوج خادمة مصنوعة من الخشب .

لكن فوجيء الملك والمملكة وكل الحاضرين بالامير يدخل صالة الاحتفال وجانبه حورية حسناء ، لا يستطيع احد ان ينظر اليها ويطيل النظر ، لان جمالها يخطف الابصار ، ويتلألا ثوبها النقى ، ويتعلق القرط من اذنيها ، وبه عينان من الجواهر الكريمة تنظران الى الناس ، لتهنما عنها

حسد الحاسدين وتقيها شرهم ، وعلقت على جبهتها جوهرة في شكل
الدم ، لكن شفيتها الحقيقيتين كان جمالها يضارع جمال الجوهرة
وسناها ، ان لم يكن أروع ، وعرف الملك الفتاة ، وأدرك انها هي نفس
الفتاة الحسنة التي أضاعت صواب الأمير ، وقدم لها في ليلة زفانه
السابقة هدايا عروسه ، فأقبل إليها وسألها ، « من انت أيتها الفتاة
انساحرة ؟ » ، فحكته له قصتها .

وقبل ان ينتهى الحفل ، انتبه الجميع الى قصر من البللور مجاور
لقصر الملك وقد ظهر فجأة تتلألا منه الضياء ويشع منه نور أبيض عجيب
لم يعرفه أحد من قبل ، وضحكت الأميرة الجميلة وقالت للملك ، « هذا
قصرى تعالوا إليه » ، واصطحبت الملك والملكة الى القصر البلورى
العجيب، فدهشوا عندما رأوا الحديقة الجميلة ، وحين دخلوا القصر
ساحوا وصرخوا اعجابا بها شاهدوا ، وصممت الأميرة ان تقيم الانزاح
مرة أخرى في قصرها البلورى ، لربيعين ليلة ، ثم عاشت مع الأمير
في سعادة غامرة ورزقوا بالبنين والبنات .

شراب الزبيب

مات الرجل ، فحزنت زوجته ، ولم يبق معها الا ابنها الصغير الذى لا يتجاوز عمره ست سنوات .

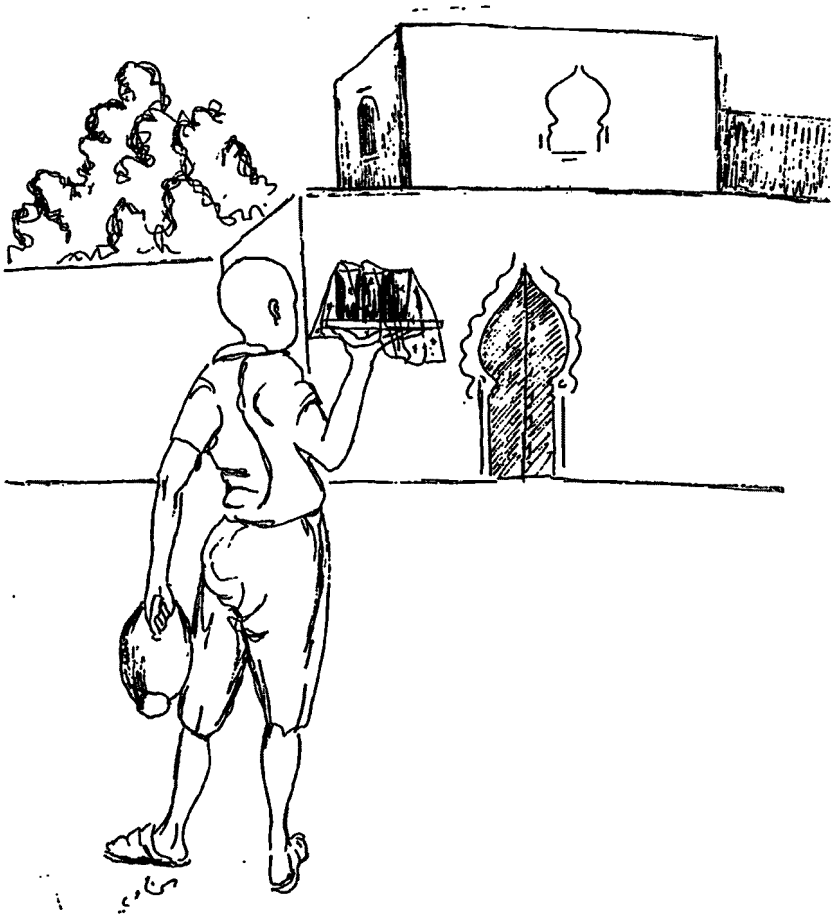
وقاست من شظف ألمعيش بعد أن فقدت الاسرة عائلها ، لذلك فكرت فى طريقة لتحصل بها هى وابنها على رزقهما ، وكان الولد جميلا حسن الصورة ووهبه الله صوتا شجيا .

فصنعت الام شراب الزبيب ، ووضعت فى اناء حسن الشكل نظيف ، وأبست ابنها جلبابا ابيض ، وطلبت منه ان يذهب الى المشور (1) حيث يبيع شراب الزبيب ، وطلبت منه ان يتلادى ويقول ، «اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد الحبيب انا ابيع شراب الزبيب» .

وكان الغلام يذهب كل يوم الى باب المشور ، وينادى ليبيع ما يحمله من شراب ، وراه الملك وأعجبه أنه حسن الصوت جميل الصورة نظيف الثياب ، فناداه وطلب منه شيئا من شراب الزبيب ، فأنحى وقبل يد الملك ، وقدم له كوبا نظيفا ، فذاق الملك الشراب وأعجبه مذاقه وتادب الغلام ، فكافأه .

ولما كان من عادة الملك ان يجرى الى المشور كل يوم فى الصباح ليتلقى شكايات الناس ويحكم بينهم بالمعدل ويتفقد شؤون الرعية ، فقد تعود ان يتلادى الغلام ويشرب من شرابه ويكافئه ، بل زاد عن ذلك فكان يقبل الغلام لما رآه من حسن أدبه وكمال سلوكه ، بالرغم من صغر سنه .

(1) - المشور ساحة ايام قصر السلطان والمنى روى لانه بالحاكية الشعبية .



وكان الغلام يذهب كل يوم الى باب المشور وينادي ليبيع ما يحمله من
ثراب

وتضايق الوزير فربها كبر الولد والملك معجب به ، وكان الوزير
حتودا ، ففكر في خطة وحيلة ليعمد بها الطفل عن الملك ويتخلص منه .

فنادى الوزير الطفل في يوم من الايام وسأله عن اهله فساخبره
الطفل بقصته ، فقال له الوزير ، « اطلب من أمك أن تضع لك لثما
نوق وجهك لأن الملك لا يعجبه شكك وتضايقه رائحة فمك القبيحة » .

فأخبر الطفل أمه بما قاله الوزير ، وسرعان ما أحضرت الأم قطعة
من التماشى ووضعتها كلاثم فوق وجه الطفل .

وحين رأى الملك الغلام ملثما ، اندهش وعبر عن دهشته للوزير
نذى كان بجانبه ، فقال له الوزير انه اندهش هو الآخر حين رأى
الغلام ملثما ، وقد سأله عن السبب ، وأبدى الوزير شيئا من التردد
والقلق ، وقال ألمك ، « أخاف يا مولاي أن أخبرك بالحقيقة فتضايق » ،
فنشوق الملك وأبدى لهفته لمعرفة الحقيقة ، فقال الوزير ، « لقد
قال الطفل انه وضع اللثام حتى لا تقبله يا مولاي لأن رائحة فمك
قبيحة » ، وانصرف الوزير ، وتضايق الملك ونوى أمرا ، ونفذه في
البحر ، نادى الملك السيف وقال له ، « غدا في الصباح عليك حين
تفتح باب المشور أن تقطع رقبة أول شخص يجيء الى الباب » .

فأجاب السيف ، « سها وطاعة يا مولاي » ، وتفكر السيف
أن أول من يجيء الى الباب هو ذلك الطفل النظيف الجميل ، الذي
يبيع شراب الزبيب ، لكن كان عليه أن ينفذ أمر الملك .

وفي الليل جاءت الاخبار بأن هناك قبيلة ثائرة ، فأسرع الوزير
و الصباح الباكر ليبلغ الملك بما حدث ، وحين وصل الى باب المشور
تفتاه السيف وقطع رأسه ، وبعد قليل جاء الملك ، وأخبره السيف
انه نفذ أمره وقطع رقبة الوزير .

ولم تمش ساعة حتى سمع الملك الطفل ينادى ويقول ، « اللهم
صل على سيدنا محمد الحبيب أنا أبيع شراب الزبيب » ، فناداه الملك .
وسأله ، « لماذا تأخرت ولم تجيء اليوم بكرا كعادتك ؟ » ، فأجاب
الطفل ، « الحق يا مولاي اني مريض لاننى لم اتعود أن أضع لثما ،
وقد سبب لى اللثام المرض في أنفى والحرارة في جسدى » ، فسأله

الملك ، « ولماذا وضمت اللثام ؟ » ، فأجاب الطفل ، « بسببك يا مولاي فقد أخبرني الوزير أنك تتضايق من رؤية وجهي ومن رائحة فمي القبيحة » ، فادرك الملك الحيلة ، وعرف أن الوزير كان حقودا فنقل الغلام ، « ناد وقل اللهم صل على سيدنا محمد الحبيب أنا أبيع شراب الزبيب ، ومن يحفر حفرة لأخيه ، فيها يغيب » ، ففعل الطفل ، وأصبح ينادى تهما كما امره الملك .

طائر الحكمة

كان محمد الخطاب رجلا تقيا صالحا ، وبعد ان ماتت زوجته الطيبة ازداد تدينه وكثرت صلواته وتسايحه ، فكان يقضى النهار يحتطب ، وفي الليل يتزهد ويتعبد ولا ينام الا قليلا ، واعتبره الناس من عباد الله الصالحين .

وامتنى بتربية ولديه ، احمد الذي لم يتجاوز عمره عشر سنوات ومحمد الاصغر منه بقليل ، وارسلهما الى الجامع (المسجد) وحثهما على حفظ القرآن الكريم والحديث الشريف ومجاورة الفقهاء والعلماء ، وشمر الخطاب بحاجته الى زوجة لترعى شؤون داره واولاده ، فتزوج .

وما ان مضت شهور قليلة حتى بدأت زوجة الاب تقسو على اولدين وتعاملهما معاملة سيئة ، وكان لها من الحيل والدهاء الشيء الكثير ، فكانت تخفى كرهها لهما وتدعى امام الاب الاكاذيب وتتهم الولدين باتيان كل عمل تبسح .

وعجز الولدان ان يفضحا امرها او يحيطا الاب علما بما يتسابقه من زوجته من الايذاء والحرمان من الطعام ، وشاعت للمقادير ان يزداد الخطاب فقرا مع مرور الايام ، فقد شحت الغابة بالاشجار الصالحة للاحتطاب ، وتناست الاسرة من الفقر ، وحين لقبل الشتاء كان كوخ الخطاب يكاد ان يكون خاويا من الطعام .

وفي يوم ذهب الي الغابة ، وكان اليوم مطرا ، وهبت العاصفة ولم يستطع ان يحتطب شيئا ، وانتابه الحزن ، فكيف يرجع لزوجته واولاده خاوي الوفاض ، فبكى الخطاب واشتكى لربه وابتهل الي تعالى ان يرزقه ويغنيه .

وقبل أن ينتهى من دعائه ، جاء اليه طائر جليل الشكل ، ووقف على كتفه مستسلما ، فأمسكه الحطاب وابتسم وأطلقه تائلا ، « اذهب وانت حر ، فما حاجتى بك » ، فطار الطائر وحوم حول الحطاب ورجع ونزل ووقف على كتفه ، فأطلقه الحطاب مرة أخرى ، لكن الطائر طار ودار دورة حول الحطاب وجاء ووقف على كتفه مستسلما ، فأمسكه ووضعه فى كيسه وقال للطائر ، « سأعطيك لأولادى ليلعبوا بك » .

وعندما رجع الى كوخه ، حكى لزوجته ما حدث ، وطلب منها ان تجهز شيئا من الحريرة (وهى حساء شعبي مغربى) لانه لم يرزق بشيء ، وقال لولديه انه قد احضر لهما طائرا جبيلا ليلعبا به ، ففرح الاولدان واخذوا يلعبان بالطائر حتى نسيا جوعهما ولم يهتما حتى بالمشاء ، واصر محمد ان ينام الطائر معه .

وفى الصباح ايقظ الحطاب ولديه ليذهبا الى الجامع ، ليتابعها دروسهما ، ونظر الحطاب فوجد بجوار محمد ياتوتة كبيرة تلعب وتتلاها ، فسأل ابنه من اين جاءت ؟ فأجابه محمد بانه لا يعرف من امرها شيئا ، فاستقسم منه ان كان قد اخذها من احد التلاميذ الذين يدرسون معه ، فأنكر محمد ذلك ، وقالت الزوجة ، « ان هذا لا يكون الا عند تجار الذهب والجوهرات » ، وطلبت من زوجها ان يذهب الى السوق ليبيعها وابدى الحطاب ترددا ، وبين لها خونه من ان يظنوه لصا ، لكنها شجعتهم ودفعته الى الذهاب .

وخرج ، ومشى الى السوق الذى يباع فيه الذهب ويشترى ، ولم يكن يعرف اى الحوانيت يدخل ، وراه تاجر شاب ، عرف عنه الدهاء والتعامل مع اللصوص ، فقد كان يشتري منهم المسروقات بثمن بخس ، فظننه لصا من اللصوص ، وناداه وسأله ان كان يريد ان يبيع شيئا ، فأخرج الحطاب الياتوتة وناولها له ، فأمسكها التاجر بين يديه ، واندھش لتفاوتها وكبر حجمها ، فقال له ، « اتبيعها بثلاثمائة دينار » ، فهتف الحطاب مندھشا ، « ثلاثمائة دينار » ، فرد التاجر ، « اننى على استعداد ان اذفع لك خمسمائة دينار » ، فذهل الحطاب وسكت قليلا وقد ضن التاجر يسخر منه ، وقال له ، « اننى رجل كبير نهل تسخر منى ؟ » ، فأجاب التاجر ، « سأدفع لك الف دينار ولن ازيحك فما رأيك ؟ » ،



جاء اليه طائر جميل الشكل ووقف على كتفيه مستسلما

ولم يصدق الحطاب ما سمعه ورد قائلا ، « لا مانع اننى اوافق » ،
واخذ الالف دينار وعاد فرحا الى كوخه .

وحكى لزوجته ما حدث ، فقالت له ، « هذا رزقنا ، وكفاك تعباً ولا
داعى ان تذهب للغلبة لتحطب » ، وامتلاً كوخ الحطاب بالطعام واحضر
لاولاده ملابس جديدة ، وفي المساء كانت الفرحة تتم الجميع . ونام
احمد ومحمد سعيدين ، فقد أكلا ما لذ وطاب ، وفرحا بالملابس الكثيرة
التي احضرها لهما ابوهما ، واصر احمد في هذه الليلة ان ينام معه
الطائر ، فلم يعارضه محمد .

وفي الصباح أسرع احمد وابقظ أباه ليخبره انه وجد هو الآخر
ياقوتة كبيرة تلعب ويخطف سناها الإبصار ، تماثل تماماً تلك التى
وجدها محمد فى اليوم السابق ، نشك الاب وزوجته فى ان يكون الطائر
الجميل هو مصدر هذه اليقوتة ، واحتر الجبيع فى الامر ، لكن ذلك لم
ينع الزوجة ان تحت الحطاب على الاسراع والذهاب الى سوق الذهب
والجواهر ليبيع اليقوتة كما باع السابقة بالامس ، ولم تمض ساعة حتى
رجع الحطاب ومعه الف دينار .

وراقبوا الطائر وغطوه بسلة ، وفى الصباح التالى وجدوا تحته :
ياقوتة كبيرة نقية مائة للاخريتين ، فتأكدوا ان الطائر الجميل يبيض
كل يوم ياقوتة غالية ثمينة ، وهرع الحطاب للسوق وباع اليقوتة بالف
دينار ، وقال له التاجر الشاب ، « أرجوك ان لا تذهب الى تاجر آخر » .
ذلك لأنه كان يريح الف دينار ، ناليقوتة تساوى الفين .

ولم ينس الحطاب ان يحضر قفصا كبيرا فخما للطائر . ومضت
الايام واشترى الحطاب دارا وملاها بالاثاث الجميل ، وطلبت زوجته
ان يشتري لها جارية ، ففعل ، اما احمد ومحمد فكل ما تمنياه وجداه
امامهما .

وكان الحطاب يذهب كل يوم الى السوق وبييع للتاجر ياقوتة ،
يكاد ألتاجر ان يجن ، فالامر غريب ، واخذ يتساءل ، كيف يحصل الحطاب
على هذه الجواهر الثمينة يوما بعد يوم ، اىكون قد عنث على كثر ؟ ،
لكن الكتوز لا يوجد فيها هذا العدد الكبير من اليقوت بهذا الشكل الاخاذ،
نرى ايسرق الرجل اليقوت من بيت المال ؟ حتى لو كان يفعل ، لفرغ

بيت المال ، وحاول التاجر أن يستفسر من الخطاب ، لكن الخطاب نهره ويبين له أنه لا يجب أن يسمح هذا الكلام مرة أخرى والأفلن يجيء إليه أو يبيعه الياتوت ، فسكت التاجر مضطرا وترك للأيام أن تكشف له السر .

وحمد الخطاب ربه وشكره ، فقد ايقن أنه جل وتعالى قد استجاب لدعائه في الغابة وأغناه ، فكان يكثر من الصلاة وقراءة القرآن والتسابيح ويحمد الله على نعمته . لذلك حين مر المنادى ينادى المؤمنين أن يستعدوا للحج ، وقد اقترب ميعاده ، أسرع الخطاب وجهاز ما يحتاج إليه ليزور الاراضى المقدسة .

وتبل الرحيل قال لزوجته ، « الطائر عندك وهو يبيض كل يوم ياتوتة فما عليك الا ان ترسلها مع الجارية ، وقد اتفقت مع التاجر ان يعطيها ألف دينار ، وعليك ان توصيها بالكتهان » ، فوعده بتفذيذ رغبته .

وفي اليوم الموعد ، ودع الخطاب احمد ومحمدا ، وأوصى زوجته أن ترعاها ، وتنت الاسرة للخطاب حجا بهلركا . وكانت الجارية تذهب كل يوم للتاجر وتناواه الياتوتة فيعطياها ألف دينار ، وحاول التاجر مرات كثيرة أن يعرف من الجارية شيئا ، لكنها لم تجبه ، فقد كانت مطيعة لسيدتها ، لكن التاجر دبر خطة ، ففى يوم بعد ان اعطاها الألف دينار سار وراءها وتبعها وعرف الدار واستقصى الاخبار .

وذهب ليزور الزوجة ، ولما سألته الجارية عن سبب زيارته ، طلب منها ان تقول لسيدتها أنه التاجر الذي يشتري الياتوت ويريد ان يقابلها لامر هام ، وما أن رآها حتى أعجبه حسنها ، أما هى فقد وقمت في حبه، فقد كان شابا جميلا ، ونسى ما جاء لاجله ، وصارحته هى بالفرام . وصارا يتقابلان في دارها و في داره ، وأخذا يدبران الحيز لابعاد الولدين عن الدار ، واصبحت عشيقته ، ولاحظ الولدان كثرة مجيئه للدار ورأيا أشياء لم تكن تخطر لهما على بال .

وفي يوم قال التاجر لزوجة الخطاب ، « ان الامور لا يمكن ان تسير على هذا المنوال » ، وتبل ان يتم حديثه نهبت المرأة ما يريد قوله ، نصاحت به ، وكانت تمسقه بجنون ، « نعم ، لابد ان ندبر وسيلة

حتى لا نفترق نانا لا استطيع، الابتعاد عنك « ، وفكر كثيرا ، وقال لها ،
« انني اريد أن أعيش معك طول حياتي ، ولكنك متزوجة » ، فردت عليه
بأنها على استعداد أن تهرب خفية وتعيش معه ولن يعرف أحد مكاتها ،
ولها نكر الاولاد وانهم يعرفون علاقته بها ، اجابته انه يمكن لها ان
تقتهم وتتخلص منهم وعندئذ طلب منها ان تضيع انسر ، من أين يأتي
انياقوت ؟ ، نحكت له بل شيء .

وعندما عرف التاجر ان الطائر يبيض ياقوتة كل يوم ، ذهب
اني احد اليهود الذين عرف عنهم المهارة في فنون السحر ، واذهله
ما قاله له اليهودي ، فقد اخبره اليهودي ان هذا الطائر يجيء مرة واحدة
كل الف عام ، وهو طائر الحكمة والسعادة ، ومن اكل قلبه عرف
كل حكمة الدنيا ، ومن اكل راسه اصبح ملكا ليس له مثل بين كل
ماوك الدنيا ، بل يخضعون له ويطيعون ، وبين له اليهودي ان كل
ذلك مكتوب تحت ريش جناحي الطائر ، فما عليه الا ان يبرد الجناحين
وينظر ، وسيجد الكتابة ، وعندئذ يكون اليقين .

فأسرع التاجر الى عشيقته وطلب الطائر ، فاحضرته له ،
فأمسك به ونشر جناحيه ونظر اسفلها فوجد الكتابة منقوشة على
انريش باون الذهب ، نحكى لها ما سمعه من اليهودي ، واراد ان
يذبح الطائر ، فقالت له ، « حذار لا تنس انه يبيض كل يوم ياقوتة
ثمانيا الف دينار » ، فاجابها ، « لا يهم ولو كان ثمنها عشرة آلاف
دينار » ، واستل خنجره وذبح الطائر ، ونادت الخدم وامرتهم ان
يطبخوا الطائر ، وقال لها ، « سأذهب الان لاضر عبدى القوي الشديد
ليأخذ الولدين ويذبحهما في الغابة ، وسأرجع بعد ساعة لاصحبك مع
انى داري ، ولابد ان تبقي هذه الدار حتى اذا رجع زوجك لا يجد
هنا شيئا ولا يعثر لك على اثر » ، وانصرف وتقامت المرأة وحلخت
الحمام لتستحم وتتزين .

وجاء احمد ومحمد وهما لا يدريان قينا مما دبر لهما ، وكنا تد
لمبا كثيرا واحسا بالجوع وخاصة حين شها رائحة الطائر وهو يطبخ
نحخلا الى المطبخ ووجدا الجارية قد انضجت الطائر ، فانترب احمد ورأى
الطائر ناضجا وجنابه قلبه وكبده وكليته ، وكان يحب هذه الاشياء

نأكلها : أما محمد فقد أكل رأس الطائر ورقبته ، ولم تهتم الجارية طالما ان الطائر بقي سالما بأكله .

وحين عاد التاجر ومعه العبد ، تكلم مع الزوجة في خلوة ، وهمس لها بأشياء ، فتأدت المرأة الولدين وأخبرتتهما أن أباهما قد رجع وأن عليها ان يذهبا مع العبد لاستقباله ، ففرح الولدان وخرجا مع العبد ، وجلس التاجر في غرور فرحا ، وطلب ن تحضر له المرأة الطائر ، وجاءوا له به ، لكنه لم يجد الرأس ولا انقلب ، نصرخ ، وسألت المرأة الخادمة نأجبتها بأن محمدا واحدا اكلا القلب والرأس والكبد كذلك ، ولم تكن هناك نائدة من الصياح والصراخ او الندم .

أما العبد فقد سار مع لحد ومحمد ، واخذها الى النسبة وانتقض عليها واستعد ليذبحها ، فلما أدركا الامر ، بكيا وسلاه في براءة عن السبب الذي يذمه لقتلها ، فبين لهما ان هذه مشيئة سيده الذي لا يمكنه ان يعصيه ، لكن بكاء الولدين اثر عليه ، واشفق قلبه عليهما فقبال لهما ، « انني على استعداد لمخالفة امر سيدي ، لكنه لو علم انني لم اطعه اذبحني ، فان وعدتاني بان تتركنا هذه البلاد ونرحل بعيداً ، فسأحل وثأقتكما ولن امتلككما ، فوعدها بالرحيل بميبدأ وعدم الرجوع الى هذه البلدة مرة أخرى ، فحل العبد وثأقتها ، وسارا في طريقتهما ، وأصطاد العبد غزالة وذبحها وملا قنينة من دماها ، وعاد الى سيده ، فشرب التاجر الدماء ، وباعت المرأة الدار ، وذهبت مع انتاجر واختفت في منزله .

وسار الولدان في الغاية حتى اخترقاها وخرجا منها ، ولم يكن أحدهما يعرف الى أين يذهب ، فتبعها المسير حسب وعدها للعبد ، يعطمان الولديان والفتار ، وفي اليوم الثالث بكى محمد الصغير فقد أنهكه التعب وأصابه العطش وأضناه الجوع ، فطيب احمد خاطره وسأله انصبر والجلد ، فقد كنا وسط قفر موحش حيث لا يوجد انسان ، وبعد ساعات وصلا الى حافة بئر عميقة ، لكن الماء كان بعيدا لا يمكن أن يصلا اليه ، فلا يوجد جبل ولا اناة ، فوقنا بجانب البئر عاجزين وحائرين ، وفجأة ظهر أمامها رجل يشع النور من وجهه وله لحية طويلة بيضاء ويلبس ملابس خضراء وفي يده اليمنى حربة وفي يده اليسرى مسبحة ، وقال لهما ، « مرحبا بسيدي احمد ، مرحبا بسيدي

محمد « ولما سألاه من هو ، وكيف عرف اسميهما أجاب وهو يبتسم ، « اننى شيخ أبيكما سيدى عبد القادر » ، فأخبراه انها جوعانسان وعطشانان ، فمد يده ووضعها فى جيبه الذى كان يبدو خاويًا ، ولخرجها ممسكة بالخبز والطعام ، ناكلا ، ثم نظر الى البئر فأخذ ماؤها يرتفع حتى الفوهة ، فشربا ، وقال لهما ، « ان اباكما مازال فى الحجاز يحج ويؤدى النريضة وأنا أعرف ما فعلت زوجته ، لكن صبرا نسيديور الزمان وبجيبىء الاوان ، وان زمانكما لقادم ، لكن اوصيكما فانتبها لما اتول » ، واستطرد ، « ها هو الطريق امامكما فسيرا فيه ، وبعد سبعة ايام ستجدان الطريق يتفرع الى طريقتين فلابد عنئند ان يودع كل منكبا اخاه ، ويسير كل بمفرده فى طريق ، هذه وصيتى،حذار ، حذار ان لا تمعلا بها » ، ولم يكذ ينتهى من كلامه حتى اختفى .

فقال احمد لآخيه محمد الصغير ، « لقد اوصانا سيدى عبد القادر ولا بد من تنفيذ وصيته » ، وسارا سبعة ايام ، وكما قال الشيخ نقد تفرعت الطريق الى طريقتين ، فودعا بعضهما وهما بيكيان، وقال احد ، « لا تبك يا لآخى نالخدنيا تفرق الابن واباه والآخ واخاه » ، نرد محمد ، « الى اللقاء ، الى اللقاء يوم القيامة » ، وتمانقا وانفرتا ، ومشى سيدى محمد الصغير فى الطريق الايمن ، وظل يسير ويسير ، ومنذ تلك اللحظة التى قابل فيها سيدى عبد القادر وهو لا يحس بجوع او عطش ولا يتعبه المسير .

ظل يمشى اياما واياما حتى وصل الى مدينة بدت له من بعيد كبيرة عابرة ، وحين وصل الى اسوارها وجد ابوابها مغلقة ، نقد غابت الشمس،واعتاد اهل المدينة ان يفتقوا الابواب ، فتوسد احمد الاجار ونام خارج الاسوار .

وقبل ان تشرق الشمس ، هب من نومه مذعورا ، فقد ايقظته انجلبة والضوضاء واصوات الطبول ، ولم يصدق ما رأى ، نقد ابصر امامه اهل المدينة يتقدمهم الوزراء والقواد واكابر القوم ينحنون له ويحيونه فى احترام بالغ ، وقالوا له ، انهم قد اختاروه ملكا لان ملكهم قد مات ، وحسب تقاليدهم كانوا يفتقون ابواب المدينة وينتظرون عشرين يوما مجيء غريب ، ليتوجسوه ملكا ، ونرحوا به عندما اخبرهم انه قد حفظ القرآن والم بالسنة والحديث .

ولم تمض سنوات قليلة حتى علا شأنه وظهرت نجابته وعرف عنه العدل حتى سموه سيدي محمد سلطان الحق ، وجاءت اليه الملوك تستشيريه وتطلب نصحه ، وتسأله أن يحكم في تضاييمهم أن استمعتم عن الحل ، وأصبح سيدي محمد سلطان الحق علما بين الملوك وأرغمها شأننا وأعظمها وأعلاها مقامها .

أما سيدي أحمد الإخ الأكبر فقد سار في الطريق اليسرى ، وبعد أيام كثيرة وصل الى غابة هي أكبر غابات الدنيا ، غابة ليس هناك منيل لاتساعها ، الداخلى اليها مفتود والخارج منها مولود . ظل سيدي أحمد قائما في الغابة يسير ويسير ويقطع درويها وممراتها ويأكل من ثمرها وأعشابها وطيورها سنوات ، قيل انها سبع سنوات (1) . وفي يوم لاح أمامه جبل كبير ، ففرح وأسرع الخطى حتى وصل الى سفح الجبل ، ووجد في أسفل الجبل كهفا كبيرا ، مظلم ، ويبدو أنه لا نهاية له ، فخلف أن يدخل فيه ، ورأى أن يدور حول الجبل وأن طلع به الوقت ، وفتحة خرج من أنكهف عبد أسود ، أشد سوادا من ظلام الكهف ، خرج اليه وكأنه قطعة حية متحركة من الظلام ، وكان العبد جيد التكوين حلو القسمات ، وابتسم وانحنى لسيدي أحمد ، وأخذ يردد بصوت عميق جذاب ، « سيدي أحمد ، ابن الحاج الخطاب التقى ، سيدي أحمد المظلوم ، لا تخف ، فانا مرصود لخدمتك كي أساعدك ، وتعرف الحكمة كلها وتصير حكمهم الزمان ، ولن يكون ذلك الا اذا ملكت ملكة الحكمة ، وهى هنا داخل هذا الكهف ، يا بني أتا عبدك طول العمر ، لكن لأبد أن تسمح لكلامى وتنفذ نصائحي فانتهبه الى ما اتول » .

ففرح سيدي أحمد وطلب من العبد أن يسمعه المزيد ، فاستطرد العبد ، « ادخل الى الكهف ولا تخف الظلام فسأشير لك الطريق وستجد قصرا كبيرا تحيطه الحدائق الغناء ، فاطرق باب القصر ، وستفتح لك الباب فتاة جميلة لا مثيل لفتنتها وحسنها وستسالك ، من أنت ، فنجبها ، بنى آدم ، قريب من الأتارب وحبيب من الإحباب » ، وقطع

(1) - نوع الحكاية ، وتركز على هذه النقطة ، الغابة الواسعة الكبيرة ، ولأنه ان هناك دلالة ومغزى لذلك ، كأن تكون أحداث الحكاية جرت في مكان ملء بالنبات ، ويبدو أن الحكاية قديمة وقد تطورت وأضيفت اليها أفكار جديدة تمد هدية نسبيا تملق بسيدي عبد القادر .

لها ، أنك كنت مسافرا وراكبا بظلة ، وقد تركت البظلة لتقضى حاجتك ،
وعندما عدت لم تجد بظلتك ، فتتبعمت آثار حوائرها حتى باب القصر
وتأكدت انها خلعت اليه ، واطلب منها أن ترد إليك بظلتك ، وستنكر
انفتاة الجبيلة وتقول لك ، « لا توجد هنا بظلة » ، فلتصر عندئذ علي
تولك ، وسترد عليك الفتاة ، « ادخل وابحث عنها » ، وستصحبك الي
كل غرف أنقصر وبساتينه ، ولن تجد فيها البظلة بالطبع ، ثم ستأخذك
الفتاة ألى غرفتها وتقول لك ، « هذه غرفتي ، وقد أخبرتك انه لا توجد
هنا بظلة » ، وسترى لجاما معلقا على أنجدار فصح ، « هذا لجام بظلتى
لقد سرقتها ، رديها الي » ، وستقول لك الفتاة ، « هذا اللجام له
نصبة اخرى ، لكك معذور فيبدو أنك جوعان ساجهز لك الطعام » .

وعندئذ ستحضر الفتاة ألبظلة كومة صغيرة من الرمال وستلامسها
وتسويها بأصابعها الرقيقة ثم تضع نوق الرمل مخراتا صغيرا لا يزيد
حجه عن اصبع ، ثم ستفرس في الرمل شيئا من القمح وترشه بالماء
فينبت القمح في الحال وينضج امامك وتتكون سنابله وتجف سوقاته ،
وستحصده الفتاة ألبظلة بحصادة صغيرة مثل حجم الحركات وتدرسه
بنورج صغير وتلحنه ينطحنة مهائلة وتصنع الخبز وتضجه في فرن
صغير ، وتقدم لك خبزا ناضجا ، وكل ذلك من فنون السحر والكهانة ،
حذار ، حذار ان تأكل من هذا الخبز ، فان رفضت الطعام ستدعوك
للشراب وتحضر لك ماء صافيا نهيأ ، فحذار ان تشرب منه كذلك ،
وعليك ان تهتف بها ، « ايتها اللصة ، لقد سرقت بظلتى ، اعبيديها الي :
وها هو لجامها دليل على سرقتك لها » ، عندئذ ستشعل النار في
الخبز ، وسترد عليك الفتاة قائلة ، « يا سيدى هذا لجام الحكمة وليس
لجام بظلتك » ، نادع أنك لم تتهم شيئا ، وأسأله عن معنى كلامها ،
وستجيبك انه لو وضع الانسان هذا اللجام في فمه لامكنه ان يرى اى
شئ يريد ، نكذبها ، وعندئذ ستضع لك اللجام في فمك وان شئت ان ترى
الصين امامك لرأيتهما أو الهند لشاهدتهما ، وستجد كتابا معلقا على الجدار
مغافله واخطف الكتاب ، واضربها به بين عينيهما وقتل لها ، « تحولى
من هيئة بني آدم ألى هيئة بظلة » ، وفي الحال ستتحول الي بظلة
وستجد اللجام في فمها ، فأمسك اللجام بشدة حتى اجيء اليك ، لكن
حذار حذار ان تتغلب عليك ، ولن تقدر ان تغلبك ما دمت لا تأكل
خبزها او تشرب ماءها ، وانها لعدوتك ، وطريق الحكمة مفتوح امامك ،

فاتتبه ونفذ كل ما تلقه لك « ، فوعده سيدي أحمد أن يفعل . وسار سيدي أحمد ودخل الكهف المظلم وحدث كل ما قال له العبد ، إلا أنه عندما ألبسته الفتاة الجيلة لجام الحكمة لم يطلب أن يرى الصين أو يشاهد الهند ، بل طلب أن يرى أخاه وأباه ومم كانت دهشته عظيمة حين رأى أخاه سيدي محمد سلطان الحق في قصره بالنييف ومعه أبوه هناك ، ثم خطف سيدي محمد الكتاب وضرب به الفتاة الجيلة بين عينيه فتحولت الى بظلة ، بغلة سوداء لم ير لها مثيلا في حياته من قبل ، كان جلدها لامعا وعيناها براتين ونيلها منتصبا وقوتها سرج فخم ، ناسرع وركبها ، فضحكت البظلة بصوت انساني وأسقرت تضحك ، وارتفعت ، وارتفعت بسرعة ، وانشق سقف الحجر ، وارتفعت حتى جاوزت السحب وضحكت وقالت له ، « الا تعرفني ، اننى عدوتك ، ولقد تذيبت علي وحولتني الى بظلة ، وصرت في أمان لكك أخطاك وركبتي فأوردت نفسك مورد الهلاك ، لقد حانت ساعتك ، والآن سأنتقم منك ، وسأخذ بك الى الأرض وتزقك الرياح » ، ومضت تلعو وأبصر سيدي أحمد العبد بجانبه في اعلى السماء وقال له العبد ، « لقد أوصيتك ، لهاذا لم تنتظر حتى أحضر اليك ، لساذا ركب البظلة » ، وأعطاه مخطانا وهمس في أذنه « تظاهر أنك تاكل ، وأنبظلة جومانة ، فان سألتك اعطني مما تاكل فأجبتها ، أنت عدوتى ولن اعطيك إلا شيئا قليلا ، سأناولك اياه بيدي لتذوقى منه فقط ، عندئذ ستدبر رأسها ناحيتك ، فادخل المخطاف في فمها واجذبه ، وقل لها انخفضى والا تتلك ، عندئذ ستهبط بك وستجدين معك » ، فظاهر سيدي أحمد انه يأكل ، واستدارت البظلة وسألته ، واجابها ، ووضع المخطاف في فمها وجذبه وهددها ، وهبطت به .

ونزل من فوق ظهرها ووجد العبد بجانبه ، وصرخ العبد قائلا ، « اينها الاميرة ، لقد آن ميعاد خلاصك ، وسيزول بمعول سحرك ، وها هو سيدي أحمد منتقذك فلماذا تلعطين معه هذه الامور ؟ » ، ناجابت البظلة في صوت انساني ، « لكنه حولنى الى بظلة وركبني » ، فرد العبد ، « هذا سيدك وستكونين له وستطيعينه حتى يزيل السحر عنك » ، وسأله العبد ، « سيدي أحمد ماذا تريد ؟ » ، ناجاب سيدي أحمد ، « اريد ان اذهب عند اخى وابنى » : فقال العبد ، « سيدي أحمد هذه البظلة اميرة مسحورة ، وستكون نجاتها وعودتها الى هيئتها الانسانية

على يديك ، واليك ماحدث لايك ، بعد عودته من الحج وجد ان داره قد باعته زوجته واختفت ، وحزن لانه لم يجدكم انت وأخاك سيدى محمد ، فسلم امره الى الله جل وتعالى وبنى كوخا على اطراف الغابة وعاش فيه بعد ربه ، حتى سمع ذات يوم بوجود ملك عادل عظيم . هو سيدى محمد سلطان الحق ولم يكن يعرف انه ابنه ، فسافر الى بلاده ليعرض مشكلته ويطلب منه المساعدة ، ففرح اخوك فرحا شديدا بقاء ابيك ، وقص عليه قصته ، حدث هذا منذ ثلاثة ايام وارسل سيدى محمد سلطان الحق رجاله ليحضروا له زوجة ابيك والتاجر ليقتص منها ويعاتبها نر عتاب ، فما عليك الا ان تركب البغلة وستطير بك الى دار التاجر ، فامسك به وبزوجة ابيك واحملها معك الى قصر اخيك وبذلك تسبق رجال اخيك ، وسيفرحون بعودتك . وعندئذ اوصيك ان تنزع اللجام عن البغلة وابقه معك فهو لجام الحكمة ودائها سيساعدك ويكشف لك الماضى والمستقبل والاسرار ، ثم بعد ان تتم فرحتك بقاء اهلك ، قل للبغلة ان تتحول الى صورتها الانسانية وتزوجها ، وما ان انتهى العبد من كلامه حتى اختفى تماما .

فركب سيدى احمد البغلة وطار به ، وبعد لحظات نزلت الى دار التاجر ، وامسك سيدى احمد بزوجة ابيه والتاجر وحملها معه فوق البغلة ، وطار بهم الى قصر اخيه ، وفوجيء سيدى محمد سلطان الحق وابوه ببغلة تقف امامها وينزل من فوق ظهرها شاب جميل ممسكا بالزوجة والتاجر وصاح سيدى احمد ، « انا احمد يا ابي » ، فهرع الاب وعانقه وبكى ، واسرع سيدى محمد واحتضنه ، وصاح سيدى احمد ، « ها هى زوجتك الخائنة يا ابي ، وها هو التساجر الغدار ، لقد هربت معك بعد ان حاولا ان يقتلانا ويتخلصا منى انا واخي » ، فهدر سيدى محمد ان تحفر حفرة كبيرة ، ملاوها بالحطب واشعلوا فيها انيران ورموا الزوجة والتاجر في اتونها المشتعل .

وجلس الحطاب فرحا بولديه ، لكن فجأة هتف سيدى احمد ، « لقد نسيت » ، وقام وخلص الاجام من نم البغلة وقال لها ، « عودى الى هيئتك الانسانية » ، فتحولت البغلة في الحال الى فتاة جميلة فتاة رائعة الحسن ، وقالت الفتاة ، « هل تعرف يا سيدى احمد من هو العبد ؟ » . ثم سألت سيدى محمد سلطان الحق « هل تعرف يا سيدى

محمد بن هر الرجل الثائب ذو اللحية الطويلة صاحب الملابس
الخضراء ؟ « فأجابها « لا، لا نعرف » ، فقالت ، « أنه شيخ أبيض
سيدي عبد القادر (2) » ، وتزوج سيدي أحمد الفتاة وعاشوا سعداء.

(2) - تقول الحكاية أن سيدي عبد القادر هو الذي غير شكله وبدا في صورة هجين
الشخصين ، ومن مميزات التولكلور أن يلصق أحداث الحكاية بشخصيات
مشهورة سواء كانت شبه مقدسة كسيدي عبد القادر ، أو ذات شهرة وسلطة
كالملاك .

ذئب بلا قلب

مرض السبع ملك الغلبة وطال مرضه ، وذهبت الحيوانات
نزوره وتعوده ، وتتمني له الشفاء ، ذهب اليه الغيل ، والنمر ،
والثعلب ، والقرد ، والضبع ، والقنفذ كذلك .

وحين زاره القنفذ اقترب منه وسلم عليه وقبل يده ، ودعا له
بالشفاء العاجل وطول العمر ، وسأل القنفذ ملك الغلب عما يؤلمه
فشكر السبع القنفذ واجابه ، « انسى احسن بوجع في راسي ،
وحرارة في جسدي وثقل في اطرائي » ، فقال له القنفذ ، « لقد عرفت
مرضك ، واستطيع ان اداويك يا ملك الغلبة » ، فسأل السبع القنفذ
في لهفة عن الدواء ، فاجاب القنفذ ، « ان دوايك هو ان تاكل قلب
الذئب » ، فامتعض السبع وقال ، « لكنني كثيرا ما اكلت الذئب ومع
ذلك مرضت » ، فاكده القنفذ خطأ ذلك الرأي وقال ، « حقا لقد
اكلت الذئب لكحك لم تاكل قلب الذئب بفرده ، وهذا هو دواؤك » ،
فنظر السبع هنا وهناك ، فوجد حيوانات كثيرة لكنه لم يبر ذئبا
بينها فقال للقنفذ ، « لا يوجد ذئب الآن وانا مريض متعب ولا اقدر على
الصيد ، نهون القنفذ له الامر قائلا ، « انا احضر اليك الذئب هنا في
عريك » ، فشكره السبع ، وانصرف القنفذ ليحضر الذئب .

وكان للقنفذ غرض ، ذلك انه احسن بضعف واراد هو ان ياكل
قلب الذئب ليسترد قواه ، ولم يكن يستطيع ان يصيد الذئب بالطبع ،
فاتتهز فرصة مرض الاسد ودبر هذه الحيلة .

وبحث القنفذ عن الذئب حتى وجدته ، وسلم عليه واخذ بجانبه
الحديث قائلا ، « ماذا دهلك ايها الذئب ؟ انت انسى وابله ، تصيد

وتاكل كثيرا ولا تعمل حساب المستقبل « ، فاندھش الذئب وسأل القنفذ عما يقصده من هذا الكلام ، فاجاب القنفذ . « ألم تسع ان انسبح مريض ، وقد ذهبت الحيوانات كلها وزارته وتمنت له الشفاء ماعدا انت ، الا تعرف قيمة هذه الجاملات ، انها لن تحضى ايام قايمة الا ويشفى السبع ويخرج للصيد ، وسيترك بالطبع من جامله وزاره اثناء مرضه « ، فقال الذئب . « الحق لقد فكرت في ذلك ، لكنني اخاف يا اخى القنفذ من السبع ، « فضحك القنفذ وقال ، « ألم اقل لك أنك ابله ، ولم تخافه ، انه مريض وسيترك بزيارتك وان ينسى لك هذا الجليل ؟ » .

فوافق الذئب ، ومشى مع القنفذ ليزور السبع ، وحين اقترب من السبع الذى كان يرتد متكاسلا ، صاح القنفذ ، « لقد جاء الذئب يا ملك الغابة يسأل عنك ، ويتهنى لك الشفاء « ، لكن الذئب ظل خائفا مبتعدا عن السبع خاصة وانه رأى في نظرات السبع التوحشر والغدر ، لكنه تهاك وأتقرب مسلما ، ولم يصدق السبع عينه لانه وجد الذئب في تناول يديه ، فاسرع يريد ان يمسكه ويفتك به ، لكن الذئب كان اسرع منه فجرى من بين يديه وهرب الى الغابة ، وهنا صاح القنفذ حثقا مؤنبا السبع ، « يا ملك الغاب لقد أحضرت لك الذئب بين يديك واضمت الفرصة ، وتركته يهرب منك » ، فتضايق السبع وحزن حزنا شديدا لضياح الفرصة ، لكن القنفذ هون له الامر وقال ، « سأحضره لك مرة أخرى لكن اياك ان تجعله يفلت منك هذه المرة » ، وذهب القنفذ يبحث عن الذئب حتى وجده ، وحين رآه بادره قائلا ، « لماذا جعلت الاسد يغضب منك ؟ » فاجاب الذئب ، « ألم تر ما حدث يا اخى القنفذ ، لقد قفز على الغادر يريد انترأسى ، وأنا ذهبت لازوره في مرضه ، وانتهى له الشفاء « ، فكذب القنفذ بشدة هذا الراى ، وقال ، « ابدا ابدا أنك ساء الظن ، لقد كان السبع يريد ان يعانقك وانت مخطيء في تفكيرك ، وهل من المعقول ان تذهب اليه وتزوره وهو مريض نياكلك ، لقد ذهبت اليه جميع الحيوانات ولم تسع انه اكل واحدا منها ، وهو يعانق كل الحيوانات هكذا ، وقد هىء لك انه اراد ان يقفز عليك « ، لكن الذئب ظل خائفا ، فمضى القنفذ يقنعه وأوضح له انه يجب ان يزور السبع مرة أخرى لان السبع اندھش ونعجب حين رآه يجرى ويهرب ، وغضب غضبا شديدا ، لان الذئب



فأسرع يريد أن يمسكه ويفتك به، لكن الذئب كان أسرع منه فجرى..

ظن به ظنا سيئا ، واخيرا اقتنع الذئب ، وذهب في صحبة القنفذ ليزور السبع مرة أخرى .

وحين اقتربا من السبع ، قال القنفذ للذئب ، « تقدم انه يريد ان يمانتك ، فلا تخف منه » ، فاعترب الذئب من السبع ، فضربه السبع بيده ضربة قوية قطعته نصفين ، فأسرع القنفذ بخنقة وتناول القلب ولكنه بسرعة وتشاغل كأنه يبحث عن قلب الذئب المقتول ويريد ان يخرج له ليعطيه للسبع ، ولما تأخر ، اقترب السبع من الذئب وأزاح القنفذ بعيدا عنه لأنه يريد ان يأكل القلب ويشفى من مرضه ، كما قال له القنفذ ، وبحث السبع عن قلب الذئب لكنه لم يجد للذئب قلبا ، نصح ، « ياتنفذ ان هذا الذئب الملعون ليس له قلب » ، فأجاب القنفذ موافقا ، « حقا يا فتول يا ملك الوحوش ، لو كان له قلب (1) لعض ان يرحمه الله . »

(1) - كان قديما المصريون يعتقدون ان الطيب مصدر التكبير ، وقد دوت هذه الحكاية في كتاب كليلية ومبنة وان اخطلت شخصيات الحيوانات تبدا من الذئب نجد الصبار وبدلا من القنفذ يوجد الثعلب .

(1)

المرأة الذكية

كان الرجل تاجرا غنيا وهبه الله ولدين آية في الذكاء واللفظ ،
أما زوجته فكانت سيدة حكيمة عاتلة تؤدي نروض ربها .

وفي يوم مرض التاجر مرضا خطيرا ، ولم يفلح الاطباء في شفائه ،
ونما أحس الرجل بدمو أجله نادى زوجته وقال لها ، « أيتها المرأة الطيبة،
ساموت تريبا اننى أحس بذلك ، ساموت وأكبر ولدى الصغيرين في
الساسنة من عمره ، وأخافه بعد موتى أن تتزوجى رجلا لا يحسن
معاملة اولادى ، فهل تعاهدنينى على عدم الزواج حتى يكبر الولدان ،
وأنا سأجعل المال فى يدك ، والوصاية لك عليه » ، فعاهدته المرأة
على هذا .

ولم ترض أيام حتى مات . وكانت ثروته كبيرة واعماله واسعة فحاول
التجار واقارب الرجل أن تترك الزوجة الوصاية ، لكن شيخ التجار قال ،
« ما دأمت المرأة تقرا وعاتلة فان من حقها الوصاية » .

وتحملت المرأة مسؤولية الأعمال ، وحفظت الاموال ، ورعت تجارة
زوجها، ونمت وازدهرت ، واحسنت تربية ولديها ، وكانت تبيت الليل
ساهرة تصلى الى وقت متأخر ، وازداد طبع التجار وراؤاد أحدهم ان
يتزوجها ، فأرسل اليها احدى قريباته لتخطبها له وبين لها أن كل غرضه
أن يرعى اولاد صاحبه وأنه لا يطبع فى الاموال ، لكن الزوجة الوصية
رفضت ، وتقدم تاجر آخر ورفضته كذلك ، وظلت ترفض الواحد بعد
الأخر حتى تكلم التجار أنها لا تريد الزواج .

ومضت ثلاث سنوات والمرأة ونية بمهدا ، لكن احد التجار ، وكان

11 - حولت هذه الحكاية الى شئلية فلزيرونية وكتب لها سبناريو وحوار وقت بافراخا
و-ومنها اللفظة المغربية عام 1973 .

أكثرهم طبعاً ، دبر خطة فقد كانت هناك عصيبة من اللصوص ، عشرة لصوص وزعيمهم . كانت هذه العصيبة يخشاها كل التجار ويدفعون رشوة لزعيما لكي يتجنبوا آذاه . وكان زوج المرأة يدفع كذلك بدوره ، لكن الزوجة رفضت ان تدفع للعصيبة ، بعد ان سمات زوجها فتركوها دون ان يهتموا بأمرها ؛ فذهب التاجر الى زعيم العصيبة وقال له ، « انى واثق من ان هذه المرأة عندها من المال الشيء الوفير ، فأريد ان تسرقها ؛ وعندئذ سترضى ان تتزوج بى ، فطالما هى تشعر انها غنية فسترفض الزواج » ، ففرح زعيم العصيبة وقرر سرقة المرأة .

وفى منتصف الليل كان اللصوص العشرة وزعيمهم قد صعدوا الى سطح المنزل ، فاحست المرأة بهم ، وكانت قائمة تصلى فى غرفة نومها ، ووجدتها ولداها ، فارتبكت وبكت ، وتوجهت الى الله تعالى وقالت ، « انى يارب امرأة مسكينة ، فساعدنى يا رب والهمنى الحيلة لاتغلب على اللصوص » ، وقرات الفاتحة، وحين انتهت من قراءتها، أيقظت ولديها وانهمتها ان فى المنزل اصوصا فوق السطح ، وانهم كثيرون ، نخاف الولدان وشرعا فى البكاء لكنها طمأنت خاطرهما واوحت اليهما الثبات وابت فيهما لتشجاعة وتالت لهما ، « ساقعد امام باب الغربة واسألكما هل نيتما ، فاجيباتى لا لم نتم ، واسألكما عن السبب ، فاجيباتى ، لاتنا نريد منك ان تحكى لنا حكاية .

وكان اللصوص يرغبون فى سرقة الاموال دون ضوضاء او ضجيج ، فنظروا الى داخل الدار فوجدوا الضوء فى غرفة المرأة وسمعوها تقول، هل نيتما يا ابنتى ، ناجاب الولدان ، « لا لم نتم بعد يا امه » ، فسالت المرأة « ولماذا لم تنابا ؟ » مرد الولدان ، « لاتنا نريد ان نسمع منك حكاية » ، فقال زعيم اللصوص لعصابته ، « ان المرأة مستيقظة ولم تنم بعد » ، وسمع المرأة تقول ، « ساحكى لكما حكايتى انا وماذا حدث يا ولدي بينى وبين ابيكما ، ففى اليوم الذى تزوجنى ابوكما لم اكن هكذا ، بل كان لى سبعة ابناء ، ثلاثة ابناء على يمين صدرى ، وثلاثة على الشمال ، وثنى فى الوسط » ، فسأل الولدان ، « وهل انت كلبة يا امه ؟ » ، فاجابت ، « لا انا بنى آدم ، لكن الله يخلق ما يشاء ، فلتسما ما حدث لى مع ابيكما » ، فاثارت الحكاية اللصوص واخذوا يستمعون هم بدورهم ، واستأنفت المرأة حكايتها وقالت ، « كنت اعيش عند ابنى حين جاء ابوكما

وخطبني ولم يكن يعلم بالطبع ان لي سبعة ابناء ، وحين تزوجني ولراد ان يدخل بي ليلة العرس ، خلعت ملابس ، وما ان رأى ابوكما اندائى النسبة حتى خاف بنى فلم يقربني . وفي الصباح قال لي ، ان الله ابر بالستر وانا لا استطيع ان اتزوجك نهل انت وحشة ام غولة ، وساحفظ سرى ، لكننى سأطلقك ، فبكيت وتناحسته ان يرجع عن رايه وقلت له ، لو طلقتنى تكن قد تسوت على ولم تسترنى لان الناس سيسألون عن السبب وانا لا اذنب لى ، فقد خلقتى ربي هكذا ، وائنى اعدك ان اصلح الامر ويكون لى ثديان فقط ، فهات سيفك ، وفى كل يوم تعال وانا اعزى لك صدرى واقطع ثديا من اثوائى ، فأحضر أبوكما سيفه وكان كل يوم يقطع ثديا من اندائى « فسألها الولدان ، «الم يكن يؤلمك ثديك وهو يقطع بالسيف ؟» ، فأجابت المرأة « والله لقد كان يؤلمنى لما نظيما وكنت اصرخ واه ، واه ، واه ، واه ، واه » ومضت المرأة تصرخ والصوص يستمعون ناسين كل شىء .

واستمع الجيران للصرخ ، فأتوا ودخلوا البيت واجتمعوا فى صحن الدار ، عنقذ قالت المرأة يا جيرانى ، اغيثنونى ، فان اللصوص فى اعلى الدار ، فامسكهم جميعهم ، واخذوهم الى املك ، ولما حكوا للملك عما حدث ضحك كثيرا واعجب بحكمة المرأة وسمة حيلتها ، وانب اللصوص قائلا ، « هل ذهبتم للسرقة ام لسماع الحكيات ، وحكم ان يسجنوا لهدة ثلاث سنوات ..

ومضت السنون ، وانهى اللصوص وزعيمهم مدة سجنهم ، وخرجوا من السجن لكنهم ارادوا الانتقام من المرأة ، وتسلاوا الى منزلها ، فاحست المرأة بهم كما احست فى المرة السابقة ، وتضايق زعيم اللصوص حين وجد الضوء ينبعث من غرنة المرأة ، فقد كانت تصلى ، وابتقلت المرأة ولديها ، وطبانتها واوصتها بما يقولان لها وكيف يجيان على كلامها ، واستمع اللصوص وزعيمهم للمرأة تسأل ولديها ، « هل نتما يا ولدئى ؟» ، فأجابت الولدان ، « لا لم نتم بعد يا امه ، لاتنا نريد ان نسمح منك حكاية » ، فقالت ، « ساحكى لكما حكاية عن ابيكما قبل ان يعمل تاجرا ، فقد كان لصا قبل ان يشتغل بالتجارة ، لكنه كان ابر لص بين اللصوص وكنت لديه حيلة لدخول المنازل لا تخيب ابدا ، فلم يكن يكسر الاقل او يفتز فوق السطوح لو يستخدم الحبال » ، فانصت

للصوص وارهفوا السمع ، يريدون أن يعرفوا تلك الحيلة الفريدة التي كان زوج المرأة يستخدمها في دخول المنزل ، واستأنفت المرأة حديثها وقالت ، « ان حيلة ابيكما كانت بسيطة وسهلة ، لكن لا يعرفها احد من اللصوص ، لقد كان يحضر الصابون ويدهن به ظهره ، ويصعد الى المنزل اذى يريد سرقتة ويلصق ظهره بالجدار وينزلق عليه بخفة » ، فسأل زعيم اللصوص ، « من منكم يذهب ويأتى لنا بالصابون » ، فاسرع لص من اللصوص ليحضر الصابون ، واستمرت المرأة تحكى عن سرقات زوجها ومغامراته ، وحين جاء اللص بالصابون والصق ظهره بالجدار وانزلق عايه ، وقع فوق الأرض مكسر العظام وأخذ يئن ويتوجع ، فسأل الولد امه ، « من الذى وقع من السطح ؟ » ، فاجاب اللص وهو يصرخ لها ، « هذه حيلة ابيك » .

وخاف اللصوص مما حدث وهربوا ، وجاء الجيران واخذوا اللص انجريح الى الملك فعاتبه وسجنه بعد شنائه ، وحين انتهت مدة السجن، خرج اللص وذهب الى اللصوص وزعيمهم وقال ، « والله ان الانتقام امر لايد منه ، هيا بنا نسرق تلك المرأة ونذبحها » ، لكن زعيمهم اجابه «اننى اخاف هذه المرأة ، مرة تقول انه كان لها سبعة ابناء مرة تحكى حكية زوجها اللص ، انها ذكيه ، ولن اجازف مرة اخرى بدخول بيتها » لكن اللص الذى كسرت عظامه ، وسجن اياما كثيرة ، اقسم بأنه سيذهب بمفرده وانه سيقتل تلك المرأة ، وكانت المرأة تنتظر خروج اللص من السجن . فما عرفت انه اوفى مدة سجنه حتى كانت في انتظاره .

اخذ اللص سيفه وذهب ليسرق المرأة ويقتلها ، وكم كانت دهشته كبيرة حينما وجد الباب مفتوحا ، ورأى الضوء ينبعث من غرفة المرأة ، فاقترب من الغرفة خذرا ، وكانت المرأة تنتظره وقد اوصت ونذيتها بها يقولان بعد ان ايقظتهما فسمعها تقول لهما ، « قبل ان تناما اريد منكنا ان تعرفنا اين خبات مال ابيكما لاننى اخشئه كل يوم في مكان مختلف ، فاسألها ولداهما ، « رأين خبات الاموال اليوم يا اياه » ، فاجابت لقد وضعتة في ثلاثة تدور نحاسية وانزلتها في البئر » ففرح اللص فرحا شديدا وخرج الى فناء الدبر وخلع ملابسه ووضعها بجانب البئر ، وأدلى الحبل ، ونزل الي اعماق البئر ، وظل يبحث ويبحث لكنه لم يجد شيئا فاغتاظ ، وعرف ان المرأة واسعة الحيلة وانها خدعتة .



١ ففرح اللص فرحا شديدا، وخرج الى فناء الدار وخلع ملابسه، ووضعها
بجانب البئر وأدلى الحبل

وتساق الحبل وخرج من البئر . لكنه لم يجد ملابسه ، فوقف عاريا لا يدري ماذا يفعل . وسمع المرأة تقون من داخل غرفتها ، « مع السلامة لكن لا تنس أن تقفل الباب وراءك » ، فأجاب اللص ، « سامش وامرئ الى الله لكننى لن اقفل الباب فربما يجيء اليك لص آخر فتسرقين ملابسه » .

« فرطت »

أو

الذنب ذنبك لانك لم تأخذ حذرک

كان شيخ التجار (1) حكيما ، يثق فيه التجار جهمهم ، ويستفتونه في مشاكلهم ، وفي يوم من الايام هبطت الى البلدة من الجبال عصابة خطيرة من اللصوص ، وكانوا عشرة غير رئيسهم ، ولما كانت البلدة تعيش في امان ودعة ، فقد فوجيء الناس في الصباح بخبر السرقات التي حدثت في الليل ، فقد هاجمت العصابة منازل التجار الاغنياء وسرقتها .

نهرع التاجر الواحد تلو الاخر الى شيخهم ، يشكون له ما حدث ويسالونه المساعدة ، وما ان زاره اولهم ، وحكى له كيف سرق اللصوص ماله من داره ، حتى اتبه شيخ التجار قائلا : « الذنب ذنبك لانك لم تأخذ حذرک » فرطت ، فرطت ، فرطت ، ولم ترض هذه الاجابة التاجر فانصرف غاضبا ، وجاء تاجر آخر ، وآخر وآخرون . جاء اليه المسروقتون جميعا وحكوا له كيف سرقتوا ، لكن شيخ التجار بين لهم ونسر وأوضح أن السبب هو الإهمال وعدم الحرص ، وترك ثغرة يستطيع اللص أن ينفذ منها ، وبها حاول أحدهم أن يقدم نوعا من الاعتذار والمبررات كان شيخ التجار يجيب بقوله الذي لا يتغير ، « فرطت ، فرطت ، فرطت » .

وفي الايام التالية كان اللصوص العشرة ورئيسهم يسرون في اسواق البلدة وطرقها فسيما بها حدث وبها قتله شيخ التجار لكل من المسروقتين ، فأخذ رئيس العصابة يتمعجب وقال لاصحابه ، « ان

(1) - يقال في المغرب « ابلن التجار » ، ولكن الغرض من هذا الكتاب نشر الحكايات المغربية والتعريف بها في مختلف الاقطار ، وكلمة شيخ التجار بتداوله في اغلب أنحاء العالم العربي .



فمرع التجار الواحد تلو الآخر الى شيخهم يشكون له ما حدث

هذا الرجل يتعالى ويدعى الحكمة ، فما رأيكم لو سرقتاه وسنرى كيف يحتاط ويحذر .

وانتظروا شيخ التجار امام حاوته ، وحين غابت الشمس واقتل الرجل الحاتوت واتجه الى داره تبعه بعض اللصوص وعرفوا السدار ووضعوا عليها علامة لكن يعودوا في الليل وينفذوا جريبتهم .

واتخذوا للامر عدته ، فاحضروا الحبال وادواتهم التي يتسلقون بها الجدران ، وتسللوا بخفة حتى وصلوا الدار واعتلوا في هدوء ، وصاروا فوق السطح ، ونزلوا فوجدوا في انطابق الاول ثلاث غرف ، تكاد تكون خاوية الا من اشياء تافهة لا قيمة لها ، فهبطوا الى صحن الدار ، فوجدوا غرفتين مفتوحتين وليس فيهما شيء مهم كذلك ، لكنهم وجدوا غرفة مغلقة باحكام ، ولا يتدرون على فتحها ، فتركوها الى حين ، وذهبوا الى المطبخ فلقوا جارية عجوزا سوداء ، وحين راتهم خافت وارتعدت فوضعوا السكين فوق عنقها وسالوها ، « ابن سيدك ؟ » ، فاجابت واسنانها تصطك من الهلع ، « سيدى في الغرفة المغلقة » ، فسالوا ، « واين ابواله ؟ » ، فقالت ، « معه في الغرفة المغلقة » ، ففكر رئيس العصابة ماذا يفعل مع هذا الرجل الحذر ، وجاءته فكرة ، فقال للعجوز وهو يضغط بنصل السكين على عنقها ، « ان لم تعملي ما امرك به نبحتك في الحال » ، فرددت الجارية العجوز ، « مرني بما تشاء افعله ، مرني بما تشاء افعله » ، فقال رئيس اللصوص ، « اصرخي مرة ومرات ، وان سألك سيدك ماذا دهاك اجيبه بانك قد غضتك عقرب ، عندئذ سيخرج ويفتح الباب » ، لان من تلدغه العقرب ، يحتاج الى ان يجرح مكان تلدغه فيسيل السم مع الدم وتتعد حياته .

فوقفت العجوز وصرخت وظلت تصرخ ، وكان عقربا قد لدغتها حقيقة ، فاستيقظ شيخ التجار وزوجته وسالها ، « ماذا حدث لك يا سعدة ؟ » فاجابته ، « لقد عضتني عقرب ياسيدي » ، فسالها « وكيف كان ذلك ؟ » ، فاجابت ، « لقد كنت نائمة ووضعت راسي على ذراعي لان الوسادة ممزقة ، فجاءت العقرب وعضت يدي » ، فقال شيخ التجار ، لقد اهملت وكان يجب ان تخطي الوسادة ، فالذئب ذئبك لانيك لم تاخذى حذر ، مرطت ، مرطت ، مرطت ، فمرطت ، فالتمسوتى مسمومة » ، ولم تجد صرخات العجوز ، فضغط رئيس العصابة بنصل

السكين على رقبته حتى كاد دمه ان يسيل ، وهمس قائلا لها ، « اطلبي منه ان يخرج السكين من فتحة الباب ، وعندئذ نهسك بذراعه ولا تتركها حتى يفتح ، واستمري في الولوجة والصراخ » ، ولم تكن الجارية في حاجة ابى التهديد والتوصية ، فقد مضت تصرخ وتبكي وتضرع لسيدها قائلة ، « فلتساخني يا سيدي كل ما اريده هو ان تجرح مكان العضة ، لاني لا اتقدر ان اجرحها بنفسى ، فلنخرج يدك نقط ياسيدي ابتك الله واطال عمرك ، وتجرح ذراعى ، لان السم يسرى في دمائى ، ناشدتك الله ياسيدي فانسى اموت » ، ومضت تصرخ وتبكي ، عندئذ سمع اللصوص صوت زوجة شيخ التجار تقول ، « هذه جاريتك المجوز التي خدمتك اربعين سنة تموت ، فاخرج لها يدك وانتقذها » ، نرد شيخ التجار قائلا ، « دعيتها فالغضب ذنبها لاتها لم تاخذ حذرها ، فرطت ، فرطت ، دعيتها تموت بسهما » ، فتوسلت اليه زوجته ان يد يده بالسكين ويجرح مكان العضة فاعاد عليها نفس القول .

فاحضرت الزوجة سكيننا وقالت ، « اقتربى يا سعدة من الباب » ، واخرجت ذراعها من فتحة الباب ممسكة بابسكين في يدها ، فامسك اللصوص بذراعها بقوة ، وهتفوا نجاذا فرحين ، « افتح ايها الرجل الحذر الباب والا تظمننا ذراع زوجتك » ، فذهله ووجم شيخ التجار ولم يرد ، لكن الزوجة الخائفة كادت ان تموت واخذت تنشد زوجها ان يفتح الباب ، ويعطيهم ما يشاعون ، واخيرا قال شيخ التجار : «ايها اللصوص ايكنيكم ثلاثة اكياس كبيرة من العملات الفضية ؟ » ، نرد رئيس العصابة ساخرا ، « نعم يكتينا ايها الرجل الحذر » ، فاستأنف شيخ التجار حديثه ، « اذن فلتصعدوا الدرج ، وبعد عشر درجات دقوا على الحائط وستسمعون صدى الصوت لان هناك بابا صغير من الخشب مخفيا في الجدار ، افتحوا هذا الباب وستجدون قبوا به ثلاثة اكياس كبيرة ممثلة بالعملات الفضية » ، فضحك رئيس العصابة وقال : « سنفعل لكننا لن نترك ذراع زوجتك قبل ان تجد العملات الفضية ايها الرجل الحذر » . وترك رجلين تويين مسكين بذراع المرأة وصعد الدرج مع باقي اللصوص وعدوا عشر درجات ، ثم دقوا على الحائط وسمعوا رنينا لقاتهم مما يدل على وجود فراغ وعثروا على الباب الخفى كما قال شيخ التجار ، وفتحوه

ونظروا فراوا املهم قيووا مظلها فدخل الرئيس ، فوجد ثلاثة اكياس
كيرة فمزق احدها بالسكين فوجده مليئا بالعملات الفضية ، ومزق
الاخر فوجده مليئا بالعملات الفضية كذلك ، فصاح من اعلى السلم
« اتركوا ذراع المرأة » ، فترك اللسان ذراعها ، وحبل اللصوص
الايكيس الثلاثة ونزلوا الدرج ، لكنهم ما ان وصلوا الى صحن الدار
حتى وقعت بعض العملات من الاكياس فكان رنينها مكتوبا ، فامسك
رئيس اللصوص بالعملات فاذا بها كلها مزيفة ، مصنوعة من المعدن
الرخيص الذي يعاقب على وجوده مع اى شخص ، عملات مزورة لا تيبة
لها ، جمعها شيخ التجار من مشتريين وزبائن ارادوا ان يسرقوه
فاكتشفها واخذ العملة المزورة وحفظها عنده ، فطرق رئيس اللصوص
انفردة اللوصدة وصاح ، « لقد خدعتنا ايها الرجل الملعون » ، فضحك
شيخ التجار وقال ، « ولماذا تركته ذراعها قبل ان تتأكد من جودة
العملة ؟ األذنب ذنبك لائك لم تأخذ حذرك ، فرطت ، فرطت ، فرطت ،
نانصرف اللصوص حائقين . (1) .

(1) - حكاية فرطت كانت من اناج التنبيليك التي اكتسبها من الفولكلور وقدمتها على
شاشة التلفزة المغربية علم 1971 .

سيدي محمد بن عمر

يروى انه كان هناك سلطان لم يرزقه الله بأطفال ، لذلك حين ولدت زوجته بنتا فرح بها فرحا شديدا ، وبنى لها قصراً فخماً من الزجاج واحضر لها اجمل الجوارى والخدم ، وريها في العز والرفاهية ، وحين كبرت البنت كانوا لا يقدمون لها الا لحم الدجاج والحمام بعد ان يزيلوا منه العظام وكذلك كانوا ينعطون بلحم البقر والضئم ، حتى الخبز لم تعرف الفتاة الا لبيبه وانحر انواعه ، والخضروات كانت تقدم اليها مقشرة ، مصفاة ، والفواكه من غير بذور او قشرة كذلك .

فترعرعت البنت ونشأت في احضان النعيم ، لكنها لم تر الدنيا ، ولم تعرف غير ما احاطها به ابوها من الوان الحياة السهلة الرغيدة الاناعمة فقد كانت جدران القصر من الزجاج ، لكنه زجاج غير شفاف ، فلم تعرف ابدا ما هي الحياة ، فقد عزلها السلطان عنها واراد ان ينشئها ويربيها كما تربي الزهور .

وكبرت الفتاة واصبحت شابة رائعة الحسن والجمال وكانت الجوارى تحطن بها تدللنها وتطرين حسننها وتقلن لها ، « ليس في الدنيا جمال مثل جمالك » ، نظمت الفتاة ان الحياة هكذا في كل مكان ، دجاج ولحم بلا عظم ، وخضروات بلا تشور ، وفاكهة بلا بذور ، ورفاهية ونعيم ، فكل ما تطلبه نائمه وما ترغب فيه وتتمناه تجده امامها .

وفي يوم ماتت احدى جواربها ، واشترى لها ابوها السلطان جارية اخرى ، لم تكن قد ادركت وعرفت حياة القصر تماما ، لذلك قدمت لها في يوم لحما بالعظم ، فصرخت الاميرة برتاعة وكانها رأت عفريتاً ، وهتفت وهي تمسك قطعة العظم ، « ما هذا ؟ » ، فاجابت الجارية

« هذا عظم يا مولاتي » ، فانددهشت الاميرة وسألت ، « وما هو العظم اننى لم اراه ابدا ؟ » ، فأخذت الجارية تشرح لها ، « ان اللحم يجيء من الحيوان ، وان للحيوان لحما وعظما مثل الانسان ، وانه احينا فى داخل بعض عظام الحيوان يوجد المخ » ، (الماخ) .

واستمرت نجارية تشرح للاميرة وتقول : « نحن ان طرقتنا اعظم هكذا » ، وطرقت اعظم فستقط منه المخ ، واعطت للاميرة منه لتذوق ، فاعجب الاميرة ووجدته لذيذ الطعم ، وفرحت واخذت تطرق جدار القصر الزجاجى بالعظم ليتساقط منه المخ ، فانكسر الزجاج وانفتحت به فجوة دخل منها النسيم العليل ، ورات الاميرة ، ويا لحلاوة مسا رات ، رات الدنيا التى لم تعرفها من قبل .

فقد امدت امامها المراعى الخضراء ، وتناثرت الاشجار المورقة هنا وهناك ، وفوق الحشائش كان هناك مهر يرتد ويتقلب ، يعطيه شعر اصفر فى لون الذهب ، يخطف بريقه الابصار ، وكان المهر جيلا ، فظلت الاميرة تنظر اليه وقد سحرها جماله وفتنتها شعره الذهبى ، فهفتت وترنم وتغنى :

من الجدع من الجدع (1)

ترعى فى الصن ولا البدع (2)

نرد عليها المهر وقال :

ما قصر منا قصر

يا بنت السلطان الاخضر

تمنيت لك يا لـ

ياقينة ورد و ساقية زهر

ومشى المهر الى حال سبيله ، لكن الفتاة تغيرت حالها ، فلم تعد تقبل على الطعام والشراب ، فقد احبت المهر ، وعرفت الحزن الذى لم تعرفه من قبل ، فقد كانت تريد شيئا ولا تستطيع الحصول عليه ، فبكت وظلت تبكى ، نهرع العبيد والجوارى الى ابيها السلطان واخبروه

(1) الجدع : المهر

(2) - الصن والبدع : كلتاهما لم استطع معرفة معناهما مع سؤالى للكثيرين . وانظر ان المصود ، اى موعى يبيع يرمى فيه المهر ، والمسمى بيوضح فى مهباق العكبة .

ان ابنته تريد في التصرف قناة مليئة بماء الزهر واخرى بماء الورد ، ذلك لان الاميرة كانت ترصد غناء المهر وكلامه .

فأسرع السلطان الى ابنته ووعدها بتلبية رغبتها وتحقيق امنيتها، وأمر ان تحفر قناتان وتبلا واحدة منها بماء الورد والآخرى بماء الزهر ، وكانت الاميرة تجلس على حافة قناة ماء الزهر ، ترشف منها رشقات وترش جواربها بمائها العطرى ، وقضت اوقاتا طويبه كذلك بجساتب قناة ماء الورد ، وتمتعت وزرحت وظنت ان الحياة جميلة .

لكن في يوم نظرت من تلك الكوة التى منحتها في جدار القصر الزجاجى حين طرقت العظم ، فرأت المهر الجهيل يرقد فوق الحشائش الخضراء ، يتقلب ويفطيه شعر نضى في لون الفضة فسحرها حسنه ومفتها بريقه ، فنادته وغنت له :

من الجدع من الجدع
ترعى في الصن ولا في البدع
نرد عليها المهر وغنى :
منأ قصر منا قصر
يا بنت السلطان الاخضر
تمنيت لك يا لـلا
ساقية ورد وساقية زهر
تمنيت لك يا لـلا
درجة فضة ودرجة ذهب
تمنيت لك يا لـلا
ياقوتة حمراء وياقوتة خضراء
يزين بها القصر

كان المهر معجبا بالقصر ويتهنى ريادة عن القناتين اللينتين بماء الورد وبماء الزهر ، أن يصبح فيه درج (1) ، درجة من فضة ودرجة من ذهب ، وأن تزين جدرانها بالياقوت ، ياقوتة خضراء وياقوتة حمراء .

فعمدت الاميرة تمنى شيئا جديدا ، وعرفت الحزن مرة اخرى ، واخذت تبكى وتقول للجوارى والمبيد ان الحياة ليست جميلة كما كانت

(1) درج : سلم

نظن ، فهذا القصر تتقصه درجات ، واحدة من الفضة والاخرى من الذهب، وان يزين بالياتوت الاحمر والاخضر ، تالت هذا ويكت كثيرا.
 ذهبوا الى ابيها السلطان ، واخبروه بما تطلبه ابنته وترغب في تحقيقه ، نجاء اليها مسرعا وهذا خاطرها ، ووعدا بتلبية رغبتها ، وامر ان تبني درجات القصر ، واحدة من الذهب والاخرى من الفضة، ناتوا بامهر الصناعات ، واحضروا كميات كبيرة من الذهب والفضة ، وينوا درجات القصر كما تهنت الاميرة ابا الياتوت الاحمر والاخضر فلم يجدوه الا عند اليهود ، فاحضروه ، وزينت به الجدران ، فصار القصر تحفة رائعة تسر العيون .

وعادت الاميرة ترى الحياة جميلة حلوة ، تصعد درجات القصر مندوس فوق الذهب والفضة ويسمدها ان تتفرج على الياتوت الاحمر والاخضر وقد تثار فوق الجدران يزينها ويجعلها تفتن الابصار .

لكن في يوم من الايام ، نظرت الاميرة من الكوة التي نحتها في جدار القصر الزجاجي فرأت ، ويا لحلاوة ما رأت ، المهر الجليل يرقد ويتقلب فوق الحشائش الخضراء وقد تغطى بشمر اسود براق ، فسحرها وفتنها مرة اخرى فنادته وغنت .

من الجدع من الجدع
 ترعى في الصن ولا في البدع
 نرد عليها المهر وغنى :

منا قصر منا قصر
 يا بنت السلطان الاخضر
 تهنيت لك يا لالا
 ساقية من ورد وساقية من زهر
 تهنيت لك يا لالا
 درجة فضة ودرجة ذهب
 تهنيت لك يا لالا
 ياتوتة حمرا وياتوتة خضرا
 يزين بها القصر
 تهنيت لك يا لالا
 سيدى محمد بن مهر
 بلوى الشمع على الشعر
 يدور لك في القصر

لقد ظنت الاميرة أن الحياة حلوة ،، وأنها سعيدة ، حين تسقى لها أبوها تفتين وملاهما بماء الورد ، وكان المهر الجبيل صاحب الشعر الذهبى والنفسى يتمعجب من جمال القصر ثم قال ، « ان ماء الزهر وماء الورد ينقصان القصر برغم كماله ونخابته ، وقال ان درجات من الفضة والذهب ، وأحجارا من الياقوت حمراء وخضراء تضىء على القصر جلالا وتملاه سحرا، وقد سعدت الاميرة وانتشت بماء الزهر والورد . وفتنتها درجات القصر المصنوعة من الفضة والذهب ، والجدران المزينة بالياقوت .

وهكذا ظنت انها سعيدة في يوم من الايام ، وان الحياة جميلة ، لكن لا ، نكل هذا لا يهم ، انها لحزينة ، وبكت وبكت ولم تعرف إلا البكاء ، واصبحت لاتاكل ولاتشرب ، مبرضت، ولازمت الفراش وهى شن وتبكي وتصرخ ، وطلبت من جواربها أن يحضروا لها سيدى محمد بن عمر بشمره الطويل الغزير - ملوى الشعر - يتشهى فى القصر ويدور فى انحاءة - ويدور لك فى القصر - انها تريده ان يكون هنا معها ، فهذه رغبته وابنتها وهذا ما تطلبه ، انها مريضة ، مريضة ، وسنظل مريضة وستوت ان لم تره ، ناسرعوا واخبروا اباهما السلطان بهرضها وبها ترغب فيه وتمناه .

لكن السلطان غضب هذه المرة غضبا شديدا وصاح ، « لا ، لا ، هذا ، لقد حفرت لها القنوات وملاها بماء الزهر والورد ، ثم بنيت لها درجات القصر من الذهب والفضة وزينت الجدران بالياقوت الاحمر والاخضر ، لها الرجل فلن احضره لها ، انها تخوننى وتطمئننى » ، وامر احد عبيده المخلصين ان يأخذها معه الي الغابة ويذبحها وان ييلا بدماها تصبة من الغاب ويحضرها له .

« **حَدِّقْهَا** » فقد ذهب العبد اليها وقال ، « ان السلطان قد امرنى ان اصحبك الى خارج القصر لترى الدنيا ، وسنذهب لتريض فى الغابة » .

فلبست الاميرة ثوبا حريريا جميلا وتزينت بأغلى مجوهراتها ، وخرجت مع العبد ، وفى أعماق الغابة اخبرها العبد ان اباهما السلطان قد طلب منه ان يذبحها ويأنيه بدماها فى تصبة من الغاب ، وعليه ان ينفذ الأمر ، لكن قلبه لا يطاوعه فان ارادت النجاة فعليها ان تمسح

بعيدا ولا ترجع الى القصر ابدا ، نشكرته الاميرة واعطته بعض مجوهراتها
ووعده ان لا تعود الى بلاد ابيها .

وصل العبد غزالا ونبحه ، وديمائه ملا تصبى غاب ، واخذها
معه ، ورجع بها الى السلطان ، واخبره انه نفذ ما امره به ، فحزن
السلطان حزنا شديدا ، لكنه ندم على ما فعل ، وامر ان يسجن العبد .

لما الاميرة ، فقد سارت وقد دبرت امرا ، وتابلت في طريقها
امراة فقيرة وتالت لها ، « ايتها المرأة ، اننى اود ان اعطيك ثيابى
الفاخرة ، نظير ان تعطينى ثيابك » ، وكانت ثياب المرأة تديبة ويالية
فقد هفت المرأة ونرحت ، وبادلتها ثيابها .

ولبست الاميرة الثياب المتسخة القديسة ووضعت مجوهراتها في
صرة ، وسارت في طريقها ، واخذت تسال عن سيدى محمد بن عمر ،
ترى اين تكون بلاده ؟ واين يعيش ؟ ، وكل من سألته ، ضحك وسخر
منها وقال لها : « سيدى محمد بن عمر ، ومن تكونى أنت ايتها المتسولة ،
لقد سالت عنه اجمل النساء واغناهن ، وامرتهن حسبا ونسبا ، ولم
تفزن منه بطائل .

لكنها مضت تسال ، وتسال ، حتى وصلت الى بلاده ، واخبروها
بان له سبع اخوات ، وانها ان ارادت ان تراه وتقابله ، فلن يكون هذا
الا من طريق اخواته . وعرفت اين تعيش اخواته ، فذهبت الى واحدة
منهن ، فتقابلتها الجوارى وادخلنها الى اُخت سيدى محمد بن عمر ،
فسألتهما وقد احتترتها حين رات مظاهر الفتر بادية عليها ، وثيابها
متسخة ومقطعة ، « ماذا تريدين ايتها المرأة ؟ » ، فهتفت الاميرة ، « اريد
ان اراه ، ان اراه فقط ، وقبل ان تكلم كلامها ، امرت اُخت سيدى
محمد بن عمر جوارىها وعبدها ان يضربوها مائة جلدة ، ناهسك بها
العبيد وضربوها مائة جلدة ، وخرجت ثن وتتوجع وتبكي .

لكنها ذهبت الى الاُخت الثانية ، وسألتهما وطالبت ان ترى اخاها
سيدى محمد بن عمر ، فامرّت الاُخت الثانية عبيدها ان يضربوها مائة
جلدة ، وهكذا تكرر الامر . فما ان تسال اختا من اخواته الا وتكون
مائة جلدة من تصيبها ، وقد زارت ستا منهن ولم تبقى الا الاُخت الكبيرة
السابعة الّتي تعيش مع سيدى محمد بن عمر في داره .:

ذهبت اليها وطلبت من جواربها الاذن لمقابلتها ، فآخذنها اليها ،
وحين رأت الاميرة الاخت الكبرى ، اعطت لها جواهرها الثمينة ، وقبلت
يديها وقالت لها ، « اننى اريد ان ارى سيدى محمد بن عمر ، اريد
ان اراه وان يراىنى » ، وحكت لها قصتها من اولها الى آخرها ، فاشفتت
الاخت الكبرى عليها ، وقالت لها ، « اننى سأساعدك ، وادبر خطة ،
واجملك ترين اخى ، وكان سيدى محمد بن عمر شابا جميلا كالبدن ،
تقيا وصالحا ، له الكثير من المريدين والاتباع الذين يعتقدون انه من
اولياء الله والتقهاء المباركين ، وبجانب هذا كان قويا مكتمل الرجولة ،
وقد سحر النساء ، وحاولت الكثيرات منهن التقرب اليه ، لكنه كان
يبتع ، ويتقرب الى الله بالصلاة والعبادة والعفة والطهر .

وذات يوم ذهبت ابنة اخته الكبيرة ، واخبرته انها اشقرت له جارية
لتخدمه فقال لها ، « الحمد لله ان عندى من الجوارى ثلاثا ، لكن ما
دمت قد اشتريتها فلتبق فى الدار » ، وشكر لها صنيعها .

واحضرت الاخت صبغة سوداء وصبغت الاميرة باللون الاسود ،
وللبستها ملابس الجوارى ، وطلبت منها ان تصب الماء لتغسل يدي
سيدى محمد بن عمر ساعة الغذاء ، وهكذا تستطيع ان تراه ويراه ،
انفرحت الاميرة ، وعندما حان وقت الغذاء ، تقدمت لتصب الماء فوق
يديه ، لكنه غسل يديه ولم ينظر اليها ، فحزنت الاميرة وقالت لاخته ،
« انه لم ينظر الى ولم يرنى » ، ففكرت الاخت وقالت لها ، « عليك ان
تنظري حتى الغد وان تصبى الماء فوق ذراعه وعلى ملابسه ، وعندئذ
لايد ان ينظر اليك » .

وفى اليوم التالى تقدمت الاميرة ممسكة بالابريق ، وصببت الماء
فوق ذراع سيدى محمد بن عمر ، فنظر اليها وراها ورائه ، اجبل من
الغمر ، وتفكرت المهر الجميل ، صاحب الشعر الاصفر كالذهب ،
والفضى كالون القبر ، والاسود كالليل ، وكانت ان تقع مغشيا عليها .

وفى الصباح طلب سيدى محمد بن عمر من اخته ان تجهز له
الجارية الجديدة الهام ، وتدخّل معه لتخدمه ، تناول الصابون والمناشف
وتحك له ظهره ، وفى الحمام ابرها ان تحضر الماء وتمزج الماء الساخن
بالبارد وان تغسل له ظهره بالصابون ، وعندئذ ذاب لون الصبغة الاسود



وفي اليوم التالي تقدمت الأميرة مسكة بالابريق، وصبت الماء فوق ذراع سيدي محمد بن عمر، فنظر إليها وراها وراثته....

وظهرت الصبغة وهى تتبدد ، ومن تحتها ظهر لون جلد الاميرة الحقيقي الابيض، فهتف سيدى محمد بن عمر « لقد عرفتك ايتها الاميرة الجميلة وارتدت ان اتحقق انك هى التى رايتها تنظر من الكوة فى جدار القصر الزجاجى ، لقد اردت ان امتنك بشمرى ، تحولت نفسى الى شكل مهر، وكنت اغير لون شمري كل مرة ، وطلبت منك قنوات ماء الزهر والورد ودرجات الفضة والذهب ، والبياتوت الاحمر والاخضر ، ثم طلبت ان تكون معك ، انه الحب ، انك الوحيدة الجديرة بحبى ، ذلك لانه وقعت فى حبي كما وقعت انا فى حبك » .

نبكت الاميرة من الفرح وحكت له كل ما جرى لها ، فامر اخيه الكبرى ان ترجع للاميرة مجوهراتها ، وشكرها لانها اتاحت لها فرصة للقاءه ، واراد سيدى محمد بن عمر ان يعاقب اخواته المست ، لكن الاميرة رجته ان يسامحن ، فاكتمى بالتائب :

وجهد سيدى محمد بن عمر مائة ناقة حملها بائنه انواع الحرير والابتشة وبالفضة والذهب والمجوهرات الكريمة ، وصحب مائة من العبيد والجوارى ورحلوا الى بلاد السلطان ليخطب منه الاميرة ، وفي الصباح رأى حراس القصر جموعا تادمة من بعيد ، فظنوا ان الاعداء تادمون ليهجموا عليهم ، فاستعدوا للقتال ، وذهب الفرسان ليقابلوا الفرسان ، لكنهم راوا موكبا يتقدمه سيدى محمد بن عمر فوق فرسه الاصيلة ، وحوله الاخوان والاتباع .

وحين تقابل مع السلطان احتضنه وعانقه وقال له ، « انا محمد بن عمر ، جئت اخطب منك الاميرة الجميلة ابنتك ، وما هو مهرها ، » وأشار الى الغافلة المحملة بالفضة والذهب والحرائر ، والسى العبيد والجوارى ، ففرح السلطان لان الاميرة ما زالت على قيد الحياة ، ولان سيدى محمد بن عمر قد حفظ الاميرة عفيفة طاهرة ، فانام الامراخ وعمت الفرحة البلاد ، وامر السلطان ان يفرج عن العبد الذى كان قد سجنه ، لانه لم ينبج الاميرة .

جحا قاضي الفيوان

صنع جحا عجينة وتطعمها الى تطع صغيرة مثل الحب ، ووقف في السوق ينادى ، « حب الفهم والذكاء ، حب النباهة والفظنة » وادعى ان من يأكل من حبوبه يصبح من الانكباء وينهم كل شيء ، ناشتري الكثيرون منه ، لكن حالتهم لم تتغير .

وجاء يوما شاب ذكى واشتري حبة من حبوب الفهم وأكلها ، وحاول ان يعرف ما تحويه ، فلم يقدر ، فاشتري حبة ثانية وأكلها، فلم يدرك من أى شيء صنعها جحا ، واشتري ثلاثة ورابعسة وخامسة ، وحين أكل الحبة السابعة ، عرف كيف صنع جحا الحبوب ، وكان جحا تد وضع قليلا من البراز في عجينته ، فهتف الشاب ، « بها جحا انت تسخر من الناس ، وقد خلطت مواد من أصناف العطارة ومزجت بها شيئا من البراز وصنعت حبوبك وادعيت انها تجلب للناس الفهم والذكاء » ، فضحك جحا وقال ، « الحقيقة أن حبوبى تجلب الفهم والذكاء وها تد بدأت تفهم وتصيح فكيا ، لانك أكلت سبعا منها» .

فأراد الشاب أن يسخر من جحا كما سخر جحا منه ، فقال له ، « انك تبغى الحصول على المال ، وبدلا من هزلك ومحاولتك ان تسخر من الناس وتخدعهم ، هناك طريقة سهلة تكسب منها أموالا كثيرة » ، فتسائل جحا مندعشا ، « ما هذه الطريقة ؟ » ، فأجاب الشاب ، « شاركى في تجارة رابحة ، فالحديد يكون غالبا في الشتاء ورخيصا في الصيف ، ونحن الان في الصيف، فهات مائة دينار وانا مائة دينار، ونشتري حديدا، وفي الشتاء نبيع ما اشتريناه بستمائة دينار ، فنكسب أنا وأنت خمسمائة دينار» ، ففرح جحا ودفن مائة دينار ، واشتري الشاب الحديد، وأبقاه في دأره ، وفي أوائل الشتاء ذهب جحا اليه ، فأظهر الشاب



فأخذ جحا العمال وهم يحملون مطارقهم وفؤوسهم وذهب بهم إلى دار
القاضي وأمر بهدم الدار، وجاء القاضي...

الحزن وقال لجحا ، « لقد أكلت الفيران الحديد ، لم يبق منه شيء » .
فعرف جحا أن الشاب قد خدعه ، فذهب واشتراه نبي القاضي .
لكن القاضي كان قد أخذ رشوة من الشاب فمات لجحا ، « ان الفيران
يجوز ان تأكل الحديد » .

فانصرف جحا غاضبا ، وذهب الى السلطان وطلب منه ان يعينه
قاضيا على الفيران ، فضحك السلطان كثيرا ، وأصدر مرسوما (1)
عين فيه جحا قاضيا على الفيران ، وصحب جحا معه عمالا وذهب الى
دار الشاب ، وأمرهم ان يهدموا الدار نجاا اليه الشاب مذعورا ،
وسأله ، « ماذا تفعل يا جحا ؟ » ، فأجابه ، « لقد عينت قاضيا على
الفيران » ، وأراه المرسوم « ولما كانت الفيران قد ارتكبت جرما واكلت
الحديد فائنتي قررت ان اتقبض عليها ، واعتابها بالسجن وهى تختبئ
في دارك لذلك سنهدم الدار ، ونقبض على الفيران » ، فعرف الشاب
ان جحا ينوي الانتقام : فأعطاه المائة دينار .

وأخذ جحا العمال وهم يحملون بطارتهم ونفوسهم ، وذهب الى
دار القاضي وأمرهم بهدم الدار ، وما أن بدأوا في الهدم حتى جاء القاضي
غير مصدق ما يرى وسأل جحا ، « ما الامر ؟ » ، فأجابه بأن
السلطان قد عينه قاضيا على الفيران وهناك بعض المجرمين من الفيران،
اختبأوا في داره ، وهو يريد ان يتقبض عليها . فاحتج القاضي غاضبا ،
لكن جحا قال له ، « أنت قاضى وأنا قاضى ، أنت قاضى بين الناس،
وأنا قاضى بين الفيران ، وكل منا معين بمرسوم سلطاني » .

فعرف القاضي ان جحا يريد ان ينتقم منه لقبوله الرشوة من
الشاب وحكمه بأن الفيران يجوز ان تأكل الحديد .

فاعتذر لجحا ووعداه ان يصبح شريفا ، وانصرف جحا مع عمله .

(1) - مرسوم .

دهاء امرأة

كانت المرأة فاسدة الاخلاق ، لا تحب زوجها ولا تخلص له ، وهو لا يدري من هذا الامر شيئا ، وزيادة على ذلك فقد كانت تسرقه ، فاذا احضر كمية من اللحم او الدقيق او البيض ، تسرق نصفها ، تبيعه او تأكله .

وفي يوم قال لها : « اننى احضر لك من الطعام الشيء الكثير ولا تقدمين لى الا شيئا قليلا » ، فشبهت المرأة وولولت وضربت طلس فخذيا ، وصاحت به ، « يالك من رجل ظالم ، حرام عليك ، انتهمنى بالسرقة ، فان كنت تعتقد ذلك فاثبتنه ، وآت بشهود » .

وفي اليوم التالي خرج الرجل في الصباح وذهب الى السوق ، واشترى زوجا من الدجاج وملا قفة بالخضروات والفاكهة ، واستاجر جماعة من الزمارين والطبالين ، وحمل القفة وسار وراء الزمارين والطبالين ، كما يحدث في الامراح .

فسال الجيران الزوجة ، « هل عندكم عرس ؟ » ، فلما اجابتهم بالنفى ، اخبروها ان زوجها تلام في موكب يضج بالتزمير والتطليل ، فسكتت المرأة ولم تجب ، وادركت ان زوجها يسخر منها ، واحضر الطعام ومعه شهود ليثبت سرقتها وجشعها .

وحين دخل اُدار صاح بها ، « ها هم الناس يشهدون ، وها هو الطعام والخضروات والفاكهة ، والاهم يا زوجتى العزيزة دجاجتان كبيرتان لا واحدة » ، فسكتت المرأة على مضض ونوت امرا .

وحين رجع زوجها في آخر الليل ليتناول العشاء الشهى ، هفتت

به حين سألها أن تجهز الطعام : « لا والله ، ما دمت قد أحضرت الطعام بشهود فلا بد أن تأكل ومعك شهود » ، فضحك ولم يمبأ بتولها ، لكنها أصرت وقالت له : « لا بد من اثنين يشهدان أنك أكلت ، أى اثنين من أصدقائك » ، فرجع الرجل الى المقهى فلم يجد الا واحدا ، فعرض عليه ان يذهب معه الى داره ليتناول معه العشاء ، وبالرغم من ان الدعوة جاءت متأخرة ، فقد قبل صاحبه ، ومشى معه الى داره ، وما ان رات الزوجة زوجها وقد عاد ومعه صديق واحد ، حتى قالت له : « لا ، واحد لا يكفي أبدا ، لقد اقسمت بالله ان لا أعطيك الطعام حتى تحضر صديقا ثانيا ، فليبق هذا الرجل هنا ، ولتأت بصديق آخر » .

نخرج الرجل ليبحث عن صديق ليتناول معه طعام العشاء ، فأيقظت المرأة ولدها الصغير ، وضريته ضربا مبرحا ، فأخذ الولد يبكي ويصرخ بشدة ، مما اثار شفقة الضيف ، فاناب المرأة قائلا : « لا يصح ان تضربى ابولده الصغير بقسوة وتجمليه يبكي ويصرخ بهذا الشكل ، حرام عليك » ، نادعت المرأة الحزن والضيق وأجابته ، « لعنة الله على هذا الولد وعلى ابيه ، فقد عوده عادة سيئة ، مزويجى يخرج فى الليل ويخدع صديقا ويقول له تعال اتناول العشاء ، وحين يجيء الى الدار بهجم عليه ويقطع خصيته ويعطيها للولد ، نياكلهما هذا الوحش الصغير الذى يبدو أنه سيمير كئيبه حين يكبر ، وحشا كبيرا » .

نخاف الضيف ، وارتعدت اوصاله وتذكر دعوة صاحبه نجاة له فى وقت متأخر من الليل للعشاء ، نازداد خوفه ونابذ المرأة ان تساعد لينجو بحياته ، نادعت انها ترغب فى ذلك ، وسمعت خطوات زوجها مقبلا ، نطلبت منه ان يقف خلف الباب ، وحين يفتح زوجها الباب ويدخل ، عليه ان يخرج ويجرى بسرعة ولا يرجع أبدا ان ناداه زوجها وحاول خداعه ، فشكرها الضيف وتأثر من طيبتها ومعاونتها له .

أما الزوج فلم يجد أحدا يدعوه ، فرجع غاضبا ، وفتح الباب فى غلظة ودخل الدار ، فجرى الضيف الختبيء وراء الباب بسرعة ، وقالت الزوجة لزوجها ، « ايها الرجل الاحق ، انت تحضر الى بيتي اللصوص ، ها هو صديقك قد خطف الدجاجتين وجرى بها » ، نهفت الرجل : الدجاجتين هذا غير معقول » ، وجرى وراء صاحبه ليلحق به ، لكن الضيف وقد تذكر المصير الرهيب ان امسك به صاحبه ، فقد كان

اسرع من الغزال ، ونادى الزوج : « سي احمد ، سي احمد » ، لكن الضيف سي احمد ، كان يجرى بسرعة كبيرة ، فصاح الزوج : « ولو واحدة ، يقصد ان يرجع له ولو دجاجة واحدة ، فرد الضيف من مسامة بعيدة وقد تأكد ان الزوج لن يلحقه : « ان أمسكت بى نخذها معا » ، يقصد الخصيتين ، فظن الزوج انها الدجاجتان ، ورجع الى داره ، ولم تقدم له زوجته الا الخبز والحضر والكثير من التانيب بسبب اصدقائه اللصوص ، سارتى الطعمم وان دعوا اليه .

وفي اليوم التالى خرج زوجها، فأرسلت الى احد عشاقها كي يزورها، وجاء اليها ورآه احد اصدقاء زوجها وهو يدخل آدار ، وكان يعرف عن هذا الرجل سوء المسيرة ، فذهب الى زوجها وهمس في آفنه بالخبر وانصرف .

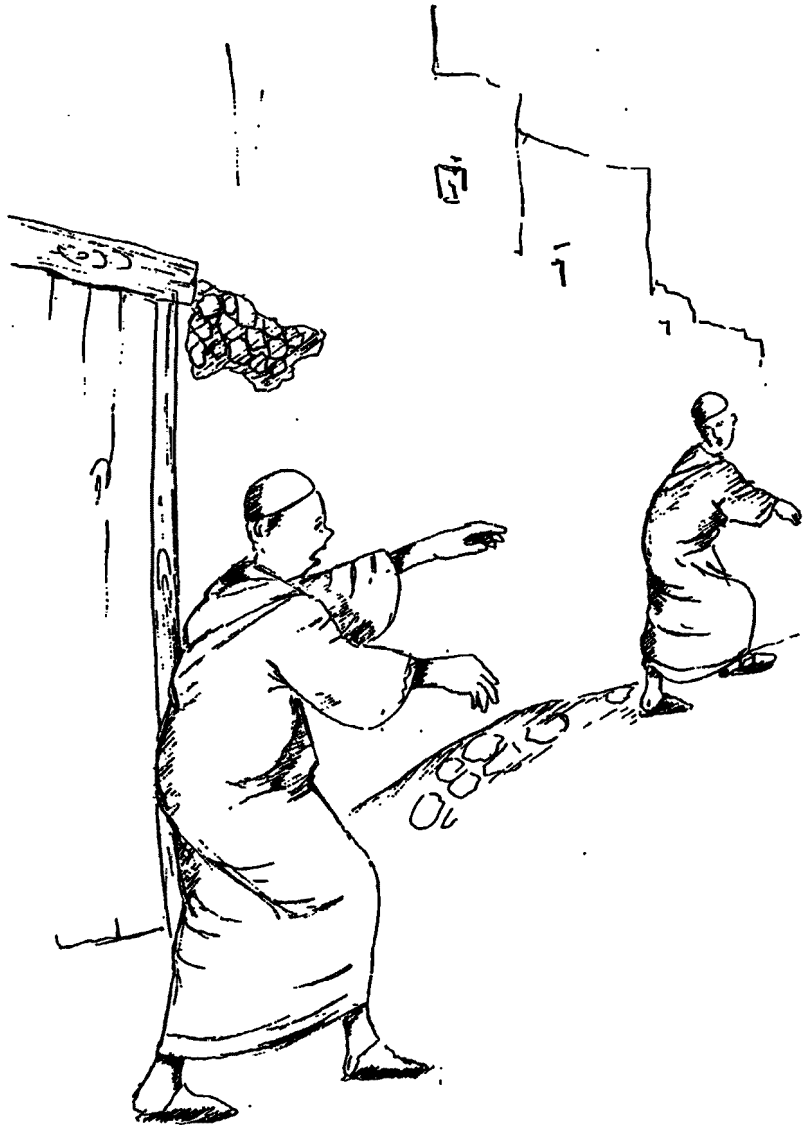
فأسرع الزوج الى داره ، فوجد الباب مغلقتا ، فتلرق بشدة ، فعرفت المرأة ان زوجها قد عاد ، فخبأت بسرعة عشيقها في البئر ، وادعت انها كانت نائمة ، وفتحت الباب وهى تحك عينيها ، فدخل الزوج ثائرا يصيح « اين الرجل ، اين عشيقك آيتها الكافرة ؟ » ، فصرخت المرأة وولولت ، واخذت تبكي وتسبه ، وتقول : « لقد تحملت منك كل مصيبة ، الا هذا ، لاذهب الى آلقاضى واشكو له حقتك » .

وزاد صراخها ومويلها ، نجاء الجيران يستظلمون الخبر ، فآخذت تصيح وتطالب الجيران ان يبحثوا في آدار لان زوجها المجنون الاحق ، يقول ان عندها رجلا ، وبحس الجيران ولم يجدوا احدا ، وآراد الجيران ان يوفتوا بين آلرجل وزوجته ، لكن الزوجة ادعت الحزن والالام وقالت : « والله انا لا آقدر على عشرته فقد صرت آخاف منه ، وكيف آثق نيه الان ، انه مجنون ومن يدرى ربا يفتحنى في الليل ما دآم يعتقد اننى آخونه » ، وطلبت من الجيران ان يضعوه في المطبورة (1)، حتى الصباح لتضمن سلامتها وتذهب عند آهلها أو تجد حلا .

ووجد الجيران ان هذا الحل معقول ، ووضعوا الزوج في المطبورة وانصرفوا .

وبعد ساعة أخرجت المرأة عشيقها ، ووقفت المرأة وعشيقها

(1) - حفرة في الارض شبيهة بالبئر .



فصاح الزوج : « ولو واحدة » يقصد أن يرجع ولو دجاجة واحدة، فرد الضيف
: « ان امسكت بي فخدما معا ».

ينظران الى اسفل ، حيث ازوج في المطبورة ، وسخرا منه ، فصاح الرجل وصرخ ، وسبع الجيران ، لكنهم لم يهتموا وقالوا انه لرجل احق لا يكف عن الضجيج واتلاق راحة الناس ، وان زوجته لمظلمة كان الله في عونها، فقد احضر لها الضمام فيوكب يضح بالتزيمير والتطويل.

وانصرف العشيقي ، فاحضرت المرأة رحى الطاحون وصارت تديرها بالقرب من فوهة المطبورة فأحدثت ضجيجا هائلا ، فظن زوجها انه الرعد ، واخذت تصب الماء وترشه عليه ، فظن انه المطر وكنت تدور بين النينة والفينة بالمصباح حول فوهة المطبورة فظن انه البرق ، ولم تكف المرأة عن الحركة طوال الليل ، تدير لرحي ، وترش الماء وتدور بالمصباح .

وفي الصباح جاء الجيران ، واخرجوا الرجل من المطبورة ، فأراد ان يهجم على المرأة ليقطها ، فمنعه الجيران ، فأخذ يصيح ، « انها صاهرة ، لقد اخرجت عشيقها وسخرا مني بعد انصرافكم ، نأدهشني الجيران ، وصرخت المرأة ، « ان زوجي لجنون ، احق ، لقد فقد عقله تماما ، فصاح الرجل - « والله لاقتلك ، ولن انسى الليلة الماضية ، لقد ظلت بسببك حبيسا في المطبوره طوال الليل ، والمطر يتساقط والرعد يصم الاذان ، والبرق يبعد عني أنفوس . » فهفتت المرأة ، « ارايتم ا . يقول ، كان معي رجل ، وكان هناك مطر وبرق ورعد في الليلة الماضية ، نرد الزوج ، « نعم كان معك رجل ورايته » ، فسأله الجيران وقد تأكدوا من جنونه ، « وهل سمعت الرعد ورايت البرق واحسست انطر ؟ » ، فأجاب الرجل ، « نعم لقد كان المطر مستمرا طوال الليل ، مع الرعد والبرق » .

فصرخت المرأة ، « بالمصبيتي لقد جن زوجي ، أشهدوا أيها الناس » وشهد الناس بها حدث واثبتوا جنون الرجل وحمقه ، ووضع في مكان يحجز فيه المجانين ، هناك في برشيد (1) .

(1) - برشيد : المصود بلدة « بئر رشيد » ونها مستشفى للمصابين بالانراض العقلية ، ويبدو ان هذه اضافة حديثة للحكاية ، فلاحظ ان الحكاية رويت قبل انشاء مستشفى برشيد بقرون طويلة ، واصل الحكاية هندي وهناك حكاية روسية مشابهة .

ابناء اللص

يروى انه كان هناك لص ، انتابه المرض واحس بانتراب الموت منه ، فنادى زوجته ، وقال لها ، « أن لدينا ولدين ، وهما مازالا مسافرين ، فان مت فئاكتهمى عن ولدى السر ، فان سالك ماذا كان يعمل ابونا ، فقولى لهما عن اى مهنة ، لكن اياك ان تخبريها فتنى كت لصا ، فلا اود ان يصبحا من اللصوص » ، واوصاها ان تدفن ادواته التى كان يستخدمها فى السرقة .

ومات اللص وترك ولديه ، وكان احدهما اسمه « رطل » وهو الاكبر ويبلغ من العمر عشر سنوات ، والاخر اسمه « نصف الرطل » وله من العمر سبع سنوات .

وتفقت الام وصية زوجها ، فلم يعرف الولدان ماذا كان يعمل ابوهما ، ودفنت ادواته .

ومضت السنوات، واشتغل الولدان، وزاولا مهنا كثيرة ، التجارة، انحدادة ، وغزل الصوف ، وصناعة السجاد ، فلم يستطيعا ان يتقنا او بنجحا فى اى عمل من هذه الاعمال .

وبعد سبع سنوات من الفشل المتوالى ، ذها الي امهما وسالاهما « أن المثل يقول يا اياه : صناعة ابيك او يظبوك (صنعة ابوك ليظبوك) لماذا كانت صناعة ابينا ؟» ، فلم تقل لها الام الحقيقة ، واجسابت ، « كان ابوكم يبيع الخضر » ، ففرحا وظنا ان التجارة هى المهنة المريحة وانها قد ورثا مهارة ابيهما وحفته ، فبحث رطل عن حاتوت واحضر نصف الرطل ما يحتاجه الحاتوت من سلال وموازين ، وذهبا لى

السوق واشترى الخضروات ، ومضت سنة. وانفلست الحاتوت ، فذهب نصف الرطل مع اخيه ، وسأل تجار الخضروات عن ابيهما ، فاجاب التجار ، بانهم لم يسمعوا به ، ولم يكن تاجرا للخضر في يوم من الايام .

وذهب الى ابيها مرة ثانية ، وسالها عن صناعة ابيهما ، وحكى لها ما اخبرها به تجار الخضروات ، وعن عدم معرفتهم لابيها ، فتالت الام وهي تحاول خذاع ولديها ، « الحق ، ان اباكما عمل لفترة قصيرة كتاجر خضروات ، لكنه عمل بعد ذلك تاجر مواك ، يبيع التبر واللوز والليمون والتفاح والبرتوق ، وكان يربح كثيرا ، فاشتغلا في مهنته وستكسبان المال الوفير » .

وظل الشبان يميلان في تجارة الفاكهة ، لكن لم تفض سنة حتى كانا قد انفسا ؛ لكن الام لم تياس ، واخذت تشجعهما ، وتميل بوصية ابيهما ، واعطتهما ما تملكه من المال ، وساعدتهما ، وعلا في مهنة الجزارة ، يشتريان البقر والغنم ويبيعان اللحم في حاتوتها ، لكن الاحوال كانت تسير من سوء الى اسوأ ، وبعد عام انفس الحاتوت .

وسأل الشبان الكثير من تجار الفاكهة والجزارين ، « هل تعرفون اباؤنا ؟ » ، فلم يعرفه احد ، لانه لم يعمل في هذه المهنة ، ذلك لان الام كانت تحاول دائها الكذب وتدعي ان اباها اشتغل في هذه المهنة .

ولكى يصل الاخوان الى حقيقة مهنة ابيهما فكرا في خطة ، احضرا شيئا من الذرة ، وطبخا (مزجور) وهو نوع من حساء الذرة ، وسخناه الى درجة كبيرة وامسكا بيد ابيها ووضعاهما في الحساء الساخن ، فصرخت وكرت : « فاقسما لها انهما لن يخرججا يدها من الوعاء الا اذا اخبرتهما عن مهنة ابيهما ، فاضطرت ان تتكلم وتالت ، « لقد كان ابوكما لصا ، وحكت ، لهما ما اوصاهما به ، ودلتهما على المكان الذي دفنت فيه ادواته ، فاسرع الشبان واخرجا ادوات ابيهما زرواطة (1) وسبلة (2) ، وسكين ، والبنج (3) ، وضد البنج (4) ؛ وقرر الشبان

(1) - مسا كبيرة

(2) - جبل ميتين .

(3) - سبلة مختزق .

(4) - سبلة تبطل بمغول البنج



وامسكا بيد أمهما ووضعاهما في الحساء الساخن فصرخت وبكت، فاقبسا لما
اتهما لن يخرجنا يدهما من الوعاء إلا إذا أخبرتكما عن ممنة ابيهما.....

أن يعملوا كالمصوص ، وأراد كل منهما أن يتولى القيادة لكنهما اتفقا بعد جدال طويل أن يتباريا في السرقة ويظهر كل منهما مقدرته ، والذي يتفوق يقود .

وكان الاختبار أن يحاول كل منهما سرقة البيض من عش طائفة ويكون الطائر رائداً على البيض ، ومن ينجح في سرقة البيض دون أن يزجج الطائر أو يجعله يحس يتولى القيادة .

وذهبوا إلى شجرة ، بنت حماية في أعلاها عشاها ورددت واحتضنت بيضاها ، وتسلق رطل الشجرة حتى وصل إلى العش ومد يده في خفة وسرق بيضة من تحت الحماية ووضع حجراً صغيراً بدلاً منها ثم سرق بيضة ثانية ووضع حجراً ، فتسلق نصف الرطل أخوه الشجرة هو الآخر ، وكلما سرق رطل بيضة ووضعها في جيبه سرقتها نصف الرطل منه ، وما أن انتهى رطل من سرقة الخمس بيضات ووضع بدلاً منها الأحجار حتى كان نصف الرطل قد سرقتها منه ، وبخفة هبط قبله إلى الأرض ، وعندما نزل رطل من فوق الشجرة وصاح في غرور ، « ها هي البيضات الخمس » ، هتف به نصف الرطل ، « لا تبألغ أين البيض ؟ » ، نمد رطل يده إلى جيبه ليخرج البيض ، فلم يجد شيئاً ، فتمتم له نصف رطل البيض ، وضحك وقال له ، « اننى لم أرك شيئاً من مهارتي ، بعد » ، وتسلق الشجرة وبخفة تقدم إلى العش وأخرج الأحجار واحدة بعد أخرى من تحت الحماية ووضع البيض مكانها ، ونزل من فوق الشجرة وتقدم الإحجار إلى أخيه ، فاعترف له رطل بالتفوق ورضى به كتائد ورئيس ، وأن كان أصغر منه في العمر .

ويبدأ الشابان يميلان كالمصوص ، فقال نصف الرطل ، « يا أخى اننى أود أن نسرق سرقة كبيرة وليس هناك أحسن من بيت المال في قصر السلطان » ، وتسللا إلى القصر وثقبا في سطح بيت المال ثقباً ، ودخلا منه إلى بيت المال ، وسرقتا عشرة أكياس من الذهب .

وفى الصباح اكتشفت السرقة ، وتضايق السلطان وفار ، وقال ، « لقد ضاعت هيبتي مادام اللصوص يجروون على سرقة بيت المال » ، وكان المكلف ببيت المال رجلاً يهودياً ، فعنه الملك لأنه لم يأخذ من الحيلة والحذر ما يمنع اللصوص من الوصول إلى بيت المال ، فانتقم

اليهودى ان ما حدث شيء لا يصدق ، وان اللصوص بهرة ، لكنه سيمرف كيف يمسك بهم ، ويحضرهم للسلطان ، لينالوا شر جزاء على علي تعديهم وجراتهم ، فقاتل الملك ، « ان لم تحضر الى اللصوص سأطع ريتك » ، فرد اليهودى ، « سهما وطامة يا مولاي » ، وساله الملك ماذا سيفعل ليمسك باللصوص ، فاجاب اليهودى ، « لرى ان نكتم ما حدث فلا يسمح به انسان ، وعندئذ سيحاول اللصوص العودة الى السرقة مرة اخرى ، وسادير حيلة ومكيدة » ، واحضر اليهودى تزاناً (1) كبيراً ملاء بالزفت والقطران ووضعته تحت الفتحة التى تقبها اللصوص فى السقف ونزلوا منها ، وحدث ما توقعه اليهودى ، ذلك ان نصف رطل حين عاد مرحا مع رطل اخيه الى ابيه ، سألها ، « هل كان ابونا يسرق مثل هذا ؟ » ، وتقدم لها المشرة اكياس المليئة بالذهب ، فاجابت ، « ان اباكما كان يسرق أشياء بسيطة » ، وفى الصباح لم يسمح احد فى البلدة بان سرقة حدثت فى القصر ، ولو اكتشفت سرقة بيت المال لسمعت بها البلدة كلها ، ولهذا ظن نصف الرطل ، ان من نى القصر لم يكتشفوا السرقة ، فقرر الذهاب مرة اخرى ، وسرقة بعض الاكينس المليئة بالذهب ، وخاصة انهما عرفا الطريق ، والتعب ما زال موجوداً فى السقف .

وفى الليل تسلل نصف الرطل واخوه مرة ثانية الى القصر ، وحين وقتا عند الفتحة التى فى سقف بيت المال ، اراد نصف الرطل ان ينزل كما فعل بالامس ، لكن رطل طلب منه ان يسبقه هذه المرة ، ووقع رطل فى تزان الزيت والقطران فصاح محذراً اخاه ، « لقد دبروا مكيدة ووقعت فى تزان مملوء بالزفت والقطران » . فتدلى نصف الرطل بحذر وقد ربط نفسه فى حبل متين ، ونزل بجانب القزان ، وكان رطل قد فطس حتى منته فى الزيت والقطران السميك ، وحاول نصف الرطل انتقاذ اخيه ، او اخراجه من الزيت فلم يقدر ، وتفكر نصف الرطل ، ماذا يفعل ، انه ان ترك اخاه فى الزيت فسيعذبه السلطان حتى يمترف وعندئذ لا بد ان يحضروه هو الآخر مع ابيه ، ويتطموا رؤوسهم جميعاً ، فودع رطل وقد نوى امراً ، قبله واستل سكينه وقطع راسه ، واخذها معه وانصرف .

(1) - قدر كبير المعجم

وحين رجع الى ابيه قال لها ، « كان السلطان سيقتلنا جميعا رطل وانسا وانت ، ففضلت ان اقتل اخى بيدي حتى انتقذك واتجو براسى .

وفي الصباح وجدوا جثة بلا رأس في قزان الزيت ، فثار السلطان وعنف اليهودى وقال له ، « هذه هى مكيدتك وخطتك التى وعدتني ان تمسك بها اللصوص » ، فاعتذر اليهودى وقال ، « هناك خطة ثانية وكيدة سادبرها وستنجح هذه المرة ، وسنمسك اللصوص وتعاتبهم على وقاحتهم وتجرتهم » ، فسأله الملك ، « وكيف يكون ذلك ؟ » ، فأجاب اليهودى ، « ارى ان نشيع جنازة اللص ونعلن في البلد ما حدث ، واننا وجدنا لصا مقطوع الرأس وستشيع جنازته ، ولا بد ان يكون له اب ، او ام ، او اخ ، وسيبكي حزنا عليه ولاشك ، وعندئذ نبث العيون والحراس في كل مكان ونمسك من يبكي ونعذبه ، وبذلك نتوصل الى اللصوص ، ومن ناحية اخرى لا بد ان يحاول اهل اللص دفن راسه في المقابر نعلينا ان نرسل الحراس ليمسكوا من يحاول دفن الراس » ، مهدده الملك بالعقاب ان لم تنجح خطته هذه المرة ، ونادى المفادون ، واعلن في البلدة ما حدث ، وعن ميعاد سير جنازة اللص .

وصح ما توقعه اليهودى ، ذلك لان ام رطل تالت لنصف رطل ابنها ، « لا بد ان ابكى اخاك حتى يخف حزني وتبرد نار قلبي ، هل يعقل ان يشيعوا جنازة ولدى ولا ابكيه » ، ووعدها نصف رطل باجابة رغبتها ، واحضر الكثير من الالوعة والادوات الفخارية من اوانى واطباق وابريق ووضعها فوق حمار وتال لها ، « خذى هذا الحمار بما عليه وحين تظهر الجنازة ، سادفع حمل الحمار من الفخار ، وسيتكسر ، فتقدمين وتبكين كما تشائين وان جاءك الحراس وسألك ، « ما يبكيك ؟ » ، تولى لهم ، « هذا مال ولدى الذى لا يملك غيره ، وقد حطمته نكف لا ابكى » ، ولخذت الام الحمار بما عليه من فخار وجلست تنتظر قدوم الجنازة .

وحين ظهرت الجنازة اوقع نصف الرطل حمل الحمار ، فتحطم الفخار وتكسر ، فاختذت المرأة تولول وتصرخ ، وتبكي وتصرح ، « ماذا افعل يا ولدى ، ضاع ولدى وما يملكه » ، فجاء اليها الحراس وسألوها « لماذا تبكين ، هل تعرفين الميت ؟ » ، فقلبت ، « انا ابكى الفخار الكسور ، والالوانى المحطية ، أنها كل ما يملكه ولدى في الدنيا وقد بددته وحطنته ، فماذا اتول له ؟ » ، فذهب الحراس واخبروا السلطان ان المرأة تبكى

الفخار الذى كسرتة ، وحين عادت الى الادر طلبت من ابنها ان يدفن
راس اخيه ، فهى لا يمكنها ان تترك راس رطل للكلاب ، فبوعدها نصف
الرطل بدفن الراس .

وذهب الى المقابر فمرأى الحراس فى كل مكان ، فدبر خطة ، واشترى
اثنى عشر معزة واربعة وعشرين شعبة وثمانية واربعين ناتوساصفراء،
وانتظر حلول الظلام ، ووضع شبعتين على راس كل معزة واشعلهما ،
وربط فى رقبة كل معزة ناتوسا ، وفى ذيلها ناتوسا ، وفى رجلها ناتوسين
واطلاق الماعز ، ففوجئ الحراس فى منتصف الليل باتوار غريبة شبيهة
بميون الجن متبلة من بعيد ، وسمعوا رنين الاجراس مع ما تصفوه
الماعز من اصوات ، فخيل اليهم ان الشياطين هجمت على المقابر ،
فنفروا هارين ، واستطاع نصف الرطل ان يدفن راس اخيه المقتطوع،
ورجع الى امه واخبرها بانها قد نفذت رغبتها .

وفى الصباح ثار السلطان، ونادى اليهودى وانظظ له القول وسخر
من خطته التى فشلت ، فلم يمسكوا اهل الميت اثناء تشييع الجنائزة ،
ولم يذهب احد الى المقابر ليدفن الراس ، ذلك لان الحراس لم يحكوا
عن هجوم الشياطين ، واكتفوا بان قالوا للسلطان ، « لم يحضر احد
للمقابر » ، فآخذ اليهودى يهدىء من غضب السلطان ، ووعدته بتدبير
خطة، ولايد ان تتجح ، ووعد السلطان بالقبض على اللصوص هذه المرة ،
فقال له الملك ، « لقد وضعت الزيت وانظران ، ولم تطلع خطتك ،
وشيعنا الجنائزة ، وارسلنا الحراس الى المقابر دون فائدة ، اريد ان
نحضر لى اللصوص وآلا قطعت راسك » ، فقال اليهودى ، « عندى
حيلة لايد وان تتجح » ، فسأله الملك عنها فاجاب اليهودى ، « ارى
ان نبتئز المال فى الطرقات الوف العملات الذهبية ، نرمى اكوابا فى
ساكن معينة ويقت الحراس بجانب كل كومة وكل من تقدم وسرق
امسكناه » ، ولم يستطع او يتجرأ احد من اللصوص فى البلدة ان يقترب
من الذهب المنثور فى الطرقات ، خوفا من الحراس الوافقين يراقبون
فى حذر وانتباه ، لكن نصف الرطل دبر لهم : فاحضر ثلاثة جمال ،
والصق فى اخفائها مادة لزجة ، وصبغ كل جبل بلونين ، فالجساتب
الايمين احمر والايسر اخضر ، والجبن الثانى نصفه الايمين ابيض والايسر
اسود ، والجبل الثانى نصفه الايسر لزرق والايمين اصفر .

وكانوا قد رموا ونثروا على الأرض مائة الف عبلة ، فلما عدوها وجدوها قد نقصت عشرة آلاف وقال الحراس عند أخذ الاكوام بر اماننا جبل اسود ، فقل زملاؤهم لا بل ابيض ، وقال الآخرون « جبل اصفر » ، فقال زملاؤهم « لا بل كان جبلا أزرق » ، وقال آخرون « جبلا احمر » ، فرد من معهم « بن اخضر » (1) ، فاندھش الملك ، فقد اختلفت الآراء وغضب غضبا شديدا ، ونادى اليهودى وويخه على لشل خطه ، وقال له ، « كل ما حدث كان بسبب اهلك رعاية بيت المال ، وعدم الاهتمام بحراسته ، انك لا تطلع ولا تعرف كيف تدبر حيلة تمسك بها اللصوص ولا بد من قطع رقبتك ، فقد ضاعت عشر الاف قطعة ذهبية بسببك » ، فاعتذر اليهودى بأنه لم ير لصا يمثل هذه المهارة ، وبين انه لا تئب له ، فان هذا اللص شيطان ، وانه سيحاول بأى شكل ان يدبر حيلة لا تخيب ، فسأله الملك عن حيلته الجديدة ، فاجاب اليهودى ، « علينا ان نستعين بالنساء فهن امهر من الرجال وأرى ان نحضر عشرين نعامة ونطلقها ، واذا سرقت نعامة فسنكتشفها اذا أرسلنا العريفات (2) بطريقة مستترة ، فيسألن الناس عن شيء من دهن النعام ، ومن وجد عنده الدهن نقبض عليه . »

واطلقوا عشرين نعامة في آبلدة ، وتجرا نصف رطل ، وسرق واحدة وادخلها آلى داره وذبحها ، وطلب من أمه ان تطبخ لحبها ، وتخبئ ريشها وشحمها ، وأخرج ليمض حاجته ، فجاءت إحدى العريفات لامه ، وسألتها ان تعطيهما شيئا من دهن النعام ان كان عندها ، فلم تلهم اللام الحيلة ، وأعطتها بعضا من دهن النعامة ، فأخذته العريفة ، وبينما هى خارجة ، دخل نصف رطل فسألتها ماذا كانت تفعل في دارهم ، فاجابته ، انها جاءت لتأخذ شيئا من دهن النعام لولدها المريض ، فعرضها نصف الرطل في الحال ، فأمسك بها وأخرج السكين ووضعها على رقبته وقال لها ، « اما ان اقطع رقبتك او اقطع لسانك ، ولأمائدة من الجذال » ، فأخرجت العريفة لسانها ، وقطعه نصف الرطل ، وسبح لها بالخروج ، فسلات العريفة يدها من الدماء التى تسيل من فمها ، ورشحت به باب

(1) - من الواضح ان هناك بلانة في ذكر اللون الجبال ، فلا توجد جبال لها هذه الألوان ، لكن البلانة تكون أحيانا من سبات الخيال الشعبي وربما كان الغرض منها حفظ الحكاية من التبدل او لاسباب اخرى يكشفها المختصون في علم البولكلور .

(2) - العريفات نساء يعملن مع رجال الإبن (الشرطة) .

الدار حتى تعرفه ، وذهبت الى السلطان ، وجاموا اليها بين يفيهمون لفة
ابكم الذين لا يتكلمون ، وذهب معها الحراس لترشدهم الى الدار التي
فيها النعامة ، فان بابها مرشوش بالدماء .

لكن نصف الرطل كان قد رأى العريفة وهي ترش بسلب دارهم
بالدماء فأتى بكيش وفتح ورش أبواب كل الدور بالدماء ، وحين
جاء الحراس وجدوا ابوابا كثيرة كلها مرشوشة بالدماء ، فقالوا ، ان
المرأة مخبولة لا تعرف ما تقول ، ونشلت خطتها وحيلة اليهودي .

عندئذ احضر السلطان اليهودي وقال له ، « لقد تركت تدبر الحيل
ولم تستطع ان تمسك اللصوص ، فلابد من قطع رقبك » ، فارتدى
اليهودي على الارض وقيل اقدام السلطان ، وقال ، « بقيت حيلة
واحدة لدى يامولاي ، فلنجربها فان لم تفلح فانهل بي ما تشاء » ، فسأله
السلطان عن هذه الحيلة الاخيرة ، فأجاب اليهودي ، « لا يكون من نمل
كل هذا الا ثاب ، ومادام شابا مانه يحب ان يفاخر ولا يخل عقدة
اللسان شيء مثل الخبر ، لذلك ارى ان تقيم ولية تدعو اليها كل الشباب
وتجعلهم يشربون الخمر ويسهرون حتى الصباح (1) ، وسيقع اللص
هذه المرة ونمسكه .

فأتوا ولية ، ودعوا شباب البلد كلهم ، وقدموا لهم الكثير من
الخمر حتى سكروا جميعهم ، ويقف اليهودي يستمع للحديث ، وسكر
نصف الرطل هو الآخر ، وكما توقع اليهودي وقف متساخرا وقال ،
« انا امهر لص ، تطعت رأس اخي حين وجدت ان بقائه سيؤدى الى
موتنا انا وامى ، وقد حملت حمارا بالفخار وكسرته لايح لامح البكاء
وهي ترى جنازة اخي ، واستطعت ان ادفن راسه في المقابر بالرغم من
وجود الحراس ، فقد احضرت الماعز وربطت في ترونها الشموع وعلقت
فيها الاجراس ، فراها الحراس وظنوها الشياطين » مضى يقول ،
(ولونت الجبال والصققت في اخفانها الملك (2) وسرقت عشرة الآم قطعة
ذهبية ، وحين ارسلوا النعام اخذت واحدة ، وعندما خدعت العريفة ابن

(1) - من الواضح بالنسبة لموضوع الخبر ، انه هناك تناقض مع التعليم الدينية
الاسلامية ، لكن هذه الحكاية تعتبر رواية من تلك الروايات لعكبة شعبية
ترجع الى قديم المصريين وقد رواها المؤرخ الكبير هيرودوت. انظر ص 8

(2) - مصادرة لرجلة لاصقة

وأخذت منها دهن النعامة ، قطعت لسانها ، فرشبت العريفة بابنا بالدم ،
فرششت أبواب كل الدور بالدماء « ، فعرفه اليهودي ، وحين نام
نصف الرطل جاء اليهودي وحلق لنصف الرطل لحيته وأنصرف ليعود في
الصباح مع الحراس، وصحا نصف الرطل وتحسس لحيته فوجدها مخلوطة،
فقام وحلق لحي كل الثبان ، وحين جاء اليهودي في الصباح ، لم يستطع
ان يعرف الشاب ، فاكل مخلوطة لحاهم ، وذهب اليهودي الى السلطان
وأخبره بما حدث ، وقال له ، « لقد فضلت وليس لدى حيلة أخرى
ولتفضل بي ما تشاء يا مولاي » ، فاندعش السلطان ، من مهارة هذا
اللس الذي لم تجد معه مكيذة او تنفع معه حيلة .

فامر السلطان بقطع رأس ييهودي ، وارسل السلطان المنادي
يقول ، « ان من فعل كذا وكذا عليه الامان وليتقدم للسلطان » .
فذهب نصف الرطل الى القصر ، ولما مثل امام السلطان قبل
الارض بين يديه واعترف له بكل ما فعله ، فعفا عنه السلطان ، وتاب
نصف الرطل عن السرقة وعينه السلطان حارسا لبيت المال ، وظل يعمل
في القصر الى ان هلت .

(1)

الأحمق لا يصلح لشيء

احتارت الأم ماذا تفعل مع ابنها الاحق ، لانه كان دائها لا يحسن التصرف، وذات يوم ارسلته ليشتري قنطارا من القمح، فعاد اليها بعد ساعة منهوك القوى يلهث ، ويكاد ان يموت من التعب ، ذلك لانه تد حبل قنطار القمح فوق ظهره وقطع به الطريق الطويلة بين حانوت التاجر حتى دارهم ، فهتفت به الام ، « يا احمق لماذا لم تؤجر حمالا بدراهم قليلة ليحمل القمح بدلا منك » ، فتبتم الاحق ، « سأنعمل ، سأنعمل في المرة القادمة » .

وبنى العصر طلبت منه امه ان يشتري ابرة ، فعاد اليها مع الحمال ، فقد اجر حمالا ليحمل له الابره ، فغضبت امه وتضايقت : لكنها انهبت ان الحمال يؤجر ليحمل الاشياء الثقيلة ، وظلت تشرح له وتفهمه ، فتبتم الاحق ، « سأنعمل ، سأنعمل في المرة القادمة » .

اما في اليوم التالي ، فقد ارسلته ليشتري لها تينا بابسا وحذرت ان يؤجر حمالا ، فعاد اليها خاوي الوناض الا بن بضع تينات ، فليسا استفسرت منه ، « اين التين ؟ » ، اجابها ، « وقع منى فقد كان كثيرا وصغيرا ولم أعرف كيف احمله وقد حذرتني من ان اؤجر حمالا مادام التين غير ثقيل ، وانا فكى واطيعك » ، فضحكت الام وسخرت منه واخذت تفهمه ان التين المجفف يحمل بحبل يمر وسطه كما يحدث لحبات العقد ، فتبتم وقال ، « سأنعمل سأنعمل في المرة القادمة » .

وحين طلبت منه ان يشتري لها زلايف « اوانى صغيرة شبيهة بالاطباق لكنها أكثر تقعرا » ، عاد لها وقد ثقبها وجعها في حبل رفيع ،

(1) - ويسونها في ناس ونواحيها حكاية محمد البهل ، والبهل كلمة بالملدية وسماها الإبله .



فعاد الى امه منهوك القوة، لأنه قد حمل قنطار القمح فوق ظهره.

ودخل على ابيه فرحاً يهز يده بالزلايف التي اذناها وهو يتنسم ، نصرخت
الام ، ولتبتة ، ومضت تشرح له وتبين الفرق بين ما اوصته ان يفعله
بالتين وبين ما فعله بالاولانى ، وفي النهاية قالت له ، « ان الزلايف توضع
داخل بعضها هكذا » ، واوضحت له ، فاعتذر واجاب « سأنعمل ،
في المرة القادمة » .

وعندما طلبت منه ان يشتري لها بيضا عاد اليها وقد كسر البيض
ووضعه داخل بعضه كما اوصته ان يفعل بالزلايف ، نهتقت الام حين
رأته ، « الاحق لا يصلح لشيء » .

اصدقاء الحطاب وعدوه

يروى ان حطابا ماتت زوجته ، وتركت له سبعة اولاد ، فكان الحطاب يذهب كل يوم الي الغابة ويعمل بجهد واجتهاد ليحصل على موت عياله ، لكنه قاسى كثيرا من الفقر ، لان الغابة وان اتسعت ، فان الاشجار الصالحة للاحتطاب قد قلت مع مرور الايام وكثرة الحطابين .

وفي يوم بينما كان الحطاب عائدا من الغابة ، محملا حماره بما احتطبه من اخشاب قليلة ، اذ سبع على مقربة منه اصواتا تشبهت من تحت الارض ، فاندھش وتمجب واقترب من مصدر الصوت ، فوجد بثرا مهجورة تخرج منها الاصوات ، ونظر فرأى رجلا وانمى وفارا وانسا في اسفل البئر ، وصاح الرجل ، « انتقذنى ياخى فالموت ينتظرنى ان لم تخرجنى من هنا ، اننى اخوك الانسان اتمنى لك الخير فلا تتركنى اموت » .

وقبل ان يجيب الحطاب هتفت الانمى ، « اياك ان تنقذ ابن آدم ، فان سبه اكثر من سبى ، انتقذنى انا واعاهدك ان اندمك ، فان حاق بك الموت انتقذك » ، فرد عليها الحطاب ، « وكيف يكون هذا ، اترك ابن آدم اخى الذي هو من جنسى وانتقذك انت الانمى ، ثم كيف تنقذينى ؟ » ، فاجابت الانمى ، « نعم ان هذا الرجل ابن آدم مثلك ، لكنه سيؤذيك ان انتقذته ، اخرجنى من هنا وساعطيك بعضا من قشورى فان حاق بك الموت او ألم بك الخطر والضيق فاحرق قشورى فأتى اليك وانتكذ » .

فضحك وقال لها ، « هذا عن المستقبل ، لكن من يدري انك

لا تخونيني ، فربما ان اخرجتك عضضتني وقتلتني ، فعاهدته الاتمى
ان لا تخونه ، وقالت ، « وكيف اخون من اتقتنى من الموت ؟ قد
ينقل هذا ابن آدم ، أما نحن الاتامى فلا نخون . »

نصاح الرجل ، « اياك ايها الحطاب ان تتركى ، فلا يريد ابن
ادم لايه الا الخير » ، فهتف الاسد ، « يا سيدى الخطاب ، خذ حفرك
من ابن آدم نسيؤذيك ان اتقتته ، واياك ان تخرجه ، بل اخرجنى انا
وسانفمك ، ولا تخف منى فاننى ملك الغاب ، واقوى الوحوش ولا
اغدر أبدا. بين ساعدنى ، اننى اعاهدك ان لا اضرك ابدا بل انفمك
وسانفمك » ، فسأله الحطاب ، وكيف تنفمنى يا ملك الغاب ،
فاجاب الاسد ، « سأعطيك شمعات من لبنتى نان احلقت بسك
المصاعب أو خفت الموت والخطر فلتحرقها ، فاحضر اليك واتقذك ،
لكنى احذرك من ابن آدم ، فلا تاتن له ، نصاح الرجل ، « لاتصدقه
يا اذى الحطاب واخرجنى انا » ، نصرخ الفأر « اياك ان تخرج ابن
آدم فلا فائدة منه ، ولا يجيء منه الا الضرر ، اخرجنى انا وسانفمك » ،

فضحك الحطاب وسأل انفار : « وكيف ستفمنى انت الاخر ؟ » ،
فاجاب الفأر ، « سأعطيك زغبا من شعيراتى فان تاسيت من الفتر
نحدرتها اجيء اليك واغنيك واهلا بينك بالمال ، وانت يا ابن آدم تحب
المال وهو ينفمك ، اليس كذلك ؟ اخرجنى وانا سانفمك » ، فاجابهم
الحطاب ، « سأخرجكم جميعا من هنا » .

واسك بحبله ورماه للرجل واخرجه ، ومن بعده اخرج ملك
انجاب الذى اعطاه شمعات من لبنته ، ومن بعده اخرج الاتمى
فاعطته القشور كما وعدته ، ثم اخرج الفأر فاعطاه زغبا من شعيراته ،
وشكروه جميعا على حسن صنيعه وانقاذه لحياتهم ، وانصرفوا ،
وعاد الحطاب الى داره .

ومضت الايام ، وخرج الحطاب يحتطب ، وتوغل فى اعماق
الغابة ، وحمل حماره بما قطعه من الاخشاب ، واراد ان يرجع الى
كوخه لكنه ضل الطريق فى ذلك اليوم ، وبدلت الشمس تغييب ولم
يمرف ما يفعل ، ونجاة سبع زئير الاسود ، وأبصر ثلاثة من الاسود
تقترب منه تبغى افتراسه ، فخاف الحطاب وارتمب واحتار ماذا يفعل ،
وتفكر شمعات الاسد الذى اتقده ، فخرجها من كيسه وحرقها ،

فأذا به يسمع زئيراً يدرى في أنحاء الغابة ، ورأى الأسود تقف على مكثها ولا تقترب منه .

وبعد لحظات جاء ذلك الأسد الذى لقتذه وأخذ يدور حوله كالكلب الأليف ، وزار الأسد ، وكأنه يخاطب الأسود ، فانصرفت ، ثم غاب الأسد عن بصره لحظات قليلة ، وعاد وقد صلد غزالاً وربما أمام الحطاب ، فاشط الحطاب ناراً وشوى الغزال ، وجلس والأسد معه يأكل في الطمئنان ، ثم نام الحطاب والأسد بجانبه يحرسه ويرعاه ، وفى الصباح ارتده الأسد الى الطريق حتى عاد الى داره .

ومضت الأيام . وكان رزق الحطاب قليلاً ، فان لديه سبمة اولاد ، والغابة ضئيلة شحيحة بأخشابها ، ووهنت قوى الحطاب وأصابه المرض ، وفرغت أمدار من الطعام ، وعض الجوع بأنيابه الحطاب وأولاده ، وقاسوا من الفقر ، فتفكر الحطاب زغيبات الفأر ووعد به بأن يغنيه بالمال ، فاحضر الزغيبات واحرقها ، فجاء اليه الفأر ، وشكا له الحطاب سوء حاله ، وصرخ الفأر ضرخة غريبة ، ونجاة امتلات دار الحطاب بالفئران ووقف الفأر بينهم خطيباً وقال لهم : « اخوتى ، ان هذا الحطاب صنع معى معروفاً ، واننى لانيى بحياتى له ، فقد اتقننى من الموت ولا بد ان ارد له الجيل » .

فصاحت الفئران نحن على استعداد ان نرد له المعروف ونساعده ، فأمرهم الفأر أن يحفروا نفقا من دار الحطاب الى بيت المال فى قصر الملك ، فأخذت الفئران تحفر النفق ، وطلب الفأر من الحطاب أن يأتيه بشيء من العسل ، فأحضره له ، وبعد ان حفرت الفئران النفق من بيت المال الى دار الحطاب ، أخذ الفأر يدهن لها ظهورها بالعسل ، وذهب كل فأر فى النفق الى بيت المال ، ولصق على ظهره كيساً من المال واتى به الى دار الحطاب ، ولم تمض ساعات قليلة حتى كان اغلب ما فى بيت المال من أكياس مليئة بالنقود قد انتقل الى دار الحطاب ، فشكر الحطاب للفأر صنيعه ، وانصرف الفأر مع اخوانه الفئران .

واكتشف امين بيت المال السرقة فأبلغ الملك ، فغضب الملك وقال : « كيف تجرأ اللصوص وسرقوا قصرى ؟ » ، وأصدر الملك أوامره المشددة بالبحث عن اللصوص ، ووعد بكفاة كبيرة لمن يرشده اليهم .



.. وصرخ الفأر صرخة غريبة، وفجأة امتلأت دار الحطاب بالفيران، ووقف الفأر
بينهم خطيباً وقال لهم « أخوتي ان هذا الحطاب صنع معي معروفاً وانني
لأدين بحياتي له، فقد انقذني من الموت، ولا بد أن أرد له الجميل

ويكشف سرهم ، فذهب رجال الملك الركل مكان يبحثون ويتقصرون ويتجسسون ويستقصون .

خاف الحطاب لان اموال الملك كانت عملات ذهبية ، والحطاب رجل فقير ولا يستطيع ان يحمل الذهب ويذهب به السبي الاسواق ، فربما شك بعض الناس فيه وابلغوا الامير للملك ، لذلك فرح فرحا شديدا حين قابل ذلك الرجل الذي انقذه من البئر في يوم من الايام ، وحكى له ما حدث ، ووجه ان يحفظ السر ، واعطاه بعض الاكياس وطلب منه ان يساعده ويشتري له بعض الاشياء ، فطع الرجل نسي المكافأة الكبيرة التي اعان عنها الملك وذهب الى القصر ووثنى بالحطاب .

وسرعان ما احضروه للملك ، فلما مثل امامه تبل الارض بين يديه ، واغظ الملك له القول وصاح غاضبا ، « كيف تجرؤ ايها الرجل على سرقة اموال بيت المال من قصرى » ، فاجابه الحطاب « والله يا مولاي اننى لم تسرق شيئا طوال حياتي ، فانا رجل شريف اعمل واتعب كثيرا لآسب قوت عيالي » ، وثار الملك وقال له ، « انك تكذب ، فقد وثى هذا الرجل بك » ، واثار الى الرجل الذى انقذه الحطاب في يوم من الايام . وقال ، « انك قد اعطيت بعض اكياس المال الملية بالعملات الذهبية لبييعها وهى مسروقة من عندى » ، فاجاب الحطاب ، « اقطع رقبتي يا مولاي ان كذبت عليك ، لو ثبتت اننى سرقت شيئا من قصرك » ، فصاح الملك ، « اذا كيف حصلت على الاكياس والاموال » ، نرد الحطاب ، « الصدق اتوله لك يا مولاي ، فقد انقذت يوما نارا من الموت واعطاني زغيبات من شعره وسألني ان احرقها ان ضاق بى الحال ، ولما قاسيت من الفقر انا وعيالسى حرقتها » ، وحكى الحطاب للملك عن حضور الفار واخوانه وعن حفر النفق ولسق الاكياس فوق ظهور النيران ، فاندعش الملك ولكى يتحقق من صدق ما قاله الحطاب ، احضروا بعضا من الشجيرات والاعشاب الطرية الخضراء ، وحرقوها في بيت المال ، فامتلات بالدخان وسرى الدخان في النفق الحفور حتى خرج من بيت الحطاب ، فعرف الملك وتأكد ان الحطاب روى الصدق ، لكن الملك قال ، « على اية حال ، انا لا اريد ان يسرق بيت المال في قصرى » وامر ان يسجن الحطاب بدلا من قتله .

وفي السجن أخذ الحطاب يفكر في اولاده السبعة ، ماذا يفعلون ، من اين ياتون بالطعام ؟ ولم تمنح ثلاثة ايام حتى كاد الحطاب ان يجن ، وتذكر الاممي فان الخطر لجسيم ، واكثر من الموت ، فاولاده لا يجدون القوت ، فأخرج تشور الاممي واحرقها فجات اليه وقالت له ، « الم احزرك من ابن آدم وقلت لك ان سه لكثير من سي ، وانه سيؤذيك فلا تخرجه ، لكنني حضرت الان لاراد لك الجليل والممرور وانتك » ، نهفت الحطاب في رأس ، « وكيف ستغفني ؟ » ، فقالت الاممي ، « ان للملك بنتا امز لديه من عينيه ، وسأذهب والتف على بطنها وصدرها وعنتها ومن يقترب مني سأقتله الا انت ، وعليك ان تقول لحارمك انك من اولئك الذين يعرفون كيف يتفاهمون مع الاماعي ، وانك لتقدر على انتقاذ الاميرة ، وعندما يحضرونك للملك قل له انني من الملكات ولن اترك الاميرة الا اذا فبحوا زجلا خفتا ينكر المعروف ولا يحفظ السر ، واطلب ان ينجحوا الرجل الذي وشى بك للملك وسياتون به وينجونه ، عندئذ سأترك الاميرة وتأخذ انت من الملك ما شئت من الاموال فتفتنيك طول حياتك » ، لشكرها الحطاب .

وذعبت الاممي في الليل الى غرفة الاميرة ، وكلمت نائمة ، والتفت على بطنها وصدرها وعنتها ، فرأتها جاريتها ، فذهلت لها رات ، وهرعت مسرعة الى الملك وايقتله واخبرته بما حدث ، وجاء الملك والملكة والعبيد والجواري والحراس ، وما ان اقترب احد الحراس قليلا من السرير حتى نفخت الاممي فيه فوقع ميتا في الحال ، فخافوا جيبا من الاقتراب من الاميرة الاسيرة التي تلفت حولها الاممي ولا تتقلها !

وعم القصر حزن شديد ، واعلم الملك انه يعطي من ينقذ الاميرة من الاممن ما يشاء ويطلب ، فجاد بعض الرجال الذين بينهم وبين الاممي عهد ومواثيق ، وما ان اقترب اولهم من الاميرة حتى نفخت فيه الاممي فوقع ميتا ، وانصرف الباقون .

ونادى الحطاب حارسه وقال له ، « اذهب الى الملك واخبره انني قادر على انتقاذ الاميرة من الاممي ، فذهب الحارس واخبر الملك ، فامر ان يحضر اليه الحطاب في الحال ، فلما مثل امامه قبل الارض

بين يديه وسأله الملك في لهنة ، « هل تستطيع أن تنفذ ابنتي ، انسى
اهبك حريتك واعطى لك ما تشاء وترغب » ، نطلب الحطاب أن يرى
الاميرة والامسى .

فاخذوه الى غرفتها ، ووقنوا جميعا ، الملك والمنكة والحاشية
والحراس بالباب ، لا يجزؤون على الدخول ، لكن الحطاب دخل
الغرفة واقترب من الامسى دون ان تنفخ فيه او تؤذيه ، ومسح
الحطاب بيده على جسد الامسى ، فلم يكن يخافها او يخشاه ، ومكث
مع الامسى بعض الوقت ثم خرج الى الملك وقال له ، « ان هذه الامسى
ملكة من الملكات وهن تريد أن يذبح رجل حتى تترك الاميره ، وترغب
في دماء رجل خائن ناكر لجميل ، لا يحفظ السر ، وهي تطلب أن تنفخ
الرجل الذى وشى بى اليك يامولاي » .

ولما كان الملك قد رأى ان كل من يقترب من الامسى تنفخ فيه
فيبوت ، ورأى الحطاب يقترب منها فلا تؤذيه وتسأله ، بل ان الحطاب
تكلم مع الامسى وربت ومسح بيده على جسدها ، فقد أمر في الحال
أن يحضروا الرجل ، وما ان اتوا به حتى ذبحوه بأمر الملك أمام الحطاب
والامسى ، ونسى الحال تركت الامسى الاميرة وانسابت تنطوى
وتمشى على الارض وانصرفت .

وكانا الملك الحطاب وأطلق سراجه وأعطاه من الاموال الشيء
الكثير حتى صار غنيا هو وأولاده وأولاد أولاده من بعده .

حكاية بلارج

كانت الشابة تنزل من الجبل كل يوم وتجلس فوق حجر ، تشرف على الطريق الذى يمر امامها محيطا بسفح الجبل ، ومخترقا السهول ، وتظل فى مكانها ترقب أناس وتتفرج عليهم ، وتسخر منهم ، فهذا اعرج يثلوى وينحنى فى كل خطوة يخطوها ، فتضحك الفتاة وتشير اليه وتقلده وتتهقته ، ثم ها هى امرأة عجوز تدب على الطريق بمصاها ، وتشير على مهل ، فتسخر منها الفتاة وتهيل برأسها مقلدة العجوز وهى تمشى ، ثم هذا صملوك مقطع الثياب ، وهذا رجل غليظ بدين ، ينقل رجله فى صعوبة ليخطو خطوة واحدة ، وتسبقه بطنه الضخمة المنتفخة كبطن الثور ، فكانت تقلده وتضحك ، وتضحك ، وتسخر من كل الناس ، ودائها تنبهم وتهزا بهم .

وتفكرت نفسها فجأة ، الا يضحك الناس عليها ، ويسخرون منها، انها حامل وعلى وشك بالوضع ، انها حامل وليس لها رجل ، ترى ماذا يقول الناس عنها ، لاشك الكثير ، فهل تضحك هى على نفسها ، لم على الناس ؟

وولدت ، لكنها وضعت طائرا ، وضعت بلارج (1) طويلة المنقار طويلة الساقين ، ايكون الله التقدير قد اعطاها هذه المصيبة لاتها تنقد وتسخر وتهزا من بنى آدم ، على اية حال لقد ولدت بلارج وعرف الناس الامر واعتادوا عليه وسهوها لم بلارج .

وكبرت بلارج واصبحت (بجمة) بيضاء جميلة ، وكانت تذهب

(1) - بلارج : اللعلاق

في الصباح الى حديقة السلطان ، وحين تطير الوى الحديقة تمر بالحارس فهتف بصوت انساني، « مولاى ربي جلت قدرتك، لعمري ولتشل حركته»، وفي الحال يعنى الحارس ويصيه أشلال ، فلا يقدر على الحركة ، ويصير أقرب الى الموت ، عندئذ تخرج بلارج ريشها الابيض وتصبح نناة حسناء غاية في الفتنة والجمال ، فتقطف اوراق الحنة ، وتدقها وت سحقها وتستحم في عين ماء هناك ، ثم تصبغ اصابعها وتدميها بالحناء الذهبية وبعد ذلك تجع بعض الفاكهة وشيئا من الخضر ، وتأخذها معها وتلبس ريشها ، وتهتف بالحارس في صوت انساني ، « مولاى ربي جلت قدرتك ، لترد له بصره وتشفى جسده »، فترجع للحارس حيويته وقواه ، ويمود اليه بصره ، لكنه يجد الفاكهة قد نقصت ، وبعضا من الخضر قد اخذ ، وأوراتا من الحناء قد سرتت .

ومضت الأيام ، وفي كل صباح كانت بلارج تذهب الى الحديقة وتخرج ريشها وتستحم وتصبغ بالحناء اصابعها ، وتأخذ الفاكهة والخضر ويعنى وتشل الحارس ، ثم تشفيه بدعائها وتنصرف .

وفي يوم كان الامير ابن السلطان يتنزه في الحديقة ، فلاحظ ان الفاكهة قد نقصت والخضر أصبحت قليلة والحناء تكاد تكون غير موجودة، نادى الحارس وابنه واتهمه بالسرقة ، فقال له الحارس « والله يا مولاى تحضر كل يوم في الصباح بلارج ، وانت تعرفها ، فان امها ليس لديها غيرها ، وانها المرأة الوحيدة التي ولدت طائرا في بلدنا ، وحين ارى بلارج ، اسمع صوتا انسانيا يصدر منها ويقول ، مولاى ربي جلت قدرتك لعمري ولتشل حركته ، وفي الحال يصينى العمى والشلال فلا ارى ولا احس شيئا ، ثم اسمع مجاة نفس الصوت يقول مولاى ربي جلت قدرتك ، فلترد له بصره وتشفى جسده ، فابق واعود بمصرنا احس وادرك كل شيء ، فاجد اوراق الحناء قد قطفت وشيئا من الفاكهة تد جع وبعضا من الخضر قد اخذ ، واننى لامين لم اسرق في حياتي وصادق فيما اخبرتك به » .

فجاء الامير في الصباح الباكر وبخبتا خلف الاشجار ، وبعد برهة من الوقت اقبلت بلارج ، وهتفت بصوت انساني ، مولاى ربي جلت قدرتك ، فلعمري ولتشل حركته ، فصار الحارس وكأنه ميت ، فخلعت

بلارج ريشها وتحولت الي فتاة رائمة الحسن ، وما ان رآها الامير عارية ، ساحرة ، حتى وقع في حبها ، واخذت تقطف اوراق الحناء وتدقها ثم استحميت في العين ، وعندما انتهت ، صبغت كعونها واصابعها وتدببها ، وجمعت بعض الفاكهة والخضر ، ولبست ريشها ورددت تولها ، فانماق الحارس وعاد حيا يبصر ويحس ، وانصرفت ، كل نك والامير صابت وساكن في مكانه ، فصدق الصخرس ، ووقع في حبها .

واسرع الامير الى ابيه ، وطلب منها ان تدعو كل نساء البلدة ليصنعن له سجادا ، وجهز لهن الكثير من الطعام ، الكسكس والخراف ، والدجاج واحضرت الام المغنيات والرائصات « الشبخات » ، وجاءت النساء واخذن يصنعن السجاد ، وتناولن الطعام ، ولهون وتمتنن بالغناء والرقص في ضيافة الملكة ، (ومن ضمن النساء اللاتي حضرن ، ام بلارج) لكنها لم تحضر معها بلارج ، فذهب الامير اليها وسالها ، « لماذا لم تجيء بلارج معك » ، فاجلبته ، « ان بلارج لا تضر ولا تنفع ، ولا تصنع السجاد وهي تجلس في الشمس ولا شيء اكثر من ذلك » ، فقال الامير ، « فلتحضرها في الفد وستجلس هنا في الشمس كما ترغب » .

وفي اليوم التالي ملا الامير غرفة في القصر باللباس انفضة ، ففاطين نسائية موشاة بالذهب ، وشتى انواع اللباس المغربي انفضة ، كثير من البدميات (1) والدفينات (2) ، ووضع الكثير من الاقراط والمعقود والاساور الذهبية والخواتم المرصعة بالاحجار الكريمة الجيلة ، وحين جاءت بلارج مع امها ، اخذها الامير وادخلها الى الغرفة واقتل اليها .

وحين هبت النساء بالانصراف افتقدت ام بلارج ابنتها ، لكنها ظننت انها طارت وسبقتها الى الدار ، فانصرفت ، واعد الامير فحما مشتعلا ، وكانت بلارج تد وجدت نفسها بمفردها ، وحولها الكثير من اشكال اللباس المزخرف الجليل ، والكثير من الحلى المنوعة الساحرة ، فخلعت بلارج ريشها واخذت تجرب وتلبس القنطين ، والملابس المنوعة ،

(1) - لباس مثل القطنان لكنه بدون اكمام

(2) - الدفينة رداء يلبس فوق القطنان وهو مطروح من الهم



وخطف الامير الريش ورماه في الفحم المشعل، وصاحت بلارج وهتفت، اعطني
ريشى ...

وتضع الإتراط والعقود والاساور، وفتح الأمير الباب نجاة وخطف
الريش ورماه في الفحسم المشتعل ، وصاحت بلارج
وهنت ، « اعطني ريشي ، اعطني الريش » ، لكن الأمير كان قد رماه
في الفحم المشتعل فاحترق عن آخره ، فأخذت بلارج تبكي وتولول ،
لكن الأمير أخبرها أنه سينزوجها ، فهنتت به ، « وكيف تتزوجني وأنت
ابن السلطان ، ترى هل يوافق أبوك ؟ » ، لكنه قال لها ، « سأتزوجك
مهما كان الأمر » ، ووقعت في حبه ، لأنها تفكرت أنه قد دعا كل النساء
وسأل أيها أن تحضرها وملا لها الغرفة بالملابس الفخمة والحلى
الثينة ، وجهز النار ، وأحرق ريشها ، وأنه لجويل وشاب ، وابن
السلطان ، وقعت في محبه ، فقالت له ، « إذا لم تتزوجني فسيحدث
لك من الضرر سالا تتصوره » .

وتقدم الأمير بلارج الى السلطان والى امه فاعجب السلطان
بجمالها الفتان ، ورضيت بها امه عروسا له ، واتيتم الاتراح ودموا
أم بلارج ، وحين رأت العروس وهناتها قال لها الأمير ، « هذه بلارج
ابنتك » ، فاندهمت ، وفرحت لان الفتاة كانت جبيلة وطيبة ولا تسخر
من الناس مثل أمها في شبابها ، فعرفت أنها ستكون سعيدة وانها
ل سعيدة ، فقد تزوجها الأمير .

القزم

حدث في قديم الزمان وسالف العصر والايوان ، أن احد المسوك خرج مرة مع وزيره يتفقد احوال الرعية ، وبينما كانا يسيران في احد اوتة المدينة ، نظر الملك فرأى على بعد قليل منه قزما يتبعه بعض الاولاد ، يسخرون منه ويضحكون عليه ، لكن القزم لم يكن غاضبا ، بل كان يود عليهم في لطف ويضحك معهم ، فوقف الملك ليتبع بالحوار اللطيف الذى يتبادلته القزم مع الاولاد ، ولم يستطع الملك أن يكتم ضحكاته، ويبدو أن الاولاد تهادوا في سخريتهم، فنهاهم القزم في حزم وبأدب ، فانسرفوا طائعين ، مما اظهر حبه للقزم وقوة شخصيته في نفس الوقت.

وكان القزم يحمل تفة كبيرة وقد غطيت بغطاء نظيف فلا يستطيع احد أن يعرف ما يوجد فيها ، فاعجب الملك بالقزم وقال للوزير ، « ما رأيك ياوزيرى لو تبعناه لنعرف الى اين هو ذاهب وماذا يوجد في التفة فيبدو انه شخصية غريبة وظريفة ؟ » ، فاجاب الوزير ، « سبعا وطاعة يا مولاي » .

وسار القزم في طريقه يتبعه الملك والوزير حتى وصل الى احد البساتين ودخله ، لكن البستان كان مزدحما بالناس ، وسرعان ماغادره، وسار حتى وصل الى بستان آخر ودخله ، لكن يبدو أن البستان لم يعجبه كذلك ، فقد غادره بسرعة، كل ذلك والملك والوزير يتبعاته .

وسار القزم في اتجاه قصر الملك حتى اقترب من اجمل بستان تابع للقصر ، ووقف تحت السور ، ونظر هنا وهناك وحتى اطمان من عدم وجود الحارس ، فاعتلى السور بصعوبة ودخل البستان ، فتمجيب الملك وزادت دهشته وقال للوزير ، « غريب والله أمر هذا



وصار القزم في اتجاه قصر الملك حتى اقترب من أجمل بستان تابع للقصر

القرمز « وأسرع الملك يتبعه الوزير ، ودخلا البستان في هدوء دون أن يشعر بهما القرمز وجاسا خلف الشجيرات يراقبانه .

أما القرمز فقد أزال غطاء القنفة ، وأخرج من القنفة بساطا صغيرا فرشاه على الأرض ، وصرة مليئة بالفواكه الجافة اللذيذة الطعم ، وأخرج عودا جبيلا ، وجنس يأكل من الفاكهة ، ثم أخذ يضبط أوتار العود بيد خبيرة مدربة .

ولم تمض لحظات حتى بدأ يعزف ، ثم ارتفع صوته بالثناء ، وكان صوته جبيلا وشجيا وعزفه يؤثر في الإنسان ويأخذه معه الى عالم الالحان والانغام الساحرة .

ومضى القرمز يعزف ويعنى ساعة من الزمان ، حتى كاد الملك أن يصرخ إعجابا وتقديرا ، ثم انتهى أنقرمز من غنائه ، فقال الملك للوزير ، « سأرجع الى القصر وعليك أن تتبع القرمز وتعرف عنه كل شيء ، وتجيء الى وتخبرنى بما عرفت » .

ورجع الملك الى قصره ، أما القرمز فحين انتهى من غنائه وقف بهدوء وججع ما تبقى من الفاكهة ، ووضعها في الصرة وربطها ، ثم طوى البساط الصغير ووضع العود وكل الأشياء في القنفة وغطاها وحملها ، وسار على مهل وهو يغنى بصوت خفيض بعض الالحان التي غناها من قبل ، وسار والوزير في اثره .

سار القرمز في اتجاه المدينة ، ثم ذهب الى سوق الحدادين وهناك وقف أمام أحد الحوانيت ، وأخرج مفتاحا كبيرا فتح به باب الخانوت ودخل وهو يحيل تفتته ، فسأل الوزير بعض الجيران وعرف عنه كل شيء .

وحين رجع الملك الى قصره أخذ يفكر فيما رأى وسمع ، فقد كان غناء القرمز جبيلا ولم يطرب الملك من قبل كما حدث ذلك اليوم ، وعندما رأى الملك رئيس فرقة القصر المكونة من عدد كبير من العازفين والمطربين هتف به قائلا ، « لا ، لا ، لا ، هناك من هو أفضل منكم جميعا ، لقد سمعت اليوم قرمز يعزف ويعنى أحسن من أى واحد فيكم » ، فقال الرئيس ، « وهل يمكن يامولاي أن لا نصدقك وقد وهبك الله رهاقة الحس وموهبة التنويع ، لكن الله خلق المواهب درجات ، ونريد أن

تحضره البنا لتتلم منه ، وان شاء الله نمتك بما اعجبت به واحسن
منه .

وجاء الوزير فسأله الملك فى لهفة عن أخبار القزم ، فاجاب الوزير
بان القزم يعمل مساعدا لاحد الحدادين ، لكنه كما يقول الجيران يجيد
العزف على العود وقد وهبه الله صوتا جميلا ، لكنه لا يرضى أن
يغير مهنته .

فامر الملك الوزير أن يأخذ معه بعض الاعوان ، وعليهم ان
يحضروا القزم دون أن يشعر واوصى الملك الوزير بما يفعل ، وانصرف
الوزير .

ذلك ان الملك قد اعجب بخفة روح القزم وفكاهاته المرحة التى
تبادلها مع الاولاد عندما كانوا يعاكسونه فى لطف ومحبة ، واراد الملك
ان يروح عن نفسه ويستمتع مرة اخرى بفكاهات القزم ومرحه ولطفه ،
فامر الملك الوزير ان يخدر القزم (بينجه) بان يرش المخدر على وجهه
وان يحضره غائبا عن الوعى .

وامر الملك الحراس والحاشية ان تخفى وراء ستائر ، وبين لهم
الملك يانه سيلاعى بانه الوزير ، وسيوهم القزم بما سيبيده له من
الوان الاحترام والتبجيل بانه هو الملك ، واوصى كل منهم بما يفعل ،
واختفى العازفون والمغنيون وراء الستار ليسمعوا ويروا كل شىء .

وذهب الوزير وبعض الاعوان الى سوق الحدادين وكان القزم قد
نام واقفل عليه الحاتوت ففتح الاعوان الحاتوت ، ووجدوا القزم نائما ،
فرشوا (البنج) المخدر على وجهه ، فتخدر القزم ، فحلوه واسرعوا
به الى القصر .

وما ان وصل الوزير الى القصر حتى امر ان يدخل القزم الحمام ،
وغسلوه وزينوه ، والبسوه كسوة ملكية ، وادخلوه الى الديوان واجلسوه
على العرش ، ثم امر الملك الوزير ان يبيته ، فمرش الوزير على وجه
القزم مقارا مضادا للتخدير ، فمعطس القزم ثلاث عطسات ، فاناق ووجد
نفسه معطرا لابسا كسوة ملكية وجالسا فوق العرش فى الديوان
والحاشية حوله ، فضحك القزم وقال ، « ما هذه الاحلام الجميلة ؟ » ،
واخذ يفتح ويغمض عينيه ويحكها ، ثم اخذ يضرب نفسه ، والحاشية

والملك ينحنون له ويقولون عبارات لا تقال إلا للملوك ، وقال له الملك الذى ادعى انه الوزير ، « لقد نهيت قليلا يا مولانا » ، فصرخ القزم ، « مولانا من هو ملككم ؟ » ، وضحك وقال ، « هذا من عمل الجن » ، وأخذ يتقرس ويفحص نفسه فوجد ملايسه نخبة ، وجهده نظيفا . فصرخ ، « هل انتم انسى أم جن ؟ » ، فضحك الملك — الوزير — وسأله ، « وكيف تعرف الانسى من الجن ؟ » ، فرد القزم ، « بسهولة ، احضروا كمية من الملح » ، فأحضروا الملح وأعطى القزم كلا منهم شيئا من الملح وأمره أن يأكله ، فأكلوا الملح ، فصرخ القزم ، « انن انتم بشر ياالبصينية » ، وضحكوا جميعا .

وكبها رتب الملك الامور ، فدخل احد افراد الحاشية يحمل صندوقا وقال ، « هذه قبيلة كذا تقدم هديتها لمولاي » ، وقدم الصندوق ، ففتحه القزم ووجده مليئا بالجواهرات الكريمة ، ودخل آخرون وقدموا بعض الهدايا ، ثم دخل أصحاب الشكايات ، فأصدر الملك الوزير احكاما بسرعة ، ثم اعطى اشارة ، فانصرف الجميع ولم يبق سواه مع القزم ، وقال له ، « يكفى هذا اليوم يا مولاي تصبح على خير » ، وانصرف .

وبقى القزم وحيدا ، وظل جالسا في مكانه مشدوها ومذهولا ، وبدأ يشعر بالخوف وأخذ يفكر ، ما هذه الاشياء الغريبة ؟ ، هذه امور لا يصدقها العقل ، ترى ماذا عليه أن يفعل ، لكنه سمع صوتا ودخلت امرأة جبيلة فاندعش واضطرب ، لكنها قالت له بصوت حنون لطيف ، « لاتخف » ، فسأها ، « من انت ؟ » ، فضحكت كثيرا ثم أجابت ، « أنا زوجتك يا مولاي » ، فلم يستطع أن يكتم ضحكاته وهتف ، « انت زوجتى ؟ » ، وكان الملك والوزير والحاشية والعازمون مختبئين خلف الستائر يشاهدون ويسمعون كل شيء .

وادعت المرأة الغضب وقالت ، « أتكرنى يا مولاي الا تصرف زوجتك ؟ » ، ثم أخذته من يده وسارت به الى غرفة وازالت بعض الستائر فظهر فرائش فخم ، وسأها ، «ماذا تريدين ؟ » ، فأجابت منهذهشة ، « لقد آن ميعاد النوم » ، فاندعج ضاحكا وسأها ، « وهل ستنامين معي ؟ » ، فأجابته ، « بالطبع ، لكك وعدتى البارحة لن تغنى لى اليوم ، ولن أنام معك قبل ان اسمع ففانك » ، فهتف القزم « هذا أمر سهل ، اين هو العمود ؟ » فصفتت ، فجاءت جارية

جبيلة ، فسألته أن تحضر العود ، وبسرعة احضرت الجارية عودا
 بهيئتا ، فامسك القزم بالعود ، وضبط اوتاره ثم عزف لثغما جبيلة ،
 وفنى غناء شجيا ، واستمع المختبئون كلهم الملك والوزير والآخرين
 اليه ، وما أن انتهى من غنائه حتى هم بالمرأة ، فأبدت دهشتها ، وسألته
 عن سر تسرعه ، وناشدت الجارية وأمرتها أن تحضر الطعام ، وكانت
 بمدة حافلة بما لذ وطاب من طعام وشراب ، فاكل القزم حتى شبع ،
 وكانت المرأة تأكل أصنافا وتترك أصنافا ، لاتبهم وضعوا للقزم مخدرا
 في الطعام ، وسرعان ما تخدر، نجهلوه، وخلعوا عنه ملبسه، والبسوه
 بملبسه القديمة ، وأسرعوا به الى سوق الحدادين وادخلوه الحاتوت
 واقتلوا الباب وانصرفوا -

وظل القزم نائما ، ولم يستيقظ في الصباح الباكر كماذته ، لذلك
 حين جاء الحداد صاحب الحاتوت ، دهش كثيرا عندما رأى كل الحوانيت
 مفتوحة ماعدا حاتوته ، فطرق الباب وبعد مدة طويلة فتح له القزم وهو
 ما زال نهمض العينين وآثار النوم في وجهه ، وكان الحداد يحسب
 عسا ، فانهاى بنا ضربا على القزم وهو يصيح ، « أكلت الانيون يا ابن
 الدرام وشربت الخمر ، يا فلق » ، ومضى يضربه والقزم يصرخ
 ويقول ، « كنت ملكا بالامس ، لا تضربني » ، ومضى يحكى قصته
 والحداد يكاد ينفجر من الخيظ وتال القزم ، « لقد أكلت طاجنا ما لذ
 مذاقه، وهامى رائحة الطعام مازالت في يدي » ، فقال له الحداد ، « لقد
 حلمت يابنى ولعب بك الجن ، نقل أهوذا بالله من الشيطان الرجيم ،
 واتسمل النار حتى نبدا العمل » ، وبدأ القزم يشعل النار لكنه لم يكف
 طوال اليوم عن الكلام ، وكان يحكى تفاصيل ما حدث له ، حتى نصحه
 الحداد بأن يذهب الى أحد الفقهاء ليبعد عنه الجن ويشفيه ما جرى
 له .

وتد أعجب غناء القزم وعزفه الحاشية ، فالتبس العازنون
 والمننون من الملك أن يحضر لهم القزم مرة ثانية ليتعلمون منه ويقلدونه
 في عزفه وغنائه .

فأمر الملك الوزير أن يحضر القزم ، وعندما ذهبوا اليه ليحضره
 وجدوه مستيقظا لأن القزم لم تكن له رغبة في النوم في هذه الليلة خوفا
 من تلك الأحلام الخريبة ، وعندما دخل الأعوان الى الحاتوت ، صاح

مرحبا ، « اذن انتم الذين تلعبون بهي تسخرون مني » ، وقبل ان يصرخ طالباً النجدة امن الوزير الاعوان ان يخدروه ، فرشوا المخدر على وجهه وحملوه الى القصر ، وادخلوه الحمام ، ثم للبسوه كسوة ملكية ، واجلسوه على العرش ، ووقف الملك في لباس الوزير ، وبعض الحاشية واختبأ الباطون ، ورشوا وجهه بالعقار المضاد للبخدر فعمطس ثلاث مرات وانساق .

ويداؤا ينحنون له ويبدون له الطامة لكنه هتف وقال ، « اسمعوا لمن الله الفتاق ، الان تقولون اننى ملك ، وفي الصباح يضربنى الحداد، اسمع يا هذا من انت ؟ » فاجاب الملك «أنا الوزير» ، فسأله ، «واتنا ؟» ، فاجابه ، « انت مولانا الملك » ، فهتف ، « اذن اريد ان تحضر لسى الحداد فلان الان » .

فامر الملك بعض الاعوان ، ان يسرعوا ويحضروا الحداد بخدرا بسرعة واجاب الوزير ، «لن تضى ساعة حتى يكون الحداد هنا » .

ومضى القزم يسخر من الحاضرين ، وقال لهم ، « لنا لا يهينى ان كتمتم انسا ام جينا ، لكننى اريد ان اتأكد » ، وأمرهم أن يحضروا الملح مرة ثانية ، فأحضروه ، فامر كل واحد منهم ان يأكل كمية من الملح ، ففعلوا ، فهتف القزم ، « بشر هذا غير معقول » .

وادخلوا الحداد بخدرا الى القصر ، واحضروه امام القزم ، ورشوا على وجهه العقار المضاد للبنج ، وما ان رأى الحداد القزم في ملابس الملك وحوله الحاشية حتى صرخ مندھشا ، فنظر اليه القزم مذهولا وصاح ، « لا، لا، لا، هذا غير معقول غير معقول » ، وسأله « هل اتا ملك لم لا » ، فاجاب الحداد ، « نعم انت ملك يمولاي » ، فانترب بنه القزم وانبه قائلا ، « ولماذا ضربتنى بلحمصا في الصباح ، هه ، سانتقم منك ، اضربوه خمسمائة ضربه بالحمصا » ، وبدون ان يشعر القزم اصدر الملك اوامره بان توضع مخدة تحت ملابس الحداد حتى لا يتللم .

وتلذ الامر ، واخذ القزم يفكر ثم قال ، « وما الفائدة من ضرب الحداد » ، وسأل الوزير ان يعطيه خمسمائة دينار ، فأحضرها له الوزير ، فقال القزم للحداد ، « اسمع هذه خمسمائة دينار خذ منها

مقتن وعطى القزم ثلاثمائة دينار ، عليك ان تعمل هذا في صباح الغد
وانصرف الان بسلام » . فآخذ الاعوان الحداد وخدروه وحملوه الى داره .

اما القزم فقد بقى في القصر ، وجاءت الهدايا مرة اخرى ، ثم انصرف
الموجودون واستاذن الوزير من القزم ، وانصرف ، وبقي القزم وحيدا ،
ونظت اليه امرأة اجمل من السليقة وانحنى وتقبلت الارض بين يديه ،
فسالها ، « من انت ؟ » ، فضحكت واجلبت ، « زوجتك ألا تعرفين ؟ » ،
فهتف القزم ، « ومن تكون المرأة الاخرى التي رايتها بالامس ؟ » ، فاجابته ،
« ان لديك زوجات كثيرات يا مولاي » ، فصاح القزم وهتف بها ، « هيا
بنا ، هيا بنا » ، واخذها من يدها اتجاه الغرفة ، فبقيته لكتها قالت ،
« ان نتناول المشاء ؟ » ، فاجاب ، « بن بعد ، من بعد » ، لكنهما تالت
في اصرار ، « لا . . لا بد ان اسبح غناك فلست اقل من الزوجة الاخرى
جها ولا بد ان نشرب سويا ولو كاسا واحدة » ، فهتف ، « اين العود ؟ » ،
واحضرت جارية العود للقزم ، فعزف وغنى اثناهما والحنا اجل مسا .
سبعوه في الليلة البارحة ، وما ان انتهى من غنائه حتى ناولته المرأة
كاسا وشرب قليلا ، فغاب عن وعيه ، فحمله ، وخطموا عنه ملابسها ،
ولخفوه الى حاتوت الحداد ، وتركوه وانصرفوا .

وفي الصباح اتي الحداد مصدع الرأس وظن ما جرى له حلما ،
لكنه وجد بجانبه المال ، الخمسمائة دينار ، فصرخ وجاءت زوجته فرمة
نحكي لها ما حدث ، وظننت الزوجة ان للجن دخلا في الاهر ، لكن
الحداد امسك بالذئبيرة الذهبية ، وقال لها ، « الجن لا يمكنها ان تفعل
هذا » ، وكان الحداد طامعا ، وكما يقال « الطمع طامعون » ،
فقد قرر ان يخفي اهر الذئبيرة عن القزم ، وكان عليه ان يعطيه ثلاثمائة
دينار .

وتوجه الحداد الى الحاتوت ووجده مغلما ، فآخذ يطرق بساقي
الحاتوت حتى ايقظ القزم ، وما ان فتح القزم الباب حتى انهال عليه
الحداد ضربا بالعمسا فصرخ القزم ، « حرام عليك لقد اعطيتك مائتي
دينار » ، نرد الحداد متجاهلا ، « ما انت قد عدت مرة ثمانية للاثيون » ،
وكاد القزم ان يجن ، وقال للحداد ، « لقد اهرت بشريك خمسمائة
ضربة بالعمسا حتى لا تضرتني » ، فانهال الحداد عليه بالضرب وسبهه .
واخيرا قال له القزم ، « واين الثلاثمائة دينار التي اعطيتها لك لتمطيها

لى فى الصبأء ؟ « فقال الءءاء ، « أءوء بأالله من الشيطان الرجيم ،
يبدو ان الجن ءء لعبوا بك مرة أخرى » ، وصأء القزم ، « حرام عليك
؛ لا ءءجل لءاذا ءسرق الءنانبء الذهبية ؟ » ، لكن عصا الءءاء كان لها
القول الفصل ، وانءهء المناءشءة وأشمل القزم النار وبءأ يعمل .

وكان الملك ءء زاد اعجابءه وءءديرءه للقزم ، فأمر الوزير ان يذهب
ويحضر القزم بسرعة وقرح الءفنون والمازفون وانءظروا جميعا وصول
القزم .

وآاموا بالقزم وأءخلوه الحمام والبسوه الملابس الملكية واناءوه ،
ولبءوا له الوان الاحترام والءبجيل ، لكن القزم كان فى ءالة مءفيمءه فءء
ءقال للوزير (الملك) « لا هذه الامور لم ءءء ءمجبين ، انا بلك ، هء ،
ملك فى ءليل فقط وفى الصبأء ينهل على الءءاء بالعمسا ، هء ، هنا ،
هنا ، هنا » ، وكءشف عن ذراعيه وبءء آثار الضرب واضءة ،
واستربل فى ءءيئه ، « لا .. لا .. لا ، انا لا اريد ان يضربنى الءءاء
احضروه الى بسرعة » ، وأصدر الملك الامر باحضار الءءاء ، وذهبوا
ليحضروه ، وناءى القزم الوزير (الملك) وسأله ، ألم اعط الءءاء ءمسماءة
ءينار بالامس ؟ « فأجاب الوزير ، « نعم يامولائى » فراء القزم « لكسن
الءءاء انءر فى الصبأء ، وضربنى ضربا مبرءا » ؛ فضحك الوزير وقال
« يبدو يامولائى انك ءلمء ءلما مزعجا » ، فءهءف به القزم ، « انا الان اءلم ،
وانء ءقول لى اننى ءلمء ، فكأننى اءلم اننى فى ءلم هاهاها ما هذا ؟ » ،
فقال الوزير ، « عفوا يا مولائى » فصأء القزم ، « انا ملك وانء ءءءءنى » ،
فراء الوزير ، « ءاش الله يامولائى » ، فسكء القزم ..

ووصل الءءاء الى القصر ، فأناءوه وأءخلوه الءيوان ، وءين راءى
القزم ءالسا على العرش صرخ فقال له القزم ، « هء ءعال يا لص اللم
اعطك بالامس ءمسماءة ءينار ، وءلء لك ءء ءاىءءين واعط القزم ءلالمائة » ،
فءوسل الءءاء الىه ءائلا ، « اعف عنى يا مولائى لقد طبعسء
والطبع طاعون ، سامءنى » ، فسخر منه القزم قائلآ ، « وما الفاءءة ،
اسامءك الان وسءضربنى فى الصبأء ، هل ءعرف ان ضرب العصا مؤلما » ،
فراء الءءاء ، « سامءنى لن اضريك ما ءيىء » ، فقال له القزم ، « ان
ضرب العصا مؤلم ، ولذلك امراء بالامس ان يضربوك ءمسماءة ضربة
بالعمسا ، لكلك لم ءرءءء وضربنى مرة أخرى صبأء اليوم .. انظر » ،

وكشف من سامديه ، فظهرت آثار ضرب العصا واضحة ، جروح وتورح
 زرقاء مختلطة ببقايا الدماء ، وكان المنظر مفرعا ، واسترسل القزم في
 حديثه بكيا ، « لذلك سأمر ان يقطعوا راسك في الحال ، انقطعوا
 راسه» ، فآخذ الحداد يتوسل اليه ان يعنو عنه او يكتفى بضربه اوسجنه،
 لكن القزم صمم على قراره ، وقال الوزير ، «سننفذ امرك ياهولاي وامر
 الاعوان ان ياحنوا الحداد ويدعوا انهم قطعوا راسه ، وعليهم ان يقطعوا
 راس كبش ويغطوها بثوب ، وكأنها راس الحداد المقطوعه ، ولم
 تهض دقائق حتى دخل الوزير يحمل صرة تقطر بالدماء ، وقال للقزم ،
 « هاهي راس الحداد ياهولاي » .

فصرخ القزم ، ولشاح بوجهه وردد في ألم ، « غير معقول ، غير
 معقول» ، فمرد الوزير مدعيا انه اخرج ، وقال ، « لقد نفذت امرك
 ياهولاي ولم اكن اظن ان هذا يضايقك » ، وامر الوزير الموجودين ان
 ينصرفوا ، وترك القزم وحيدا بعد ان تهنى له ليلة هادئة .

وجاءت الى القزم امرأة اجمل من السابقتين ، لكن القزم لم يسألها
 اى سؤال لو يكلمها ، فاعتريت منه في رقة وقالت له ، « ان مزاجك
 انيوم ..» ، وقاطمها صائحا ، « مزاجى ، انا مهموم ، انا حزين ، كيف
 حدث هذا ، لقد قطعت راس الحداد ، ما هذه الامور ؟ » ، ولم تنجح
 المرأة لبدا في تغيير حالته ، فذهبت الى الملك المختبئ خلف الستارة ،
 فأمرها ان تحاول مرة اخرى ، لكن دون فائدة ، فلم يقبل القزم ان يغنى
 لو ان ياكل او يشرب ، ولم يرد حتى ان ينظر الى المرأة لو يستجيب
 لتوسلاتها ، فخرج الملك والوزير والحاشية والمخنون من مخابئهم ،
 فوجه القزم وذهل وسأل ، « ما هذا ؟ » ، ووجد ان الحاشية لا تهتم
 به ، والموجودين يهملونه ، ورأى الكل ينضون للوزير ويكلمونه على
 انه الملك ، فسأله القزم « من انت » فأجاب ، « انا الملك » ، فضحك
 القزم في مرارة ، « ومن انا اذن ؟ » فأجابه الوزير الحقيقي ، « لنت نلان
 سبى الحداد نلان وهذا مولانا الملك» ، فتهنأ القزم وقال ، اذن هذه هي
 الحقيقة ، فانا لست ملكا ، فضحك الحاضرون ، لكن القزم انحنى
 للباك وتبل الارض بين يديه ، وقال في جدية غريبة ، « يلهولاي لماذا
 تفتن امرى وقطعت راس الحداد ؟ » ، فضحك الملك وقال له ، « لا يابنى
 لم ينفذ امرك احد ، وقد قطعنا راس كبش ووضعناه في الصرة ، ان
 الحداد ينام الان سليما في داره » ، فتهنأ القزم ، « لا تسخر منى وتضحك

على يامولاي « فرد الهلك ، «أننى اتول الصدق» ، وحكى الوزير للقرزم عن كل شيء ، لكن القرزم أراد ان يذهب ليرى الحداد سلبيا بعينيه ، فقال له الملك ، « ستبقى هنا فى القصر وستكون مغنيا وعازنا فى فرقة القصر ، وفى الصباح سأمر ان يحضر الحداد لتراه وتطهثن » .

ولم تغض للقرزم جفن هذه الليلة ، بالرغم من انه ينام فى القصر ولن يضربه أحد فى الصباح ، وحين احضروا الحداد ، فرح القرزم واخذ يقبله ، فقال له الحداد ، لكنك امرت بقطع راسى « ، فضحك القرزم وقال ، « وانت سرقت الدنانير وكنت تضرينى كل يوم ، بالله اوصيك ان لا تضرب من سيعمل عندك مكاتى » ، وعاش القرزم مغنيا وعازنا فى القصر ولم يمد الحداد يضرب مساعده ابدا .

لا تكثر من الأصدقاء

يروى انه كان هناك تاجر غنى ، رزقه الله في اواخر سنواته بولد ، وبذل الرجل كل جهوده لتربيته احسن تربية .

وحين كبر الولد وصار شابا التف حوله عدد كبير من الاصدقاء ، ذلك انهم توقعوا أن يموت التاجر ويرث الشاب ثروته الطائلة ، وكان الاب ينصح ابنه دائما بأن يقلل من اصدقائه ويختار منهم الوثق المخلص ، وما اقل الأوفياء والمخلصين ، بل ما ثدرهم ، لكن الشاب الذي اطريه الفناء والديح ، وأسكره التلقاق والتناق ، لم يكن يسمع لكلام ابيه ونصائح ، بل فعل العكس ، وكان يظن ان كثرة الاصدقاء دليل حب الناس له ، وتكسبه مهابة وتجعله عظيما .

وأحس التاجر الثرى باقتراب ملك الموت منه ، فنادى ابنه وقال له ، « لقد نصحتك كثيرا فلم تسمع لكلامي ، ولن تكرر عليك القول ، بل كل ما اطلبه منك هو أن تدبر معى خطة ، ونجرب تجربة ، وعندئذ ستفهم ما اتصد اليه وما أريده لك من خير » .

ولم يسترسل الاب في حديثه ، واحضر كبشا وذبحة ، واحضر ذوبا يستخدم ككفن للهوتى ، ووضع حول الكبش بعض الحشيات ولف الكبش والحشيات بالكفن ، فكان الناظر اليه يظنه انسانا ميتا مكننا .

وسأل التاجر ابنه ان يدعى حين يجيء اليه اصحقاؤه بأن هناك ضيفا جاء لابيه وانه مات نجاة ، وقد كنهه الاب وعليه ان يطلب من اصدقائه ان يسامدوه ليدينه في حديقة الدار ، وان يسألهم الكتمان وعدم اخبار اى احد بها حدث .



فذهب الحراس وحفروا وأخرجوا الجثة المزعومة ، وقبضوا على التاجر وابنه
واصطحبوه الى السلطان والجثة المكفنة معهم.

وحين جاء الاصحاء وتناولوا العشاء وقضوا سهرة ممتعة ، قال لهم الإبن ، « لقد جاء ضيف عند أبي ومات فجأة ، وقد كفناه ، وأرجوكم ان تساعدوني لندفنه في الحديقة » ، وطلب منهم كتمان السر وعدم إذاعته .

تساعدهم ودفنوا الكباش المكفن ، لكن بما ان اتصرفوا ، حتى قال واحد منهم ، « ماذا يظن هذا الشاب الإبله ، الإته قدم لنا المشاء يجبرنا ان ندفن معه القتيل » ، وقال آخر ، « ان لباه هذا قاتل » ، وسرعان ما ابلغوا الامر للسلطان وبينوا الموضع الذى دفنت فيه ابنة .

فارسل السلطان جنوده ، وأمرهم ان يحفروا الحديقة ويخرجوا الجثة ويحضروا التاجر وأبنة اليه .

فذهب الحراس ، وحفروا وأخرجوا الجثة المزعومة ، وقبضوا على التاجر وأبنة واصطحبوهما الى السلطان والجثة المكفنة معهم .

وما ان مثل التاجر امام السلطان حتى قبل الارض بين يديه ، وأزال الكفن وظهر الكباش المذبوح ، فاندشم السلطان ، وحكى التاجر قصته ، فضحك السلطان وقال له ، « انك لرجل حكيم » ، ونهز الشاب وأمره ان يستمع لنصائح أبيه وان لا يكثر من الاصحاء .

الفتاة والصندوق

كانت المرأة حاملا، وهي امرأة جميلة ، معجبة بنفسها ومغرورة ،
تظن انه ليس في الدنيا حسن يفوق حسنها او ننتة تضارع مفتنتها .

وفي يوم بينها كانت نائمة مستلقية على ظهرها فوق سطح دارها ،
بزغ القبر بنوره الفضى الاخاذ ، فسألته المرأة ، « هل انا اجمل من
المولودة التي في بطنى أم هي اجمل ؟ » ، فرد القبر ، « ان كانت اجمل
منك اقبلها وان كنت اجمل منها ابقها » .

ومضت الايام وولدت المرأة بنتا جميلة الى درجة لا تصدق ، ولا
يمكن ان تقول انها اجمل منها ، فسالت المرأة الجميلة القبر ، « كيف
يمكن ان اقبل ابنتى ؟ » ، فاجابها القبر ، « ابقها حتى تتعلم الابتسام
والضحك » ، ومرت سبعة شهور والطفلة لا تضحك ولا تبتسم ، لكنها
ابتسمت وضحكت في يوم من الايام ، وسالت الام القبر ، « كيف
يمكنني ان اقبل ابنتى ؟ » ، فاجابها القبر ، « اذن ابقها حتى تتعلم
المشي » ، ومضى عام وتعلمت الطفلة المشي ، فصعدت الى سطح
اندار وقالت للقبر ، « لقد تعلمت ابنتى المشي ، هل اقبلها ؟ » ،
فاجابها ، « لا بل ابقها حتى تتعلم كيف تتكلم » ، فلم تقبلها ،
وتعلمت البنت الكلام بعد ثلاثة سنوات ، فسالت الام القبر ، هل
تقبل ابنتها ، واجابها القبر ، « لا ، ابقها حتى تتعلم القراءة والكتابة » ،
ومضت سبع سنوات استطاعت خلالها الطفلة ان تتعلم القراءة والكتابة ،
فندت سالت الام القبر ، « هل اقبل ابنتى ؟ » فاجابها ، « لا ، ابقها
حتى تتعلم كيف توقد النار وتطهو الطعام » ، فلم تقبلها وابتقتها .
ومرت ثلاث سنوات واصبحت البنت تادرة على اشغال النار

وطهى كل أصناف الطعام من لحوم وطيور وخضر ، وصعدت المرأة الى سطح الدار وسألت القمير هل آن الاوان وحان الميعاد لتقتل ابنتها ، فاجابها القمير ، « بل ابقياها حتى تتقن التطريز وتعرف كيف تصنع الملابس » ، وخصى عام وتعلمت الفتاة ان تصنع الملابس واتقنت التطريز ، فسألت الام القمير ، « هل اقتلها الان ؟ » ، فاجابها ، « لا ، ابقياها حتى تكمل اثوثها وتتحول الى امرأة صالحة تنحل و الزوج » .

ولم تمض شهور حتى كانت الفتاة شابة ناضجة ، اجبل من لها وصالحة للزوج وكانت نفوق ابها لا بجمالها فحسب بل بحلاوة صوتها المررد كذلك .

وغارت الام من ابنتها وحققت عليها بسبب حسنها وفتنتها وصوتها الجليل ، وصعدت الى سطح الدار ، وسألت القمير ، « هل اقتلها الان ؟ » ، فاجابها القمير ، « اقلطها وان لم تقلطها ستقتلك » .

فماصطحبت المرأة ابنتها الى الغابة ، وسارت الى مكان بعيد تشابك حوله الاشجار وتضيق المرات ويحتاج الدخول اليه والخروج منه الى معرفة جيدة بمسالك الغابة ودروبها ، وكان المكان خطرا ، فعلى قرب منه تزار الاسود ، ويخشى حتى الصيادون الاقتراب من هذا المكان ، وهربت الام وتركت ابنتها وحيدة ، لكن الفتاة الجميلة استطاعت بذكاها وتتبعها لاثار اقدام لها ، وتذكرها لبعض المعالم ، استطاعت ان تنجو وترجع الى الدار ، فذهلت الام حين رأتها وادعت انها ضلت الطريق وافتقدتها .

وفي اليوم التالي صحبتها معها الى الغابة لتحتطبها ، وظلتا تكسران الاغصان والفروع ، وتجمعان الحطب حتى غابت الشمس ، فحملت الام ابنتها حطبا كثيرا وربطته بها ثم زادت عليه وربطت الحطب كله ربطا متينا مع جسد الفتاة ، فاعترضت الابنة لكن الام نهرتها وزادتها حطبا وربطته بها ، لها الام لقد حبلت شيئا بسيطا من الحطب، ومشت وتركت ابنتها وراءها لا تستطيع الحركة الا بصعوبة ، نصرخت البنيت ونادت الام كي ترجع وتحل وثاقها ، لكن دون فائدة ، وظلت تصيح وتصيح ، لكن الام مشت بعيدا ،

ولم تلتفت وراءها ، وخافت الفتاة ، فقد اقتبل الليل ، وما أخطر الغاية في الليل .

وكانت الفتاة صحيحة البدن قوية ، فأهكها بعد جهود كبيرة أن تخلص نفسها من حبلها المربوط بها بعد أن تسلخت ذراعها وساقها وأصابها جروح كثيرة ، وهرعت إلى الدار فلم تصق إليها عينيها ، وأدعت أنها كانت تظن أن الابنة تسيّر وراءها ، وعندما تالت لها الابنة ، « لقد صرخت وصحبت وناديتك يا أمه » ، أجابتها ، « لم أسمك » .

وفي اليوم التالي جهزت الأم خبزا عجنته بالملح ، وماء وضمت فيه ملحاً كثيراً وأيقظت ابنتها في الصباح الباكر وقالت لها ، « ان البنات صديقاتك ، ينتظرنك في الغابة لتجمن الحطب سوياً » ، ووصفت لها المكان بطريقة خاطئة حتى نضل الطريق ، وهذا ما حدث ، وبالطبع لم تكن هناك صديقات ينتظرنها ، وجاءت البنت ، فأكلت من الخبز المالح ، فعمشت ، فشربت ووجدت الماء ملحاً كئلك ، فجلست البنت تبكي ، فقد ضلت الطريق ولم تدر ما تفعل ، وحاولت الرجوع ، فتاهت في مجاهل الغابة واحست بالنعيب والاتهك ، وبدأ الليل يقترب ، وبينما هي سائرة أذ قابلت غولاً رهيباً ، جلس على الأرض يأكل جملاً ويتناول طسانه بمعظام أسد ، فتراجعت الفتاة وتسلقت شجرة كبيرة : لكن الغول شم رائحتها فقال ، « انني اشم رائحة بنى آدم » وجاء ووقف تحت الشجرة وقال ، « انزل ايها البنى آدم وانا لا أأكلك » ، فطلبت منه الفتاة أن يقسم على ذلك ، فقال الغول ، « أقسم بالبقرة التي تأكل الزيتون أتى لن أأكلك » ، فرفضت الفتاة أن تنزل من فوق الشجرة ، فقال الغول ، « أقسم بالقطعة التي تأكل الأعشاب الخضراء » ، فرفضت الفتاة أن تنزل من فوق الشجرة ، فقال الغول ، « أقسم بالثعبان الذي يشرب الماء أتى لن أأكلك » ، فلم تنزل إليه أو تطمئن إلى قسمه ، فقال الغول ، « أقسم بالله تعالى ورسوله محمد أننى لن أأكلك » ، فنزلت الفتاة من فوق الشجرة ، واعتبرها الغول «ابنته » وأحضر لها طعام الإنسان ، الخضر واللواكه والخبز ، لانه كان لا يأكل الا لحوم البشر ، لكنه لم يستطع أن يداوم على ذلك طويلاً ، فقال لها ، « انا لا أقدر أن أتولى رعايتك والمنية بك دائماً ، وأحضر صندوقاً

من الخشب ووضع فيه ملابس كثيرة وطلب منها ان تدخل الصندوق وتقلته على نفسها ، وحمل الغوز الصندوق ويدخله الفتاة وذهب الى قصر السلطان ، وطلب منها ان لا تخرج من الصندوق عندما يدخلوه الى القصر ، واذا سالوها ، ما هو العمل الذى تنتقنه ؟ نعليها ان تجيهم ، بانها تستطيع ان ترعى الجبال ، ولكن جملا واحدا .

وطرق الغول باب القصر ومشي وترك انصندوقى امام الباب ، نجاء حارس وفتح الباب واقتله لانه لم يجد احدا . فطرق الغول الباب مرة ثانية ومشي ، وجاء الحارس لكنه اغلق الباب بعد ان فتحه ، لانه لم ير احدا ، لكنه وجد صندوقا بجوار الباب ولم يكن قد انتبه لذلك فى اول مرة ، فرجع الغول وطرق الباب للمرة الثالثة ، وجاء الحارس واندهش ، وذهب الى السلطان واخبره بالامر ، فثيحب السلطان وطلب منه ان يحضر له الصندوق . وكان الصندوق عاديا . لا يلفت النظر ، فامر الملك ان يضعوه فى الحظيرة التى تربي فيها المشية والذواب .

وفى اليوم التالى جلست احد الجوارى فوق الصندوق لتحلب برة ، فتكلم الصندوق وقال للجارية ، « حرام عليك ان تجلسى فوقى وتؤلمينى وتعذبينى » ، وكان الامير ابن السلطان يسير بالقرب من الحظيرة فنادته الجارية وقالت له ، « ان لهذه الخشبة - تقصد الصندوق - صوتا جيلا والخشبة تتكلم مثلنا » ، فاقترب الامير من الصندوق مندحشا وساله ، « ايها الصندوق هل تستطيع ان تمشى ؟ » فرد الصندوق بصوت جيل ، « استطيع ان امشى » ، وتحركت الفتاة داخل الصندوق ، فندحرج على الارض ، فضحك الامير وسأل ، « وماذا تستطيع ان تعمل ايها الصندوق ؟ » ، فاجاب ، « يمكنى ان ارعى الجبال ، ولكن جيلا واحدا » ، فامر الامير ان يعطوا للصندوق جيلا من جبال السلطان ليرعاه ويهتم به .

وامطوا الصندوق جيلا ، وكان الصندوق يتدحرج كل يوم من الحظيرة حتى الرعى خارج البلدة وجبله وراءه . وكانت الفتاة حين تتأكد انه لا احد هناك تفتح الصندوق وتخرج منه وتحلب النوق وتشرب من لبنها وتبحث عن شئ من الفاكهة او الخضراوات لتاكله ثم تضع فى اذنى



وحمل الغول الصندوق وبداخله الفتاة وذهب الى قصر السلطان

جللها قطعتين من القطن ، وتغنى بصوتها الجميل الساحر ، فتكف
الجمال ماعدا جللها عن الرعى والحركة حين تسمعها تغنى ويقول .

يا جمال يا طيبة
شوفى عيشة المسكينة
خليتها (1) أمها فى الغسبة معذبة
مع الغول فى الركينة (2)

وكانت الجمال لا تاكل حين تغنى الفتاة ، فضمعت وهزل
جسها ، ماعدا جبل الصندوق . وبعد شهر لاحظ الامير ذلك ،
فسأل الصندوق عن السبب ، فاجاب الصندوق ، « انا لا اعرف
السبب فالجمال ترعى فى نفس المكان الذى يرعى فيه جلى » .

ومضت الايام والجمال تزداد ضعفا ونحولا ، اما جللها فقد كان
فى حالة حسنة ، واراد الامير ان يعرف السبب ، فاستيقظ مبكرا ، وانتظر
حتى تخرج الصندوق يتبعه جلله ، وسار وراءها ، واختبأ الامير
خلف شجرة وجلس يراقب الجمال وهى ترعى ، وبعد ساعة، فتحت الفتاة
الصندوق وخرجت منه ، مذهل الامير لما راي ، فقد كانت الفتاة نائمة
ساهرة ، رائحة الجمال ، كانت تسير فوق الارض العشوشية
تتبايل وتتهادى وتلتقط الفاكهة من الشجر وكانها حورية من الجنة
تخطو فوق العشب الاخضر النضر ، ثم وضعت فى انفى جللها
قطعتين من القطن واخذت تغنى ، فكاد الامير ان يصرخ اعجابا
بصوتها الرنان ، وغنت :

يا جمال ، يا جمال ، يا جمال ، يا طيبة
شوفى عيشة المسكينة
خليتها أمها فى الغابة معذبة
مع الغول فى الركينة

وكاد الامير ان يغى عليه ، ثم دخلت الفتاة الصندوق وأغلقتة،
فأسرع الى الصندوق وجلس عليه ، وقال ، « ليتها الفتاة الجميلة
انحسنا ذات الصوت الشجعى المؤثر ، اننى احبك ، احبك ، ولا بد ان

(1) - خليتها : تربيتها

(2) - الركينة : المكان المجهور

اتزوجيني ، لن أقوم من فوق الصندوق حتى تقسم لي أنك رضيت أن تتزوجيني » : فردت عليه ، « أقسم لك بالبقرة التي تأكل الزيتون ، سأزوجك » ، نام يفتتح وأجاب ، « لا ، هذا ليس بقسم » ، فقالت ، « أقسم لك بالقطعة التي تأكل الأعشاب الخضراء سأزوجك » ، نهز رأسه وأجابها ، « لا ، ولا هذا » ، فقالت ، « أقسم لك بالشمعان الذي يشرب الماء سأزوجك » ، فلم يوافق وهتف بها ، « لا ، لا ، هذه كلها ليست بالفاظ قسم » ، فقالت ، « أقسم لك بالله تعالى وبرسوله محمد أن أتزوجك » ، فقام من فوق الصندوق وفتحه ، وخرجت منه وسارت معه إلى القصر .

وحين أخبر الأمير أباه أنه سيتزوج الصندوق ، خجل السلطان وقل ، « يا للعار ! » ، أما أمه فقد عارضت معارضة شديدة ، حتى الجوارى والعبيد سخروا من الأمير وصاروا يضحكون خفية ، لكن الأمير صمم أن يتزوج الصندوق .

وفي يوم الفرح دحرج الأمير الصندوق والجميع مندهشون ومذهولون ، لكن الصندوق كان نارعا ، وأقبلت الفتاة الجميلة يفتن حننها العيون ويسحر جمالها العقول ، وتزوجها الأمير ، وفرح السلطان وضحكت أمه وعاشوا سعداء .

أخدم ياالتاعس للتاعس

كان الرجل غنيا ، لديه المئات من الإبل والبقر والأغنام ، وبالرغم من ثرائه فقد كان غاية في البخل والشح ، يأكل خبز الشعير ، ويلبس رداء رخيصا ، وقد قاست زوجته من بخله كثيرا .

وبالرغم من مرور سنوات طويلة على زواجه لم يرزق بأبناء ، وصبرت المرأة على حرمانها من الاطفال ، كما صبرت على تلك الحباة المتشقة التي عاشتها مع زوجها البخيل .

وحملت المرأة نجاة ، ففرحت فرحا شديدا لذلك ، ومرت شهور ، ووضعت ولدا ، ثم أرادت أن تحتفل بهرور اسبوع على ولادته ، كما يفعل الناس ، فقالت لزوجها ، « لقد من الله علينا ، ورزقنا طفلا ، بعد أن حرمانا سنوات طوال ، وانه لذكر وبه نرحنا ، وهو خير من ان نرزق بنتا ، لهذا اود احتفالا يليق بفرحتنا ، ونقيم وليمة ندعو اليها الاهل والأصدقاء » ، لكن البخيل صاح وصرخ في وجهها ، « والله ان الخير لا يجيء عن طريق النساء ، انك تريدان لى الضرر والاذى ، انك تريدان لى الضرر والاذى ، انك تطلبين منى ان ابدد أموالى فى التواني » .

لكن المرأة لصرت ولأول مرة علرضته فى قوة ، وقالت ، « والله لتتبن الوليمة وندعو اليها الناس ولابد لى ان اترح بطنلى » .

ولما وجد الرجل انه لا فائدة من الجبال مع زوجته ، قال لها « ما دمت مصممة ، فليكن ، ولنذع عددا من الاهل لا يزيد على سبعة ونفخ ثلاثة ازواج من الدجاج » ، نصرخت المرأة « يالك من رجل بخيل ،

إعطاك الله ولدا ، وأعطك المئات من الإبل والبقر والأغنام ، ثم تريد أن تبيع دجاجا في حفلة العمر « ، فصاح الرجل « ماذا تبغين ابتها المرأة ؟ » ، فاصرت علي تبيع كبش حتى لا يعيبها الناس ، فقال لها ، « أنت مجنونة ، لكنني سأوافقتك مضطرا » ، ونادى رعاة ماشيته . وأخذ يبحث عن حمل صغير ، أو شاة عجوز ليذبحها في حفلة مرور أسبوع علي ميلاد ابنه فلم يجد ما يرغب ، لان أكثر الخراف كانت في حالة جيدة ، فأخذ يبحث بين الماعز ليختار معزة يذبحها ، ووجد معزة عجفاء فاقترب منها وقال ، « أنت ابنتها ألمعزة تصلحين للذبح ، وتوافقين غرضي » ، فنادا بالمعزة تتكلم بلسان فصيح وتقول ، « هاهاها ليس لك أن تذبحنى ، أنا لست ملكك ، ونحن الماعز والغنم والإبل والبقر ، لسنا ماشيتك . لك لا تملك شيئا ، لسنا رزقك اننا رزق الناعس ، رزق الناعس » . وكررت قولها عشرات المرات .

فوجم البخيل واندحش ، وابتعد عن قطيعه ورجع الى خيمته غاضبا وقال لامراته ، « والله لاغادرن هذا المكان ولن أعيش هنا أبدا ، سأبيع كل ما لي لك من ماشية ، وأخذ أموالى واذهب الى ألدنية ، وأعمل فى التجارة » ، فاندحشت المرأة لكن البخيل كان قد قرر أمرا وبدا فى إنفيذه .

وأخذ البخيل يبيع ابتقاره وأغنامه ويذهب الى الاسواق بابله ، فلم تبض ثلاثة أشهر حتى كان قد أنهى من بيع كل ما يمتلك ، واحضر سبعة قُدور من النحاس وملاها بأمواله من الذهب والفضة ، وتاهب للرحيل الى بلدة بعيدة ، وكان لابد له ان يسافر اليها عن طريق البحر ، وبالتقرب من بلدته كان يقع الميناء الذى سيسافر منه .

فأخذ طريقه الى الميناء ووجد مركبا سيبحر بعد ايام ، واتفق مع ربانها أن يسافر معه هو وأسرته نظير قدر بسيط من المال ، وأن يأخذ معه أيضا سبعة قُدور نحاسية ، قال البخيل آتها مليئة بالملح ، وبعض المتاع ، وأخذ يساوم الربان فى أجر نقلها مدعيا الفقر ، وحين تم الاتفاق طلب البخيل من الربان أن يرسل معه بحارين من رجاله ، واستأجر حمارين لحمل القُدور وما عنده من متاع .

وحمل البخيل القُدور فوق الحمارين وذهب يصحبهما الى الميناء ،

ووضعوا القنور في المركب ، واراد ان يرسل البحارين ليحلا زوجته وطفله وما تبقى من متاع ، وبينما هو يتكلم مع البحارين ، وكنا في عجلة من امرها لأن المركب كانت ستبحر بعد ساعات قليلة ، بينما هو يتكلم معها ويجادلها في الاجر ، وقع مثنيا عليه ، ولم تبض نقائق حتى لنظ آخر أنفاسه ، نحله البحاران فوق حبار وذهبا به الى زوجته ، وارتامت الزوجة واخذت تبكى وتولول ، ورجع البحاران بسرعة ليلحقا بالمركب .

ولم تصدق الزوجة ما حدث ، فقد كان زوجها في صحة جيدة ، واحتضنت طفلها ، وارسلت الى اهله ليقوموا بدفنه وتقبل العزاء فيه ، وبعد ساعات ، تفكرت الزوجة التي اطارت المصيبة صوابها ، تفكرت الاموال والقنور النحاسية ، نهضت الى الميناء لتحضر القنور ، لكن المركب كان قد غامر الميناء في طريقه الى عدد كبير من المدن ولن يعود قبل سنة ان لم يكن اكثر ، فعرفت ان المال قد ضاع، ذلك لان القنور كانت مليئة بالذهب والفضة ، واذا طلبت بها ، فلن يصدمها احد ، وهل يعقل ان من يجد الذهب يحفظه ويرده ؟ على أية حال ، فقد ذهب المركب ، وذهبت الاموال ، فقالت المرأة ، « فليعوض الله خيرا » .

اما المركب فقد سار في طريقه ، ومر بمدن كثيرة حتى وصل الى البلدة التي اراد البخيل ان يذهب اليها ، عندئذ تفكر الريان الرجل ، وانقده ولم يجده ، فاندحش لكن الامر لم يمه ، لانه قبض لجره ، ولم يكن احد يعرف ان في القنور ثروة طائلة .

ونزل الريان ، وذهب الى مقهى في الميناء ، اعتاد البجارة الذهاب اليه، وكان يملك للمقهى رجل كسلان، يجاس دائما فوق كرسيه لايتحرك، فلزبائن يجيئون ويخدمون انفسهم ، فان اراد زبون كوبا من الشاي ، فلباه النار والسكر والشاي والوعاء ، فعليه ان يجهز الشاي ، وأن اراد زبون شيئا من القهوة فعليه ان يجهزها بنفسه ، وكل من اراد شيئا عليه ان يخدم نفسه ، حتى من يريد ان يذبح لبن ما اخذ ، فان صاحب المقهى كان يقول له ، « هناك الوعاء ضع فيه ثمن ماأخذت » ، لذلك سموه الناعس ، دائما كسلان ودائما «نعسان» ، لكنه كان حلو الحديث، طيبا لطيف المشر ، فاجبه الناس ، وكان البحارة



فارسك الربان بحارا واحضر القذور ووضعا في ركن منعزل من المقهى.

بحبونه لحو حديثه وظرفه ، وكان للناعس زوجة وسبعة اولاد ،
وبالرغم من كسله فقد كانت المهى رائجة تضمن له حياة رغيدة سهلة .

جلس الريان مع الناعس وتحدثنا حديثا شجيا ، وبعد أيام رحل .
وكان كل سنة يعود ويصكث أيلما معه ، ومضت ثلاث سنوات ، وذات
يوم كان الريان يجلس مع الناعس وبعض البحارة نتحدث وقال لهم ،
« لقد أعطنا رجل سبعة قنود نحاسية مليئة بالملح وهي تشغل حيزا
مكثا في المركب ، ولولا ان الرجل دفع لنا الاجر لميناهما في البحر » ،
ضحك الناعس وقال ، « وماذا ترميها في البحر ، ها هي المهى واسعة
بهايتها وضعتها هنا » ، فأرسل الريان بحارا واحضر القنود ووضعها في
ركن منعزل من المهى ، وضحك الريان وقال للناعس ، « لقد مضت
ثلاث سنوات وقد سألت كثيرا عن الرجل لكننى لم استطع ان اجده ،
لعدم معرفتى باسمه ، وعلنى اية حال فان ظهر صاحبها ، سأرسله
اليك ليأخذها » ، وضحك الريان كثيرا ثم استطرد ، « وان لم أجده
يمكث ان تأخذ القنود والملح ، وتكون حلالا لك ، في السنة القادمة » ،
ذلك لان الريان كان يزور بلدة الناعس مرة كل سنة .

ولم تمض سنة واحدة ، بل مضت ثلاث سنوات والقنود متروكة
في ركن من المهى ، وكان الريان عندما يزور الناعس يضحك ويقول
له ، « يارجل ابعت بالقنود الى بيتك وخذ الملح » ، لكن الناعس كان
بضحك بدوره ويقول ، « حين احتاج الى الملح سأخذه » .

وذات يوم أرسلت زوجة الناعس ابنته الصغيرة اليه ، واقتربت منه
وهيمست في اذنه ، « ان امى تريد شيئا من القنود لتشتري ملحاً » ،
انفكر القنود ، فقال لها ، خذى قنودا من هذه القنود الى المنزل ،
هي مليئة بالملح » .

فحملت البنت قنودا من القنود واخذتها الى البيت ، وهناك فتحت
لها القنود لتأخذ الملح ، فاذهلها ان تجد القنود مليئة بالذهب ، فأسرعت
بالذهاب الى مهى زوجها ، فنادت الناعس لتقوم زوجته ، وناذته
الزوجة ليقوم اليها، لكنه رفض وقال متكاسلا لها ، « اقتربى منى واخبرينى
بسبب حضورك » ، فهزت الزوجة رأسها وشارت اليه ان يتقدم بنها ،
لكنه رفض وطلب منها ان تقترب منه ، فاعتربت وهيمست في اذنه قلابة ،

« اتعرف ماذا حدث ؟ لقد وجدت القدر التي أرسلتها الي مع ابنتنا مليثة بالذهب ، « تصرخ الناعس ، « غير محقول ، « وسار لأول مرة منذ سبع سنوات الي ركن المتهى حيث توجد الست قدور ، واخذوا القدور الي المنزل .

كان الناعس كريما ، فاستاجر حاتوتين مجاورين لمتهاه ، وانتج الناعس مطعما ، وكتب على لائمة الطعم ، « من معه نقود ياكل ومن ليس معه ياكل ، مال الله ، ياكله عباد الله ، « ناخذ الفقراء يجيئون انى مطعم الناعس وياكلون مجانا دون ان يدفعوا شيئا ، والناعس ياخذ من القدور ويحسن آلى الفقراء .

ومضت الأيام وجاء الريان صديقه يزوره ، فاحتضنه الناعس،وساله الريان ، « من أين لك هذه الاموال يا صاحبي ؟ « ، فرد الناعس ضاحكا، « والله انت السبب ، « وحكى له حكيمة القدور ، وتصادف ان سمهم أحد زبائن المتهى ، وهو رجل اشيب الشعر ومن بلدة البخيل ، فصاح ، « والله عرفت السر ، « وتمس عليهم قصة لم يسمعوها من قبل ، فقد كانت بلدة البخيل بعيدة ، وحكى لهم عن موت البخيل وافتقاد زوجته للقدور ، ورحيل المركب قبل ان تذهب اليها الزوجة ، عند ذلك قال الناعس ، « على ان ارد ما بقى من المال الى زوجة الرجل وابنه ، « فقال الرجل المعجوز ، « لقد ماتت المرأة وابنها منذ سنوات ، « فقال الريان للناعس ، « ان المال مالك ، حلال لك ، « فقال المعجوز ، « اخدم يا الناعس للناعس ، « وصارت مثلا .

الذئب والقنفذ

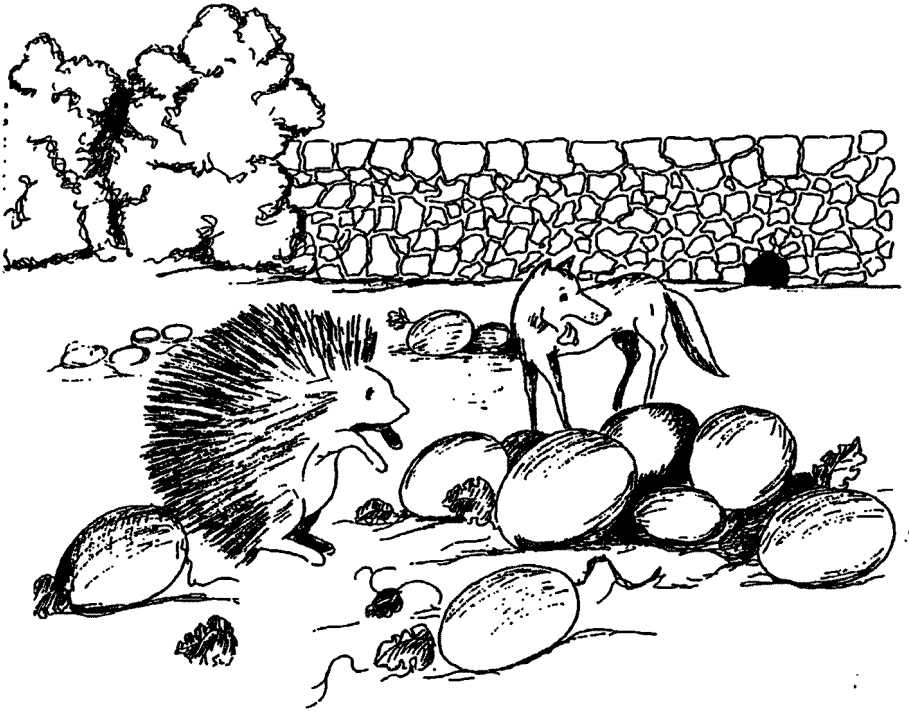
كان الذئب والقنفذ صديقين بالرغم من اختلاف طباعهما ، فالذئب طماع جشع وغدار ، والقنفذ نكسى واسع الحيلة ، وكان كل منهما يبش في غار تحت الارض بجانب الاخر .

ونى يوم اتفق الذئب مع القنفذ ان يتعاونوا سويا فى الصيد والحصول على رزقهما ، فذهب القنفذ الى اولاد كانوا يرمون الغنم : فامسكوا به وبدأوا يلعبون معه ، وانشغلوا بذلك ، فأتى الذئب واختطف خروفا وفر به ، وحين أدرك الاولاد ما حدث رموا القنفذ وضربوه بالاحجار ، لانه كان السبب فيها حدث .

وذهب القنفذ وعظامة توجهه الى الذئب الذى كان قد وضع الخروف لابه ، وقد سال لعابه ، وسأل الذئب ان يعطيه شيئا من اللحم ، لانه لو لم يله الرعاة ويلاعبهم لما استطاع الذئب ان يخطف الخروف ، لكن الذئب الجشع رفض ان يعطى القنفذ شيئا من اللحم ، فطلب القنفذ ممرانا من مصارين الخروف ، فاعطاه الذئب الممران .

فأخذ القنفذ الممران ونفخه ، ووقف خلف شجرة وأخذ يضرب يده على الممران المنفوخ فأحدث صوتا شبيها بضربات الاقدام ، وصرخ القنفذ وقال ، « اتنى لم أكل شيئا وليس لى دخل فى الامر فالذئب هو الذى خطف الخروف ، وهامو الذئب يكله هناك خلف الشجرة ، حرام عليكم اتركوني انا لم افعل شيئا » ، ومضى بصرخ ، فخاف الذئب وهرب ، فذهب القنفذ وأكل من الخروف حتى شبع .

وحين رجع الى جحره ، أخبره الذئب ان الرعاة أمسكوا به وضربوه ضربا مبرحا ، فقال الذئب ، « نعم لقد سمعتك وأنتيت



وكان للبستان سور عال ، وفي أسفله السور (ثقباً) صغيراً لفتاة تروى
البستان...

يردهم الى مكائى ولو لم اهرب لامسكونى انا الاخر» ، وسال الذئب
القنفذ ان يخرجنا سويا للصيد مرة اخرى فرفض القنفذ وايب الذئب
على جسمه ، لكن الذئب اقسام على التوبة .

ومضت ايام ، وتصالحا وخرجا سويا مرة اخرى للصيد ،
وفي الطريق وجدا بستانا مليئا بالبطيخ ، وكان للبستان سور عال ،
وفي اسفل السور ثقباً صغيراً لقناة تروى البستان ، فدخل الذئب
والقنفذ من هذا الثقب ، وقال القنفذ للذئب ينصحه ، « لا تأكل كثيراً
حتى لا تنتفخ بطنك فلا تستطيع ان تخرج من الثقب ، وكان البطيخ
لذي الطعم حلوا ، فأكل القنفذ منه ولكنه كان حريصاً بين الحين
والحين على المذهب الى المخرج الثقب ليتأكد من
عدم انتفاخ بطنه وقدرته على الخروج بسهولة . أما الذئب فقد كان
طامعاً ، فأكل كثيراً ولم يقلد القنفذ او عمل حتى ينمأحه ، وحين
شبع الذئب اراد الخروج ، لكن بطنه المنتفخ لم تسمح له بالمرور من
«الثقب» ، أما القنفذ فقد أمكنه ان يخرج ، فعندئذ صرخ الذئب ، « يا
أخي القنفذ ماذا أفعل ؟ دبر لي حيلة ، فان بقيت هنا حتى الصباح
نسيبوء صاحب البستان ويقتلنى حين يرانى ويدرك اننى اكلت من
البطيخ » ، فأخذ القنفذ يفكر ، ثم قال للذئب ، « عليك ان تتظاهر بالموت ،
تهد طعن الارض ، وان ضريك صاحب البستان ، فتحمل اياك ان
تتحرك ، فعندئذ سيرميك خارج البستان خوفاً من تعفن جثتك » ،
فشكره الذئب .

وفي الصباح ، حين جاء صاحب البستان ، تهدد الذئب على
الارض وتظاهر بالموت ، فلكره صاحب البستان بالفأس ، فألمست
الذئب اللكرة ، لكنه تحملها ولم يتحرك ، فامسكه صاحب البستان
من ذيله ورماه خارج السور تلبها كما قال القنفذ .

وخرجا سويا مرة اخرى ، وبينما هما في طريقهما ، وجدوا
بطبورة فول ، « مخزن للفول على هيئة بئر مملوءة بالفول » ، وكانت
هناك سلة كبيرة تستخدم لاجراج الفول ، ونزل القنفذ في الطبورة وادلى
الذئب له السلة ، وأخذ القنفذ يبلاها ، فيخرجها الذئب ، واكل
الذئب حتى شبع أما القنفذ نام ياكل شيئاً لانه كان منهكاً في ملك
السلة بالفول ، وفعجاة نظر الذئب من اعلى نحو الطبورة وتسال

القفند ، « سامحنى يا صديقى لاننى مستعجل ، وساترك هنا نسى مطبورة الفول » ، فرجاه القفند ان يخرجها من المطبورة ، لكن الذئب لم يرض ، واخذ يضحك ، عندئذ قال له القفند ، « فلتعمل ما تشاء يا اخى فهذا امر الله كتب على ، لكك تعرف ان عنسدى اطفالا قفند صغارا فكل ما ارجوه منك ان تعطى صغارى ملىء سلة من الفول وسألا السلة الان ، فوانق الذئب ، وانهمك القفند نسى العمل وملا السلة لصغاره ، واخرج الذئب السلة مثلثة بالفول ، وحملها الى البيت ، وكان القفند قد وضع نفسه فى السلة وتغطى بالفول ، فأخرج رأسه وسأل الذئب ، « لماذا اردت ان تتركنى فى المطبورة يا عمى الذئب ؟ » ، فنزع الذئب من المفاجأة ، وتقز مرتعبا ، فومعت السلة على الارض وانتشر الفول فى كل مكان ، فأخذ القفند يجمع الفول ويضعه فى السلة ، وهضى يؤنب الذئب ، فاعتذر الذئب للقفند بأنه كان يضحك معه ويلاعبه ، وأنه كان فى نيته ان يعود اليه ليخرجه ، واخذ يساعده فى جمع الفول .

وعلى حين بفترة سمعا زئير الاسد ، ونظرا فوجدوا ملك الغاب يتقدم مكثرا عن أنيابه ، ينوى افتراسها ، فارتعش الذئب واصطكت ركبته ، وتهاوى على الارض من هول المفاجأة ، وتوسل الى القفند ان ينقده وسأله ، « اليس لديك حيلة تنقذنا وتحفظ ارواحنا ؟ » ، فأجاب القفند ، « لدى حيلة واحدة وانت ؟ » ، فقال الذئب ، « لدى مائة حيلة لكنها جميعها لا تنفع فى الوقت الحاضر » ، فأجاب القفند ، « ان لدى حيلة واحدة نائمة » ، وكان الاسد يتقدم والارض تهتز تحت اقدامه ، فاستجمع القفند كل ما لديه من الشجاعة وأسرع يجرى نحو الاسد ، فتمهل ملك الغاب غير مصدق عينيه ، لكن القفند تقدم حتى لصبح امامه ، وامسك بيد الاسد وقبلها وقال له ، « صباح الخير يا ملك الوحوش ، ناشدتك الله ان تحكم بينى وبين الذئب » ، وكان السبع قد نوى ان يأكل الاثنين ، وبما انه يصرف لهما لا يستطيعان الامتلات منه ، فقد تمهل ليستمتع بالفريسة وسأل ، « وماهى المشكلة يا قفند ؟ » ، فأجاب القفند ، « ان لدى اولادا كثيرين ، ولدى الذئب اولادا كثيرين ايضا ، ونحن نعيش معا فى غبارين متجاورين ، وقد اخططت اولادى مع اولاد الذئب ، وقد اصبحنا الان نواجه مشكلة ، فانا لا اعرف اولادى من اولاد الذئب ، والذئب يقول

ان اكثرهم اولاده ، فلو تفضلت وحكمت بيننا بأن تجعل اولاد الذئب في ناحية واولادى في ناحية اخرى نلنا سرتاج « ، فرح الاسد وقال لنفسه ، لاذهب معها واكلهم جميعا مع اولادهم ، فوافق الاسد ان يقوم بدور الحكم ليفصل في النزاع .

وحين وصلوا الى الغار قال القنفذ للذئب ، « ادخل الى غارك ومات ما عندك من الاولاد » ، فدخل الذئب الغار ، غير مصدق انه نجا من الاسد بحيلة القنفذ الواحدة .

ووقف القنفذ مع الاسد ينتظران الذئب ، ومضى وقت ، ولم يعد الذئب بالطبع ، فتساءل الاسد ، « لماذا غاب الذئب ؟ » ، فقال القنفذ ، « لتسمح لى يا مولاي ان ادخل وراءه لاننى اخاف ان يخيم بعضا من اولادى » ، فاستحته الاسد ان يسرع ويخرج الاولاد جميعهم ، فاجاب القنفذ ، « سيما وطاعة يامولاي » ، ودخل الغار ، ووقف الاسد ينتظر ، وغاب القنفذ كثيرا ، فنادى الاسد الذئب والقنفذ ليسرعا ويخرجوا الاولاد ، فاجاب القنفذ من داخل الغار ، « منولاي الاسد فلتسمح لنا ، فقد عرفه كل منا اولاده ، اولادى لهم شوك واولاد الذئب ليس لهم شوك وقد انتهت المشكلة ولا داعى لاتعابك يامولاي ، تشكر يا مولاي » ، فزار الاسد غاضبا وانصرف .

أولاد الحاكم افلاطون

تتضمن هذه الحكاية بعض الإشعار ، لكنها لا تروى بالشمس ،
واصلها حكاية خرافية نمتها الخيال الشعبي الجليل ، ونسبها إلى الحاكم
لفلاطون ، وقال أنه من « الرتوت » ويبدأ انشادها هكذا :

ها الحاكم من الرتوت ،

نهار مرض ويفى يموت ، « يوم مرض وأحس بالموت يقترب منه »
عيط علي ولاده من لبيوت ، « نادى أولاده من غرفهم »
تل ليهم ها بيت الخزين ، « قال لهم هذا مخزن الطعام في الدار »
إلى يحله سخطي عليه ، « من يفتحه (مخزن الطعام) المعنه »

لكننا نحب أن نعرف الحكاية ، نهى تقول :

كان في تديم الزمان حاكم اسمه افلاطون ، اعطاه الله ثلاثة اولاد،
الأكبر حفظ القرآن ، وتبحر في علوم الدين ، وأصبح نقيها مثل أبيه ،
والاوسط تاجر يبيع ويشترى ويربح ، فيه كل صفات التجار الحسنة
والسيئة ، وصار غنيا ، والأصغر ، وكان في صغره ذكيا وطيب القلب
وحيويا، لكنه حين أصبح شابا التف حوله أصدقاء السوء ، وأصبح
لهيا عابثا ، وكان يخذل المخدرات ولا يهتم بشيء في الدنيا .

وعرض الأب وأحس بأنه سيوت ، فنادى اولاده الثلاثة وقال
لهم ، « لقد تركت لكم الكثير من الأموال ، فاعتصموا ، وستجدون في
وسط هذه الدار غرفة ، وهي موصدة ، نايكم أن تفتحوها أو تخظوها،
ومن يفعل هذا فإنتى المعنه واسخط عليه » ، وبأ أن لفظ هذه الكلمات
حتى مات ..

يقول الشاعر :
اللى يخله سخطى عليه ،
يا هو ولدى ما نرض عليه ، « ليس ولدى ولا أرض عنه »
وصى ولده ذاك الفقيه ،

ودفن الابناء آباءهم ، وعادوا الى دارهم وتسموا امواله الوفيرة ،
واخذ الفقيه الابن الاكبر نصيبه واقتصد وعاش ميسور الحال ، واحبه
الناس واحترموه ، اما التاجر فقد زاد ماله بها ورث ، فنتى تجارته
وكسب واغتنى : واصبح من أكثر التجار ثراء وجاها ، اما الابن الصغير
فقد سار في طريق الفساد ، يشرب ويسكر ، ويدخن المخدرات ويخالط
اصدقاء يدفعونه الى الهاوية .

ولم تهن ثلاث سنوات حتى كان الابن الأصغر قد بدد كل امواله
التي ورثها من ابيه ، واصبح صعلوكا ، مقطع الثياب ، متسقا ، لا
يملك شيئا ، فكان يذهب الى اخويه ، فاحيانا يعطياته بعض المال ،
فيبيده في الشراب والمخدرات والفساد، واحيانا يطردانه ، فقد سئما
وتضايقا من نساده ، وحاولا اصلاحه ومساعدته مرات كثيرة دون فائدة،
ثم اصيب بالقرع ، فاصبح اقرع .

ومات ابوهم وهزوه ، « حملوه »
ورجع الاقرع عند اخوه ،
ارى الورث نفرمود ، « اريد الميراث لنقتسمه »
مرقوا: ائمال بلا عداد ، « بلا عداد : بلا عدد »
ها القرع شرع في الفساد ،
والتاجر ارى ماله ازداد ،
والفقيه من المسالحين ،

و ذات يوم حين ازدادت حالته سوءا، فذهب الى اخيه التاجر وقال له،
« ان لبي قد تركت غرفة في وسط الدار ، فيها لنفتحها ، فربما كان فيها
شيء من المال ، وانا محتاج اليوم ، فان كنتما انت واخي الفقيه من
الاغنياء ، نانا فتيير » ، فغضب التاجر وصاح به يزرجه وينهاه
مذكرا اياه ان اباهم قد حذرهم من فتح هذه الغرفة ، وان من فتحها
فعلية اللعنة وسينال سخط الاب ، فلم يهتم الاقرع ، وقال في غير
مبالاة ، « نلأحصل انا مسؤولية فتح الغرفة واصبح ملمونا ومسخوط

الوالدين ، فصحبه اناجر وذها الى اخيهما الفقيه ، نحره الفقيه من سخط الوالدين ، فلم يتم وقال لهما ، « والله ان لم تجيئا معي لسأذهب ببنودي وانتح الغرفة وأخذ ما فيها » ، فاضطرا ازاء تهديده ان يذها معه ، وفتح الاترع الغرفة ونخل التاجر والفقيه مترددين ، ودهشوا جميعا ، فقد كانت الغرفة خالية تماما ، رطبة الجو ، تنضح جدرانها ماء ، وعلى ارضها الكثير من المياه الاسنة وليس بها شيء ، ونظر الابن الاصغر هنا وهناك ، فابصر في السقف قلة مطقة ، فصاح ، « هنا الكنز ، هنا الكنز » ، وانزلوا القفة ، فوجدوا فيها عملة من القماش الرقيق قديمة و (هيدورة) ثمرة خروف كاملة ، وقصبة صغيرة للتدخين ، جديدة وفي حالة حسنة .

وجه يكسى ما صابشى ، « اراد ان يدخن فلم يجد ثمن الخنان »
 الاترع تعب في كل شيء ، « قاسى كثيرا »
 رجع لآخوته بالمشى ،
 وقال لهم انا كاتب ،
 نهشوا معايا بالفصب ،

راه البيت معمر بالذهب ، « ان البرمة مهلوة بالذهب »
 فالوا له يا مسخوط بسوه ،

زاد الاترع والصحيح ، (زاد : ذهب او مشى)

ولاقر البيت كايسيح ، « وجدوا على ارض الغرفة الكثير من الماء »
 الشاشية غاملة ، « العملة بالية »

ولاقر هيدورة كاملة ، « وجدوا ثمرة خروف كاملة »
 والسبى والطوى زين ، (السبى قصبة التدخين والطوى كيس يحتفظ فيه المخدر)

فصاح الفقيه : « هذا ما آرتت يا مسخوط الوالدين ليس هنا شيء له قيمة ، ليك ما فحجت الغرفة » ، نهفت الاترع ساخرا ، « بل انها بركة الوالدين ، فلننضم ما وجدناه ، آنت نقيه نخذ الثروة ، وآنت تاجر نخذ العملة ، أما انا فآتركوا لى السبى والطوى ، نهذا يصلح لى وأنا اصلح له ، وسأدخن فيه المخدرات ، ناسمموه من التويخ والتائب والسب الشيء الكثير .



وانزلوا القفّة فوجدوا فيما عمامة من القماش الرقيق قديمة، وهيدورة (فروة
خروف كاملة) وقصبة صغيرة للتدخين (سبسي)

يقول الشاعر :

نترق ليكم هذا الحبوس ، « نقسم بينكم هذا الأثر »
خذ الشاشية للبوس ، « خذ العمامة لقلبها »
وخذ الهيدورة للجلوس ، « خذ الفروة للجلوس عليها »
وانا والسبسي ناخين ، « انا وقصبة التدخين مناسبين لبعضنا »
لرى الإترع عمت أليه ، « عمت بصيرته »

وأخذ آآترع القصبة والكيس الصغير ، « السبسي والمطوى » ،
وذهب الي المقهى حيث يخالط الصعاليك أصحابه ، وحشا القصبة
بالمخدر وأخذ يدخن ، وحين أراد أن يرمى الرماد وقعت كرة ذهبية
صغيرة من نسبسي ، فأهسكها غير مصدق ، ويدخن ونفض الرماد بموتعت
كرة ذهبية صغيرة ثانية ، فانتحي ركنًا بعيدا ، وأخذ يدخن ، فتسلطت
بدلا من الرماد كرات ذهبية صغيرة ، فباع بعضها واشترى كسوة
كائلة ، وراه اخواه فسألوه وقد ظنا به الخير وانه قد غير طريقته الموحج
في الحياة ، فأجابها ، « كل ما حدث هو أن الله قد رزقنى » ، ولم
يتل لها السر .

وفي يوم ذهب وجلس تحت أسوار قصر السلطان يدخن تصبته ،
وتسلطت الكرات الذهبية بدلا من الرماد ، فراه الاميرة بنت السلطان
ذهبت وأسرعت وأرسلت اليه جاريتها لتناديه ، فذهبت اليه وقالت ،
« تعالى كلم اللالة » فدخل القصر .

ويقول الشاعر :

مشى المشور وضل فيه ، « مشى في المشور وهو مكان متسع أمام القصر
ويقى فيه »

بنت السلطان تشوف فيه ، « تنظر اليه »
داير يكى وريوكه سايلين ، « مضى يدخن وقد سال لعابه »
عيطت للخادم مسعدة ، « نادت للخادم ، مسعدة »
نالت لها هذا احكيم الفايذة ، « هذا حكيم يمكن نستفيد منه »
سيرى نالديه يا مسعدة ،
نالت له تكلم اللالة ،
بنت السلطان بها وزين ، « ذات بهاء وجمال »

وضحكت له بنت السلطان ، وكعادة النساء ان اردن شيئاً خدمن ، وقالت له ، « لقد اعجبتني فانت شاب جميل » ، وسالته عن سر القصة ، وهل يتسائط الذهب منها بقدرته ام ان السر موجود فيها ، فاجابها ، « ليس لي دخل نيا تعطيه القصة من ذهب جريبى ، «تناولت القصة ، ودخت ، فتسائط كرات الذهب الصغيرة بدلا من الرماد ، فطمعت وقالت له ، « هل تعطينى هذه القصة كصداق لى ، وانا اتزوج بك واعطيك الف دينار ، وستذهب وتخطبنى من اسى وان سالنى رابى وانقت » .

ففرح فرحا شديداً ، واخذ منها المال وانصرف ، وذهب الى اخيه التاجر واخبره ان لديه مالا وهو يرغب ان يشتري له التاجر بظلة وهدايا وملابس لانه سيذهب للسلطان ويخطب منه ابنته ، فخره التاجر ، لانه لا يصح منه ان يذهب ويخطب بنت السلطان ، فهذا حق ، ولن يقبل السلطان ان يزوجه ابنته ، لكن الاترع اصر وصبر على رايه وفكرته ، فقال التاجر لنفسه ، « آخذ منه المال واشترى له ما شاء واخذ جزءا من المال لنفسى فهو لا يعرف الاسعار » ، واشترى له التاجر ما طلبه بعد ان لخذ الكثير من المال لنفسه .

وليس الاترع ثيابه الجديدة ، وركب بقلته وحملها بالهدايا ، وذهب الى السلطان ، واثار جلبة وصاح وتشاجر مع الحراس ، فسمع السلطان ضجيجيه وسال ما الخير ، وطلب منهم ان يحضروا من احدث انضجيج اليه ، وعندما جاعوه به ، لم يرض ان ينزل عن بقلته ، ومثل امام السلطان راكبا اياها ، ندهش السلطان وساله ماذا تريد ، وفى وقاحة قال الاترع ، « اريد ان اتزوج ابنتك » ،

فامر السلطان ان ينزلوه عن بقلته ، وياخذوها بما عليها ، وان يخلعوا ثيابه ويضربوه مائة ضربة بالعصا ثم يرموه خارج الاسوار ، ونفذ الحراس امر السلطان .

وظل ملقى على الارض حتى خفت آلامه وقلت اوجاعه ، وامكنه بصعوبة ان يقوم ، وذهب الى اخيه التاجر ، وحكى له ما حدث ، فاتبه التاجر وذكره انه قد حفره ونهاه عن الذهاب ، وخطبة ابنة السلطان ، وعالجه وساله ، « ماذا ستعمل ؟ » ، فقال له ، « ان الضرب تتلبنى

باعتني العمامة التي أخذتها من الخزانة المقللة فربما كان فيها بركة
من بركات إبي فتشغيني ، فوافق التاجر لتقائه تيمتها ، وقام ليخبر
له العمامة ، وذلك لان الاترع ظن ان في العمامة سرا ما دامت القصبة
تد تساطعت منها الكرات الذهبية .

واخذ العمامة وانصرف ، وقلبا وحكما وشدها وبحث في نسيجها
لانه لم يجد شيئا ، ويشس وظن انها عمامة قديمة عادية ، تلفها حول
رأسه ويشي ، فقابل احد اصدقائه وناداه ، فظهرت الدهشة على وجه
صديقه ، ونظر حوله في كل مكان مذهولا وهتف « من ينادى ؟ » ، وكان
من الواضح انه لا يراه ، فعرف الاترع انها طاقية الاخفاء ، من لبسها
اختفى عن الانتظار .

فأسرع الى بنت السلطان ، وبر امام الحراس دون ان يروه ،
ودخل القصر ولم يمينه احد وذهب الى غرفة الاميرة ، وحين أصبح
لهلجها وهي لا تراه ، قال « مويو » كانه قطة ، فصرخت ،
تسال ، « انسى ام جنى ؟ » ، فأجابها ، « انا الاترع ابن الحكيم
ابلاطون » ، وأرادت ان تخدمه مرة اخرى ، فضحكت وتصنعت الدلال
وقالت ، « اظهر يا حبيبي فائتي اريد ان اراك » ، فقال لها ، انه ذهب
لبيها وحكى لها ما جرى له معها ، فقالت ، « سانادي ابي واجعله
يعتذر اليك ويصالحك » ، وهتفت ، « لكن كيف تكلمني وانا لا اراك » ،
نزع العمامة وظهر امامها ، فادهشت وسألته عن السر فبين لها
انها طاقية الاخفاء من يلبسها يختفى عن الانتظار ، فسألته ، « هل استطيع
ان اجربها ؟ » ، فاعطاها العمامة ولبستها فلم يعد يراها امامه ، وخرجت
ونادت العبيد وامرتهم ان يمسكوه ويضربوه ويرموه الى الخارج ،
فامسك به العبيد ونفذوا ما امرتهم به بنت السلطان .

وظل ثلاثة ايام مريضا ين من الالام والوجاع ويقاسى من الجوع ،
وقال لنفسه ، « لابد ان فروة الخروف فيها سر » ، فذهب الى اخيه
اللقية ، وطرق باب الدار ، ففتحت له الجارية ، وما ان لبخه اللقيه
حتى هتف ، « ماذا بك يا اخي » ، فقد راعه ما وجدته فيه من تعب
وبرص وانهاك ، فرد عليه وهو يرتعش ، « انني لم اكل منذ ثلاثة
ايام » ، فامر ، فاحضروا له اصنافا من الطعام واقطاه كسوة ، وقال
له الاترع ، « الحق يا اخي لقد انهكتي المرض ، فاردت ان انام فوق

الفروة التي اخفتها من الغرفة المغلقة ، فربما كانت بها بركة من بركات ابي ، ان نمت عليها شففتي ، فاحضر له انقيه الفروة واعطاما له ، فأخذها ومشي ، وبعد ذلك اخذ يقلبها ويتفحصها فلم يجد فيها شيئا غير عادي ، فبنس وغضب وحزن ، وقال ، « لا فائدة من الفروة » ، عندئذ هداه آله وقال لنفسه ، « ان ابي كان فقيها يصلي عنيا ، فماذا لو تمت وتوضات وصليت ركعتين لله ، وابتهلت اليه تعالى ، ان يشفيني ويهديني سواء السبيل » ، وقام وتوضاً ووقف فوق الفروة وبدا بالصلاة وصاح : « آله اكبر » ، وما ان انتهى من الكعبة الاولى حتى ظهر امامه عفريت ، انحنى له وقبل الارض وقال :

اطلب منى ما تشاء احقته لك
 نائني طوع امرك ، اجيب رغبتك
 ما تريد يكون بين يديك
 مال الشرق يجيء لك ومال الغرب ياتي اليك

نقال للعفريت ، « خذني عند بنت الملك » ، فطارت فروة الخروف وعليها الاترع ووجد نفسه في غرفة بنت السلطان ، وحين راته مضت في خدامه مرة ثالثة ، نهنت متصنعة الفرح ، « يا حبيب القلب ، اخيرا جئت يا حبيبي ، لكن كيف جئت ؟ » ، فاجبها ، « وقفت على هذه الفروة وصحت ، « آله اكبر » فظهر العفريت خادها وانحنى وقبل الارض وطلب منى ان ابدى له اى رغبة فيحققها في الحال ، نسالته ان ان يحضرني اليك » ، فقالت له ، « غير مقبول » ، وابتسمت له ووقفت فوق الفروة وصاحت ، « آله اكبر » فظهر العفريت وانحنى لها وقبل الارض وقال :

اطلبي ما تشائين احقته لك
 نائني طوع امرك اجيب رغبتك
 ما تريد يكون بين يديك
 مال الشرق يجيء لك ومال الغرب ياتي اليك

فقالت للعفريت « خذ هذا الاترع وارمه بعيدا في ريع الدنيا المهجور » ، فوجد الاترع نفسه في صحراء واسعة تقراء ، موحشة كئيبة ، حيث لا شيء امامه على الاطلاق ، ومر يوم ويومان ، وفي اليوم

الثلاث ، أبصر الأترع ثلاث حمامات ، أتبلن طائرات في الهواء ، ونزلت لحمامة الأولى ، وما أن لمست الأرض حتى تحولت الى فتاة جميلة ، ونزلت الحمامة الثانية والثالثة ، فاذا أمامه ثلاث فتيات جميلات ، ابتسمن له وقبلن الأرض بين يديه ، وقالت واحدة منهن ، « مولانا وسيدنا ، اننا مرصودات لخدمتك ، لأن أباك النبيه الصالح الحاكم افلاطون ، كان يعرف قبل أن يموت أنك ستحضر الى هذا المكان ، ومن هنا يبدأ سعدك ، سفاخذك الى مكان حيث ألكنوز والخير ، وقد أعد لك الطريق لتسير فيه ونأخذ ما تستحقته من الدنيا » .

واستمرت في الكلام ، وقالت ، « ستأخذك أختى » ، وأشارت الى احدى الفتيات وستوصلك الى قصر ، وهذا القصر مسدود وليس له باب ظاهر ، لكن در حوله ثلاث مرات وسيفتح لك بابه المختفى فادخل القصر ، وستجد شيخا كبيرا مكبلا بالاغلال والسلاسل الحديدية ، وسيألك ، هل أنت ابن الحاكم افلاطون ؟ فاجبه ، نعم ، وسيألك هل أنت جوعان ؟ فاجبه نعم ، وسيقول لك ، كل ، وحين تنتهى من الطعام عد الى وستجدنى قد مت ، فاعبيل جتنى وكهني وادفني في هذا القبر ، وسيشير الى قبر مخفور أمامه وسيقول ، وسيجىء اناس ليلصوا صلاة الجنائز ، وبعد الصلاة سينصرفون ، وبعد ذلك أخرج من القصر وستجد بجوار الباب حديقة فادخلها ، وتوجد هناك في الحديقة شجرتان من اشجار التين ، واحدة فيها تين ابيض والاخرى تينها اسود ، فخذ ثلاث تينات بيضاء وثلاث تينات سوداء ، ومن يأكل تينة سوداء يبيت له قرن في رأسه ، فان اكل تينة بيضاء يخفى القرن في الحال ، واذهب الى قصر السلطان وارم التينات السوداء في القناة التى تروى الحديقة وسيألك السلطان وزوجته وابنته التينات ، وستنبت لهم قرون ، نادهم وعالجهم بالتينات البيضاء بعد أن يعدك السلطان بالزواج من الاميرة .

وحيلته الجارية ووجد نفسه امام القصر ، الذى ليس له باب ، فدار حول القصر ثلاث مرات ، فظهر امامه نجاة باب كبير في سور القصر فدخل منه ووجد شيخا مكبلا بالاغلال والقيود الحديدية نسي بيه ورجليه ، وسأله الشيخ ، « هل أنت ابن الحاكم افلاطون ؟ » فاجبه ، « نعم » ، فسأله الشيخ ، « هل اخذت منك بنت السلطان

القصبة والعمامة والفروة ؟ « نأجابه ، « نعم » ، نسأله ، « وهل أنت جوعان ؟ » ، نأجابه ، « نعم » ، نقال له ، انحل هذه الغرفة وستجد الطعام ، نكل ، وحين ننتهي أخرج ، وستجدينى قد مت ، ماغسل جفتى وكفى » ، وأشار ألى قبر مخفور أماه واستطرد ، « ثم سيحضر الناس نصل معهم صلاة الجنأزة ، وانفنى هنا ، وأخرج بعد ذلك من القصر وستجد حديقة ، فادخلها ، ان فيها شجرتين من أشجار التين ، واحدة تينها أبيض ، وواحدة تينها أسود ، ومن يأكل تينة سوداء يثبت له قرن فى رأسه ، فان أكل تينة أبيضأ اختنى القرن فى الحال ، وستأخذك جارية وتوصلك ألى قصر الملك فارم فى قناة الحديقة التينات السود ، وسأكل الملك والملكة والإميرة التى عذبك التينات السوداء فثبت لهم القرون ، عنئذ يمكنك ان تشفيهم ان اعطيتهم التينات الأبيضأ ، وأكلوها ، لكن لا تعطها لهم قبل ان يعدك السلطان بالزواج من ابنته الإميرة .

نفذل الأترع الغرفة التى أيره أنشأخ بالذهب أليها ، فوجد مائدة مأمرة بأنواع الطعام ، فأكل حتى شبع ، ورأخ ألى الشأخ فوجدته قد فارق الحياة ، فغسل جنته وكفنه ، وحضر اناس كثيرون ، وصلوا ، وصلى الأترع معهم صلاة الجنأزة ، ثم قام ودفن الشأخ فى قبره المحفور، وأخرج من القصر ، فوجد حديقة فيها صنين من أشجار التين ، صد أشجاره تينها أسود والأخر أشجاره تينها أبيض ، فأخذ ثلاث تينات أبيضأ ، وثلاث تينات سوداء ، وجاءت أليه الجارية الثالثة ، فالأولى كلبته والثانية حملته ألى القصر الذى ليس له بواب ، أما الثالثة فتد حبلته على ظهرها ، ووجد نفسه نجاة أمام قصر السلطان فرمى نى القناة التى تروى مياها حديقة السلطان ، الثلاث تينات السوداء ، فحملتها المياة ألى داخل الحديقة ، ورأها البستاني ، وكان ميعاد نضج التين فوق أشجاره لم يأت بعد ، بل بقيت له ثلاثة أشهر لينضج ويوجد ، ففرح البستاني بالتينات الثلاث ألسوداء التى وجدها فى غير أوانها وميعادها فأخذها بسرعة ألى السلطان .

فأكل السلطان واحدة ، واعطى تينة لزوجته فأكلتها ، وتينة لابنته ، وفى صباح اليوم التالى نبت للسلطان قرن فى رأسه ، ونبت

لكل من زوجته وابنته قرن في رأسها ، فاحضروا الأطباء ، لكن اهدأ
منهم لم يستطع ان يشفيهم او يزيل القرون من رؤوسهم .

فلبس الاقرع عمامة ، وذهب الى القصر وادعى انه يستطيع ان
يذاويهم ، فآخذة الحراس الى السلطان في الحال ، ولها مثل امهه ،
تبل الارض بين يديه ، وقال ، « يمكنني ان اشفيك انت والملكة والاميرة
يلولاي » ، فاجابه السلطان فرحا ، « ان فعلت اعطيك ما تشاء واحقق
ان اية رغبة تبديها » ، فقال الاقرع ، « لى رغبة وحيدة يا مولاي ،
ان تزوجنى الاميرة » ، فوعد السلطان بذلك ، فاعطاهم الثلاث تينلت
البيضاء ، واكلوها ، واختفت القرون من رؤوسهم في الحال ، فرحوا
بالشفاء ، وحكى الاقرع للسلطان قصته من اولها ، فتمجب السلطان
من امره ، ونفذ وعده ، وزوجه الاميرة وعاشوا سعداء .

كل يغني على ليله

استيقظ الرجل من النوم مبكرا وصلى الفجر ، وذهب الى الحمام ، ورجع الى داره قبل ان تشرق الشمس ، وبينما هو يهيم بدخول الدار قابل مالكها ، واتفق ان كان اليوم لول الشهر ، ويادره صاحب الدار بقوله ، « صباح الخير » ، ولم يقل كلمة غيرها ، لكن الرجل عندما راي صاحب الدار ظن انه قد جاء ليطالبه بالايجار ، طاف بذهنه كل هذا ، فأجاب صاحب الدار ، « ما ان تضى ساعة من النهار حتى احضر اليك الدراهم ، نعم سأحضرها لك » . ودخل الرجل الى داره ، وكانت زوجته جالسة تفكر في حاجتها الى غطاء لراسها « سبئية » ، فحكى لها الرجل ما حدث وهي شاردة الذهن وقال ، « لقد قابلني صاحب الدار وقتلت نه ما ان تضى ساعة من النهار حتى احضر اليك الدراهم ، نعم سأحضرها ، لك » فلم تنتبه الزوجة الا للكلمة سأحضرها لك ، فظنت وهي التي كانت تفكر في غطاء راسها ، ان زوجها سيحضر لها الغطاء ، فأجابته ، « احضرها سوداء او حمراء ، المهم ان اطفى بها راسي » ، تقصد لون « السبئية » غطاء الرأس . وبعد لحظات ، جاءت الابنة ، وكانت شلبة حسناء تأخر زواجها قليلا ، وكانت تفكر في الزوج المقبل ، والخاطب المنتظر .

وحكت لها امها ، ان اباهما سيحضر لها غطاء راس ، وسياتي به اليها ، فهي لابنة التي كانت تفكر في الزواج ان اباهما سياتي لها بزواج ، وسيحضر لها خطيبا ، فأجابته ، « ان آتى بشريف » تقصد رجلا من نسل الرسول ، او برجل من عامة الناس سارضى به زوجا » .

وبعد تليل دخلت الفتاة الى مطبخ الدار حيث كانت الخادمة تجهز الطعام وقد انتهت من اعداد الخضر ، وتنتظر ان يحضروا لها



وبادره صاحب الدار بقوله « صباح الخير، فظن أنه جاء ليطالبه بالايجار،
فاجابه، ما أن تمضي ساعة من النهار حتى أحضر اليك الدراهم.

اللحم ، وقد ذهب خَادم ليأتى به ، فقالت لها الفتاة ، « ان أبى سبأتى الى بعريس وسيحضره معه بعد قليل ، ولست أعرف ان كان شريفا ام لا » ، لكن الخادمة طاعتها ولم تنقبه الا للكلمات «سيحضره بعد قليل» ، وكانت تفكر في أن يحضروا لها اللحم الذى تنتظره منذ ساعة ولم ياتوا به اليها بعد ، فقالت ، « يحضروا لى لحم بقر ، أو لحم فتم ، سأطبخه اين هو اللحم لقد تأخروا » .

المقدر والمكتوب

كان ائرجل يعمل تاجرا ، ولم يكن عنده من الابناء سوى ولد واحد ، يحبه ويعتنى به عناية شديدة .

وذات يوم احضر التاجر لابنه كتابا فيه لغة الطيور ، وطلب منه ان يحفظ لغة الطيور ، ووعده ان حفظ الكتاب ان ياخذ معه في رحلته المتبلية ، نجد الولد واجتهد وحفظ لغة الطيور وعرفها معرفة جيدة .

ولما حان ميعاد سفر الاب اراد ان يصحب ابنه معه ، لكن الام عارضت لان الاب سيسافر لبلاد بعيدة ، وسيغيب مدة طويلة ، فقال لها الرجل انه وعد ابنه ولا يستطيع ان ينفق بوعده .

وسافرا ، ومضت ايام كثيرة ، وذات يوم بينا كنا يسيران في الصحراء ، اذا بغرابين يتفنان قريبا منهما ويتكلمان بلغة الغريان ، فسأل الاب ابنه ، « ماذا يقول الغراب لصاحبه ؟ » فأتاح الابن بوجهه وصمت ، ولم يرد على ابيه ، لكن الاب امر على معرفة حديث الغريبان ، فقال له الابن « ان هذا الغراب يقول للآخر ، اتنى سأصبح سلطانا وستكون انت خادما عندى » .

ومشت القافلة في طريقها ، وتضايق الاب مما سمعه من ولده واصابته الهموم والاحزان ، فدبر خطة ونوى امرا ، وبعد ايام حين وصلوا الى شاطئ البحر ، احضر الاب صندوقا ووضع فيه ابنه ورماه في البحر حتى لا يكون سلطانا ويصبح هو خادما عنده .

وحين رجع التاجر بعد مدة طويلة من رحلته ، أخبر زوجته ان
ابنها قد مات اثناء السفر ، فحزنت الام حزنا شديدا .

اما اولاد فقد ظل داخل الصندوق ، تتخافه الامواج حتى رمتها
على شاطئ جزيرة بعيدة في البحر .

وكان لهذه الجزيرة سلطان حدثت له احداث غريبة منذ اربعين
يوما قبل ان تذف الامواج بالصندوق الى جزيرته ، ذلك انه جاءت
اليه ثلاث حمامات ، ووقفت امامه وكلته بنغه الحمام ككلام كثيرا ؛
نقال لها السلطان تعالوا في الغد ، لانه لم ينهم شيئا من كلامها ، وكان
اهل الجزيرة كهم لا يعرفون لغة الحمام، وقد غضب السلطان غضبا
شديدا لانه لم يعرف ماذا يريد الحمام .

وكان السلطان يستدعى رجلا من اهل الجزيرة كل يوم ويسأله،
ماذا يقصد الحمام وماذا يقول ؟ ، فلا يعرف الرجل كيف يجيب السلطان
لجهله بلغة الحمام ، فيصدر السلطان امرا بموته ، ويصلون عليه
صلاة الجنائز ؛ لكن السلطان كان يؤجل تنفيذ الحكم مؤقتا . ويجيء
بشخص آخر ويسأله ، فلا يعرف لغة الحمام ، فيصدر حكما بموته
ويعتبر الرجل نفسه مينا ، وهكذا اصبح اهل الجزيرة كلهم في عداد
الموتى وهم احياء ، ولم يبق الا شخص واحد ليسال .

وفي هذا اليوم تفتت امواج البحر الى شاطئ الجزيرة بالصندوق
فانتشلوه واخرجوا الولد منه وسالوه ، « ا انسى انت ام جنسى ؟ » ،
فاجابهم ، « انا انسى » ، وحكوا له حكاية الحمامات الثلاث ، وقالوا ،
اننا كلنا ابوات ، فالسلطان سينفذ نينا الحكم بالموت جميعا في الغد ؛
نطلب الغلام ان يذهبوا به الى السلطان .

وفي الصباح جاءت الحمامات الثلاث وانحنت وحييت السلطان
وكلته ، فخاطبها الغلام بلفتها ، وظل يتكلم معها ونهم مشكلتها ،
فسأله السلطان ، « ماذا يقول الحمام ؟ » ، نطلب الغلام من السلطان
ان ينزل عن العرش اذا اراد الجواب ، فنزل السلطان عن العرش
نقال له الغلام ، « ان الحمامات الثلاث نكران اولاد عم واثنى ، وكل
من الذكرين يجب الحماية الاثنى ، ويريد ان يتزوجها ، وقد سالنى
ان احكم بينهما ، فانتظر قليلا يا مولاي حتى اصدر حكمى » .



فطلب الغلام من السلطان أن ينزك عن العرش إذا أراد الجواب وأخذ الغلام
يكلم الحمام

واخذ الغلام يكلم الحمام ، والحمام يكلمه ، وبعد مدة من الزمن ذهبت حمامة الى ناحية اليمين ، وحمامة الى ناحية اليسار ، ووقفت حمامة بينهما في الوسط ، واخذت هذه الحمامة تنظر تارة الى اليمين وتارة الى اليسار ، ثم سارت الى اليمين وطارت مع الحمامة الواقة هناك ، وبقيت حمامة واحدة ناحية اليسار ، فخطبها الغلام بلسة الحمام ، فبكت بكاء كثيرا ، وردت عليه ، وتكلمت معه ، لكن الغلام قال لها في حزن كلاما بلغتها لم يفهمه احد ، فطارت في اتجاه مخالف لناحية التي طارت اليها الحمامتان .

فأتدهش الملك واهل الجزيرة كلهم ، وسأل الملك الغلام ان يشرح له ما حدث بينه وبين الحمام ، ولماذا طارت الحمامتان وبكت الحمامة ، فأجاب الغلام ، « لقد حكمت ان يقف كل ذكر من الحمام في ناحية ، لان كلا منهما يحب الحمامة ، وقال لي انه يحبها اكثر من ابن عمه ، وسالت الحمامة الاثني ان تقف في الوسط ، وان تختار من تحبه وترغب فيه ، لان هذا هو المهم ، حب الاثني ، فلا يكفى حب الذكر ، فاختارت احدها واتجهت الى ناحيته ، وطارت معه ، فقلت للآخر ، ان الاثني اختارت ابن عمه ، فأجابني « اثنى سأظل احبها الى ان اموت » ، فقلت له ، هذا لا يهم ، انها تحب غيرك ، وعليك ان تذهب الى بلاد بعيدة عن بلادها ، وليس لك آلا ان ترحل ، فبكى وطار في اتجاه يخالف ، وقد نسوت عليه في الكلام حتى ينسى حبه ، نتجلس السلطان الغلام على العرش وقال له ، « ستصبح انت السلطان وأنا وزيرك » ، وعاش اهل الجزيرة فرحين بسلطانهم الجديد .»

أما التاجر الاب ، فقد خسرت تجارته ، وفقد ماله ، وساعت به الاحوال حتى أصبح فقيراً وهاجر من بلده مرة ومرات ، حتى رمت به المتاعير الى تلك الجزيرة ، فاشتغل هو وزوجته كخدم في قصر السلطان .

وفي يوم ماتت طبخة السلطان ، وعينت امه طبخة في القصر ، كل ذلك دون ان يعرف السلطان ان اباه وامه يخدمان عنده في القصر ، وفي ذلك اليوم قدموا الطعام للسلطان ، وكان اول طعام تطبخه امه ، وذاق الطعام وتفكر طعام امه ، وسأل ، « من طبخ الطعام ؟ » ، فأجابوه ، طبخة جديدة ، فطلب ان يجيئوا بها اليه ، فحضرها ،

وثبتت ارض بين يديه ، فعرفها لكنها لم تعرفه ، ولم يقل لها انها امه ،
وسالها ، « اين زوجك » ، فاجبت ، « يخدم هنا معى فى القصر يا
هولاء » ، فسالها ، « اليس عندك اولاد ؟ » ، فقالت ، « كان عندى
ولد فكى وجميل ، وكان يعرف لغة الطيور لكنه رحل مع ابيه ومات
ثناء السفر » .

فامر ان يحضروا زوجها ، وساله وطلب منه ان يقول الصدق
ويخبره بما حدث لابنه ، فبكى الاب ، وحكى حكاية الغراب ، وكيف
خاف ان يصبح خادما عند ابنه الذى سيمير سلطانا ، ولذلك
وضعه فى صندوق ورماه فى البحر ، فقال الابن السلطان ، « اننى يا
ابى ابنك وقد رماتى الموج الى شاطئ هذه الجزيرة » ، وحكى
له حكاية الحمامات وما حدث له وتولية العرش ، وقال هذا هو
التندر والمكتوب ، لا تقدر على منعه ابدا .

الحمقى الثلاثة

كان ثلاثة من الحمقى متزوجين من ثلاث نساء جهتاوات كذلك ، ودورهم تجاور بعضها، وقد اعتاد الرجال ان يجلسوا امام دار واحد منهم ، وهى تقع على ناصية الطريق .

وفى يوم كان الملك يزور أحد أصدقائه وهو فى مرض الموت ، فمر امام الحمقى الثلاثة وهم جالسون وقال لهم ، « السلام عليكم » ، فوقفوا ناديا وردوا السلام بأحسن منه ، وبعد أن مشى الملك قال أحدهم « أعرفتما من هذا ؟ » فأجاباه ، « انه ملك البلاد » ، فقال مفتخرا « لقد حياتنى وقال لى السلام عليكم » فقال له أحد صاحبيه « لا ، يا صديقى » ، ان الملك حياتنى انا واترائنى السلام » ، فصاح الثالث بمتعجبا « ، والله ان الملك لم يحبك أنت ولا هو بل تصدنى أنا بتحيته وسلامه » ، وتشاجروا ، وكل منهم يقول ان الملك خصه بسلامه وتحيته، وافترقوا غاضبين، ورجع كل منهم الى داره وحكى ما حدث لزوجته ، فأيدته فى رايه بأن الملك كان يعنيه بالتحية .

وفى الليل كانت الزوجات تصعدن الى سطوح السدور وتتجاذبن الاحاديث لتاتنسن ببعضهن ، اما فى هذه الليلة فقد اخذت كل زوجة تؤنب الاخرى على سلوك زوجها وتقول ، « ان الملك حيا زوجى انا ، واتراه السلام » ، فترد الثانية وتنفى هذا ، وتدعى ان الملك حيا زوجها هى ، فتصيح الثالثة وتتهم صاحبتها بالكذب ، لأن الملك لا يعرف إلا زوجها ، فندب الشجار بين الزوجات الثلاث ، وكانت معركة رهيبية ، فقد التحمن فى الشجار واستخدمن فيه الايدى والضرب وشد الشعر والعض وعلا الصراخ ، وجاء الأزواج واشتركوا فى المعركة وعاون كل



وتشاجروا، كل منهم يقول أن الملك خصه بسلام وتحيته

منهم زوجته ، وتجمع أناس وهم مندهشون لهذه المشاجرة الحامية
أننى حدثت فى هداة الليل بين الرجال والنساء كما أصيب بعضهم
بجروح ، واخذوهم الى الملك .

فمظلوا امام الملك وقبلوا الارض بين يديه ، فسأل الملك واحدا
منهم عن سبب المراك ، فقال ، « نحن يا مولانا من كنا جالبين امام
دارى ، وقد مررت بنا ، واننى لاود ان اسالك يا مولانا من الذى حبيته
واقتراته السلام ، ولن وجهت يا مولانا تحيتك السلام عليكم ؟ » فنادهش
الملك وعرف انه احبقت فابتسم ساخرا وقال له ، « ولماذا تسال هذا ،
انسؤال ؟ » ، فاجاب ، « لان هذا هو سبب المراك » فاندفع الاخر قائلا ،
« الم تعنى انا بتحيتك وسلايك يا مولاي ؟ » ، وهتف الثالث « هذا
هو مولانا الملك ، اسالوه ، لقد كان يوجه تحيته وسلامه الى انا ، لا
اليكما » .

فادرك الملك ، وعرف انهم جميعا حقى ، فقال لهم ، « لن اجيبكم
على سؤالكم قبل ان يحكى لى كل منكم احسن حكاية وتمعت له فى حياته » ،
فنتقم واحد منهم ليحكى حكايته ، فسأله الملك ، « قبل ان تحكى لى
حكايتك اريد ان اعرف مهنتك ؟ » ، فاجاب ، « اننى اعمل نساجا للصوص
يامولاي » ، فامرته الملك بالكلام ، وقال النساج ، « اننى يامولاي احب
انضيوف وزوجتى نكرهم ، فكل يوم احضر معى ضيفا او ضيفين
للغذاء او المشاء ، فمتشاجر مع زوجتى وتقول ، « اننا فى اشد الحاجة
انى ما نعطيه للضيوف لاننا لسنا اغنياء » ، وحدث مرة ، وكان يوم
جسعة وهو يوم مطلتي ، ان احضرت فى الصباح دجاجة لانهاتى ، وطلبت
منها ان تذبحها وتقليها لئاكلها فى الغذاء مع الكسكس واللنت ، فاشتطرت
على ان لا احضر ضيفا فى هذا اليوم حتى ناكل الدجاجة سويا ، انا وهى ،
فوانقت ، وتركها فى المنزل تطبخ الدجاجة ، واخذت الخبز وذهبت به
الى الفرن ، وانتظرت حتى نضج ورجعت الى دارى .

وجهزت زوجتى مائدة الطعام وجلسنا لتاكل ، لكنها نظرت ناحية
الباب وقالت ، « لقد نسيت الباب مفتوحا ، فقم واقفله » ، فقلت لها ،
« لا انتى التى نسيت البواب مفتوحا ، ذلك اننى عندهما جئت من
الفرن ومعى الخبز ، طرقت البواب ففتحت لى ، ونسيت ان تغليه ، فانت

التي نسيبت الباب مفتوحا ولست أنا ، فقومي واقطلي الباب » ، ناحتدت زوجتي وغضبت وقالت ، « والله لن اقرب الطعام إلا اذا قمت واقفلت انت أبواب » ، فتضايقت من عنادها واتسمت بالله ان لا اقرب الطعام الا اذا قامت واقفلت الباب ، ولم يعد هناك حل ، فقد اتسم كل منا على ان لا يأكل الا اذا قام الآخر واقفل الباب ، ناتفقتا ان لا نتكلم ومن نطق بكلمة واحدة عليه ان يقوم ويقفل الباب .

ومضت ساعة ولم يتكلم احدها ، ومضت ساعة اخرى ، وثلاثة ، وجاء العصر ومر الوقت ولم يتكلم واحد منا ، وغربت الشمس وبدأت امدار تنظم ، وقامت زوجتي واشعلت القنديل ، وجاءت الى جانبي امام المائدة ، كل ذلك ونحن لم نقرب الطعام ولم نتكلم .

- ومر المتسول بالباب فراه مفتوحا والضوء ظاهرا داخل الدار ، بطرق الباب فلم يرد عليه احد منا ، وكنا نراه امامنا ويرانا ، واندعش المتسول لسكوتنا لانني خفت ان اتول له يعطيك الله - كلمة تقال للمتسولين لصرمهم حين لا ينوي المسؤول ان يعطى المتسول صدقة - ناضطر ان اتوم واقفل الباب ، وكذلك خافت زوجتي ان تتكلم وتقول له الله يعطيك فتقوم وتقتل الباب ، ونظر المتسول فوجد المائدة عليها بالكسكس واللنت والدجاجة المقلية ، فآخذ يشير بيده ويردد ما اعتاد المتسولون ان يقولوه من كلمات ، لكننا لم ننهره ، فنتقدم خطوة اخرى وهو يردد بانه جوعان ، ويطلب ولو كسرة من الخبز ، فلم نرد عليه بالطبع ، نخطا خطوة واحدة الى داخل الدار لكننا لم ننهره ، فنتقدم خطوة اخرى وهو يردد بانه جوعان ، ويطلب ولو كسرة من الخبز ، فلم نرد عليه بالطبع ، فنتقدم خطوة ، ونخطو ، ولخذ يلح في السؤال ولم يجبه احدها ، فنتقدم خطوة حتى اصبح امامنا ، ونحن صابتان لا نقدر ان ننهره ، وكان منظر الطعام مغريا ، الخبز والمشهيات والكسكس باللنت والدجاجة المقلية .

فآخذ المتسول يشير الى الطعام ويطلب شيئا منه وليس كسرة خبز في هذه المرة فقد شجعه سكوتنا وعدم نهرنا له ، وجلس المتسول امام المائدة وسألنا هل نسبح له بتناول قليل من الطعام لانه جوعان ولم يأكل منذ ثلاثة ايام ، مبالغا في القول كمعادة المتسولين ، فلم نرد عليه وظللنا صابتين ، فمد يده في حذر وتناول رغيفا وقطع منه قطعة ،

نلم نكله ، ناكل لقمة من الخبز ثم لقمة اخرى ولم ينطق احدنا بكلمة .
 فنشجع واخذ شيئا من الكسكس ونظر الينا خائفا متوقعا ان ننهره ،
 لكننا ظنلنا صامتين، نمد يدا مرتعشة الى جناح الدجاجة وقطمه ، فلم
 نتكلم معه ، فاكل الجناح ، ثم مد يده واخذ رقبة ورأس الدجاجة
 واكلهما ، وكانت اندجاجة ولا شك لذيدة الطعم ، فاخذ المتسول قطعة
 من صدرها واكله ، ولها وجدنا لا نكله ولا ننهره ، اكل الدجاجة كلها
 واكل الكسكس واللفت ، وشكرنا فلم نرد عليه ، فقام وانصرف .

وجاء كلب من الشارع ودخل الدار ، وتقدم الى ما تبقى نوى
 اللأدة وما تركه المتسول من عظام وفتات ، واخذ الكلب ياكل عظام
 الدجاجة وينمق وعاء الكسكس ونحن لا نتكلم ، وقلب الكلب اللأدة فلم
 اقدر على انبسكوت وتناولت عصا لاضربه ، فجرى الكلب ، فعمت وجريت
 وراه ، فخرج الكلب من الباب ، وأصبحت بجانب الباب ، فمالت
 زوجتى ، « اقل الباب نانت بجانبه » ، ففرحت فرحا شديدا لانها تكلمت
 ونعجبت من حبتها وقلت لها ، « وكيف اقل الباب يا حبة » ، انك انت
 انتى تكلمت ، فعليك ان تقوى وتقللى الباب » .

فضحك الملك وقال « حقا هذا دليل الحق » ، ثم اعطى الملك
 الاذن للاحقق الثانى ليتكلم ويحكى حكايته ، فتكلم وقال ، « اننى يامولاي
 اعهل جزارا وزوجتى طماعة شرهة ، تاكل كثيرا ، فالطعام الذى اعطيه
 لها تاكل نصفه قبل ان تقدمه لى ، وانله لو اعطيتها فولتين لاكلت
 واحدة منهما ، وذات يوم دعيت لحد اصدقائى لتناول الغذاء معى ،
 وطلبت من جارى وهو جزار مئلى ، زوجين من « الكوارع » (I) فاعطاهما
 لى ، فاحضرت زوجى « الكوارع » لزوجتى وقلت لها ، « اننى ارجو
 منك ان لاتاكل شيئا من « الكوارع » هذه المرة ، وزوجان من « الكوارع »
 ليسا بالشيء الكثير ولن نتجم من الطعام الى الضيف غيرهما ، ايك ان
 تسمى « الكوارع » قبل ان تقدميهما لنا » ، فغضبت زوجتى وصلحت ونكت
 وقالت ، « انت دائما تتهمنى بما ليس فى ، اننى امرأة قنوعة وانت لا
 تحضر من الطعام ما يكتينا وتتهمنى بسرقتيه » فطبيت خاطرهما وقلت لها ،
 « سامحينى ، لكننى اريد ان تقدمى لى ولصديقى زوجى « الكوارع » » .

(I) - كوارع جمع كراع ، والكراع باللبجة الملبية ، نهاية رجل الخروف او البقرة .

وفي ميعاد الغداء جاء صديقي فرحبت به ودعوته للطعام ، وكنت
 كنت دهشتي عظيمة حين وجدت زوجتي تقدم لنا ثلاثة « كوارع »
 وليس زوجين ، نصبرت على بلوأي حتى انتهت الوليمة ، وانصرف
 الضيف ، نذبت لزوجتي وقلت لها ، « أيها المرأة الجشعة الطماعة ،
 لقد أحضرت لك زوجين من « الكوارع » وأوصيتك أن لا تسميها ، ومع
 ذلك أكلت « كارعا » وندمت لى وللضيف ثلاثة « كوارع » فشبهت
 زوجتي وولولت وصرخت وأقسمت بأننى لم أحضر الا ثلاثة «كوارع»،
 فتضايقت من كذبها وغضبت ، وأردت أن أؤذيها ، فادعيت أنفى مت
 وندمت على الارض ، ولم أتحرك ، نصرخت زوجتي وتقدمت منى ،
 فلم اتنفس وأسبلت جفونى كالميت تماما ، فآخذت زوجتى تصيح وتصرخ
 وتولول ، نجاه الجيران يستفسرون ما الخبر فاجلبتهم أمرانى اننى قد
 مت، فحملونى ووضعونى فوق الحائضية وغطونى كالموتى .

وفي الصباح جاء أهلى واحضروا العمال، فغسلوا جثتى ولفونى
 فى الكفن ، فسأل الملك مندهشا ، « كل هذا وأنت صابرة لا تتحرك » ،
 فأجاب ، « نعم يامولاي حتى أؤدب المرأة » ، واستأنف الجزار حديده
 وقال ، « ووضعونى فى النعش وخرجت الجنائزة يشيعها الأهل والأصدقاء
 معهم أمرانى تصرخ وتولول حزينة على نقدى ، ومرت الجنائزة أمام
 مكان جارى الجزار الذى أخذت منه « الكوارع » ، فسأل « جنازة من
 هذه » ، فأجابه ، فلان الجزار ، وذكروا اسمى ، ودهش الرجل وذهل
 وقال ، « لأحول ولأموتة إلا بالله لقد أعطيته أنس زوجين من « الكوارع»
 ليطيخها لضيف دعاه » ، فقتت من النعش وندمت غطاءه فجرى الناس
 مذعورين وقلت لجارى ، « قل لزوجتى ، فانها تدعى اننى أعطيتها ثلاثة
 « كوارع » ، ورجعت الى دارى وأنا فرحان، وضحكك وقلت لزوجتى ،
 « اتسمى على بالتوبة وعدم أكل الطعام قبل أن أخوته معك ، وأن تكفى
 من الشراهة وتصبحى تنوعة » ، فقالت لى ، « تبت ، ولن أسرق الطعام
 بعد اليوم » .

ضحك الملك وتلألأ « هذا دليل الحق » ، وأعطى الملك الأذن
 للحاق الثالث ، فقال ، « اننى يامولاي أعمل بناء وقد قدمت لى حادثة»
 مع نسيبتي ، « حياتى » نبرة كنت أبنى داراً لتاجر من التجار ، وكان
 التاجر بخيلاً ، لكنه كان يدلع فى النهاية ما عليه من وأجبات ، وكان

يعطينى المال ناشترى المواد اللازمة واعطى العمال اجورهم ، وفي يوم كان هناك ما يزيد على عشرين عاملا يشتغلون في البناء ، وانتهى اليوم وجلست مع العمال انتظر حضور التاجر ليعطينى النقود ، ناعطى للعمال اجرهم ، لكنه تأخر، وافن المؤذن لصلاة العشاء ، فقمنا وصلينا وانتظرنا بعدها ساعة ، لكن التاجر لم يجرى ، ولم تكن معنا جيبنا اية نقود ، والعمال لا يعرفون التاجر ولا يتعاملون معه فانا المسؤول امامهم ، واخذ العمال يبكون تضرهم وضيقهم ويشرحون كيف ان اسرهم واولادهم ينتظرونهم وينتظرون ما يحضرونه من طعام ، وان الوقت قد تأخر، وانا الاخر يا مولاي كنت حالتى مظهرهم .

واخيراً بعد صلاة العشاء بساعتين ، جاء التاجر واعتذر بحادثة وقتت لابنه ، واعطاني النقود ، ناعطيت العمال اجورهم وبقى معى شيء من المال ، وسرت الى دارى ، وفي الطريق لم لجد حاتونا مفتوحا فقد اقلل التجار كلهم ، ولم استطع ان اشترى شيئا من الطعام لاهلى ، وحين وصلت الى دارى اخذت زوجتى تؤنبنى ، وشكت من امهالى ، لان اولادى السبعة جائعون ولم يستطيعوا النوم ، وينتظرون العشاء ، نحكيت لها ما حدث وقتت لها ، « هاهي النقود ، نخذى ما تشائين واحضرى الطعام » ، فغضبت ، لان الوقت متأخر ولم يكن هناك حاتوت مفتوح ، وتجنح الاولاد حولنا يطلبون الطعام ، فقلت لزوجتى ، « ماذا لو ذهبت وسألت الجيران ان يبيعوك شيئا من الطعام » ، فاخذت بعض النقود وقالت انها ستذهب لجارة عندها حجاج ، وتحاول ان تشتري منها بيضا .

وخرجت زوجتى وغابت قليلا ثم عادت وقالت ، « لم اجد مندها الا نسع بيضات ورفيئا من الخبز » ، فسلقت زوجتى البيض واعطت كلا من اولادها بيضة وكسرة خبز واخذت هى بيضة واعطتنى بيضة وكسرة خبز ، واتهم كل من الاولاد بيضته بسرعة ، وكذلك زوجتى ، اما لما فقد اخذت اضحك ، لاننى بعد يوم ملئء بالممل الشاق تعبت فيه خفيرا ، وقد انتظرت التاجر ساعات طويلة ، وبحث كثيرا في السوق عن اى حاتوت لاشترى منه باعابا ، ثم في منتصف الليل لا اجد الا بيضة مسلوقة وقطعة صغيرة من الخبز لا تكفى طفلا ، فوضعت البيضة امامى انتظر اليها وانكر في ما حدث لى في هذا اليوم ، واذا بالباب يطرق ؛

فسألنا ، « من بالباب ؟ » ، فرد صوت نسائي عرفنا أنه صوت نسييتي أم زوجتي ، وهي تمش في بلدة أخرى ، وأسرت بتقشير البيضة ، وما إن وضعتها في نمبي حتى دخلت نسييتي فلم يعد هناك متسع من الوقت لهضخها وبلعها ، فأبقيت البيضة صحيحة في نمبي ناحية شدتي الأيمن ، وسلمت على نسييتي ، وتعجبت وسألتني عن سر هذا الورم في خدي ، نقلت لها أنه ورم أصابني ولا أدري كيف أعالجه ، فردت ، أنها تعرف العلاج الوحيد وهو الكي بالنار ، وأحضرت قضيبا من الحديد واشعلت النار ووضعت فيها القضيب حتى صار لونه احمر ، واقتربت مني بسكة بالقضيب الساخن لتكوي خدي ولم أقدر أن أقول لها إن في نمبي بيضة فتعرف أنني كذبت عليها حتى لا أقدم لها البيضة لتأكلها ، نصبرت ورضيت أن اتحمل الآلام واقتربت المرأة وكوت خدي المتورم كذبا بالنار ، وكان الألم لا يطاق ، فشهقت وصرخت « آه » فوتمت البيضة بمن نمبي مخلفتها نسييتي وأكاتتها في الحال .

فضحك الملك كثيرا وقال « هذا دليل لحبق » ، لكن الحمقى الثلاثة عادوا يسألون الملك عن الذي تصده بتحيته وسلامه ، نلك لانهم حكوا له ما طلب ، فاجاب الملك ، « ان التحية والسلام لله ، ولم أتصد اي واحد منكم » . وانصرونا ، وحين عادوا الى دورهم اخذوا يتجادلون مرة أخرى ويدعي كل منهم انه كان المقصود ، وان الملك وجه التحية والسلام اليه .

يا أبا خذ معلمتي

كان الرجل يعيش سعيدا مع زوجته وابنته الوحيدة ، وذات يوم احضر لابنته جارية لتهم بها وتعلمها التطريز والخياطة ، لان زوجته لم تكن تتقن هذه الاعمال .

ومضت الأيام ولم تتعلم البنت شيئا يذكر ، ويرجع ذلك لعدم مهارة الجارية ، فرى الاب ان يبعث بابنته الى سعلبة ماهرة في الخياطة والتطريز لتقن ابنته الصنعة ، واظهرت البنت نبوغا ، فلم تكد تمضي عدة شهور ، حتى كانت قد اتقنت الكثير من فنون التطريز ، وتعلمت كيف تصنع القفاطين والملابس النسائية ، البدعيات (1) والدفينات (2) وكانت المعلمة امرأة مطلقة لديها ابنه تماثل الفناء في العمر وتساعد في العمل، وقد اقتضت الظروف ان تكث انفتاة في دار معلمتها أوقاتا كثيرة ، وبالطبع تتكلم النساء ، وخاصة اذا كان العمل الذي تتمن به الخياطة والتطريز ، ومن ثم عرفت المعلمة كل شيء عن حياة الفناء واسرتها ، وعن الاب وحياته الرفهة ، وعرفت كذلك ان زوجة الرجل لا تتقن شيئا من أعمال الخياطة والتطريز ، وكانت المعلمة مغرورة ، وتظن أن اتقنتها للتطريز ومعرفتها للخياطة أشياء هامة لدرجة كبيرة ، لذلك حسدت أم تلميذتها وتهنت لو كانت مكاتها ، لذلك دبرت خطة .

احضرت المعلمة انعى ووضعتها في منديل وربطت المنديل رباطا محكبا وقالت للفناء : « اذهبى الى داركم ، ولياك ان تفكى هذه الربطة ، وحين تصلين داركم ، ادخلى غرفة الخزين وافتحى قدر

(1) - البدمية لبس مغربى يشبه القطن ، لكنه بدون اكمام .
(2) - لباس يلبس فوق القطن وهو مفتوح من الامام والجانبين ويضع من نسج رقيق .



فحين همت الأم باحضار العسل صرخت صرخة مفزعة

انعسل وفكى الربطة من هنا واتركيها على نوهة القدر « ، وبينت للفتاة كيف تفك الربطة وكيف تضعها فوق نوهة القدر ، واستطردت « ثم اطلبى من ابيك ان يحضر لك عسلا فان قال لك ، دعى الجارية تحضره لك ، تولى له ، لا ، ان يدها سوداء ، وان قام ليحضر لك العسل ، تولى له ، لا يا ابنى ان يدك بها شمعر ، وتوسلى اليه ان يطلب من امك ان تحضر لك العسل بنفسها « ، فوعدها الفتاة ان تعمل كما بينت لها .

وذهببت الفتاة الى دارها ونفذت ما قيل لها ، وحدثت تهما كل ما توقعته المعلمة ، نحين همت الام باحضار العسل صرخت صرخة بمنزعة ، فجرى الاب والجارية والفتاة ، ليعرفوا ما حدث ، فوجدوا الام ميتة ، فقد لذغتها الانعى ونفتت فيها سمها .

ورثت البنت الانعى ، لكنها لم تقدر ان تعترف لابيها خوفا منه ، لسيقول لها انت السبب في موت امك ، فسكتت .

ومرت ايام الاحزان ، وزادت عناية الاب بابنته ، واصر على ان تتعلم مزيدا من فنون التطريز واعمال الخياطة ، ورفضت البنت في اول الامر ، لكن اصرار الاب ورغبته الشديدة جعلها البنت ترضخ لمشيئته ، فقد كانت لا تتجاوز العاشرة من عمرها .

وبدأت المعلمة تحيط البنت بالوان العطف والرعاية ، وتعلمها اسرار الصنعة ومعجزاتها ، وتعلمت في تلقينها اصول التطريز ، لانها عرفت اهتمام الاب وتبعه المستمير لتقدم ابنته ، ثم بدأت تزورها نسي الدار وتقابل الاب وتظهر الخنان والمحبة للبنت الصغيرة امله ، حتى اصبحت زيارة المعلمة للدار من الاشياء المألوفة ، ثم اخذت المعلمة تؤثر على البنت وتطلب منها ان تسال اباها وترجوه ان يتزوجها ، كانت تقول لها ، « توسلى اليه وقولى له ، يا ابنى تزوج معلمتى » ، واول مرة قالت البنت لابيها ذلك ، اجاب الاب ، « لكن يا ابنتى ، لم يرض عام على موت امك » ، وعرفت المعلمة ان هناك املا ، فداومت على الاهتمام بالبنت والعطف عليها ، وموالة زيارتها ، وكانت تكلمها وتطلب منها ان تعاود سؤال ابيها وترجوه وتتوسل اليه دائما كي يتزوجها .

فكان لا يمضى اسبوع الا وتقول البنت لابيها ، « يا اباخذ معلمتى » ، وحين سمع الاب مرة ابنته تردد هذا الكلام ، ضحك وقال

لها ، « سأ تزوجها لو أنك اتقنت طهو الطعام » ، فأسرعت المعلمة الى لدار ، وأخذت تعلم الفتاة الطهو ، ولم تحض أسابيع حتى كانت الفتاة بالرغم من صغر سنها تتقن طهو الطعام .

وفى يوم طلبت البنت من أبيها كمادتها أن يتزوج معلمتها ، فقال له « اتزوجها لو أنك عرفت كيف تفضلين الملابس ، وسبعت المعلمة بالذو حدث ، معلمتها كيف تغسل الملابس .

ومرة سألت البنت أباها ، فأجلبها ، « اتزوجها لو أنك كبرت واستطعت أن تفتلى الابواب ، فكانت المعلمة تجيء كل يوم وتتفلس الابواب ، وتطلب من البنت أن تخبر أباها انها هي - اى البنت - التى انقلت الابواب .

وبعد ثلاث سنوات وانق الاب وتزوج المعلمة ، ورزق منها بطفلة كذلك ، وبنت المعلمة منذ دخلت أدار فى صورة مخالفة ، فلم تعد تهتم او تعطف على البنت ، ووجهت عطفها واهتمامها الى ابنتها ، ومع الايام أخذت تسيء معاملة البنت وتنهرها وتسيبها وتضربها و لا تعطيها الطعام ، و تشكوها دائما الى أبيها ، حتى أن ابنتها الصغيرة أن قالت أو تبرزت على نفسها تدعى أن البنت هي التى فعلت هذا وتضربها .

وأخيرا بعد ثلاث سنوات ، وكانت البنت قد أصبحت شابة جميلة غضبت المرأة فى يوم غضبا شديدا ، وصرخت ولولت ، وطلبت من الاب أن يخلصها من ابنته ، فهى لا تستطيع الحياة معها أبدا ، ولم تجد اعتراضات الاب أو توسلاته ، فقد بيئت زوجته وأوضحت أنها لا تعود رؤية الفتاة أبدا ، وقالت له ، « أنك لفتنى ، اجر لها دارا ودعها تقيم فيها» ، فقال الرجل ، « الأمر لله» ، واستأجر دارا لابنته واشترى لها سريرا وحضر لها زيتا ونحما وسكا ومكنسة وسطلا ، وأخذها الى البيت وودعها وتركها هناك ، ووعدها أن يزورها ، فنظفت البنت الدار ووتبتها واتحملت اللحم وجلست تولى السك ، وكان الوقت ليلا ، نجاد اليها طفل صغير وناداهما بصوت جميل ، « ماما حويئة أعطينى حويئة (1) ، ماما حويئة أعطينى حويئة » ، فأعطته سكة وقطعة من

(1) - لى السكة الصغيرة ، أعطى سكة صغيرة .

الخبز فاكلها، وطلب سمكة اخرى ، فاكلها ، وثالثة فاعطته ، واكل حتى شبع ، ثم قال لها في طفولة ، « ما حويته ، اريد ان انام » ، فحملته على ظهرها الى الغرفة العليا وانامته معها في سريرها ، وعندما انقثت في الصباح لم تجد الطفل الصغير ، ووجدت اثلاثا كثيرا في الدار، متناثر وبسطة وثراسا وأرائك ، لا تدري من اين جاءت ، ووجدت ذهبيا متناثرا في اتحاء الدار ، فاختت تجعبه غير مصدقة ما ترى .

وفي اليوم الثاني جاء اليها في الليل ثلاثة اولاد سود ، وطلبوا منها ان تضيفهم لانهم غرياء ويودون النوم لانهم يحسون بالتعب ، وتمالكوا على الارض امامها ، وقتلوا لها ، « نرجوك ان تحليننا الى المكان اأذى ستنامين فيه » ، فحملتهم على ظهرها واحدا بعد الاخر وتركت لهم الفراش ينامون فيه ، ونامت هى على الارض ، وفى الصباح لم تجدهم ، ووجدت اشهى واحسن انواع الطعام في الدار، وكانت الدار تنظف وترتب وأطعمم يوجد بدون سبب ، وهى لا تكساد تصدق ما ترى .

وفي اليوم الثالث ، جاءت اليها ثلاث بنات صغيرات ، وطلبن منها ان يغتسلن ، فاعتذرت لهن لانه لا يوجد في الدار حمام ، فضحكت البنات الصغيرات ، وفتحن بابا في الجدار فوجدت الفتاة امامها حملا مجهزة ، فدخلت البنات واغتسلن جميعا ، وفي الصباح قالت لها البنات الصغيرات « سنبقى معك نعرف الموسيقى ونغنى ونرتقص لك ، ونسليك وتؤنس وحدتك » ، وجاء الاب في الليل فذهل لها راي، فالدار مليئة بالاثاث الفخم ، والذهب متناثر في كل مكان والطعمام الشهى كثير وموجود والبنات الثلاث الصغيرات يضحكن ويفغنين ويرقصن ، ولم تحك البنت لابيها عن مجيء الطفل الصغير ، او الاولاد السود ، والبنات الثلاث ؛ لانهم كانوا قد طلبوا منها ان لا تفكلم وتبقى ما حدث سرا ، فقالت لابيها ، « انى لا ادري شيئا يا ابي ، كل ما اعرفه ان الدار اصبحت مليئة بالاثاث ، وتختلف وترتب ، والطعام والذهب يتناثر في كل مكان ، ولا اعلم السبب » .

وعندما عاد الرجل الى زوجته وحكى لها عما رآه ، ذهات المرأة وانتابتها الغيرة وكادت ان تجن ، وآتهمت الرجل بأنه هو الذى اعطى لابنته الذهب واحضر لها الطعام والبنات لتسليها وتؤنس وحبتها ،

فتنى الرجل وأتكر ، وأكد لها أنه ليس له دخل فيها حدث ، فطلبت منه في الحال أن يؤجر دارا لابنتها ويحضر لها نفس الأشياء التي أحضرها لابنته .

نفذ الرجل طلب زوجته ، وذهبت ابنتها لتعيش في الدار التي استأجرها لها ، تماما كما فعلت . آلبنت الأخرى من قبل ، وجلست تولى السمك في الليل ، فأقبل عليها الطفل الصغير وتل لها ، « ماما حويطة ، اعطيني حويطة ، ماما حويطة اعطيني حويطة » ، نضرت البنت الطفل الصغير على يده بالمقلاة فأحرقتها ، ونجاة امتلات الدار بأهله وأخذوا يعذبونها ويضربونها .

وفي اليوم الثاني جاء إليها الأولاد الثلاثة السود ، وقالوا لها أنهم يشعرون بالتعب والانهك ، ورجوها أن تحملهم إلى الفرائش لينهلوا ، ونهالوا ووقعوا على الأرض أمامها ، فأخذت تركلهم وتدرجهم وتطردهم من الدار ، فامتلات الدار بأهلهم السود ، وانهالوا عليها بالضرب ، حتى كادت أن تموت .

وفي اليوم الثالث جاءت إليها الثلاث بنات الصغيرات وطلبن منها أن يغتسلن ، فصاحت بهن ، « ليس لدى حمام » ، وطردتهن ، فضحكت البنات ، وفتحن بابا في الجدار ، واندحشت الفتاة إذ رأت أمامها حماما ، ممثلتا بأهل البنت ، نامسكوا بها وانهالوا عليها ضربا ، وعذبوها حتى ماتت .

وجاءت أمها وأبوها أيزوراها بعد ثلاثة أيام ، فطرتا الباب ، فلم يرد أحد ، فاضطر الأب أن يكسر الباب ، ودخلا ، فوجدت الأم ابنتها ميتة ، فارتاعت وصرخت وانتابها الجنون ، فهامى ابنتها التي توعدت أن تراها ترفل في النعيم ، وحولها الذهب والطليب الطعام والجواري الصغيرات ، ها هي ابنتها أمامها ميتة ، فتمهت الرجل بأنه لم يحضر من الأشياء لابنتها كما أحضر لابنته ، وأنه تسبب في موتها ، وطلبت منه أن يذهب معها في الحال إلى دار ابنته ، لأنها لا تصدقه . فخرجها إلى الدار .

أما البنت فقد أخبرها الطفل الصغير بما حدث له مع البنت الأخرى وأخبرها كذلك الأولاد السود والبنات الثلاث بكل الذي جرى .

وطرقت الام المتاعمة الباب ، ماسرمت البنت وفتحته ، فصاحت المرأة بها ، « أنت تعيشين وابنتى قد ماتت ، تولى لى ، لماذا ماتت ابنتى » ، فاجابت ، « ان ابنتك جاء اليها فى اليوم الاول طفل صغير ، كما جاء الى وطلب منها سمكة ، فلم تعطيه واحرقت يده بالمقلاة ، ابا انا فقد اعطيته وعطفت عليه ، وفى اليوم الثانى جاء اليها اولاد سود متمبون ، نظرتهم وركلتهم ، ابا انا فقد حملتهم فوق ظهري واعطيتهم فرائسى، وفى اليوم الثالث جاءت اليها ثلاث بنات وطلبن الاغتسال فلبس تقبل رجاءهن ، ابا انا فاجبت طلبهن ، فابعد لى حياها فى السدار . وقد ضرب اهل الطفل المحروق ابنتك ، وعذبها اهل الاولاد السود ، ابا اهل البنات فقد قتلوها . »

نصرخت المرأة ، « ولماذا لم تقولى هذا من قبل لايبك ؟ » ، فاجابت البنت ، « وهل قلت انت لى انه كانت فى المنديل اشمسى يا معلمتى حين طلبت منى ان اضعها فى العسل ؟ » .

أين القطة؟

اشترى جحا مرة ثلاثة أرطال من اللحم ولم يكن قد احضر لزوجته
لحماً منذ مدة طويلة ، فانتهزت المرأة فرصة غياب جحا وأكلت اللحم
ك ، وخافت أن يؤنبها حين يرجع ولا يجد اللحم .

وفكرت في حيلة ، فاحضرت القطة ، وحين طرق جحا الباب أخذت
تضربها ، فدخل جحا الدار ، وسأل زوجته عن سبب ضربها للقطة ،
فادعت المرأة أن القطة أكلت اللحم كله .

فأسرع جحا وأمسك بالقطة ووضعها في الميزان ، فنادا بوزنها
بيلغ ثلاثة أرطال ، فصرخ جحا « يا أمراة ، هذه هي اللحمة فإين القطة ؟ »



فاسرع جحا وامسك بالقطعة ووضعا في الميزان فاذا بوزنها يبلغ ثلاثة
أرطال، فصرخ جحا « يا امرأة هذه هي اللحمة فاين القطعة »

حكاية مولاى أحمد القنديل

كان للرجل سبع بنات ، تركهن فى الدار وذهب ليحج ، وكاتت البنات ماهرات كلهن يملن ، واحدة تخطى ، والاخرى تنزل الصوف ، وثالثة تطرز ، وكان لكل بنت غرفة فى الدار تعمل فيها وتكسب رزقها ، ولكى يتغلبن على الوحدة والمال ، ويسلبن انفسهن ، اتفنن على أن تجهز العشاء كل ليلة واحدة منهن ، تشتريه وتضع ثمنه وتطبخه ، وتتضى اخواتها معها الليلة ، ساهرات يفنين ويمرحن ويرتصن ، حتى تمر ليام غياب أبيهن ويعود من الحج سالما .

ومضت الايام ، وكاتت كل بنت تتكفل بالعشاء يوما ويسهرن معها ، حتى جاء دور البنت الصغيرة ، وكان عليها أن تجهز العشاء ، لكنها كاتت قد صنعت مندبلا مطرزا وذهبت الى السوق ولم تبعه ، فلم تستطع أن تشتري طعاما وياتت ومها أخواتها البت بدون عشاء ، وغضبت البنات ، لمقد ضايقهن أن اختهن الصغيرة لم تف بوعدا ، وبنن جائعات ، ودون أن تتضى السهرة فى اللهو والغناء ، وبخلت البنت الصغيرة غرفتها مهمومة حزينة ، فقد كانت الوحيدة بين اخواتها التى عجزت عن تقديم العشاء والسبب سوء حظها .

واخذت الاخوت الصغيرة تطرز مندبلا آخر ، علها تباع المندبيلين فى الصباح وتموض سوء حظها ، فتدعو أخواتها للعشاء من جديسد ، وبدأت تطرز فى نشاط وتتقن عملها غاية الاتقان ، لكن نجاة بدأ نور انتدبيل الذى يضىء الغرفة فى الخفوت ، فقد انقضت زيت القنديل ، وانطفأ ، وملا الغرفة الظلام نجاة ، فتألمت البنت وبكت وهى تردد ، حتى القنديل قد فرغ من الزيت ولا يمكنه العمل ، ، وبلغ ضيقها



نورته ، فقد سارت الامور من سوء الى اسوأ ، انتهت البنت في غمرة
لحزانها ، « ناشدتك الله يا قنديل امطىء بالزيت ، وليضئ نورك
الغرفة ، فان نعلت تزوجتك » .

ولم تمض لحظات حتى اضاء نور القنديل غرفتها مرة اخرى ،
ونظرت فابصرت القنديل مملوءا بالزيت ، فابتسمت واسرعت الى
منسجها تطرز المنديل ، لكن فجأة ويا لغرابية ما حدث !
انفثت كوة في انجدار وخرج منها رجل صبوح الوجه ،
مشرق النظرات له شعر طويل يسحله في ضفيرة خلف راسه ، بلبس
ملابس خضراء ، ويشع وجوده مهلبة وجلالا ، وقال لها بصوت عميق
مؤثر ، « لقد بلات لك القنديل بالزيت ، واطفاء نوره غرفتك كما
تبينت ، وقد جئت اطالبك بتنفيذ وعدك ، فتزوجيني » ، تردت في
دهشة ، « انفذ وعدى ! » ، فقال لها ، « انت لا تعرفين مقامى وقدرى » ،
فسألته ، « ومن انت ؟ » ، فاجابها ، « انا مولاي احمد القنديل » ،
نهفت ، « ومن اين جئت ؟ » فاجابها ، « لا تسألى اكثر من ذلك
اريد ان اعرف هل ستفخذين وعدك ام لا ؟ » فاطرقت واومات براسها
موافقة .

فاحضر العدول وتزوج بها علي سنة الله ورسوله ، وبين لها
انه سيهضى الليل دائما معها ، اما في النهار فعليه ان يفرقتها ،
وسيحضر لها من الطعام ما لذ وطاب ، وكل ما عليها حين يجيء
الليل ان تقفل باب غرفتها وتسجل السنائر وتشعل القنديل ، وما
ان يضيء نور القنديل الغرفة ، حتى يحضر اليها ، فهذه هى الإشارة ،
ان اشعلت القنديل جاء اليها ، ونام معها هذه الليلة ودخل بها .

وفي الصباح لم تجده بجانبها ولقيت تحت الوسادة عملتين من
الذهب . ومضت الايام ، يجيء اليها مولاي احمد القنديل في الليل ،
ويفرقتها في الصباح ، وكانت تجد دائما تحت الوسادة عملتين من
الذهب ، وطلب منها ان لا تخبر احدا من اخوتها بالامر ، فوعده
بالكتمان .

وكانت تشتري بعض الاشياء وتتفق من سعة ، مما جعل
اخواتها تتساطن ، « من اين تاتى اختا الصغيرة بهذه النقود
الكبيرة ؟ » ، وذات يوم سألها اختها الكبيرة في غلظة ، « هل

تخرجين في الليل وتعاشرين الرجال ، من اين لك هذه النقود ؟ » ، وكان الاتهام نظيما ، فنسيت وعدها لمولاي اجسد القنديل وحكت لاختها ، « لتذكرين يا اختاه تلك الليلة التي لم نتناول فيها طعام العشاء ، لقد دخلت غرفتي وأنا حزينة ، وبدأت اطرز ، فاستأنف القنديل لفرغه من الزيت ، نازدحت حزنا وتوقفت عن العمل ، نقلت ، « ناشدتك الله يا قنديل ، املئء بالزيت ولبضء نورك الغرفة وانسا اتزوجك » ، فمتحقق ما تمنيت ، وخرج من كوة الجدار رجل مهيب جليل ، جميل الصورة له ضفيرة يعقد بها شعره الطويل خلف راسه، عريض الكتفين مستقيم العود ، يلبس ملابس خضراء ، وقال ان اسمه مولاي احمد القنديل ، وطلب مني تنفيذ وعدي وان اتزوجه ، وقد احضر العدول وتزوجته على سنة الله ورسوله ، واوضحت بانها يحضر لها ما لذ وطاب من الاطعمة ، ويترك كل يوم علفتين ذهبيتين تحت الوسادة ، ويبيت معها ويفارقها في النهار .

وقصت الاخت الكبرى الحكاية على اخواتها محرفة ، فقد غارت منها ، فقالت لهن ، « ان الاخت الصغرى تماشر رجلا ياتى اليها في الليل عن طريق كوة في الجدار ، ويترك لها كل يوم علفتين ذهبيتين تحت الوسادة » .

ولما كانت الاخت الصغرى قد اشترت ملابس جميلة ، والكثير من الحلى ، وادوات الزينة ، فقد امتلات قلوب الاخوات غيرة وحسدا وحقدا عليها ، لقد اصبحت احسن منهن ، واغني منهن ، ولديها انخر الملابس ولها رجل يعطيها الذهب ، فكانت الاخوات او بعضهن ، يسرعن في الصباح ويسرقن الذهب من تحت الوسادة ، ودفعن الحقد والمرارة ان يفكرن في قتلها ، لكن باية وسيلة ؟ .

ودبرت الاخت الكبرى خطة ، وهي ان يصحبها معهن الى الحمام ، وفي الحمام يمكنهن ان يهجمن عليها ، ويفرقنها ، ويدعين انها ماتت قضاء وقدرًا وهي تغتسل .

واتفقن معها على الذهاب الى الحمام ، وفي هذه الليلة انفلت الاخت الصغرى باب غرفتها واسدلت الستائر ثم اضاءت القنديل ، وجاء مولاي احمد ، واخبرته بعزمها على الذهاب الى الحمام مع اخواتها في القد ، فطلب منها ان لا تذهب معهن ، لكنها

اسرت ، فسألها ، « هل تثقين في اختك الكبرى ؟ » ، فأجابته بانها تثق في الاختك الكبرى وفي اخواتها كلهن ، فأنصرف في الصباح وترك لها المملتين الذهبيتين تحت الوسادة كعادته .

وذهبت الي الحمام مع اخواتها ، ودخلن الي قاعة الاغتسال ، ومهمن بتنفيذ الجريمة ، لكن الاختك الكبرى تراجمت وخافت من هول ما سيفعلن ، وقالت ، « اننى اخاف ان يلعننا ابونا ويفسب علينا » ، وفكرت في خطة اخرى ، فادعين نسيان المشط ، وذهبت الاختك الكبرى مع اثنتين من اخواتها ليحضرن المشط ، وفي السدار كسرت الاختك كمية كبيرة من الزجاج ، وغرزن الزجاج في جدار الكوة ورمين به على ارضها ، وحاولن سد فتحة الكوة بالاحجار .

وفي الليل اقلقت الاختك الصغرى الباب ، واسلكت الستائر ، واشعلت القنديل ، فجاء مولاي احمد ، لكن ما ان وصل الي الكوة ، حتى انفرز الزجاج المكسور في جسده واصيب بالجراح ، فكان كلما تحرك انفرز الزجاج المكسر من جسده ، ووجد فتحة الكوة في الغرفة مسدودة بالاحجار ، فرجع مئخنا بالجراح الي امه ، اتسى ارتاعت لهول ما حدث له ، وانبتة لاتها كانت قد توسلت اليه ان لا يتزوج من بنات الدنيا الفانية، وارادت ان تنتقم له من الفتاة ، لكن مولاي احمد القنديل اجابها ، « لا يا اماء ، عندما تشفى جراحي سأنتقم انا بنفسى منها » .

اما الاختك الصغرى فقد اندهشت ، فهذه اول مرة تضيء فيها القنديل ولا يحضر مولاي احمد القنديل ، فجلست وقد انتابها الضيق ولام بها الحزن ، وبكت ، فقال لها المشط ، « حين كتبت في الحمام ، جاءت بعض اخواتك وكسرن الزجاج ونثرنه على ارض الكوة وجدرانها وسددن فتحة الكوة بالاحجار » ، فعرفت سر ما حدث ، لكن ما العمل وكيف تجد مولاي احمد القنديل ؟ ، انها لا تعرف مكانه ، بل كل ما تعرفه انها تشعل القنديل ليخرج اليها من الجدار ، لكنها لم تستطع السكوت ، وليست ملابسها وخرجت الي الدنيا الواسعة ، هائمة على وجهها لتبحث عنه في كل مكان .

وظلت تسير وتسير ، وتسال كل من يقابلها لكن لا احد يجيبها،

ومضت تزور وتسال « الشوانات » الساحرات هنا وهناك ، دون
مائدة .

وذات يوم ، وقد تعبت من المشى ، جلست تحت كرمة وارنة
الظلال لتسترخ وتسترده انفاسها ، فسمعت حمايتين تتكلمان وقالت
الحبابة لصاحبتها ، « واه يا اخاه ، يمز على ما يقاسيه مولاي
احمد القنديل ، لقد تزوج بنتا من بنات الدنيا الغانية ، وقد حسدتها
اخواتها وكدن لها ، فملان طريق مولاي احمد بالزجاج المكسر وسدن
انفتحة انتى يدخل منها ، وقد اصيب بالجراح وهو مريض ، ولا احد
يعرف دواءه » ، فضحكت الحبامة الأخرى وقالت : « ان دواءه
سهل ، سبعة اغصان من هذا الكرم، ويضرب بها، وينجوني وينجونك
ويأخذوا دمانا ويرشوها على جراحه ، ولا بد من ذبح كبش كذلك ،
ويبللوا فروته بشيء من دمانا ويلبسها مولاي احمد فيشفى » ، فردت
الحبامة ، « اذن علينا ان نموت ليشفى مولاي احمد ، « نأجابنها
الأخرى ، « لا يهم ان لحياة مولاي احمد قيمة كبيرة » .

فاهسكت الفتاة بالحامتين وذبحتها ، وملاصت تصبة بدمائها ،
واخذت معها سبعة اغصان من الكرم ، وبدلت ملابسها بملابس رجل
وغيرت هيئتها ، وسارت في طريقها ، سارت وهي تنادى ، « دواء
العشاق لكل من اصابه العشق بالجراح ، دواء العشاق ، دواء
العشاق » ، حتى سمع ذلك النداء في يوم مولاي احمد القنديل ،
وكانت جراحه قد زادت سوءا، ومرضه قد طال ، ولم يشف بعد ان
جرب كل دواء ، فأرسل أحد خضبه ليحضر ذلك الطبيب ، ولما راته
يعانى الالام وقد استبد به المرض والضعف ، كادت أن يغيب عليها،
لكنها تماكنت نفسها ، وسألها ، « هل دواؤك ناجح أيها الطبيب فقد
عز الدواء ؟ » ، فأجابها الطبيب ، « نعم وسأشفيك باذن الله ، لكن لى
شرطا وأحدا » ، فسأل مولاي احمد القنديل ، « وما هو الشرط ؟ » ،
فأجاب الطبيب ، « ان انا شفيتك نكل ما اطلبه منك ، انه ان تال
لك احد أتوسل اليك بلطبيب الذى دواوك ، فلا تؤذه ، مهما
كانت الظروف والاحوال » .

فوعده مولاي احمد القنديل الطبيب بذلك ، وطلب الطبيب ان
يذبحوا كبشا ويسخنوا الحمام ، وأدخلته معها ، وصبت المياه الساخنة

على جراحه ، وغسلتها ودرست فوقها بماء الحياتين ، واخذت
تضربه بأغصان الكرم ، فيتألم ، فتألم أكثر منه وتناشده الصبر ،
وانتشرت قطع الزجاج على الأرض وهي تتساقط من جسده ، ودهنت
بروة الخروف بشيء من دماء الحياتين والبستها لمولاي أحمد ،
نشيت جراحه وبدأ يحس الراحة والشفاء ، وقال الطبيب ،
« ستشفى تماما بعد ثلاثة أيام » ، وحاول مولاي أحمد أن يكافئ
الطبيب فلم يقبل إلا شيئا بسيطا من المال وكسوة من أم مولاي أحمد ،
لكنه ذكره مرة أخرى قبل انصرافه بالوعد .

ورجمت الأخت الصغيرة التي دارها وأصلحت فتحة الكوة التي
في الجدار ، وأرجعتها إلى حالتها السابقة ، ونظفت أرض الكوة
وجدرانها من الزجاج ، وفي الليل أفتكت الباب وأسفلت السنائر
واشمعت القنديل ، فأحس مولاي أحمد بالاستدعاء ، فامتلا غضبا ،
وقال لنفسه ، « انها ما زالت تريد خداعي وتسخر مني وتستدعيني » ،
وظهر مولاي أحمد في الغرفة وقد شعر سيفه في يده ، فهتفت الأخت
الصغرى ، « أتوسل اليك بالطبيب الذي داوك » ، فأغمد مولاي
أحمد القنديل سيفه في جراحه ، وصاح ، « كيف عرفت هذا ؟ » ،
فناشده أن يهدأ ويستمع إليها ، فجلس وأخذت تحكى له ما حدث ،
وحين انتهت كان قد سألها وعرف أنها تخبه وتخلص له ، فبنى
جدارا بينها وبين أخواتها ، وعندما رجع أبوها من الحج اندهش حين
رأى هذا الجدار في داره ، وأسرعت الأخوات تخبرنه أن أختهم
الصغيرة تزوجت دون مشورتهم ، ورفضت أن تعلمهن بالخبر .

لكن مولاي أحمد القنديل ما أن سمع بقدم الأب ، حتى فتح
باب غرفة زوجته وخرج إليه ، وقال للأب انه تزوج ابنته على سنة
الله ورسوله .

فأبى الأب موافقته ومباركته لهذا الزواج فقد عرف قدر مولاي
أحمد القنديل ومقامه ، وجاءت البنت الصغرى واحتضنت أباهما
وبكت كثيرا ، وتمت عليه كل ما نلته أخواتها معها ، فهذا خاطرهما
ووعدها بمقابلهن عقابا شديدا ونفذ وعده .

لا فوفويا أو الاغنيو⁽¹⁾

أراد محمد العروس أن يتزوج ، نطلب من أمه أن تبحث له من عروسة، وبين لها أنه يريد فتاة لا تعرف شيئا من أمور الدنيا ، وظلت طول حياتها لا تغادر دارها ، ولم يرها أحد ، ويجب أن تكون جاهلة لا تقرأ ولا تكتب ، وتكون مطيعة تسبع كلامه وتنفذ أوامره دون نقاش أو جدال ، فاندعشت الأم دهشة شديدة للكلام ابنها العجيب وقالت له ، « لكن يا بني ، امرأة هذه صفاتها ، تكون حياء لا تصلح للحياة ، فالجهل وأنعدام الخبرة والتجارب لا يتصف بها الا الحماق والبلهات ، الحياة يابنى تتطلب خبرة وتجربة ، ويستحسن أن تعرف زوجتك المقبلة القراءة والكتابة ، أما المرأة التي تطلبها فلا تصلح للحياة أبدا وتسبب لك المتاعب والأشقاء ، لكنها لم تقدر أن تغير أفكاره وآراءه ، فقد أصر وغضب وناشدها أن تساعد له ليجد العروسة التي تعجبه .

ولها كانت الام قد كبرت في السن ومات زوجها منذ زمان طويل ، وتأخر ولدها محمد العروسي عن الزواج ، بالاضافة الى ما تعرفه عنه من طيبة وسلامة طوية وشيئا من السذاجة كذلك ، لهذا كله رأت الام أن تجيب طلب ابنها وتحقق له رغبته .

وبحثت الام انعجوز حتى وجدت فتاة فيها كل الصفات التي طلبها

(1) - كتبت سيناريو حوار لهذه الحكاية وأخرجتها وعقدتها في الطلعة المغربية باسم للافنو

ابنها ، وكان نسيها فوفويا (1)، الا ان هذه الفتاة كانت حمقاء ، وحين اخبرت محمدا بذلك فرح فرحا شديدا وهتف : « لا يهم ان تكون حمقاء ما دامت قد ظلت قايمة في دارها طول حياتها ولم تقبل الناس ولم يرها انسان » .

وتزوج محمد العروس للانوفويا (2) وعاشت مع امه في الدار، لكن الام تعبت كثيرا وقاست من زوجة ابنها ، فكتيرا ما كانت للانوفويا تنصرف تصرفات حمقاء نتيجة جهلها وعدم معرفتها لكثير من الامور وقلة خبرتها في الحياة ، وكانت الام تكتم عن ابنها كل هذا وتحاول ارشاد للانوفويا وتعليمها وانها ما يجب عليها ان تفعله ، ولولا وجود الام واصلاحها لكل خطأ ترتكبه للانوفويا، لقتل محمد العروس كثيرا واحس بالشقاء بدلا من السعادة التي وفرتها له امه دون ان يدري .

ومضت الايام وشعرت الام بهلاك الموت يقترب منها ، فنادت ابنها وقالت له ، « يا بنى اننى احس بدنو اجلى واريد ان اوصيك ، لقد زوجتك يا محمد بامرأة بلهاء (غشيمة) لا تعرف من امور الدنيا شيئا مما اردت ، وهى لا تصلح للحياة ، لكن لا فائدة من الندم الان ، فان كنت تحبني ارعها واحرسها واهتم بها ، فانها حمقاء ، ولا بد ان تكون حمقاء » ، ولفظت الام آخر انفاسها .

ومضت الايام ، ولم يقتنع محمد ويتدر كلام امه ، بل لم يصدق في الحقيقة ، لانه كان سعيدا مع زوجته ، لكن في يوم جاء اليه بعض انضيوف ، نساء تربيته ، وازواجهن ، وقيل ان يصل الضيوف ، ناداهم وقال لها ، « سيحضر في العصر بعض الضيوف ، بنت خالتي و بنت صتي وزوجاهما ، وقد اخرجت لاننى لا احب ان يراك مخلوق ، فمليك ان تقدمي لهم الشاي وشيئا من الحلوى ، لكنني انبهك الى شيء هلم وهو ان تغطى وجهك وراسك ولا احب ان تظهر منك شعرة ، غطى راسك جيدا » ، فردت عليه وابدت استعدادها لقلبية رغبته واطاعة امره .

وجاء الضيوف ، وجلسوا يستريحون ، ونجاة دخلت للانوفويا

(1) - من الواضح ان هذا الاسم اطلق على المرأة الحمقاء بعد حادثة الغاء الحرف و النثر ، لكن هذا الاسم التصق بالمرأة في الحكاية بل اصبح الاسم عنوان الحكاية أيضا .

(2) - للانوفويا : الببدة لوفويا .

وقد رفعت كل ملابسها ووضعتها فوق رأسها ، وعرت باتى جسما ،
نذهل الضيوف وصاحوا مندهشين وصرخ محمدا ، ودفعها الى داخل
الدار يؤنبها ويعنفها ، لكنها اجابته فى سذاجة ، بأنها قد سمعت كلامه
ونفذته ووضعت كل ملابسها فوق رأسها تماما كما قال ، وكانت مضحكة
خجل منها ، واصبح اضحوكة فى اعين تربيته وازواجهن .

وصمم محمدا العروس ان لا يجعل زوجته تقابل اى انسان حتى
ولو كانت امرأة من تربيته ، وبعد اسابيع احضر ثلاث دجاجات وقال
لزوجه « لقد دعوت بعض اصدقائى يوم الجمعة للغذاء ، فخذى هذه
الدجاجات الثلاث واعتنى بها لاقدمها لضيوفى ، اعطيها الخبز والماء ،
واعتنى بها جيدا » .

وكان من عادة النساء ان يذهبن الى الحمام ، وتؤجر المرأة
الحمام بمفردها حتى لا يراها مخلوق ، فاستأجر محمدا العروس الحمام
لثلاث نوافذ ، فوضعت الدجاج فى كيس وحملته معها الى الحمام وهناك
غسلت الدجاج بالماء الساخن ودعكته بالصابون فبات بين يديها ، ولم
تفطن للامر ، بل ظنت الدجاج نائما ، وعندما رجعت الى الدار صحبت
الدجاج معها الى غرفة النوم ، وانامت على سريرها وغطته .

وحين جاء محمدا العروس حكى له فى براءة وسذاجة كيف غسلت
الدجاج بالصابون وحكى له جسمه وبينت له انها تعبت كثيرا و كذلك
الدجاج حتى انه نام بسرعة ، واشارت الى السرير ، فصرخ محمدا
حين رأى الدجاج ميتا ومهددا على نرائه ، ولم تكن هناك نائدة من
الثانين ، ففى براءة وسذاجة بينت له انها قد سمعت كلامه ونفذت
اوامره ، لانه قد طلب منها ان تعتنى بالدجاج جيدا وقد وضعت له
الخبز والماء وزادت بان اصطحبته معها وغسلته فى الحمام ، واخذ
يشرح لها انه لم يقصد ذلك ، وانها اخطأت ولم تفهم كلامه ، فاعتذرت
له ضاحكة وكان ما فعلته ليس الا شيئا عاديا .

واحضر محمدا ثلاث دجاجات اخرى صباح يوم الجمعة ، وطلب
منها ان تعتنى بطيها وتكرر من الزعفران حتى انه قال ، « اريد زعفرانه
لن اكرر اريد زعفرانا » .

وعندما جاء الضيوف وحن وقت تقديم الطعام ، لم يكن الدجاج
قد نضج بعد ، فثابت « العروس » زوجته وسألتها عن سر تاخيرها ،

فأجابته أنها ظلت ساعات طويلة تجرى وراء القبط زعفران ، حتى أسكنته وفبحته ، ثم طهته مع الدجاج في وعاء الطبخ ، فرمى محمد ابوعاء من نوق النار ، وذهل وصاح بها ، « وهل طلبت منك أن تذبحي القبط وتطليه مع الدجاج » ، فأجابته في سذاجة ، « نعم لقد فعلت ، وقلت لي أريد زعفرانا ، وهل يوجد عندنا قط آخر » ، نهفت في ياس ، « آه يا حيتاء لقد تصدت زعفرانا ، وهو من مواد العطرانة » ، وصاح ، « رحك الله يا أمي ، الآن نهبت ، ووعيت معنى كلامك » .

ومضت الايام ، وأصبح محمد العروس أكثر حزرا ، وزاد اهتمامها بها حتى لا تأتي فعلا تبيحا ، وأشتري بكرة لتهدم بالبنس والجبنس والزيد ، وكانت زوجته فرحة بها ، الا أنها في يوم ، وكانت تحب الكبد ، وتذكرت ان للبقرة كبدًا ، فماذا لو شقت جنبها وأخذت قطعة صغيرة منها ، وحين يرجع زوجها ستطلب منه ان يشتري لها قطعة كبيرة وتردها للبقرة ، انها ستترض من البقرة قطعة ، وتردها لها عندها يجيء سي محمد ، واحضرت السكين وشقت جنب البقرة وتعبت حتى وجدت الكبد ، وأخذت قطعة منه وقتلتها وأكلتها ، ووقعت البقرة ميتة .

ورجع محمد وأخبرته بها حدث ، فأخذ يندب حظه ، ويؤنبها على جهلها وحمقها فاعتذرت اليه في سذاجة وبراءة كعادتها وأخذ يصيح ، « رحك الله يا أمه لينس سمعت كلامك ، لقد اخطأت ، لقد اخطأت » .

وخرج سي محمد مهموما حزينا ، وسهر في هذه الليلة مع بعض اصقائه ، وعاد بعد منتصف الليل ، وأخذ يطرق الباب ، لكن زوجته لم تسمعه ، فتضايق ، وظل يطرق ، ولا احد يجيب ، وبعد مدة طويلة فتحت له الباب ، فدخل الدار ونهرها قائلا ، « ما هذا ، ايجب على ان اطرق الباب ساعة من الزمان حتى تفتحي لي ، يجب ان تكون اذنك على الباب » ، (يقصد ان تستجيب لاول طرقة ، وتفتح الباب بسرعة) ، ومضى يؤنبها ، واعتذرت له بانها لم تسمع ، وكانت غارقة في النوم ، فاعاد عليها القول ، « يجب ان تكون اذنك على الباب » .

وفي اليوم التالي حين دخل محمد العروس الى داره ، صرخ لها رآه ، فقد قطعت نومويا اذنها واصققتها على الباب ، ولولا ان اغاثها الجيران لماتت .



ظلت ساعات طويلة تجري وراء القط زعفران، حتى امسكته وذبحته ...

لم يؤنبها هذه المرة ، ومضى يشرح لها برفق انه لم يقصد ذلك ،
وسامحها وغفر لها كل ما اتته من تبائح ، فهل هناك سذاجة وغفلة
أكثر من هذا ، لقد قطعت أذنها وأخذ يكلم نفسه « ما اصحتك يا أمي ،
المرأة ألتى لا تعرف شيئا من أمور الدنيا ولم يرها مخلوق ، لا تصلح
لحياة ، نعم لا تصلح لحياة » .

ومضت الأيام وفي صبيحة يوم عيد الضحية ، ذهب العروس الى
المسجد ليصلح صلاة العيد ، وبقيت نونويا تنتظره في الدار حتى يرجع
ويذبح الكبش ، وجلست بالقرب من الكبش وسمعته يشغو «باء، باء» (1) ،
نهيبء اليها انه يكلمها ويطلب منها الآذن للخروج ليزور أصحابه وأحبابه .
فسألته ، « أحقا تريد أن تزور أصدقائك وأهلك بمناسبة العيد ؟ » ،
فرد «الكبش باء ، باء ، فقالت له ، « والله لقد تأثرت وسأساعدك
وأعطف عليك » ، وقامت وأحضرت ملابس زوجها الجديدة والبستها
للكبش وفتحت له الباب وقالت له ، « اذهب لكن أرجع بسرعة » ،
ثمفا الكبش « باء ، باء » ، فظننت انه يمهدها بالرجوع بسرعة .

وعندما عاد محمد العروس ، وسأل ، « أين الكبش لإذبحه » ،
أجابته في بساطة « لقد خرج ليزور اهله وأصدقائه بمناسبة العيد سيرجع
بسرعة » ، فصاح مذهولا « وكيف تتركين الكبش يخرج من الدار ، أى
اصحاء ، وأى اهل يا حياء ! » ، ولم تعترف نونويا هذه المرة بل أنبته
تألثة ، « ألا توجد في الدنيا رحمة وشفقة ، والله لقد أثر في نفسى كلامه ،
مسكين ، اشتاق الى اهله وأصدقائه » ، فصرخ العروس ، « ماذا أقول
لك ، لا فائدة ، أنت حياء تماما ، لقد صدقت أمي ، ان للمرأة التى لم
تغادر دارها طول حياتها ولم تطل من نافذة وليس لها اصحاء ولا جيران
ولم يرها أحد لا تصلح للحياة ، لا تصلح للحياة » ، ولم يكن هناك داع
للجدال أو النقاش ، ولأ فائدة بن الثائب والعتاب ، لذلك أمسك محمد
العروس بيد زوجته وأجلسها بجانبه وقال لها في هدوء ، « أرجو أن
تنبيهى لما سأقول لك ، اننى أحبك ولا أريد لك إلا الخير ، لذلك اطلب
منك أن ترتاحى ولا تؤدى أى عمل ، سأحضر لك الطعام ناضجا ، كل
ما عليك أن توقدى النار وتضعى وعاء الشاي فوقه ، وسأحضر لك
سونا ناغزليه ، وليكن هذا عليك نعط » ، وأعاد عليها مرة ومرات ،

(1) وفي بحر يعبرون شفاء الكبش (ماء ... ماء)

وجاء اليها بانصوف وأصبحت نونويا لا تتعل شيئا الا تجهيز الشاي
وغزل الصوف .

وفي يوم وقعت منها قطعة من الصوف في المجر (1) ، فاحترقت
مجدنة صوتاه طق؛ طق، فأعجبها هذا الصوت فظنت ان انار تكلمها،
ورمت قطعة اخرى من الصوف فسمعت ، طق ، طق ، طق طق ، فهتفت
تكلم النار . « اتبفين الصوف ؟ » ورمت قطعة كبيرة من الصوف فسمعت
طق طق طق ، ففرحت وقالت ، « انت فرحانة مظل أيتها النار ،
فرحانة بالصوف ، اتحبين الصوف كثيرا » ورمت قطعة أكبر وسمعت
الصوت طق طق . « لعل لعل ، فزاد فرحها وقالت للنار ، تاللهما ،
« انت العانية (2) ، نو ، نو نونو لابد ان ادلك ، أنت نونو ، نونو نو
نونويا نونويا (3) » ، وبعد أن انطفأت النار ، لاحظت ان الصوف
المحروق قد تحول الى قشور رمان ، فوضعت في طبق وانتظرت حتى
جاء زوجها وسألته مندعشة ، « لماذا تحول الصوف في المجر الى
قشور رمان ؟ » ، فلم يفهم شيئا وردد مندعشا « الصوف في المجر ! » ،
فقال له « نعم ، اليوم رميت الصوف في المجر ، وكانت النار جبيلة
وتقول طق طق ، ولقد احببت انار ودلاتها وسميتها للانونويا ،
ولكن يا سيدي محمد ، بعد ان انطفأت النار تحول الصوف المحروق
الى قشور رمان » ، فوجم محمد ، ومن شدة ذهوله فتح فيه ، ولم
يقل شيئا ، وظن أنها قد جنت تماما ، وأسرعت واحضرت الطبق ونيه
قشور الرمان كما حياء لها ، فأبصر قطعا من الذهب في الطبق ، فهتف
« اهذه قشور الرمان ، التي تتكلمين عنها ؟ » ، فأجابته ، « نعم » .

عندئذ قام محمد العروس واحتضن زوجته وربت بيده في حنان
غلى ظهرها وقال لها ، « مباركة مباركة أنت يا مسكينة ، الخير فيك
ويجىء عنك ، مباركة ، مباركة أنت يا نونويا » ، وأوصاها ان لا
تقترب من الطبق المليء بقشور الرمان ، ووضعها في صندوق الملابس ،
وأصبح محمد العروس يحيط زوجته للانونويا بالرعاية والنعطف ويحسن
معاملتها ويتساحب معها دائما ، ونسى كل ما فعلته .

(1) - وماء من النخار يشعل فيه اللحم

(2) - العانية هو اسم النار باللهجة العلية المغربية

(3) - هو الاسم الذي اعطى للمرأة الحباء وهو اسم الحكاية كذلك « للانونويا » .

وفى يوم سمعت فوفويا اصوات الطبول وغناء الاطفال بمناسبة عيد عاشوراء ، ففتحت باب الدار ورات بائع الطبول مع حماره يحيط به الصنار ، فأرادت هي الأخرى ان تشتري طبله ، وسالت البائع ان يعطيها واحدة ، فناولها طبله ، واراد ان ياخذ الثمن لكن فوفويا لم يكن معها نقود ، فطلب منها البائع ان تعطيه اى شىء بدلا من النقود ؛ وتذكرت تشور الرمان ؛ فأحضرتها ، وأعطتها للرجل ، فلم يصدق عينيه حين رأى الذهب ، وقال لها ، « خذى حمارى وكل الطبول » ، وأنصرف بسرعة من أمامها ، ففرحت فوفويا فرحا شديدا ، وادخلت انحمار محملا بالطبول الى الدار ، وزادت بان جرتة وصعدت به الدرج حتى وصلت الى السطح، وجلست فوق الحمار وظلت تدق على مختلف انواع الطبول وهى فى غاية السعادة والسرور .

وعندما عاد محمد المروسي اخبره الجيران ان زوجته تركب حمارا فوق السطح وتدق طبولا ، وانهم تمبوا من الضوضاء التى تحدثها ، فطل يطرُق الباب مدة طويلة وينادى حتى فتحت له ، وصعد الى السطح وشاهد الحمار محملا بالطبول ، فصاح بها ، « من اتى بالحمار الى السطح ؟ » عرف منها انها هى التى صعدت بالحمار ، وحكت له ما حدث فصاح ، « تشور الرمان ، الذهب ، يا حقاء ، يا حقاء » ، فلم تفهم شيئا ولم يرغب ان يؤنبها فلن تكون هناك نتيجة ، فآخذ يكلم نفسه ، « قالت امى ، قالت امى ، المرأة التى لا تعرف من امور الدنيا شيئا لا تصلح للحياة ، ولا بد ان تكون حقاء لابد ان تكون حقاء ، رحك الله يا امى رحك الله » ، لكنه تذكر بالذهب الضائع فقال لها ، « لقد اخبرتك ان لا تقربى هذا الطبق » فاجابته فى براءة وسذاجة ، « ام تكن معى نقود فاعطيته تشور رمان لا قيمة لها » ، وكانت واقفة تعبت اصابعها بالملابس الموضوعة فى الصندوق ، فلمست صندوقا صغيرا مختبئا بين الملابس ، فسالت زوجها ، « ما هذا الصندوق يا سيدى محمد ؟ » ، فصاح ، « هذا الصندوق ، هذا الصندوق ليس صندوقى ، اتهمين ، اباك ان تقتربى منه ، هذا صندوق دواير الزمان (1) » ، فهتفت مندهشة ، « ليس صندوقك » ، فاجاب « نعم ليس صندوقى ، انهتمت ليس صندوقى » ، وتذكر مرة ثانية الذهب

(1) - دواير الزمان معناها اذا دار الزمان ، والعمد اذا سعت الظروف وتل المال .

الضائع ، فقال لها ، انا خبات الطبق في الصندوق ، ففتحت الصندوق وأخذت الطبق منه ، يالك من حمقاء ، فتضايقت وقالت له ، « وما قيمة تشور الرمان؟! انها نفاية ، ومن المستحسن التخلص منها ، حتى نصيح الدار نظيفة » ، فسخر منها قائلاً ، « وتتكلمين عن نظافة الدار انطرى كم هناك من اوساخ ، وكم هناك من نفايات . وانا ساكت ولا اريد ان اضايك ، تتكلمين عن نظافة الدار وهل هذه دار . لقد رضيت بكل مساوئك لكن الامور زادت عن الحد زادت عن الحد . احذرك مرة اخرى ، اياك ان تأخدي هذا الصندوق التصغير ، انه ليس مسنوقى . » وانصرف محمد العروس غاضبا ، وقد أثر فيها كلامه فآخذت تنكس الدار وترتيبها وتنظفها وتجعب الاشياء البالية ، وتذكرت انصندوق التصغير ، ففتحت الصندوق واخرجته من تحت الملابس وقالت لنفسها ، « ولماذا ابقي هذا لاصندوق ما دام ليس ملكا لزوجي » ، وخطر لها خاطر ، ففتحت الباب ، وظلت تنظر هنا وهناك وراحت رجلا يقترب فسألته ، « هل أنت دواير انزمان » ، فظنها الرجل امرأة سيئة الخلق تنادى عليه ، فبصق عليها ، فلم تفهم شيئا ، ثم نادى رجلا آخر وسألته فظنها تسخر منه ، فتركها وانصرف ، ونادى رجلا ثالثا وسألته « من أنت دواير الزمان » ، فلم يرد عليها بسرعة ، وادرك انها بلهاء فاجاب « نعم أنا دواير الزمان ، ماذا تريدين مني ؟ » ، فقالت له ، « خذ مسنوقك انا لا اريده في داري » وناولته الصندوق في بساطة ، فتمهل الرجل برهة وأخذ الصندوق وانصرف .

وحين جاء محمد العروس ، أخبرته انها قد لبثت رغبته ونظفت اذار ، ورتبتها وتخلصت من الاشياء الزائدة البالية ، حتى الصندوق الصغير قد اعطته لصاحبه دواير الزمان وحكت له ما حدث بالتفصيل .

عندئذ شهق محمد العروس شهقة كادت روحه ان تخرج معها ، وصرخ فيها « لا ، لا ، لا ، لا ، لقد انتهت كل شيء بيننا ، لقد أضمت كل ما جمعت ، ولقد تحملت قبائحك ومصائبك ، أما الآن فقد تاكدت اننى انا الاحق ، انا احق منك لاننى أردت ان أتزوج امرأة جاهلة لا تقرا ولا تكتب ولم تخرج من الدار أو رآها مخلوق ، نعم ، نعم ، صدقت امى ، امرأة بهذه الصفات لا تصلح للحياة ولا بد أن تكون حمقاء وأنا الاخر احق ، لا ، لا ، لا ، لن اعيش معك ، ساتركك ، ساتركك ،

سأترك لك الدار والبلاد وسأمشى في بلاد الله أتواسعة « فصاحت ، ولكن في سذاجة » والى أين أنت ذاهب ياسيدى محمد « فأجاب ساخرا وهو على عتبة الباب « للحبس المنسى اللى ما فيه لا دنة ولا كرسى « الى مكان لا يعرفنى فيه أحد ولأ يوجد فيه باب او مقعد ، الى الجبل » .

وانصرف غاضبا ، فأسرعت فونويا وخضعت الباب واحضرت كرسيا وحملتها وتبعته .

ويعد أن سار محمد مسافة طويلة ووصل الى الجبل ، مضى يصعد في شعله حتى تعب وجلس ليستريح ولحج نجاة فونويا مقبلة تحمل الباب والكرسى ، فلم يصدق نبئيه ، وصرخ مدهولا ، « فونويا » فأجابته « نعم ياسيدى محمد » ، ضحك وقال لها ، « مسكينة حقا ولا ذنب لك » ، فأجابته في بساطة ، « حين سمعتك تقول « ماشى للحبس المنسى اللى ما فيه لا دنة ولا كرسى » ، ذاهب الى مكان لا يعرفنى فيه أحد ولا يوجد فيه باب او مقعد الى الجبل ، احضرت همى الباب والمقعد » ، ضحك محمد من سذاجتها وكانت الشمس تد غابت وأقبل الليل فقاتل لها ، « يجب علينا أن نبحث عن مكان لننام فيه ونعود في الصباح الى دارنا » .

ووجد محمد حجرتين كبيرتين قريبين من بعضهما فوضع الباب فوقهما ونابا فوق الباب . ولم تمض ساعة حتى جاءت الى المكان عصابة من اللصوص كانت قد سرقت أحد الاغنياء ، وهرعت الى الجبل لتهرب من مطاردة أهل البلدة ، وحين رأى اللصوص الحجرتين ، لم ينتبهوا الى الباب لانه كان مرتعنا وظنوا المكان كهنا فدخلوا وناموا فيه ، واحس بهم محمد ، لكنه لم يتحرك ولم يوقظ فونويا ، ونام اللصوص وعلا شخيرهم ، ونجاة استيقظت فونويا وارادت النهوض ، فمنعها زوجها وطلب منها أن تنام ، لكنها اخبرته انها تريد أن تتبول ، فأمرها أن تلزم مكانها وأعطاهها طاقيته لتتبول فيها ، ففعلت ، ونابت تليلا ثم استيقظت وارادت النهوض فنهعها واحتجت بانها تريد أن تتبرز فأعطاهها « شكارتة » كيسه الجلدى انذى يحفل فيه نقوده . وحوائجه الصغيرة ، فتبرزت فيه ، ونابت تليلا، ثم استيقظت لكنها في هذه المرة هبت وأتقتة وترقص فوق الباب وتسحب

يقدمها وهي تقول « جات لى الشطحة » (1) وقصدت أنها أحست بالرغبة الشديدة لى ترقص . فسمع اللصوص وقع أقدامها نظفوه حوافر الخيل وقد جاء أهل البلدة يطاردونهم ، نهبوا من نومهم خائفين هلمين ، وأسرعوا بالفراز ، ونسوا أن يأخذوا معهم مسروقاتهم .

وحين رآهم محمداً العروس قد ابتمدوا كثيراً واختفوا وراء الجبل تنفس الصعداء، وعثر على اللآلئ والجواهر والكثير من الذهب، فحمل ما وجده ورجع مع نوفويا إلى داره ، وصار محمداً العروس ثرياً ، واشترى داراً لتعيش فيها لآنونويا وأحضر لها الخدم ، واشترى داراً لنفسه وتزوج امرأة أخرى تعرف الحياة وتخالط الناس وتزور وتزار ، وشغل نوفويا برعايته .

(1) - الشطحة هي الرقصة

الرمان السفاري

يروى أنه كانت امرأة حاملا تتوحم ، فاشتتت الرمان السفاري (1) ، وطلبت من زوجها أن يحضر لها رمانتين ، فذهب الرجل الى السوق واشترى لها رمانتين ، وأثناء عودته شعر وهو يمشى في الطريق بالحر ، فقد كان الجو شديد الحرارة ولحس بالمطش كذلك ، فاكل رمانة من الرمانتين ، وحين وصل الى داره اعطى زوجته رمانة واحدة ، فسألته ، « ولين آثانية ؟ » فأجابها ، « اكلتها وأنا علة فقد اضر بي الحر في الطريق » ، نهتت المرأة ، « لباذا اكلتها ؟ ليعطك الله جزاءك » .

ولم تمض اشهر قليلة حتى بدأت بطن الرجل تنتخ ، فلما مثل المرأة حين تحبل ، ولم يعرف الرجل ماذا دهاه ، لكن مع مرور الايام بدأ الجنين يلعب داخل بطنه .

وذات يوم كان في الغابة مع زوجته ، وجاءها السم الخاض ، فرجعت المرأة الى الدار وولدت ولدا ، أما الرجل فلم يطق الاسم ، فأخرج سكنه وفتح بطنه ، فخرجت منها بنت صغيرة جميلة ، ومات الرجل .

واقبلت غزالة حبلى ، وولدت بجانب الطفلة هي الاخرى غزلانا صفارا ، فاختت الطفلة ترضع من الغزالة ، وتربت مع صفارها حتى كبرت ، ووهبها الله شعرا طويلا فكانت تفرش نصفه تحتها وتتغلى بنصفه الاخر .

وفى يوم جاء صيادون يرانقون ابن السلطان وراوها فسلم

(1) - نوع مختار من الرمان وخال من البذور تقريبا



أما الرجل فلم يطق الألم فأخرج سكينه وفتح بطنه

يصدقوا أمينهم ، ذلك لانهم تبعوها بالخيل فلم يلاحقوها ولم يقدروا ان يسكوا بها بالرغم من انهم طاردوها ساعات ، ورجعوا الى ابن السلطان خائبين من غير صيد ، وحين سألهم ، « لماذا لم تحضروا صيدا ؟ » طلبوا منه الامان ان اراد الصدق ، فأجلبهم ، « قولوا ما شئتم » ، فسالوا ، « رأينا فتاة جميلة لها شعر طويل ، وتجري اسرع من الغزال ، ولسنا متاكدين ان كانت انسانة او جنية » ، فأهدم ابن السلطان أن يجهزوا طبقتين من الكسكس ، ويضعوا في واحد منهما ملحاً ، ويجعلوا الاخر من غير ملح ، وعليهم ان يحيطوا بالمكان ، فلا تقدر ان تغتلب من بين ايديهم ، ويحضرونها اليه ، فنفذ الصيادون ما امرهم به ابن السلطان ، وجاءت الفتاة واقتربت من الطيقتين المملتين بالكسكس ، وذاعت من اولها وكان من غير ملح فلم تاكل ، وذاعت من الثانية وهو الملح ، تاكلت منه ، فعرفوا انها انسانة ، واحاطوا بها واسكوها واخذوها الي ابن السلطان ، فما لن رآها ورأى حسن جمالها حتى اعجبته ووقع في حبها ، فقال لها ، « اريد ان اتزوجك » ، فأجابته ، « انا بين يديك افعل بي ما تشاء » ، فآخذها الى الجناح الذى يسكنه فى القصر ، وهو مكون من ثلاث غرف ، وادخلها الى احدى الغرف وانتقل عايتها بالسباب بالفتاح ، وخبا المفتاح ووضعها فى محلف التبن الذى ياكل منه حصانه ، ورائته الخادمة ، وقال لاه ، « ساتزوج وأقيم الفرح بعد ايام » ، وذهب ليشتري من السوق ما يازم الفرح وخاصة ثيابا جديدة للفتاة ، فقد كانت عارية تنفطى بشعرها ، وسأل امه ان تعد الطعام كل يوم وتضعه فى نافذة الغرفة لانه بداخلها صديق له مريض ، ولانه سيفيب عدة ايام ، ولم يقل لاه شيئا عن الفتاة ، وكتم السر .

فأخذت امه تعد الطعام وتضعه فى نافذة الغرفة ، وتعود بعد مدة لتجده قد اكل ، فأرادت ان تعرف من بداخل الغرفة ويأكل الطعام ، فسألت الخادمة فأجلبتها انها رأت ابنها يضع المفتاح فى محلف التبن ، فأمرتها ان تاتي به ، فأحضرت له ، وحين حاولت الام فتح الباب ، صرخت البتاة ووقدت وراه تدفعه ، وتبتمهم من النحول ، ولم يستطع احد ان يفتح الباب ويدخل الغرفة ، فقد كانت الفتاة حذرة وتحرس الباب دائما وتعلم خلفه ، وكانت تبكى كثيرا حتى لن يدمعها حفرت فتاة فى أرض الغرفة .

وذات يوم وقد أمضا فراق الأمير ومحاولات الام المستمرة لدخول الغرفة ورؤيتها ، فتحت النافذة ، وطارت كالحمامة ، وبان مولانا رين ذهبت الى قصر نيه كل ما تحتاج اليه ، وفيه خادمة ترعاها كذلك .

وحين عاد ابن السلطان واحضر ما يلزم العرس ، والنياب لها ، دخل الغرفة فلم يجدها ، فجرى الى امه واخرج سيده ووضع طرفه فوق قلبه وهددها قائلا / « تولى لى من دخل الغرفة او اقتل نفسى » ، ناجيته ، « لقد كنت واقفة يا بنى بجانب الغرفة امام مطف التين ، وجاءت دجاجة واخذت تنبش وتاكل من التين فظهر المناح ، فأخذته وفتحت الغرفة ودخلتها فلم اجد نبيها سوى قناة من الدموع تجرى فى ارض الغرفة .

فحزن ابن السلطان وخرج ، وهام على وجهه ، وبكى كثيرا ، وفى أول الزمان كانت الطيور تتكلم ، فقابله طائر كبير وسانه ، « لماذا تبكى ؟ » ناجيه ، « لو عرضت لها سألتنى » ، فقال الطائر ، « احك لى وانا اساعدك واحل مشكلتك » ، فحكى له ابن السلطان ما جرى له فقال الطائر ، « ماذا تمطيني لو اخذتك الى الفتاة ؟ » ، ناجيه ، « اعطيك كل ما هو موجود فوق الارض ان شئته » ، فطلب الطائر ثورا. ازرق ، يذبح وياكل من لحمه حتى يشبع ، فاحضر ابن السلطان الثور وذبحه وسلخه واكل الطائر منه حتى شبع ، وأمر الطائر ابن السلطان ان يقطع قطعة كبيرة من اللحم ويحملها بين يديه ، وأمسك الطائر ابن السلطان من تحت ابطيه ، وطار به الى بلاد بعيدة ، وقال له الطائر ، « انى ذاهب الى مكان بعيد لو سرت على رجلك لاستغرقت مائة عام حتى تصل اليه ، واثناء الطيران كان الطائر يطلب قطعة من اللحم فيمطيها له ابن السلطان ، وانزله الطائر امام القصر ، وكان بجانب القصر بئر ، وخرجت خادمة لتعلا منه الدلو ، فاعترب ابن السلطان منها ورعى الخاتم فى الدلو وقال لها ، « اعط هذا (للاك) لسيدتك » .

فدخلت الخادمة تحمل الدلو ، وطعمت ، فهدت يدها لتأخذ الخاتم ، لكن الخاتم كان ملتصقا بقاع الدلو ولم تستطع الخادمة ان تنزعه منه .

لها الفتاة فقد أبكتها بسهولة أن تأخذ الخاتم ، وعرفته ، وطلبت من الخاتمة أن تحضر صاحبها ، فادخلته الخاتمة الى القصر ، وتبل نعلته واخذها بين أحضانه ، وطلت له الفتاة ، « لي شرط واحد لابد من تنفيذه ان اردت ان أعيش معك » ، وأشارت الى حجر كبير وسط القصر وقالت ، « اطلب منك ان لا تنزع هذا الحجر من مكانه ولا تنظر الى ما يوجد تحته » ، فوعدها ان ينفذ طلبها .

وعاش معها في القصر عشر سنوات ، وذات يوم وكان يوم عيد الاضحى (عيد الضحية) حيث يذبح المسلمون الاكباش ، تفكر أمه واشتاق لها ، وقال لنفسه ، « ترى ماذا يوجد تحت هذا الحجر ؟ لابد ان ارى » ، واقترب من الحجر وأزاحه فرأى تحته فراغا ، ورأى سماء أخرى تحت الحجر ، ورأى أمه ، بعيدة هناك في قصرها وقد وقفت ومعها كيش الفداء تمسك به ، وتبكي لانها لا تجد من يذبح لها الكبش ويسلخه ، وسمعا تقول ، « هل مات لسدى أم لازال يعيش ؟ » ، فرمى لها خنجره ، لكن الخنجر تاه في الفضاء ولم يصل اليها ، نخلع جلبابه ورماه لها ، لكن لم يصل اليها الجلباب ، واختفى نرى الفضاء كذلك ، فآخذ يصيح ويلوح بذراعيه لتراه أمه ، لكنها لم تكن تراه ، فرمى بنفسه فذاب وتبدد في انفضاء ، لكن نقطة دم من بهائه بقدرة الله العلى التقدير وصلت حيث توجد أمه ، ولامست الكبش فذبحته لها (1) .

(1) - انظر ما كتب عن المعجزة الفئسية ص 20 وما بعدها

بعيدا عن الانثى

لم يرزق الرجل وزوجته الا بنتا واحدة ، وذات يوم احضر الرجل طائر الحجل لابنته لتلعب به وتلهو ، ولما كانت الام تتلذذ ابنتها دائما فقد اتت بحليها الذهبية والبستها لطائر الحجل حتى تزداد البنت فرحا ومتمعة وهى تلعب بالطائر ، وظل الحجل يقفز ويجرى هنا وهناك ، ثم طار فجأة وهو يحمل الحلى الذهبية . فجرت البنت وراءه وتبعته ، وخافت الام ان تفقد ابنتها ، فجرت وراءها هى الاخرى ، وكانت الام حاملا ومع ذلك ظلت تجرى وراء ابنتها ، واستمر الحجل ن طيرانه وحاولت البنت ان تلحقه لتأخذ الحلى ، والام تتبعها .

ودخل الحجل الغابة وطار بين الاشجار ، واستمرت البنت تجرى وراءه ، والام تتبعها ، حتى أنهكها التعب ومع ذلك فانها لم تترك ابنتها تغيب عن ناظرها ، وانتقدت البنت الحجل ، فقد طار بعيدا .

وغابت الشمس وبدأ الليل يقبل واصبحت الدنيا ظلما ، ووقفت الام تلهث بجانب ابنتها وقد نسيتا الحلى ، ذلك لانهما ضلتا الطريق ، ولم تعرفا الى امن تذهبان لكنهما ظلنا سائرتين واحستا بأن هناك من يبعثهما ، وكان غولا رهيبا . وحين نظرت الام وراءها رآته فى حياة اسد ، وبعد ان التفتت مرة ثانية رآته فى حياة عفريت ثم فى حياة ثعبان ، فقد كان الخول يغير من هياته مرة ومرات ، والتفتت البنت هذه المرة فرآته فى حياة ثور ، فهتفت ، « امه ثور ! » ، ثم رآته فى حياة حصان ، فزاد رعبها وخوفها ، واسرعتا بالجري ، واخيرا وقتت الام وابنتها تحت شجرة كبيرة وقد أصابهما التعب ولم تعد واحدة منهما تقدر على الجرى والهروب .

فالتفتت المرأة إلى ابنتها وقالت ، « يا ابنتي ، انه غول رهيب » ،
واقترب الغول منهما ، وضرب بمخالبه بطن المرأة الحامل ، ففتح بطنها
ووقع طفلها على الارض ، فهتفت المرأة ، « يا ابنتي ، ان وقعت على
يدى اليسرى فاعرنى ان طفلى بنت ، فاعطيها للغول ، وان وقعت
على يدي اليمنى فاعرنى انه ولد ، وخذيه وربيه » ، ووقعت الام على
يدها اليمنى ، وتسلفت البنت الشجرة لتهرب من الغول لكنها تركت
أخاها المولود مرميا فوق الأرض تحت أشجرة ، وخانت ان يأكل الغول
أخاها بعد امها . فصرخت ، « يا شجرة ياطيبة ، يا شجرة ياطيبة ،
انزلى اوراقك وغطى اخي » ، فاخذت الشجرة ترمى اوراقها وتخفي
من غصونها حتى غطت الطفل تماما ، لكن الغول اخذ يهز الشجرة
ويدأ يكسر اعوادها لانه يريد البنت ، فصرخت البنت وبكت وظلت تصرخ
وتبكي، وكانت تعشعش في هذه الشجرة انثى الغراب فسالت البنت عن
سبب صراخها بركانها، فأجابتها البنت بان الغول اكل امها وهو يحاول كسر
الشجرة ليأكلها هي ايضا، فوعدها بالمساعدة، وطارت انثى الغراب ،
واحضرت سكرًا، وقالت للغول ، « افتح فمك » ، ورمت السكر في فمه ، فأكله
ثم عاد يكسر الشجرة ، فطارت الغرابة واحضرت عسلا وقالت للغول ،
« افتح فمك » ، ففتح فمه ورمت فيه العسل ، فابتلعه الغول ، ثم عاد
يكسر الشجرة ، فطارت الغرابة وذهبت الى حداد وطلبت منه ان يغطيها
نصل المحراث (1) بعد ان يسخنه في انار ، فاعطاها الحداد نصل
المحراث ، فاحضرته وقالت للغول ، « افتح فمك » ، ففتح فمه ورمت
فيه نصل المحراث الحاد الساخن ، فوقع في فمه وقطع حنجرتة ، ودخل
في بطنه ومصارينه ، ومات الغول .

ونزلت البنت من اعلى الشجرة وأخذت أخاها ومشت به في الغابة،
وبينما هي سائرة لقيت خنزيرة تلد ، فقالت لها ، « اعطيني خنزيرا
مغيرا من اولائك » فأجابت الخنزيرة ، « ساعديني في الولادة وأنا
اعطيك خنزيرا » ، وساعدتها البنت ، وولدت الخنزيرة اول خنزير ،
فأخذته البنت وخبأته وراء ظهرها مع أخيها ، ثم ولدت الخنزيرة صفارا
آخرين ، ولم تكن الخنزيرة قد رأت البنت وهي تخبئ اول وليد ،
نادعت البنت أنها لم تأخذ خنزيرا صغيرا ، وطلبت واحدا من الام ،

(1) - سكين المحراث الحاد .



وطارت أنثى الغراب، وأحضرت سكرا وقالت
للغول افتح فمك ، ورمت السكر في فمه

لكن الخنزيرة رفضت أن تعطىها ، فقالت البنت لنفسها ، « حسنا نعلت ، فلو لم أخبىء أول وليد لها نلت شيئا » .

وسارت البنت في طريقها فوجدت لبؤة تلد ، فاقتربت منها ، وطلبت أن تأخذ من أولادها شيئا صغيرا ، فوعدها اللبؤة بعد أن تساعدها في الولادة فساعدتها ، وخبأت شيئا وراء ظهرها مع أخيها والخنزير الصغير ، لكن اللبؤة بعد الولادة ، ودون أن تعرف أن ابنت أخذت شيئا ، رفضت أن تعطىها .

وسارت البنت في الغابة ، ولقيت كلبة تلد ، وتكرر معها ما حدث بينها وبين الخنزيرة واللبؤة ، وأصبح مع البنت كلب صغير وخنزير وشبل ، وسارت في الغابة وتابلت وثبة وتكررت الحكاية ، ثم تابلت شبيمة تلد ومن بعدها ثعلبة ، فأصبحت البنت تحمل وراء ظهرها أخاها ومعه خنزير وكلب وشبن وثئب وثعلب وضبع ، كانوا سبعة ، أخوها الرضيع وست من الحيوانات الرضيعة .

وبنت البنت دارا ورثت أخاها مع الحيوانات حتى كبر ، وكانت كلها بمثابة أصدقاء لها ، فالحيوانات تطيعها وتحب أخاها ، وعاشوا جميعا سعداء .

ومضت أعوام كثيرة ، وفي يوم جاء رجل يريد أن يتزوجها ، فلم يوافق أخوها وغضب ، فقال لها الرجل ، « أنا وأنت نحب بعضنا ، ولابد أن نقتل أحاك حتى نستطيع أن أنزوجه » ، فوافقت ، وذهب الرجل ليقول أخاها لكنه لم يقدر لوجود الحيوانات معه ، فرجع إلى البنت وقال لها ، « يجب أن تبقى الحيوانات في الدار ، حتى يمكن أن اقتل أحاك » .

فطلبت البنت من أخيها أن يترك الحيوانات في الدار معها حين يذهب للصيد لأنها تخاف أن تبقى وحدها ، فوافق ، وخرج للصيد بهنوده .

وأحضرت البنت رحي الطحن ، ووضعتها فوق الفرن التي بها الحيوانات ، وأخذت تطحن لتحدث صوتا مرتفعا حتى لا تسمع الحيوانات أخاها إذا صرخ فتهرع لانتزاعه ، وصحب الرجل معه عددا من أصحابه وذهبوا ليقتلوا أخاها ، وعندما أحاطوا به وهموا بقتله ، طلب منهم أن

يسمحوا له ان ينادى وينطق باسم آخوته الحيوانات ثلاث مرات قبل أن يموت ، فسحوا له ، نصح « سبع ، ضبع ، كلب ، خنزير نعلم ، نئب ، ثلاث مرات ، وفي المرة الثالثة سمع السبع اسمه ، فقفز من الغرفة تتبعه الحيوانات ، وكانت عمها رعى أطيحون امام صدر البنت ، وحين تقفز السبع اطار !!طيحون بعصاها فدخلت عصا أطيحون نرس صدرها ، فهاتت في الحال ؛ وجرت الحيوانات بسرعة لتنتقد اخاها ، هجبوا على الرجل واصحابه ، وفتكوا بهم جيما ، ورجعوا مع اخيهم سالها الي الدار .

وحين رأى اخته ميتة ، قام بدفنها ، ولم تمض ايام حتى جاءت نثيه امرأة وقالت له ، « اننى أرغب فى أن اعيش معك ، لكننى اطلب منك ان تبعد حيواناتك عنى » ، فوعدها بتنفيذ رغبتها ، وتزوجها وعاشت معه .

لكنها كانت غولة ؛ وكانت تأكل كل يوم بقرة او كبشا ، او نجارا او بطا ، فما ان ينام الرجل حتى تقوم وتاكل ، فلاحظ ان ماشية الدار وطيورها تتناقص ، وسال من يعملون معه عن السبب ، فأجابوه ، « لا ندرى ولا نعلم » ، وظلت الغولة معه سنة ، وولدت بنتا ، ومضت الايام والشهور ، وظلت ماشية الدار وطيورها تتناقص .

وذات يوم ذهب الى الفلاح الذى يرعى الماشية ويهتم بالطيور ، وسأله ان يبحث عن السر ، وبعد ايام جاء اليه الفلاح وقال له ، « اننى اعد كل شيء ، وقد تاكدت ان هناك من يسرق ، انها زوجتك وانها لغولة ، فقد رايتها ، ورايتها تقوم فى الليل وتاكل ، وما عليك الا ان تسهر ليلة وتراها بعينيك ، انها تعطيك شيئا تأكله قبل النوم فتنام نوما عبقا ، فان اعطتك شيئا فلا تأكله » .

ففنذ ما قاله له الفلاح ، وجاءت زوجته واعطته طعاما ليأكله قبل ان ينام ، نادى انه آكله ؛ وغسل يديه واتام ، وبعد ساعة رآها فى الليل تتسلل من جاتبه وتذهب الى حظيرة الاغنام ، فتبعها ، فاذا بها تهجم على كبش وتفترسه وتأكله ورأى الدماء فى فيها ويديها .

وفى الصباح حمل ابنته على ظهره ، ومشى ، بميدا ، وذهب لبلاد اخرى ، يريد ان ينقذ ابنته ، وتابل صديقا ، وقال له صديقه ، اليوم

تد مضى أسبوع على ميلاد ابني ، واننى أريد أن أقيم احتفالا بهذه المناسبة ، فتمال لتناول العشاء معى وتأمب ابنتك مع الأطفال « ، فذهب معى ، وفى دار الصديق تناولوا العشاء ، ودخل احدى الغرف ليرى ماذا تفعل ابنته ، وذهل حين رأى ابنته تأكل ابن صديقه الرضيع وهى مرحة تضحك ، فأخذها وحملها فوق كتفها ، وأخرج من الدار تبلى أن يراه احد .

وجرى الرجل، وظل يجرى، وكانت الشمس محرقة وتعب من الجرى واحبرت أذناه ، فقالت له ابنته ، « يا أبى ان أذنيك محترتان ، وان طعمهما لذيذا ، فصرخ ، وتذف ابنته بقوة على الأرض ، ماتت الطفلة الغولة .

أما الغولة فقد خرجت تبحث عن ابنتها ، وهامت على وجهها ، أما هو فقد رجع الى داره وعاش مع أخوته الحيوانات بعيدا عن الأذى .

أحمق تماما

أخذ جحا قمحه وذهب الى الطاحون ليطحنه دقيقا ، وكان يظن ان لديه كمية كبيرة من القمح ، لكنه وجد كثيرا من الناس معهم قمح اكثر من قمحه ، فتضايق جحا ، وبخفة بدأ يسرق ويأخذ من قمح الناس ويضيفه الي قمحه ، فرآه أحدهم ، وأمسكوا به وضربوه وسألوه ، لماذا تسرق يا جحا ؟ فأجاب ، « أحيانا أكون أحمقا فأتى من الاعمال شيئا قبيحا مثل ما حدث الان » .

فردوا عليه « لا يا جحا لو كنت أحمقا لأخذت من قمحك وأضفته الى قمح الناس » ، فضحك جحا وقال ، أنتى لو فعلت ذلك لكنت أحمقا تماما » .



تضايق جفا، وبخفة بدأ يسرق ويأخذ من قمح الناس ويضيفه الى قمحه

القرم حديدان الحرامي

كان للرجل سبعة اولاد ، اصفرهم قزما اسمه حديدان ، وكان غاية في الذكاء والدهاء ولذلك لقبوه حديدان الحرامي (1) .

وذات يوم اراد الاب ان يحج مع زوجته ، ورغب الاولاد كذلك في الحج ، وحاول الوالدان ان يثبوا الاولاد عن عزمهم لها في الحج من شقاق وصعوبات ، لكن الاولاد اصرروا : فوافق الاب على مضم .

وساروا جميعا نحو الحجاز راكبين الجمال ، يقطعون البوادي والفيافي والقفار ، ومرض اكبر الاولاد ، واشتد عليه المرض مع مرور الايام ، وفي يوم قال الابن المريض لابيهِ ، « يا ابي انني غير قادر على اتمام الرحلة ، فاتركوني هنا وابنوا لي كوخا صغيرا من الخشب واتركوا معي شيئا من الخبز والبصل . » وسأتم في الكوخ حتى ترجعوا من الحج ، فأرجع معكم الى دارنا » ، فبنوا له كوخا من الخشب واعطوه شيئا من الخبز والبصل والطعام ، وتركوه ومضوا في طريقهم ليكملوا رحلتهم ويؤدوا نريضة الله .

وبعد ايام مرض ابن آخر واستفحل مرضه ، فنادى اياه وقال له ، « انني عاجز عن السير معكم فابنوا لي كوخا من الخشب واتركوا لي شيئا من الخبز والبصل وسأنتظر رجوعكم فاصحبكم الى دارنا » ، فسوا له الكوخ واعطوه ما طلب من الطعام وساروا في طريقهم .

ولم تمض ايام حتى مرض ابن آخر ، وقال كما قال اخوه ، فبنوا له كوخا من الخشب ، واعطوه الطعام .

(1) - الحرامي : صفة في اللهجة المحلية المغربية يعمد بها شدة الذكاء والبطانة والشيطنة وليس معناها لس كما في بلاد الشرق .

ومضوا في طريقهم ، لكن سوء الحظ توالفت ضرباته ، فقد مرض ستة من الأولاد ، وبنوا لهم أكواخا من الخشب ، وتركوا معهم الطعام متنين لهم الشفاء ، آملين ان يصطحبهم عند عودتهم ، ولم يبق الا القزم حديدان الحرامى ، لكن بعد أيام مرض هو الآخر ، نحزن عليه والداه حزنا شديدا ، فقد كان اثيرا لديهما ولغرابه شكله ازداد حبها له ، ونادى وتلبيه وقال لهما ، « اننى مريض ومنهوك القوى » ، فسألته أمه ، « ماذا تريد ؟ » ، فطلب ان يبنيا له بيتا من الحديد ، وله باب من الحديد ، وسقف من الحديد ، وكل شيء فيه من الحديد ، وليتركا له شيئا من الخبز والبصل ، فلبيا رغبته ، وبنيا له بيتا من الحديد ، وتركاه لبيتهما حجما .

وكانت هناك غولة مهولة تسير في الطريق وراء قافلة الحجاج ، فتأملت الابن الأكبر في كوخه الخشبي ، وكسرت ذلك الكوخ بسهولة واكلته ، وسارت في طريقها ، فتأملت الابن الثانى مريضا في كوخه الخشبي ، فحطمت الكوخ واكلته ، ومشت في الطريق فوجدت الابن الثالث يعانى من المرض في الكوخ الخشبي ، فكسرت الكوخ بسرعة واكلته ، ومضت حتى أكلت الستة أولاد الذين يعيشون في الاكواخ الخشبية ، فقد كانت تحطم تلك الاكواخ ويسهولة لانها مصنوعة من الخشب ..

ومضت الغولة سائرة في طريقها حتى لقيت القزم الحرامى يعيش في بيته الحديدى ، فحاولت تحطيه كما حطمت الاكواخ الخشبية ، لكنها عجزت ، فتأملت حديدان الحرامى وسألته عن اسمه ، فاستفسر منها الحرامى عن غرضها ، فتأملت انها تريد ان تراه وتستمتع برؤيته ، والجلوس معه والحديث اليه ، لكنه رفض وابى ، وكانت تضايه بقولها « تعالى يا حديدان الحرامى » ، وتستعملنه ، لكنه رفض الخروج من بيته الحديدى ، فغضبت الغولة واحتاجت ، وذهبت واحضرت كومة من انحطب ، ووضعتها فوق الكوخ واشعلت فيها النيران ، لكن الحديد لا يحترق ، وفي الليل مشت الغولة وعادت الى بيتها ، فخرج حديدان الحرامى وملا تربيته ماء ورجع الى بيته ، وأقلع الباب .

وفي الصباح جاءت الغولة وادعت انها تريد فقط ان ترى حديدان الحرامى وتستمتع برؤياه ، فقال لها حديدان ، « ان كنت تريدين رؤيتى فتعالى واسكنى بجانبى » ، فذهبت الغولة واحضرت معها اولادها الثلاثة



ومضت الغولة سائرة في طريقها حتى لقيت القزم الحرامي يعيش في بيته
الحديدي

وبنت بيتا لها بجانب حديدان الحرامي ، وجاءت اليه تود ان تخدمه ليخرج اليها فتاكاه ، فقالت له ، « تعال يا حديدان الحرامي ، اخرج لكي تملا قريتك ماء ،» فرد حديدان ، « ان قريتي منقوبة وساصلحها ثم اخرج ،» فأسرعت الغولة الى بيتها وثقبت قريتها واخذت تصلحها حتى تنتهي في الوقت الذي ينتهي فيه حديدان الحرامي من اصلاح قريته ، فتخرج في الوقت الذي يخرج فيه من بيته . لكن حديدان كان قد خرج قبلها بقريته سليمة ، وملاها ماء وعاد الى بيته ، وحين انتهت الغولة من اصلاح قريتها ذهبت الى حديدان ونادته ، « حديدان هيا يا حديدان الم تنته من اصلاح قريتك ؟ ،» فرد عليها ، « لقد ملأت قريتي وانتويت ،» فتضايقت وشارت وذهبت لتبلا قريتها بهفردها .

ثم جاءت اليه مرة اخرى ونادته وقالت ، « تعال معي نذهب الى البستان لنحضر برتقلا ،» فاجابها حديدان ، « لكن تفسي مقطعة وساصلحها واخيطها ثم اذهب معك الى البستان ،» فأسرعت الغولة الى بيتها وقطعت قنبتها واخذت تصلحها وتخيطنها لتخرج في موعد خروج حديدان ، لكن هذا لم يحدث ، لان قفة حديدان كانت سليمة ، وقد خرج مسرعا والتقط من البستان انضج واكبر حبات البرتقال ، وملا قفته وعاد الى بيته ، وافلق باب الحديدي ، ولما انتهت الغولة من اصلاح قفتها ، خرجت لتقابل حديدان ، قال لها ، « لقد احضرت البرتقال وشكراً لك ،» فشارت الغولة وكادت ان تجن ، واحتارت ولم تعرف ماذا تفعل مع حديدان .

وكانت الغولة تخرج كل يوم في الصباح الى الجبل لتصيد ، وتترك حمارها ، فتخرج حديدان من بيته الحديدي واخذ الحمار وربكه وذهب الى اماكن كثيرة ، وعاد وقد انهك الحمار ، وحين رأى الغولة قادمة من الجبل ، ترك الحمار وذهب الى بيته الحديدي ، ووجدت الغولة الحمار متعباً منهكاً ، فازداد غيظها ، واحتاجت وثارت ، لكن دون نائفة .

وذات يوم كانت الغولة تسير في الغلابة فقابلت رجلاً عجوزاً هراماً فاعتربت منه تريد انقراسه واكله ، فآخذ الرجل يسترحم الغولة ، فقالت له ، « ان قلت لي عن حيلة امسك بها حديدان الحرامي اتركك ،»

وحكت له ما حدث بينها وبين حديدان الحرامي ، فقال الرجل العجوز ، « هل تمدينى ان قلت لك عن حيلة تمسكين بها حديدان ، ان تركبني ولا تأكليني » ، فوعده الغولة بالامان ، فقال العجوز ، « ابحنى عن رجل مثلى واكسرى راسه واخرجى مخه وادهنى بهخه ظهر حمارك . فان جاء حديدان وركب الحمار ، فانه يلتصق بظهره ولا يمكن ان يخلص نفسه من الحمار ، فسيظل ملتصقا به ، فتجيبى انت وتمسكيه » . عند ذلك هجبت الغولة على الرجل العجوز وكسرت راسه واخرجت مخه ودهنت به ظهر الحمار .

وجاء حديدان وركب الحمار ، لكنه ظل ملتصقا به ، فجاءت الغولة نرحة وامسكت به ، وقالت له ، « اخيرا امسكتك يا حديدان » ، فسألها ، « ماذا ستفعلين بي ؟ » ، فضحكت وظهرت انيابها ، واجابته ، « ساكلك طبعيا يا احمق كما اكلت اخوتك السنة » ، فقال لها حديدان ، « لكن انظرى الى انا تصير وعظمى رقيق جدا ، فانئت حمقاء ان اكلتنى الان ، خذينى الى بيتك واطعمينى كثيرا حتى اسمن ، فتذبحينى وتطبخينى انكسكس وتستدعى احبابك واصحابك الغيلان فتكون وليهة شهية » .

فأخذته الغولة وادخلته الى دارها ، ووضعتة فى غرفة ، واقتلت الباب بالفتاح ، لكن حديدان الحرامي قتل لها ، « انا الان اسير عندك ويحرسنى اولادك فاعطينى المفتاح وساقفل على نفسى الحجرة فلو فتحت على الباب كل يوم فسأرتعب من قدومك ودخولك الى ، وعندئذ لاينفع معى الطعام ولن اسمن ابدا » ، فوافقت الغولة واعطته المفتاح واحضرت له اكياسا مملوءة بالجوز (1) واللوز وما لذ وطاب من الاطعمة ، وكانت كل يوم تجيء وتنادى ، « حديدان الحرامي ، اخرج لى اصبعك حتى ارى درجة بدانتك » ، وكان هناك نار يعيش مع حديدان فى الغرفة ، فأخرج لها حديدان ذيل النار ، فقالت ، « اف لك ، لم تسمن بعد يا لمعون » ، ومشت ، وكان حديدان يعطى النار الكثير من الجوز واللوز والطعام .

ومضت ثلاثة اشهر وانتهى كل الطعام الذى احضرتة الغولة ، ولم تبق سوى لوزة واحدة ، فتشاجر حديدان مع النار من اجلها ، واكلها حديدان ، لذلك عندما جاءت الغولة هذه المرة وارادت ان ترى اصبع حديدان ، لم يرد النار ان يخرج لها ذيله ، فأخرج

(1) - الجوز : الجرجاج بعملية التزوية

حديان بنصره ، نصرخت العجوز مرحة ، « لقد سميت يا حديان ،
 وحن ميماد الوليمة ، افتح يا حديان افتح » ، ففتح حديان الباب
 وبخلت الغولة وقالت ، « تعال أذبك » ، فقال لها ، « ولماذا تشغلين
 نفسك ببخى وطبخى ، اذهبي أنت واستدعى أصحابك وأحبلك واتركي
 ذبحى وطبخى لبناتك » ، فذهبت الغولة لتدعو الإصدقاء ، أما حديان
 فقد احتال على بنت من بنات الغولة ، وقال لها أنه سيحكى لها حكاية
 وأخذها الى بيته وذبحها ثم قال للبنت الثانية ، « تعالى لإحكى لك
 حكاية مثل اختك » ، وأخذها الى بيته وذبحها ، وكذلك فعل مع الثالثة ،
 وأحضر حديان رؤوس بنات الغولة الثلاثة ومشط شعورها ووضعها
 على السرير ووضع المخدات كأنها أجسادهن ، وغطاهن بالغطاء ، فكان
 يهيا للنظر أن البنات نائمات ، وأخذ لحومهن وطبخها وجعل منها الطعام
 ووضعها فى الأطباق ، ثم أحضر حديان مخطأنا حديدا له ثلاثة اطراف
 مدببة مسنونة ، وكيسا من الملح وحزأما من الجلد ، وربط نفسه رباطا
 متينا فى السقف .

وحين جاءت الغولة وأصحابها ، أسرعوا الى البيت تجذبهم رائحة
 اللحوم المشوية والطعام ، ونظرت الغولة فوجدت بناتها نائمات فقالت ،
 « مسكينات تعبات ، ذبحن حديان وطبخنه وهيان لنا الكسكس ، لكن
 يظهر أنهم اكلن كثيرا ومنن » ، وجلست الغولة وأصدقائها يأكلون الطعام
 اللذيذ ولحوم بناتها المطبوخة ، وما كادوا ينتهون من التهام الطعام
 اللذيذ حتى صرخت الغولة ، « ندى ، ندى » ، ذلك انها وجدت نديا
 مطبوخا ، ولم يكن لحديان آحرامى أثناء ، وجرت لتوقظ بناتها ،
 ووجدتهن رؤوسا ولا شىء أكثر من ذلك ، فتحققت انها اكلت مع
 صدقاتها بناتها .

وانصرفن الغيلان حتى لا تزيد الغولة هياجا وثورة ، وبقيت
 الدولة كالمجنونة تصرخ وتولول ، وأخذت تبحث عن حديان ، فنادأها
 حديان من السقف ، « أنا هنا أيتها الغولة » ، نصرخت ، « لقد تغديت
 بى نبل ان أتعنى بك » ، نرد حديان ، « والله لقد تعديت أنت من
 تبل ، واكلت أخوتي الستة وأنا فعلت ذلك انتقلما » ، فسألتها ، « لكن
 كيف وصلت الى السقف يا حديان ؟ » ، فأجابها ، « لقد أحضرت عددا
 كبيرا من الاكواب الزجاجية التى يشرب منها الناس الماء ، ووضعتم
 كوبا فوق كواب حتى وصلت الى السقف »

فأسرعت الغولة واحضرت الاكواب ورصتها فوق بعضها ، وحاولت ان تقف فوقها ، فتفكرت الاكواب الزجاجية ، وانتشر زجاجها شظايا حادة ، ووقعت الغولة وانغرزت شظايا الزجاج الحادة في أرجلها وفي جسدها ، ورى حديدان الملبح في جروحها ، فصرخت لها ، وحاولت الغولة مهاجمة حديدان ، فقفزت لتصل اليه فتذنها حديدان بالملح في عينيها ، فزاد صراخها .

ثم سألت الغولة حديدان ، « كيف اصل الى السقف يا حديدان ؟ » نرد عليها قائلا ، « أحضري زجاجات كبيرة فارغة وضعيها فوق بعضها البعض ، واصمدي عليها » ، فاحضرت الغولة زجاجات كبيرة فارغة ووضعتها فوق بعضها البعض ، وصعدت عليها ، فوقعت وتكسرت الزجاجات ، ودخل الزجاج المكسور في قدميها وفي جسدها ، ورمها حديدان بالملح ، « فملا الملح جروحها وانتشر فيها ، فصرخت من شدة الألم .

واخذت الغولة وقد زاد ألها تقفز الى السقف حتى كادت ان تمسك حديدان ، لكنه أسرع وطعنها بالمخطف الحديدي المسنون في وجهها وعينيها فتذنها بالملح حتى عمت وسالت دماؤها ، وارتمت على الأرض جريحة ، وناشدت حديدان الرحمة وسألته ان يأخذها الى الطبيب ، فلك حديدان رباطه ، ونزل من السقف واحضر حمار الغولة وغطاء ، ووضع الغطاء على ظهر الحمار وملأه بالإبر ، واركب الغولة فوق الحمار وربطها فوق ظهره برباط ميتين ، واتفق مع الحمار ان قال له أمش ، يقف ، وان قال له ، قف ، يمش .

وظل حديدان يعذب الغولة فوق ظهر الحمار ويغرز في جسدها الإبر حتى ماتت ، فرماها في البحر؛ ورجع بالحمار الى بيت الغولة ، وأخذ كل ما عندها من أشياء ، وذهب الى بيته الحديدي ، وظل يعيش فيه حتى عاد والداه من الحج ورجع معها الى الدار .

الآخوان

كان الرجل متزوجا من امرأتين ، ووضعت كل منهما ولدا في ليلة واحدة . وشب الطفلان ولاحظ الأب أنهما يتشابهان تماما حتى كان يصعب عليه أن يفرق بينهما أن اجتماعهما سويا أمامه .

وبعد سنوات ماتت زوجة من زوجتيه ، فأخذ الرجل طفله وعاش مع زوجته الثانية وابنها ، وكانت الزوجة لايمكنها أن تفرق بين الولدين لتماثلهما اللطلي حتى في الصوت والحركة والعادات ، فان نام أحدهما وأيقظته ، استيقظ الولد الآخر وان نادى ولدا منها كان يدير رأسه ناحية اليمين والثاني يفعل مثله ، وما يغضب أحدهما يغضب الآخر وما يفرح هذا يفرح أخاه ، ومن الغريب أن الولدين كانا يتبادلان اسميهما فان نادى الأب وأحدا منها يرد الآخر وهو يقصد المزاح فلا يكشف الأب فلك ، والآخر يفعل نفس الشيء ، وكانا يضحكان خفية ويعجبان من قدرتهما على خداع والديهما دون أن يكشف اللعبة أحد .

وبعد مضي سنوات قليلة مات الأب ، فعاش الولدان مع المرأة وهي لم لاحدهما وامرأة أب بالنسبة للآخر .

وتغيرت المرأة وأصبحت تريد أن تتخلص من الولد الآخر ، لكن حبه ابنها لأخيه وتعلقه الشديد به منعها من التخلص منه ، والحق أن الولد كان يبادل أخاه نفس المشاعر تماما ، وضائق المرأة عدم قدرتها على معرفة ابنها ، فالأثنان لا يفرق بينهما ، ودائما يضحان ويدمي كل منهما أنه الآخر، ولم تجد أي محاولة لتجعلهما يكتان من هذه اللعبة ، حتى وصل الأمر أن المرأة احتارت تماما ولم تعد تقدر أن تفرق بينهما وتعترف أي من الولدين هو ابنها ، لذلك ذهبت إلى مقببه

وسألته عن وسيلة تستطيع أن تميز بها ابنها عن الآخر ، فضحك الفقيه وقال لها ، « ما دمت تلاحظين ابنيك باسمه فيرد الآخر فلن يمكنك أن تعرفي أيهما ابنيك ، فعليك أن تحضري كسوة جيدة ويكون الولدان موجودين وتنادي ، ابني ، ابني ، فلا بد أن يرد عليك ابنيك ، وخذي هذا الحانم وضعيه في أصبعه وستعرفين ابنيك من الخاتم» .

نفذت المرأة ما قاله لها الفقيه ، وحدث ما توقعه ، ووضعت الخاتم في أصبع ابنها ، وفرحت المرأة وأخذت تعطى ابنها الزيد واللبن واللحم وتعطى الآخر الزيت وخبز الشعير ، وأعطت ابنها منديلا ليمسح به يديه. وأعطت أخاه قطعة من الخشب .

ومضى عام ، وكانت المرأة مسرورة ، لأنها رأت ابنها في صحة جيدة ، والآخر هزيلا وضعيفا ، وأصبحت حالته سيئة ، لكن في يوم بادت ابنها دون أن تذكر اسمه ، «ابني ، ابني» ، فأذهلها أن رد عليها الولد الآخر المعتل الصحة ، فهتفت به المرأة ، غير مصدقة عينها ، «هل أنت ابني؟» ، فأجابها الولد ، «نعم يا أمه أنا ابنيك» ، فصاحت ، «لكنك لاتضع الخاتم في أصبعك» ، فرد عليها ، «خلعته وأعطيته لآخي . حتى يأكل الطعام الجيد بدلا منى فاننى احبه» .

وابقت ابنها في الدار وأرسلت أخاه ليرعى الغنم ، وكانت لا تعطيه الا قليلا من خبز الشعير ، لكن الابن كان يعطى أخاه في غفلة من أمه اللحم والزبد ، ويبقى له دائما ما تعطيه أمه من الطعام ، ولم تجد مراقبة الأم ومحاولتها الاهتمام بابنها ومضايقة الآخر واضطهاده ، بل العكس ، فالولد ظل في صحة جيدة والابن يبقى عليلا ، نذهبت الى الفقيه وحكت له ما حدث ، فقال لها الفقيه ، «لاتأفدة ، عليك ان تعطيهما طعاما جيدا ويأكلان مع بعضهما» .

واضطرت المرأة لتقوى ولدها وتحسن صحته ، اضطرت ان تعطى الولدين الطعام الجيد ، اللحم والدجاج والزبد واللبن ، وتجعلهما يأكلانه مع بعضهما. كما قال الفقيه ، فاسترد ابنها قوته وأصبح اولدان في أتم صحة وعافية .

وكبر الولدان واستطاعت الام اخيرا بالرغم من تشابههما ان تميز ابنها ، وفي يوم نادته وقالت له ، «ياابني ، لقد مات ابوك وترك

ميرانا لأبأس به ، وأنا أريده ان يكون لك بمفردك ، وقد جهزت سمها ووضعته في الطعام واعطيته لاختك ليأكله ويموت ويصبح الهيراث لك وحدك ، فأياك ان تأكل من الطعام» .

فأسرع الى أخيه الذي كان يرعى الغنم ، ويكى وحكى له ما تالته أمه ، واخذ شيئا من الطعام واعطاه للكلب ، فأكل منه ومات في الحال ، فاحتضن الإخ اخاه الذي انتقذه ويكى هو الآخر وقال له ، «الان لا يمكننى ان ابقى واعيش مع امك ، وقد بلغت مبلغ الرجال نعطى ان ارحل في الحال » ، واعطاه خاتمه واوصاه ان لا يخلعه من اصبه وقال له ، «ان شعرت في يوم من الايام واحسست ان الخاتم صار ساخنا ، فاعرف اننى اموت » (1)، وودع كل منهما الآخر .

وسار الشاب هائها على وجهه لا يعرف الى اين يتجه ، سار حتى وصل الى بلدة بعيدة ، ووجد اهله يعيشون في ضيق وهم و في خوف وقلق ، فلما استفسرهم السبب ، عرف منهم ان هناك خارج البلدة عين ماء يجيء اليها غول ويبقى فيها ويمنع الماء عن أنزرع وعن الناس ، وقد طلب الغول ان يعطوه كل يوم عشرة خراف من الغنم ، فوعدهم الشاب ان يخلصهم من الغول .

وذهب ويقى هناك بجانب عين الماء ينتظر وصول الغول ، وغريت الشمس ومضت ساعة وجاء الغول ، وكان الشاب قويا شجاعا لا يعرف الخوف ولا يخشى الغيلان ، فاستطاع ان يقتل الغول ويخلص الناس من شره وجشعه .

وفرح الناس فرحا شديدا وقالوا له ، « لقد كانت كل دار تعطى الغول خرافا كثيرة » وأرادوا ان يعطوه تطيما من الغنم كمكافأة له فرفض ، لكنهم لصروا ، فلما رأى ان تهديه كل دار خروفا واحدا ، ولم يرض ان يأخذ الخراف وسألهم ان يحفظوها له عندهم ، فأتاهوا له وليمة كبيرة وودعوه .

و رحل نرى حال سبيله ، و سار حتى وصل الى بلدة وجد اهله أكثر هبا وحزنا من البلدة السابقة ، لان عين الماء التي يعيش بفضلها الناس وتمتى لهم زرعهم يسيطر عليها غول

(1) - آثار العتيدة النثرية في الحكايات أرجح لصفة 20

كبير ، يطلب ان يعطوه كل يوم سبعة ثيران ، فوعدهم الشاب ان يخصمهم من الغول الكبير .

وذهب الى عين الماء وحين جاء الغول هجم عليه الشاب في شجاسة وجراة واخذ يقاتله في عنف واصرار ويعزيمة قوية ، ويقلب لا يعرف الخوف او التراجع حتى قتله ، وارادوا ان يكافئوه ويعطوه تطيما من الثيران ، فرفض وسختي ان تهديه كل دار ثورا ، وطلب منهم ان يحفظوها له عندهم ، ولما اراد الرحيل احتفلوا به واقاموا له وليمة وشكروه وبينوا له تقديرهم لشجاعته انى انتقذتهم ، وودعوه ، ورحل في حال سبيله .

وسار ، سار حتى وصل الى بلاد يخلف شكل اهلها عن الناس تماما ، وفي هذه البلاد الفقراء مثل الاغنياء ، فرحبوا به بالرغم من غرابة شكله بالنسبة اليهم ، لكنه لاحظ انهم اشد حزنا وهما ، واكثر حوما وربما من اهل البلدين السابقين ، وعرف السبب ، فقد كان هناك غول جبار ، له عشرة رؤوس ، يهاجم البلدة ويهددهم بتدميرها ان لم يعطوه نقاة كل مرة ياتي اليهم ، وكانت كل اسرة تعطيه بنتا ، حتى جاء دور بنت الملك ، ولهذا كان الناس حزاني والملك يكاد يموت لها لانه لا يود ان يعطي ابنته للغول ، فوعدهم الشاب ان يخلصهم من الغول ذى العشرة رؤوس ، وطلب منهم ان يحضروا له نقاة ، وخروفا ناضجا وقصعة مليئة بالكسكس وعشرة طرابيش .

وذهب الى المعين وجلس هناك مع البنت واكل الكسكس والخروف وتاهب للنوم ، وسأل البنت ان توقظه حين يقبل الغول ، ونام .

ومضت ساعة وجاء الغول ، ولكن البنت ارتعبت وهلمت عندما رآته ، ومن شدة خوفها ورعبها لم تقدر ان تاتي باية حركة او توقظ الشاب ، لكن دموعها التي سالت في غزارة ووقعت فوق وجه الشاب النائم ، ايقظته ، فهب وامتشق سيفه وهاجم الغول ، تصرخ الغول ، «من انت ايها الطائر الغريب الشكل، انا لم ار مخلوقا يشبهك من قبل؟»، وامتشق هو الآخر حسامه ، وهاجم كل منهما الاخر وتقاتلا في ضراوة ، الشاب يهاجم ، والغول ينفجر غضبا من شجاعته ، وقطع الشاب راسا من رؤوس الغول المشرة وغطاها بطربوش حتى لا تثبت له راس

جديدة مكانها ، وظل يقاقله ويقطع رؤوسه الواحدة بعد الاخرى ويغطفى
مخازن كل رأس مقطوعة بطربوش ، حتى قطع الرؤوس العشرة ، ومات
الغول .

ففرح اهل البلدة فرحا شديدا ، واراد الملك أن يكافئ الشاب
ووزجه ابنته اعجابا بقوته وشجاعته وتقديره لصنيعه الذى انقذ الناس،
ورغبت كل أسرة ان تهديه بنتا من بناتها لكنه رفض ، ولما اصر الناس،
قبل ان يهدوه عشر بنات ، وطلب منهم ان يبتقين مع اهلهم ، وقبل من
الملك مكافأة سخية ، واهداه الملك حصانا اصيلا وكبنا من كلاب الصيد
القوية ، واحتفلوا به احتفالا كبيرا واتلموا له والتم كثيرة وطلبوا منه
ان يبتقى ويميش معهم ، لكنه شكرهم ، وودعوه وهم سيكون لرحيله .

وركب الشاب حصانه وسار يتبعه كلبه ، وواصل رحيله ، واراد
ان يأكل ، فتوقف عن المسير ، ونزل من فوق حصانه وربطه في شجرة
وأودت نارا ، نجاعت اليه غولة وطلبت منه تبسا من النار ، فقال لها ،
« تعالى وخذى النار » ، لكنها اجابته ، « حتى تربط كلبك فاننى اخاف من
الكلاب » ، فاحنى وتظاهر بأنه ربط الكلب ، فقفزت الغولة عليه لتأكله ،
لكنه لم يكن قد ربط الكلب ، فاندفع الكلب وهجم على الغولة ، وامتشق ،
الشباب حسابه واطاح برأسها .

وركب الشاب حصانه ومضى في طريقه يتبعه كلبه ، حتى احس
بالجوع ، فتوقف وربط الحصان واشمل نارا ، وجلس امامها ينفخ شيئا .
من لحم حيوان اصطاده ، نجاعت اليه غولة اكبر من الاولى وسألته ان
يعطيها تبسا من النار ، فقال لها ، « تعالى وخذى ما شئت من النار » ،
فأبذت الغولة خونها من الكلب ، وطلبت منه ان يربطه ، فتظاهر بأنه
تدربطه ، فقفزت الغولة تبني انتراسه واكله ، لكن الكلب انطلق
اندفع وهاجمها في شراسة وقوة ، واطاح سيف الشاب برأسها ، وركب
حصانه ، وسار وراءه كلبه المخلص ، حتى قابل غولة اكبر من الغولتين
«سابقتين ، وطلبت منه نارا ، فسألها ان تجيء وتأخذها ، ولم تطلب منه
ان يربط الكلب ، بل اقتربت من الشاب ولم تهاجمه فلم يهاجمها الكلب ،
وربطت الكلب بنفسها ، ثم قفزت على الشاب وابتلعته ، فشمع اخاه
واحس بسخونة الخاتم في اصبعه وعرف ان اخاه يموت .

فترك الدار ورحل ، وسار ليبحث عن اخيه ، ومر بالبلدة الاولى



وكان الشاب قويا شجاعا لا يعرف الخوف، ولا يخشى الغيلان، فاستطاع أن
يقتل الغول، ويخلص الناس من شره وجشعه .

التي مر بها أخوه ، فناداه الناس نرجين برويته وقد ظنوه الاخ الآخر
لانه يشبهه تماما ، واعطوه الخراف التي حفظوها له ، فشكرهم وتركها
عندهم ، وعرف ان اخاه قد مر من هنا ، فاستأنف رحيله وسار في
طريقه حتى وصل للبلدة الثانية ، ففرح الناس بقدميه ورحبوا به
وقد ظنوه الشاب الذي انتدزم وقدموا له الثيران التي حفظوها له ،
فشكرهم ورحل وقد عرف ان اخاه قد مر من هنا .

وعندما وصل الى البلدة التي يختلف شكل اهله عن الناس ،
والفقراء فيها مثل الاغنياء ، قابله بترحاب وهللاوا لقدمه واحضروا
الخبز وقدموهن له ، ودعاه الملك لوليمة كبيرة ، واعطاه حصانا
مسيلا وكلبا من كلاب الصيد القوية ، فشكر اهل البلدة ، ورحل وعرف
ان اخاه قد مر من هنا .

وركب الحصان وسار يتبعه كلبه حتى وجد حصان اخيه وقلبه
ومشى معها حتى قابل الغولة الكبيرة ، وعرف ان اخاه في بطنها ،
فامسك بسيفه في يده ووقف نائرا غاضبا ، وشراوات النار تتطاير من
عينيه ، ووقف الكلبان ، احدهما على يمينه والاخر على يساره ، وصرخ
في الغولة ، وامرها ان تخرج اخاه من بطنها وترجمه ، فقالت الغولة ،
«اذا ارجعته من بطني سيكون اعمى» ، فصاح ، « ان رجع اعمى سأطلع
لك عينيك واجعلك عمياء» ، فقالت له الغولة ، «اذا ارجعته من بطني
سيكون اعور ، يرى بعين واحدة» ، فرد عليها ، «ان رجع بعين واحدة
اتلع ذك عينا» ، فقالت ، « اذا ارجعته من بطني سيخرج ميتا» ، فصرح
الشاب ، « اذا خرج من بطني ميتا سأنتك» .

فأخرجت الغولة الشاب من بطنها حيا سليما ، ففرح الاخوان
باللقاء وعانقا بعضهما ، وركب كل منهما حصانه وسارا يتبعهما الكلبان
في طريق عودتهما الى بلدهما .

ومرا بالبلدة التي يختلف اهله عن الناس واصطحبا معها الفتيات
العشر والاميرة ، وعندما وصلا الى البادية الاخرى ، اخذا الثيران ،
واعطاهما اهل البلدة الاولى الخراف ورجعا الى بلدهما وعاشا
سعيدين .

الأمير الصغير

كانت في حديقة قصر الملك شجرة تفاح تثمر تفاحا ذهبيا ، ولاحظ الملك أن الشجرة تنقص كل يوم تفاحة ، فقرر امرا ، وحين جاء الظلام اختبأ الملك وراء خبيطة وظل ينتظر طول الليل ليمسك اللص بنفسه ، وقبل بزوغ النجر سمع جلية ، وأقبل طائر كبير يشع نورا ، وله ريش ذهبي ، والتقط الطائر تفاحة ومضى مبتعدا في الاعالى قبل ان يفيق الملك من دهشته .

وفي الصباح نادى الملك اولاده الثلاثة وحكى لهم ما حدث ، واستطرد قائلا ، « اننى لم ار في حياتى مثيلا لهذا الطائر الجميل بريشه الذهبى وتلك الاضواء الباهرة المنيرة التى تشع منه ، اننى اريد هذا الطائر ، ومن حضره الى منكم سأعطيه نصف ملكى ويصبح ملكا من بعدى . »

فاجاب الابن الاكبر ، « سأقضى طول الليل يا ابي تحت شجرة التفاح الذهبية وفي الصباح سأقدم لك الطائر » ، وذهب الامر حين حل الظلام الى الحديقة ، وانتظر قدوم الطائر ، ومضت ساعات وساعات وحل به التعب من السهر فنام ، وجاء الطائر والتقط تفاحة ذهبية وطار بعيدا .

وفي الصباح قال الامير للملك ، « لم يجيء الطائر هذه الليلة يا ابي » ، فسأله ان كان قد نام ، فكذب عليه قائلا ، « لم يقمض لى جفنتن » .

وتعهد الامير الاوسط ان يقضى الليل يحرس شجرة التفاح وأن يقدم للملك الطائر في الصباح ، فأعطاه الملك الاذن ، وذهب الامير

الى الحديقة ، وحين غربت الشمس وتقدم الليل ألم به النعاس ، ونزل بتأومه ، لكنه في النهاية تغلب عليه النعاس ونام ، وجاء الطائر الذهبى والتفتت فتاحة وطار في السماء بعيدا ، بعيدا .

وفي الصباح ذهب الامير الى الملك وقال له ، « لم يجرى الطائر هذه الليلة ، ولم اتم لحظة واحده » ، وكذب مثل ابيه ، عندئذ تقدم الامير الصغير الى ابيه واستأذنه ان يقوم بالحراسة في الليلة القادمة ، فأذن له الملك . وعند الغروب كان الامير الصغير يتبع تحت شجرة ابتاح الذهبية ، ينتظر في لهفة ، ومرت ساعة وساعات وهو يقظ ومنتبه ، وقبيل النجر سمع جلبة خفيه ورأى في السماء نورا وضاء يلهم ويخطف سناه الإبصار ، فأسرع ونساق شجرة التفاح ، وما هى الا لحظات حتى اقبل الطائر الكبير بريشه الذهبى وجماله الاخاذ ، وهبط يلتقط فتاحة ، لكن الامير الصغير المختبئ بين الاغصان مد يده فجأة ليمسك بجناحه حين اقترب من الاغصان لكن حركة الطائر كانت اسرع من حركة الامير ، وفزع الطائر وطار بعيدا دون ان يلتقط فتاحة ، وبعثت في يد الامير الصغير ريشة واحدة ذهبية من جناح الطائر ، جميلة وبيجة ورائعة أحسن .

وفي اصباح قدما الامير الصغير لابيه الملك وقص عليه ما حدث ، فآخذ الملك يقلب الريشة الذهبية بمنجبا ومعجبا ، ووضعها في الصندوق الذى يحفظ فيه انفس جواهره ، ولم يستطع احد ان يمسك بالطائر الذهبى .

ومضت الشهور وكاد الملك ان ينسى حكاية الطائر الذهبى ، لكن في يوم من الايام اراد الملك ان يهدى احد المذوك شيئا من الجواهر ، ففتح صندوقه ورأى الريشة الذهبية تشع نورا بين الماس والياقوت والمرجان ، وتبدو أروع وأبدع ، وكأنها ملكة بين المجوهرات ، فأسك الملك بالريشة الذهبية بين يديه يتأمل حسنها وروعة جمالها ، ونسى ما جاء من أجله ونادى اولاده الثلاثة ، وهتف بهم ، « اننى اتنى ان يكون الطائر صاحب هذه الريشة عندى ، واكرر لكم ، ان من يحضر هذا الطائر الى سأعطيه نصف ممتلكاتى ويكون هو الملك من بعدى ، فاذهبوا ايها الامراء وابحثوا في كل مكان ، وآتوني بهذا الطائر » .

وخلعت الغيرة الى قلب الاخوين الاكبر والايوسط من اخيها الامير



لكن الأمير الصغير المختبئ بين الأغصان مد يده فجأة ليمسك بجناحيه
حين اقترب من الأغصان

انصغير ، ذلك انها حاولا الامساك بالطائر فغلبها التماس ، وفجع
الامير الصغير ولو قليلا ، حقا انه لم يسك الطائر لكنه اتى بريشته
واصبح محبوبا مميزاتا ، فاتفقا ان يسيرا معا ويسير الامير الصغير
وحده ، اثناء بحثهم عن الطائر الذهبى الذى كان ابوهم المملك
يتحرق شوقا للحصول عليه ، ولم يعترض الامير الصغير ، ووافق
اخويه على رايهما دون غضب او ضيق .

وجهد نفسه للسفر وركب حصانه ومشى فى الطريق المجهول
محاولا ان يحتق اهل والده نياتيه بالطائر الذهبى .

ظل الامير الصغير يبحث ويسأل فى كل مكان ، يعبر الانهار
ويصعد اجبال ، ويخترق الغابات ويمر بالمدن والقرى ، يسأل ،
ويسأل ، ولم يجد احدا يعرف الطائر او يرشده الى مكانه .

وفى يوم من الايام وصل الامير الصغير الى طريق تتفرع منه ثلاثة
طرق ، فاحتار الامير ، اى الطرق يختار ، ففكر قليلا ومشى فى احداهما ،
ولم تكد تضى ساعات تليقة حتى احس الامير بالحصان يتمشى
وتضعف قواه ، فنزل من فوقه ليطمئن عليه ، لكنه وجد الحصان غاية
فى الاتهاك ، والزيد يخرج من فيه ، ووقع الحصان واخذت انفاسه
تتلاحق واهتزت ارجله وصل مرة واحدة وفارق الحياة .

وكان الحصان اثرا وعزيزا لدى الامير فوقف ينظر اليه حزينا
وريت بيده على عنقه المبلل بالعرق ، وشعر نجاة بوقع خطوات خفيفة
مقبلة ، فنظر خلفه فابصر ذئبا لم ير مثله فى حياته ، فقد كان لونه
عجيبا ، وتشع من عينيه شرارات النار وقال الذئب ، « سيدى الامير
لاتحزن على حصانك الوفى ، وانرح بنجاتك ، فانا اعرف عنك كل شىء ،
انتكر الطريق الذى يتفرع الى ثلاثة ، لقد سبقك اخواك اليه وكان هناك
عند بداية كل طريق من الطرق الثلاثة حجر ، ومكتوب على الحجر
الاول ، « تقاسى الجوع والعطش » ، ومكتوب على الحجر الثانى ،
« تميش ويصوت حصانك » ، والثالث كتب عليه « تصوت ويغمس
حصانك » ، وجاء اخواك وازالوا الاحجار لانهما خافا ان تسبقهما
وتحصل على الطائر الذهبى وارادا لك الهلاك ، لكننى مرصود على
خدمتك فكان لابد ان التاك وانتكذك . »

نفرح الأمير الصغير فرحا شديدا وقال للذئب ، « انن خذنى بسرعة الى حيث يوجد الطائر الذهبى ، « نهز الذئب راسه وقال ، اريد ان ابين لك امرا ، وهو ان ذلك الطائر الذهبى يوجد فى حديقة ملك من الملوك وهو داخل قفص لم تر العين له مثيلا ، قفص مصنوع من انفس واجمل الجواهرات ، وهو غريب الشكل رائع التكوين ، ولتقنص علادة برصمة ومزخرفة بالاحجار الكريمة ، والقفص معلق فى احدى الاشجار ؛ ويحيط به حراس شداد ، سأخذك الى الحديقة وارشدك الى الشجرة وما عليك الا ان تفتح باب القفص وتأخذ الطائر، لكك ان حاولت ان تأخذ القفص وتولته من الشجرة فسيستيقظ الحراس ويقبضون عليك ، « نردد الامير ، « لن افعل ، لن افعل ، خذنى بسرعة الى الطائر الذهبى .»

ومشى الامير مع الذئب حتى وصلا الى مشارف قصر كبير تحيط به حديقة جميلة حولها سور له عدد كبير من الأبواب ويقف على كل باب سبعة حراس .

ووصف الذئب للامير الحديقة وأشار الى الناحية التى توجد فيها الشجرة ، واعاد عليه ما اوصاه به ، فمقزز الامير من نوق السور ووصل الى شجرة كبيرة ، ونظر فرأى نجاة الطائر الذهبى والاثوار تشع منه وتللا فتخطف الامير ، وكان الطائر بانفعل داخل قفص مصنوع من الذهب وقد رصع بكل حجر كريم ونفيس ، وتشع الوان الاحجار الكريمة صفراء ، وخضراء ، وحمراء وزرقاء ، ونضية ، اما علاقة القفص ناية من آيات الفن والابداع ، ففتح الامير باب القفص وامسك بالطائر واخرجه ، فأسند الطائر راسه على صدر الامير كأنه يريد ان يذهب معه ، وخطا الامير خطوة والتفت ليلقى نظرة أخيرة على القفص الجليل ، فسحرته روعته ولم يتمالك نفسه ، فمد يده ونزعه من الشجرة ، ونجاة استيقظ الحراس واحاطوا به وامسكوه واخذوا الطائر الذهبى منه ، وادخلوه فى قفصه ، وصحبوه معهم الى الملك .

وقصوا عليه ما حدث ، فقال له الملك ، « كيف تجرؤ ايها اللص ان تدخل حديقتى وتحاول سرقة اعز ما املك وهو الطائر الذهبى ؟» فرد الامير ببينا للملك انه ليس بلص وحكى له كل شيء ، نهز الملك

رأسه وقال ، « لو أنك جئت الى وطلبت منى الطائر لاعطيتك لك ، خاصة واننى لاحظت انه احضر تفاحتين ذهبيتين دليلا على صدق ما تقول » ، وبعد ذلك انتاب الملك الحزن والاسف ، وزاد قائلا ، «والان وبعد ان حكيت لى ، عرفت ان الطائر يشتهى تلك التفاحات الذهبية ، وحين حرست انت شجرة التفاح ولم تسمح له باخذ تفاحة ذهبية ، حزن حزنا شديدا ، لكن كل هذا لا يهم ، انت الان بسص مقبوض عليك لكننى ساسلمك واعطيك الطائر ، شرط ان تحضر لى الحصان ذا الاسنان الذهبية ، فهو اسرع حصان فى الدنيا ويجرى فى سرعة البرق » ، وامر الحراس ان يظلموا سراحه ، حين نعهد له الامر بتحقيق رغبته وتنفيذ شرطه .

وخرج الامير الصغير مكتئبا ، وراه الذئب فسأله ساخرا ، « اين الطائر الذهبى ؟ » ، فحكى الامير للذئب ما حدث ، فانبه الذئب قائلاً ، « انك لم تسمح كلاى ولم تعمل بنصيحتى ، على اية حال ساساعدك مرة ثانية » ، فهتف الامير ، « اذن هيا بنا الى حيث يوجد الحصان ذو الاسنان الذهبية ، اسرع حصان فى الدنيا » .

فاخذه الذئب الى مكان الحصان ، وكان داخل حظيرة كبيرة ذات جدران سبيكة اشيبه بقلعة صغيرة ، وتقع على مقربة من قصر أحد الملوك وهو صاحب الحصان .

ووقف الذئب مع الامير قريبا من الحظيرة ، وقال له ، « فلتدخل يا سيدى الامير هنا حيث يوجد الحصان ، فاقترب منه ولا تخف من الحراس المحيطين به ، فكلهم نائمون ، وستجد بجانب الحصان حذوات ذهبية معلقة على الجدار ، اياك ان تحاول اخذها ، فان نعات فان الحراس سيستيقظون ويسكون بك وياخذونك الى الملك صاحب الحصان » ، فوعد الامير ان لا يفعل .

واسرع واتجه الى الغرنة الكبيرة الشبيهة بقلعة ودخلها ، وذلك حين رأى الحصان واقفا يلعب جلده وكأنه مدهون بالزيت ، وتتصب رقبته عالية ، وهو يضرب بحوائره فى الارض فتتطاير شرارات النار من تحتها ، كان واقفا فى خيلاء كأنه ملك الخيل ، وصهل الحصان : فظهرت اسنانه الذهبية العجيبة تلعب وتبرق .

واقترب الامير منه فى شجامة وريت على رقبته وأمسك بلجائه

وقاده فانقاد له ، وانفتحت الامير فرأى أربعا من الحذوات الذهبية المزينة بالنقوش ملقاة على الحائط وقال في نفسه ، « ان هذا الحصان العجيب يستحق هذه الحذوات » ، ومد الامير يده واخذ الحذوات الذهبية ، نسمع في الحال جلبة ، فقد استيقظ الحراس وهجموا على الامير واحاطوا به وامسكوه ، واخذوه الى الملك صاحب الحصان .

ولما مثل بين يدي الملك ، وحكى الحراس ما جرى ، وانهم امسكوا به وهو يقود الحصان ليسرته ، قال له الملك ، « ساعاتيك أيها اللص عقابا شديدا » ، فقاطعه الامير في شجاعة ، « كفى ، اننى لمست بلص بل انا امير ابن ملك مثلك » ، فادهش الملك ، « لو استفسره فحكى الامير حكايته ، وحين انتهى قال له الملك ، « لو انك طلبت منى الحصان لامطيته لك اما الان فانت لى ، لكن يمكنى ان اعفو عنك واعطيك الحصان كذلك ، شرط ان تحضر لى الاميرة الغالية ، التى يفوق جمالها جمال القمر ، وأمر الحراس ان يخلوا سبيله ، فقد وعد الامير ان يحضر للملك الاميرة الغالية .

ورجع الامير الى الذئب حزينا ، فسأله الذئب عن سبب حزنه ، فحكى له ما جرى فقال له الذئب ، « للمرة الثانية لم تسمع كلامى ونعمل بنصيحتى » ، واستطرد ، « الاميرة انغالية فى مكان بعيد ولا بد ان تقطع سبعة بحور وسبعة جبال وسبع صحارى ، لكن ليس عليك من بانى فمساعدك » .

وحول الذئب نفسه الى بجمة كبيرة وسأل الامير ان يركب فوقه وطار به ، طار فوق بحر كبير ، وظل يطير ، حتى وصل الى بحر آخر واسع ورحيب ، وظل يطير ويطير ثم عبر بحرا ثالثا ، وبحرا رابعا ، وواصل الطيران ، وعبر البحر الخامس والسادس حتى وصل الى البحر السابع ، وقال للامير ، « يا سيدى الامير اننى احس بالجوع والعطش ، ولا توى علي الطيران ، فاجابه الامير ، « لاعليك » ، واستل خنجره وقطع من لحم فخذة واعطاه للطائر ، ثم اعطاه دماءه ليشربها ، وظل يقطع من لحمه ويأكله حتى عبر البحر السابع .

ونزل الطائر والامير على الارض ، ووقفا عند سفوح الجبال ، ورجع الذئب الى شكله الحقيقى ، ونظر الى الامير وجروحه وقال له ، « سيدى الامير لقد اتيقت حياتى وكنت ساموت من

الجوع والعطش ، لكك قطعت من لحمك وأعطيته لى طعاما ،
وسقيتنى من دمك ، والآن سأدأويك » ، وأعطاه الذئب بعضا من
شعيراته وسأله ان يسبح بها على جروحه ففعل الأمير ، وعاد سليما
معافى .

وحول الذئب نفسه الى حصان وقات للامير ، « أركب » ، فقفز
الامير فوق ظهر الحصان ومضى يصعد فى الجبال ويعبر الوهاد ،
وظل الحصان يجرى دون تعب او ملل،حتى عبر السبعة جبال،واطل على
كثبان رمال الصحراء الاولى ، فحول الذئب نفسه مرة ثالثة الى جمل
وركب فوقه الامير ، ومضى الجمل يسير ويسير عبر الصحارى السبع
وفى الطريق وجدا وأحة فشربا من مائها ، واكلا من ثمرها الحلو ،
واستأنفا السير حتى اجتازا الصحارى السبع ، وعند اطراف الصحراء
السابعة وجدا قصرأ بديعا تحيط به الحدائق الغناء ، وكانت الاميرة
الحسنة التى يفوق جمالها جمال القمر تنزه فى الحديقة ، فاختطف
الامير الصغير الاميرة الجميلة ، وركب معها فوق الجبل ، وبدلوا رحلة
العودة .

فاجتازوا الصحارى السبع ، وعندئذ حول الذئب نفسه من شكل
جمل الى شكل حصان ، ثم عبروا الجبال السبعة حتى وصلوا الى
البحار ، فحول الذئب نفسه الى شكل بجمة كبيرة ، وتزود الامير
هذه المرة بالماء واللحم ، وركب مع الاميرة فوق البجمة ، وطارت
البجمة وعبرت السبعة بحور ، واستعاد الذئب هيأته الحقيقية ،
واستأنفوا مسيرهم حتى وصلوا قريبا من قصر الملك صاحب الحصان .

وسار الامير ممسكا بيد الاميرة وبجانبه الذئب ، نحو باب القصر،
وتباطأ الامير فى خطواته ، ذلك لانه كان قد وقع فى حب الاميرة الجميلة،
فقال للذئب ، « يا عسى الذئب ، الا ترى جمال الاميرة الساحر وحسنها
الفتان ، حرام أن نعطيها للملك ، اننى احبها ، احبها واود الاحتفاظ
بها ، الا يمكنك ان تساعدنى ؟ » ، فمز الذئب رأسه واجاب الامير ،
« لا عليك » ، ودخل الذئب الى دغل قريب وخبا فيه الاميرة ثم حول
الذئب نفسه الى شكل الاميرة ، ورجع الى القصر مع الامير الصغير،
واستقبل الملك فرحا الامير والاميرة الحسنة ، واخذها آلى داخل
القصر ، ورجع الى الامير وشكره ، وصحبه الى الفرفة الثمينة

بالقلعة واعطاه الحصان ، فركبه الامير وودع الملك ، واسرع الى
الذئب حيث خبا الاميرة ، فركبت معه فوق اسرع حصان في الدنيا
والذي يجرى في سرعة البرق .

لكن الامير قبل ان يسير التفت حثرا وقال ، « أين عمي
الذئب ؟ » ، فوجده بجانبه ، وجرى الحصان يحمل الامير ومحبوته
والذئب يجرى بجانبه في سرعة تماثل سرعته .

ولم يتفوا الا عند قصر الملك صاحب الطائر الذهبي ، ونزل
الامير من فوق الحصان وبقيت الاميرة مع الذئب حتى يسلم الامير
الصغير الحصان للملك ويحضر الطائر .

ولم يرد الامير ان يتقدم ، لانه اعجب بالحصان وسرعة جريانه
اعجابا شديدا فقال للذئب ، « لقد رايت كيف يجرى الحصان ، حرام
ان نعطيه للملك ، اننى اريد هذا الحصان » ، فهز الذئب راسه واجاب
« سأساعدك ياسيدي الامير » ، واخذ الحصان والاميرة وخباها وراء
شجرة ، وعاد الذئب الى الامير ، وحول نفسه الى شكل الحصان ،
فقاد الامير ، ومثل بين يدي الملك وتقدم له الحصان .

ففرح الملك وأمر حراسه ان يعتنوا بالحصان ويحيطوه بالرعاية
واعطى الامير الطائر الذهبي .

وخرج الامير من القصر حاملا الطائر الذهبي ، وذهب وراء
الشجرة حيث وجد الحصان الحقيقي والاميرة ، فركب الحصان ووراءه
الاميرة وأمامه الطائر الذهبي ، وقبل ان يسير التفت وقال ، « أين
عمي الذئب ؟ » فوجد الذئب واقفا قريبا منه بيتسم ويقول ، « وداعا
أيها الامير ، ان معك الان الطائر الذهبي ، والحصان العجيب ،
والاميرة الغالية ، وقد حققت لك امنيتك وزيادة » ، واختفى الذئب
من امامه في لمح البصر .

وقاد الامير الحصان وجرى به في سرعة البرق ، ليعود الى
بيلاده ، وما أن وصل الى الطريق الذي يتفرع الى ثلاثة طرق حتى لمح
اخويه فوقف فرحا بلقائهما ، لكنهما ما أن أبصرا الطائر الذهبي
بين يديه حتى انتابتهم الحيرة وامتلا قلباهما حسدا وغيرة ، فسيأخذ
الامير الصغير نصف ممتلكات ابيهم ويتولى من بعده الملك ، وحكى لهما

الأمير عن ماجرى له من أحداث ، وزادت غيرتها اشتعالا عندما رأيا أخاهما الصغير يملك كذلك أسرع حصان فى الدنيا ويقاتبه أميرة حسناء يفوق جمالها جمال القمر ، فأعابها الحسد بأسرها وفتزا وهاجبا الأمير الصغير ، واوثقا يديه وأخذاه الى غابة بعيدة ، وربطاه الى شجرة ربطا متينا بالحبال وتركاه وانصرما .

واخذ الأمير الأكبر الطائر الذهبى والحصان ، والأوسط الأميرة الجميلة ، وضربها وأختها ، وطلب منها أن تقول حين تمثل بين يدي لبيه الملك ، انه هو الذى خطفها وأحضرها معه .

وسارا الى قصر أبيهما الملك ، وقدم الأمير الأكبر الطائر الذهبى اليه ، وفرح الملك نرحا شديدا ، ووعده أن يقسم معه ممتلكاته وأن يكون ملكا من بعده .

وحكى الاميران - كذبا - للملك عن المغامرات التى قاتا بها ، هما الاثنان ، فكل ما حكاها لهما الأمير الصغير نسبته كل أمر الى نفسه ، الأمير الأكبر ، قال انه أحضر الطائر والحصان ، بينما ما لاقاه من سبيل ذلك من مشاق ومغاب ، والأمير الأوسط شرح كيف أحضر الأميرة الجميلة .

لكن الملك استفسرهما عن الأمير الصغير ، « ماذا جرى له ؟ » ، فاجاباه وهما يدعيان الحزن ، « انه قد مات وقد دفناه فى بلاد بعيدة » ، فحزن الملك حزنا شديدا ، أما الأمير الصغير فقد ظل مربوطا منى الشجرة ثلاثة ايام ، دون طعام أو ماء ، حتى اشرف على الهلاك ، واقترب من الموت ، وحامت الغربان والنسور تنتظر أن يلفظ آخر أنفاسه لتتقض على الجثة .

وحين كان الأمير الصغير يمانى سكرات الموت ، جاء الذئب وقال للغراب رئيس الغربان ، « قل لغربانك أن تحل رباط الأمير » ، لكن الغربان احتجت وقالت للذئب ، « اننا ننتظر موته ، فلا تحرمنا من وجبة شهية » ، فأمر الذئب الغربان أن تسكت وتقوم بحل رباط الأمير ، فاطاعت الأمير ، وزادت فأحضرت له ماء وطعاما .

وبدا الأمير يستعيد قواه ، فاقترب منه الذئب وقال له ، « سيدى

الامير ، لقد انتظتكَ من الموت ولن ترانى بعد «يوم » . واحتفى
بين ابيه .

واتخذ الامير طريقه الى قصر ابيه الملك . وراعه انه وجد
القصر مضاء بالانوار وتصيح في انحاءه الموسيقى . ودخل القصر .
وما ان لحه الملك حتى صرخ من الفرح ، وقام اليه يعانقه . اما
الاميران فقد صعقتهم المفاجأة ، ودهلا وكادا ان يقعا مغشيا عليها ،
وسألها الملك : « ألم تقولا لى انكما دفنتما الامير ، فلم يستطيعا ان
يتكلما ، وجرت الاميرة الجميلة الى احضان الامير الصغير وعانقته
ويكت فرحا ، ذلك لان اليوم كان يوم عرسها ، لتتزوج الامير الاوسط ،
وحكى الامير الصغير لابيه الملك ما جرى له من احداث .

عندئذ أمر الملك بذبح الاميران في الحال ، لكن الامير الصغير
تشفع لها واكتفى الملك بالقائهما في السجن عقابا لها .

ورد الملك الحصان الي الامير الصغير ، واكتفى بان اخذ الطائر
الذهبي وأعطاه نصف ممتلكاته ، ووعده ان يكون ملكا من بعده ،
وزوجه من الاميرة الجميلة التى عايش معها في هناء ، ورزقا البنين
والبنات ، وتولى الملك بعد موت ابيه .

مولاي محمد الكايس

روى انه عاش في قديم الزمان وسالف العصر والايوان ، احد السلاطين وكان متزوجا من بنت الوزير ، وقال المنجبون للسلطان ان ابنه سيقتله وسيستولى على العرش، لذلك كان السلطان يذبح كل ولد تلده زوجته ، حتى بلغ عدد من ذبحهم السلطان من ابنائه سبعة اولاد .

وحزنت الام على فقدان اولادها ، واحترت ماذا تفعل ، فذهبت الي عجوز وسألته المشورة والنصيحة ، فقالت لها العجوز ، « عندما تحملين أخبريني ودعيني ادبر لك الامر » ، وحين حملت الملكة اخبرت العجوز ، فاتفقت العجوز مع قابلة (1)، وعرفت بميعاد الوضع المحتمل، واحضرت كلبا صغيرا واعطته للقابلة .

وولدت الملكة طفلا جميلا ، فاسرعت القابلة برسالة الي منزل جده الوزير ، واظهرت الكلب ، وقالوا ان الملكة ولدت كلبا ، وحين جاء السلطان ليطنن كعادته ، ويذبح الطفل الصغير ، قدمت القابلة له الكلب، فذبحه في الحال ، اما الطفل الوليد فقد ظل يعيش في بيت الوزير، واحضروا له احسن المربيات ، لكن الام لم تستطع ان تتحمل البعد عن طفلها ، لذلك حفر الوزير نفقا تحت الارض من بيته حتى غرفة الملكة في قصر الملك .

وفي كل يوم جمعة عندما يغادر السلطان القصر ليؤم المسلمين في صلاة الجمعة ، كانت الملكة تذهب عن طريق النفق الي بيت ابيها ، وتزور ابنها ، واسميت الملكة ابنا احمد ، ومضت الايام ، وحملت الملكة مرة اخرى ، وخافت ان تلد ذكرا فيذبحه الملك كعادته ، فنهزت الي العجوز وسألته النجدة والمعوثة والنصيحة ، فاتفقت العجوز مع القابلة (1) - قابلة : - برودة .

نفسها ، وعرفن ميعاد الولادة ، وجهنن كلبا وليداً ، وتكرر ما حدث في المرة الأولى ، وهربت الطفل الى منزل الوزير ، وأظهرت الكلب الوليد للسلطان ، فذبحه في الحال .

واسمت الملكة ولدها عليا ، وعاش مع اخيه في بيت جده الوزير ، وكانت الملكة تزور وليديها احمد وعليا ، عن طريق النفق ، في كل يوم جمعة حين تتأكد من غياب السلطان عن القصر .

ومضت الايام والشهور وحملت الملكة مرة اخرى ، وتكرر ما حدث في السابق ، وولدت الملكة ولدا ثانيا اسمته محمد ، فأخذه عن طريق النفق الى بيت جده الوزير ، وعاش مع اخويه ، وكانت الملكة تزورهم كل يوم جمعة .

ونشأ الاولاد وكبروا وهم يعتقدون ان الوزير أبوهم وزوجته جدتهم — أمهم ، لكن انخدم وكثيرا من الناس عرفوا ان هؤلاء الصبيان ليسوا ابناء الوزير الشرعيين وانما احضرهم الوزير ، وربما كلبائه .

ومضت السنون وكبر الاولاد وأصبحوا شبابا ، وفي يوم من الايام بينما كان احمد الابن الأكبر يلعب الكرة ، تفنفا بشدة فاطاحت بخيمة امرأة فلاحية ، فتضايقت المرأة وانزعجت ، وثارَت وأخذت تسب احمد قائلة ، « يلمنك الله يا من لا يعرف لك احد ابا » ، وكان المعنى قبيحا ، فرجع احمد الى بيته ، وقال للوزير وهو يظن انه ابوه ، « يا بى لقد تفنفت الكرة اليوم نهضت خيمة امرأة فلاحية فسبنتى قائلة لعنك الله يا من لا يعرف احد لك ابا ، فلماذا قاتت فلاحية هذا الكلام ، الست ابنى آ ؟ » ، فصهت الوزير ، وذهل احمد ، واعد السؤال ، لكن الوزير لم يرد ، فازداد احمد حزنا وذهولا ويكى ، عندئذ قال له الوزير « يا احمد انا ابوك » ، وجاءت جنته وعرفت ما حدث فقالت له ، « انا أبك يا بنى » ، فتذكر احمد شيئا فسألها ، « لكن من هى هذه المرأة التى تجيء كل يوم جمعة وتقبلنى وتطلبنى وتبكي ، من هى هذه المرأة؟ » ، ولاحظ احمد سكوت الوزير وزوجته فشك في صدق ما يقولان ، وتذكر ما قالته الفلاحية ، لعنك الله يا من لا يعرف احد لك ابا ، عندئذ قال له الوزير ، « الآن وقد كبرت يا احمد ، سأحكى لك سرا اردت ان ابقه في طي الكتمان طويلا ، لكن يظهر انه قد آن الاوان لاطلمك عليه ،

الا ناعلم يا بنى ائنى جدك، أب امك ، ، وهذه زوجتى جدتك ، اما امك الحقيقية نهى ابنتى الملكة ، انها تلك المرأة التى تجيء كل يوم جمعة فتقبلك وتحضنك وتذلك ، وان اباك لهو السلطان نفسه ، ، وحكى له القصة باكملها .

نحنز احمد حزنا شديدا ، وقال ، « الحقيقة يا جدى وجدتى ، لقد لقيت منكها الرعامة والعطف ونشأت معكها ، وانا اعتقد انكها لى وامى فانكها خير الاباء والامهات ، ولكن ما هذه البلد الذى لا يعرف فيها الاب ابنه ، ولا يرضى لقائه او يعترف به ، ، واتسم احمد ان يهاجر من هذه البلاد .

وحين مررت بالملكة امه ، انه بنوى السفر ، اخذت تحاول ارجاعه عن عزمه وقالت له ، « يا بنى لقد عشت دائما بعيدة عنك ، والان انت تنوى ان تسافر وتركنى ، الا فلترحم امك ، ولتبق يا بنى ، فاننى لا استطيع فرائك ، ، لكن احمد كان قد نوى ان يرحل من هذه البلاد التى يعيش فيها ابوه ، عندئذ اعطته امه الكثير من المال والعييد ومرسا اصيلة .

فغرس احمد شجرة ورد ، وقال لامه ، « ستزدهم الورود فى هذه الشجرة ان سقيتها كل يوم ، فعليك يا امه ان توليها بالرعاية ، فان وجدت الورود قد نبلت فى يوم من الايام فاعلمى اننى قد فارقت الحياة . وركب احمد حصانة ورحل من بلاده يتبعه عبيده وخدمه وسار، سار حتى وصل الى بلاد بعيدة ، واستأجر دارا وسكن فيها مع عبيده وخدمه .

وبعد ايام بينما كان احمد يسير فى السوق سمع مناديا ينادى ويقول ، ان السلطان لديه ابنة جميلة ، ومن يريد الزواج بها عليه ان يبكث معها ثلاثة ايام ، وان يجعلها تتكلم ثلاث مرات ، فان فشل فان السلطان يقطع راسه ، وقد قطع السلطان رقاب الكثيرين من الناس ، اما ان تكلمت الاميرة ثلاث مرات خلال هذه الايام فان السلطان يزوجهها بمن تكلمت معه ، ف اراد احمد ان يتزوج ابنة السلطان ، فحاول الناس ازجاعه عن عزمه لان الاميرة لم تكلم الكثيرين ممن تقدموا اليها ، فقطع السلطان رؤوسهم .

لكن احمد ذهب الى السلطان ، وابدى رغبته فى الزواج من الاميرة

فأدخلوه الى غرفتها ، ووجدتها في كبل زينتها وابهى واحلى ملباسها ، تجلس فوق كرسى ذهبي مزين بالماس والياقوت ، ووجد اباها وشاهدا معه على يمينها ، ومهما وشاهدا معه على يسارها ، وأخذوا عليه الموائيق واشترطوا الشروط ، سيكت احمد ثلاثة ايام فان لم تكلمه نطموا راسه ، نوافق احمد .

واخذ احمد يتكلم اليها ، يحييها ويطري جمالها ، ويحاول ان يتبادلته الحديث ، لكن دون فائدة ، وبذل كل جهده لحملها على التفوه ولو بكلمة واحدة فلم ينجح ، فآخذ يستعطفها وركع تحت اقدامها ، ورجوها وتوسل اليها ان تتلق ، فلم تتكلم .

فجاء السلطان والشهود ، وطمعوا راسه ، فذبلت الورود المزدهرة في الشجرة التي غرسها احمد ، وعرفت امه انه قد نارق الحياة ، وبكت وحزنت حزنا شديدا ، ولم يخفف منه الا بقاء اخويه على ومحمد .

ومضت سنة كاملة ، وراى على ان يرحل ويسافر ليعرف ما جرى لآخيه ، وحاولت الام ان تبقيه بجانبها وتثنيه عن عزمه، لكنه صمم على على الرحيل ، عندئذ اعطته الكثير من المال وجهزت له ما يلزم من عبيد وخدم ، فغرس على شجرة وقال لآمه ، « ستزدهر الورود في هذه الشجرة ، ان سقيتها كل يوم ، فملك يا اياه ان تشعلها بالرعاية ، فان وجدت الورود قد ذبلت في يوم من الايام ، فاعلمى اننى قد فارقت الحياة » .

وسار على في طريقه وتادته الإقذار الى البلاد التي ذهب اليها احمد، واخذ يسأل ويستفسر ويفتش عن أخيه ، فقابل عبيد احمد وخدمه فأخبروه بها حدث وجرى له ، وكان من عادة الناس في هذه الايام حين يرون غريبا جاء الى البلاد ان يخبروا السلطان .

فأرسل السلطان المنادى يطلب عريسا لابنته ويشترط عليه ان ينجح في دفعها اليه الكلام ، ولم يكن على في حاجة الى ان يسمع المنادى لانه اراد ان يتزوج ابنة السلطان الذى قتل اخاه ، وطن انه سينجح ، وحاول العبيد والخدم ان يسموه ، ونصحه كثير من الناس ، لان الاميرة الجميلة لم تكلم احدا ، والسلطان لا يبغى ان يزوجها ، وانه قطع رؤوسا كثيرة من قبل .

لكن عليا اسرع الى القصر وقدم نفسه للسلطان وخطب منه ابنته ، فأخذ السلطان وادخله الى غرفة الاميرة ، وكانت فوق الكرسي الذهبى اليزين بالماس والياتوت والاحجار الكريمة ، ووقف السلطان وشاهد على يمينها ، وعمها وشاهد على يسارها واخذوا عليه المهود والمواثيق ، فقبل الشروط ووافق عليها .

واخذ على ينظر الى الاميرة يلاطفها ويسمها اعذب الاحاديث وارق الكلمات ، لكنها لم ترد عليه ، فأخذ يحكى لها النوادر والمسليات والفكاهات ويحاول اضحاكها ، لكن دون فائدة ، واطرى جمالها واشاد بحسنها وبدلالها ، وشكا لها حبه وهيامه بها، لكن دون فائدة ، ومضت الايام اثلاثة وتطعموا راسه .

وقبلت الورود في الشجرة التي غرسها على ، وعرفت انه قد مات ، فبكت وحزنت حزنا شديدا ، ولم يخفف منه الا بقاء محمد ، وراى محمد ان يرحل ويسافر ، ليعرف ما جرى لاخويه ، نهلمت الام وارتنجت ، فمحمد هو ابنها الوحيد الذى بقى لها ، فآخذت تتوسل اليه ونرجوه ان يبقى ليعيش بجانبها مع جده وجدته ، لكنه لم يرغب بعد ان ينفذ اخويه في البقاء في تلك البلدة التي يرضى فيها ابوه الملك ان يعترف به ابنا ويقبله ، وصمم وقرر الرحيل ، عندئذ اعطته امه الملكة اموالا اكثر مما اعطت لاخويه وجهزت له قافلة يصحبها الهميد والخدم ، وكل ما يحتاجون اليه ، فغرس محمد شجرة ورد وقيل لاه ، « ستزدهر الورود في هذه الشجرة ان سقيتها كل يوم نعليك يا اماه ان توليها بالرعاية » فان وجدت الورود قد ذبلت في يوم من الايام فاعلمى اننى قد نارتت الحياة . »

وسار محمد في طريقه ليبحث عن اخويه ، وقادته الاقدار الى مشارف البلدة التي مات فيها اخواه ، واحس بالثعب ، فلم يقدر على مواصلة المسير ، فآراد الراحة وتوتت القافلة ، وذهب محمد ليجلس تحت شجرة وارفة الظلال، واتكا على جذع الشجرة وكاد ان ينام من شدة الارهاق، لكنه سمع مصفورا يقول لمصفور ، « هل تعرف من ينام تحت هذه الشجرة ؟ » ، فاجاب المصفور ، « هذا مولاي محمد شقيق سيدى احمد وسيدى على ، ولقد حفظتهم امهم واتقذتهم من اببهم السلطان » ، نهفت المصفور ، « يا له من سلطان قاس ، لا يرحم حتى طفله الرضيع ،



لكنه سمع عصفورا يقول لعصفور « هل تعرف من ينام تحت هذه الشجرة »
فأجاب العصفور : هذا مولاي محمد شقيق سيدي أحمد وسيدي علي.

تعرف ما أريد وأتبنى يا أخي العصفور ، أن ينجح مولاي محمد ، «
نرد العصفور ، « لو عرف السر ، لامكنه أن ينجو من السلطان ويتزوج
ابنته، أن كل ماعاياه أن يفعله هو أن يذبحنا معا، ويضع دينا في تصبة،
فان دخل غرفة الاميرة عليه أن يرش الدم على كل شيء يتقبله ، وأن
يرفض أن يتناول عندهم طعاما أو شرابا منها تأسى من الجوع والعطش،
بل عليه أن يرفض حتى أن يشم البخور الذى يحرقوه فى تصرهم » .

فهم محمد كلام العصفورين ، فأمسكها وذبحها ووضع دماءها
فى تصبة غاب ، وفى الصباح دخل البلدة ، وأرشده الناس الى الدار
التي أقيم فيها اخواه ، ووجد هناك خدمهم وعبيدهم ، وحكوا له ما
جرى وحدث لآخويه أحمد وعلى ، وصمم محمد أن يذهب الى قصر
الملك ليخطب ابنته ، نبكوا وحذروه وتوسلوا اليه أن لايسير الى القصر
لكنه اجابهم ، « لقد عرفت لماذا مات اخواى فلا تخافوا على » ، وجاء
المنادى ينادى ، لكن محمدا لم يكن فى حاجة الى سماعه ، فقد أسرع
الى القصر ، فبين له السلطان الشروط ، وأدخلوه الى غرفة الاميرة
الجميلة حيث تجلس فوق كرسيها الذهبى المرصع بالفضة الجواهر، ووقف
السلطان وشاهد على يمينها ، وعيها وشاهد على يسارها ، وأخذوا
عليه العهد والميثاق ، وبينوا له أنهم سيتركونه مع الاميرة ثلاثة ايام ،
وعليه أن يجعلها تتكلم ثلاث مرات ، وعندئذ يقبلون أن يزوجوها له ،
أما اذا ظلت الاميرة ساكنة فسيقطعون رأسه ، فوافق ، وتركوه مع
الاميرة الجميلة ، قال لها محمد ، « السلام عليكم » ، فلم ترد ، يرش
الدم على الباب والجدران والارض والكراسى واحضر سجادة صلاة
وجلس عليها ولم يكلم الاميرة ، واحسروا الاكل ، فلم ياكل ، واحسروا
الماء فلم يشرب ، واحرقوا البخور فقام واطفأه ، وقال محمد للاميرة
« أمرك غريب والله ، فانت لا تتكلمين ، وما دمت سامكت بك ثلاثة
ايام ، فلن أستطيع أن اظل صامتا ، ولابد أن اتكلم مع اى احد ، وخاطب
الكرسى ، « يا كرسى الا يوجد احد يكلمنى، كلمنى انت لعلى أستأنس بك ،
احك لى حكاية ايها الكرسى » .

فتكلم الكرسى وقال ، « سأحكى لك حكاية يا مولاي محمد ، كان
يوجد ثلاثة من الاصغاء خياط ، ونقيه ، وتاجر ، وكانوا يجتمعون كل
يوم بعد الانتهاء من عملهم ، وفى يوم اتفقوا أن يدمو كل منهم صديقيه

للغذاء ، وأول يوم دعاهم الخياط وجهاز طعامها ناخرا ، بسطيلة (1) رائعة ، حشاها بالأوز وما نذ وطاب؛ وطبخ كسكسا بالدجاج وطاجينا(2) من اللحم ، وشوى بعض الحمام ، واحضر الكثير من الحلوى والفواكه، لئمه كان ميسور الحال ، وفي اليوم الثاني دعاهم التاجر للغذاء ، نجهز طعاما ناخرا ، بسطيلة أكبر حجما وأجود نوعا ، وطبقا فيه سبع دجاجات وأكثر من عشر حمامات والكثير من الكسكس والخضروات الشهية ، أما الحلوى فكانت زائدة عن الحد ، والفواكه لا مثيل لجودتها وكثرتها .

وفي اليوم الثالث دعاهم النقيه الى الغذاء ، وكان فقيرا ، فأحضر الحريرة (3) وشيئا من الكعكة ، وطبقا من الكسكس أما الحلوى فكانت « الشاي المغربي » واستائف الكرسي كلامه ، « لقد عرفت يا مولاي محمد ما قدم كل منهم لصاحبه ، لكن ثار سؤال وعلى الإجابة عليه تتوقف حياة أحدهم ، نفل لى الصدق ، أننى أسألك ، طعام اى من اثلاثة تكلف الاكثر من المال؟ » ، فأجاب محمد ، « طعام النقيه » ، فهتفت الاميرة ، « كيف يكون ذلك وقد أعد التاجر البسطيلة والدجاج والحمام ، واحضر الخياط » وتبل ان تكمل كلامها صاح محمد ، « ايها الشهود ، يا مولاي السلطان تعالوا ، ها هى قد تكلمت ، نجأؤا ، وشهدوا بما حدثنا .

فضرب السلطان ابنته ضربا مبرحا ، ولم يقبل حجتها ولا تبريرها لاتدفاعها فى الكلام، وفى الليلة الثانية دخل محمد ورش الدماء على الأرض والجدران والكرسى وفى كل مكان ، وحين لحضروا له الطعام والشراب رفض ان يقربهما ، وعندما أشعلوا البخور. قام وأطفأه ، وتقال للاميرة، « السلام عليكم » ، فلم ترد ، فخاطب الباب ، « يا صديقى الباب » لإلأحد يكلمنى ، والاميرة ساكنة فلتؤنس وحدتى يا باب ، أحك لى حكاية » ، تقال الباب ، « سأحكى لك حكاية عجيبة عن المقامرة ، فقد كان ثلاثة من المقامرين ، جلسوا يلعبون القمار فى دار أحدهم ، بدأوا لعبهم فى العصر وظلوا يلعبون ، وتناولوا المشاء وشربوا الشاي ، وأستأنفوا المقامرة ، وكان صاحب الدار يعمل نجاراً وأحدهم يعمل نقيهاً وثالثهم

-
- (1) - نوع ممتاز من الطعام المغربى ، ورق من الرغيف (مثل البتلولة فى المشرق)
 سحقوا بالدجاج واللوز والبينس والتوابل الخاصة .
 (2) - طبق من الفخار بغطاء وينضم فيه الطعام ببطء
 (3) - حصاد شعبية بها شئ من العدس والحمص والتوابل

نقاشاً زواجا) وخسر الزجار كثيرا ، فاستأذن صاحبيه وخرج الى صحن الدار ليربح أعصابه ، وصنع عروسة من الخشب ، ودخل الى صاحبيه واستأنف لعب التمار معها ، وبعد مدة خسر النقاش ، فقام وخرج الى صحن الدار هو الآخر فوجد العروسة الخشبية أهله ، فلونها وزخرفها ورسم لها عيوبا وحواجب وأناها وفما وافنين ، ثم دخل الدار واستأنف لعب التمار مع صاحبيه ، وبعد مدة خسر النقيه ، فقام وخرج الى صحن الدار حيث وجد العروسة الخشبية المزخرفة ، فاعجبه شكلها فابتهل الى الله تعالت وجلت قدرته : ان يهب ويمنح العروسة الخشبية الروح ، فاستجاب الله دعائه وأصبحت العروسة المصنوعة من الخشب شابة جميلة حسناء وفاتنة ، ودخلت مع النقيه الى الدار .

فتساجروا جميعا ، ذلك ان كلا منهم اراد ان يأخذها ، وسأله الباب ، « سيدى محمد من تراه يستحق ان يأخذها ؟ » فأجاب محمد « النقاش » ، فهتفت الاميرة ، « كيف يأخذها وهو لونها نقط اما الزجار فقد صنعها والنقيه توسل لربه فأحياها » ، فصاح محمد « ايها الشهود اشهدوا ، تعال ايها السلطان ، فقد تكلمت ابنتك » .

فجاء السلطان والشهود ، متضايقين حاتقين وأخذ السلطان يضرب ابنته ضربا كاد ان يؤدي بها الى الموت ، ولم يقبل ان يسمع لتوسلاتها وتبريرها لما حدث ، ضربها كثيرا وأوصاها ان لا تتكلم ابدا بها حدث .

وفي الليلة الثالثة ، دخل محمد الى غرفتها ، ورش الدماء في كل مكان ، واحضروا له الطعام والشراب فلم يمسهما ، وأطفا البخور حين اشعلوه ، وقال لها « انسلام عليكم » ، فلم ترد ، فنظر الى كأس الماء وكلبه ، « ايها الكاس ، ما دامت الاميرة لا تخاطبني وانا احتاج لن يؤنس وحدتي فاتكلمنى أنت يا كأس ، ولتحك لى حكاية » ، فقامت الاميرة وامسكت بالكأس ورمته بقوة على الارض ، فنتثر قطعاً صغيرة وشظايا ، وتكلمت قطع أزجاج المتأثرة ، وقالت ، « ساحكى لك حكاية يا مولاي محمد ، وهى حكاية غريبة عجيبة ، كان يعيش في قديم الزمان سلطان له ابنة جميلة ، وكان يحبها حبا شديداً ، ولا يريد ان يزوجها لاحد » ، فابتسم محمد ، واستأنفت قطع الزجاج الكلام ، « وقال السلطان، لن ازوج ابنتى الا لمن يحضر لى ياتوته تحمل على حمل ، فاندعش الناس وتعجبوا وتسألوا هل توجد ياتوته فى الدنيا

كبيرة الى هذا الحد ، لكن الذى حدث انه جاء رجل الى السلطان
ومعه جمل فوته ياتوتة فى حجم ثلاثة رجال ، ثم ير احد لها مثيلا من
قبل ، ناضطر الملك أن يزوجه ابنته ويعطيها له ، و جهز لها ما يلزم
من الملابس والجواهر والمبيد والجوارى ، وصنع لها مخفة فخصة
: عبارية) يحملها المبيد وتسترها وتثقف حولها الستائر الحريرية ،
وودعها السلطان ، ورحلت مع زوجها الذى احضر الياتوتة ، وما ان
انتمعت القافلة عن البلاد حتى ظهر الرجل على حقيقته وغير هيأته الانسانية
واصبح غولا له ثياب طويلة وله اثناء كبيرة مدلاة ، وقد كان غولا مهولا
معروفا ، اسمه الغول السيف ، وسمى كذلك لانه كان من قدرته أن
يقطع سبع رؤوس بضربة واحدة من سيفه .

واكل الغول السيف المبيد والجوارى ، والخم ، والخيول ،
والجمال ولم تبق الا الاميرة فحملها وسار بها الى بلاده ، وهى تفر
موحشة لا تمشى فيها ! لا امرأة عجوز وحيدة ، وادخل الغول السيف
الاميرة داره الموحشة الكثيرة ، فوجدت بقايا عظيم لكثير من الناس
والحيوانات التى اكلها .

وكانت الاميرة قد اخذت معها من دار ابيها حامتين تحبهما ولا
تتوى عليهن فرائتها ، واحضر لها الغول السيف شيئا من الطعام ، فلم
تقدر أن تأكله ، فتركها وانصرف بعد ان اغلق عليها الدار ، وصعدت
الاميرة الى سطح الدار وجلست تبكى حظها ، ونظرت فرأت كل ما
امامها مقفرا موحشا ، ورات امرأة عجوزا شطاء تجلس فى الشمس ،
وما ان لاحتها العجوز حتى جاءت اليها واقتربت من الفتاة واندھشت
حين وجدتها شابة حسناء : فقالت لها ، « وما الذى اتى بك يا ابنتى
انى بلاد ودار الغول السيف ، انه سيأكلك دون شك » ، فارتجفت
الاميرة وبكت وعلا نحيبها ، فواستها العجوز واظهرت نحوها العطف ،
فسالت الاميرة العجوز ، « الا تستطيعين مساعدتى لاهرب من الغول » ،
فاجابتها ، « انك لو خرجت من الدار فلن تقدرى أن ترجعى الى
بلادك ، فكل ما حولنا قفر ولا يمكنك ان تجتازيه ، لكن عند حضور الغول
اقتربى منه ولا تخافى وارضى من ثديه » .

وحين رجع الغول فى الليل ، اقتربت الاميرة منه ورضعت من
الحل من ثديه ، فقال لها ، « من اخبرك أن تعلمى هذا ، فلو لم

ترضى من ثديى لاكلك » ، ونام معها وكان شعرها كثيفا فانتثر
نصفه ونام فوقه وتغطى بنصفه الآخر ، وفي الصباح خرج الغول وصعدت
الاميرة الى سطح اندار ومعها الحمامتان ، وفكرت في خطة ، فاحضرت
قطعة صغيرة من القماش وكتبت عليها ما حدث لها ، وربطتها في ارجل
الحمامتين واطلقت الحمامتين ، وطلبت منهما ان تذهبا الى ابيها ،
نطارت الحمامتان .

اما ما حدث لابيها ، فقد احزنه فراقها ولم تصله اية اخبار عنها
وافترقها تماما ، ففاسى وتالم واصبحت ايامه كلها شقاء ، والتزم قصره
لا يخرج منه ولا يقابل احدا ، وانتقده الناس ولذلك طلب منه الوزير ان
يخرج ليقابل رعيته ، وفي ذلك اليوم حين خرج السلطان لاول مرة
جلس امام قصره ، فاذا بحمامتين تقدمان وتقفان على كتيبه ، فحاول
احد الحراس ان يطردهما ، فنهاه السلطان ، فجات الحمامتان وجلسنا
في حجره ، سمح السلطان بيده ريش الحمامتين ، ولاحظ وجود قطعة
القماش ، وعرف السلطان نجاة الحمامتين التى تحبها ابنته ، فانتزع
قطعة القماش وقرا المكتوب عليها ، وعرف احوال ابنته ، فقد كتبت له
الاميرة «لقد اعطيتنى يابى الغول السيف » ، فزاد حزنه وشقاؤه ،
وحاول الوزير ان يرسل كثيرا من الفرسان والابطال ، لكن احدا لم
يقدر ان يصل الى بلاد الغول، ومن استطاع الوصول اليها اكله الغول.

وكانت تعيش في بلاد السلطان امراة عجوز لديها سبعة ابناء
اقوياء اشداء ، يسافرون كثيرا ، وقلبا يجتمعون سويا عند ابيهم ،
وفي يوم اتفق ان اجتمعوا كلهم فقالت لهم العجوز ، « ان الغول السيف
قد اخذ الاميرة ابنة السلطان ، والسلطان حزين ، ويريد استرجاع
ابنته فهل يمكنكم ان تحضروا له ابنته » ، فقالوا لها ، « عليه ان يعطى
كلانا مائة مثقال ذهب وكسوة كاملة ، ويزوجها لاحدنا » ، فاسرعت
العجوز الى السلطان، ففرح فرحا شديدا ، واعطاها اكثر من ثلاثمائة
مثقال من ذهب وثلاث كساوى كاملة لكل ابن من ابنائها ،
فرجعت العجوز الى دارها ، وندت اصفر ابنائها و سألته ،
« ماذا ستعمل لتتخذ الاميرة ؟ » ، فاجاب « اننى استطيع ان اسم من
مسافة بعيدة ، وساعرف واخبر اخوتى اين الغول ، سابين لهم مكانه ،
وحين يدخل الدار اعلمهم بذلك » ، فاعطته ثلاث كساوى كاملة وثلاثمائة

مقابل ذهب : ونادت الثانية وسأته ، « ماذا ستفعل لتنتقد الاميرة » ،
 فأجاب ، « اننى استطيع ان احمل اخوتي الستة على ظهري واقطع بهم
 مسافات شاسعة ، واستطيع ان احلهم والاميرة معهم واعود بهم » ،
 فاعطته الكساوى اثلاث والذهب ، واجاب الثالث حين سألته ، أنه
 يمكنه ان يضرب الارض بعصاه فتنشق فينزل فيها هو واخوته ، ولا
 يخرجون منها الا عند بلاد الغول وامام داره ، ويأخذون الاميرة ، فيضرب
 الارض مرة اخرى فتنشق وينزلون فيها ويعودون الى بلادهم » ، فاعطته
 الكساوى والذهب ، واجابها الرابع ان للغول كلبا ، لو نبج وكان الغول
 نائما لاستيقظ وعندئذ لا يمكن ان نتغلب عليه ابدا ، وانا سأخلع
 اسنان الكلب حتى لا ينبج » ، فاعطته الكساوى والذهب ، واجابها
 الخامس حين سألته ، « اننى أستطيع ان اعرف ان كان الغول نائما
 ام مستيقظا ، فان كان مستيقظا فلا نهاجه » ، فاعطته الكساوى والذهب ،
 واجابها السادس : « اننى استطيع ان اخرج شعر الاميرة من تحت
 الغول حتى يمكننا قتله » فاعطته الكساوى والذهب ، وسألت ابنتها
 السابع اكبر اولادها ، فأجابها ، « اننى سأخذ سيف الغول نفسه
 واقطعه به لان للغول ثلاثة رؤوس ، وعلى ان اقطع راسين ويبقى واحدة
 حتى يموت » ، فاعطته الذهب والكساوى .

وأستعد الاخوة السبعة لانتقاد الاميرة وقتل الغول ، فأخذ اصفرهم
 يشم الهواء وقال ، « الغول فى طريقه الى داره » وانتظر برهة وقال ،
 « ها هو الغول يدخل الدار ويقفل الباب ، اننى اشم رائحته داخل
 اندار » ، وحمل الاخ الثانى اخوته الستة فوق ظهره ، فأسرع الثالث
 وضرب الارض بعصاه فانشقت الارض ونزل فيها الاخوة ، وساروا ،
 ثم خرجوا امام دار الغول ، ولحسن الحظ كان كلب الغول نائما ،
 واقترب الاخ الخامس من الدار ونظر وقال ، « ان الغول نائم فيها
 ولنسرع » ، فدخل السادس الدار واخرج شعر الاميرة من تحت الغول ،
 وأسرع الاخ الاكبر السابع واخذ سيف الغول وضرب بسرعة وقوة وقطع
 راسين من رؤوسه الثلاثة مات الغول فى الحال .

وحمل الاخ الثانى اخوته الستة والاميرة فوق ظهره ، وضرب
 الثالث الارض بعصاه فانشقت ونزلوا فيها ، ثم خرجوا فيبلادهم وذهبوا الى
 تبصر السلطان ، ففرح السلطان برجوع ابنته ، وطلب كل منهم ان يتزوجها ،

وسألته قطع الزجاج المنثارة ، من يستحق أن يتزوجها ؟ ، فأجاب محمد ، « الاخ الرابع الذى يمكنه ان ينزع اسنان الكلب فلا يقدر ان ينبع وينبه انقول ، نهنتت الاميرة ، لكنه الوحيد الذى لم يفعل شيئا ، لان الكلب كان نائما ، ، فصاح محمد ، « ايها الشهود ، ايها السلطان نعال ، لقد تكلمت الاميرة للمرة الثالثة وطلب ان ياخذها ويرحل ، ولكنهم قالوا به ، ، لا ، ان اباهما السلطان لن يزوجها في الحال لابد ان يقيم لها فرحا (1) ، وفي يوم الفرح قد تاخذها وقد لاتاخذها ، فاحتج بانه حقق شروط السلطان ، فأجابوه « الكلام والراى اولا واخيرا للسلطان ، واخبروه ان الفرح سيكون بعد ثلاثة ايام . . .

فرجع الي داره ونام نوما عميقا ، وفي الصباح قام وركب حصانه وذهب الى الشجرة الوارئة الظلال التى وجد فوقها العصفورين ، وجلس تحتها يفكر فيها جرى له ، فسمع عصفورين آخرين يتكلمان ، وقال عصفور ، « لقد ارشد عصفوران منا مولاي محمد ومكانه من أن يجبر الاميرة على الكلام ، وسيقيم ابوها السلطان الفرح ، ويحضر ثلاث محفات (عباريات) يحملها العبيد ويزين اثنين منها بالستائر الحريرية التينة ، والجواهر ، وواحدة بقماش عادى وتكون قديمة ومتسخة ، وداخل القديمة تجلس الاميرة ، على اية حال ، فسنتحول الى نحلتين ونطير لهما المحفة (العبارة) التى بداخلها الاميرة لنرشد مولاي محمد وعليه ان يرحل في نفس الليلة لانه لو انتظر للصباح فسيخفرون حفرة ويلاونها بالفار ليقع فيها مولاي محمد وعروسه ، لان اباهما يحبها ولا يستطيع ان يفارهما ، فعرف مولاي محمد السر .

واقامت الافراح وعزفت المزامير ودقوا الطبول وأقبل الادمعون ، وجاء السلطان الي محمد وأحضر له ثلاث محفات (عباريات) ، اثنتان منها غطيتا بآنس انواع الحرير ، تزينهما الاحجار الكريمة ، من ماس وياقوت وافر المجوهرات: ، والثالثة قديمة متسخة تطير امامها نحلتان، وسأله السلطان « في اى محفة (عبارة) توجد الاميرة ؟ ، فقال محمد « اننى فقير ومسكين والاميرة هنا ، ، وأشار الى المحفة المتسخة .

وسأله ان يبقى حتى الصباح ، لكنه اسرع وطلب الى الحمالين

(1) — سرسا .

ان يحطوها ومشي يقصد الرحيل الى بلاده ، حتى انه لم يأخذ خدمه وعبيده معه ، وقال لهم ان عليهم ان يتبعوه في الصباح لانه في عجلة من امره ، وحين وصل انى بلاده اسرع الى دار جده الوزير مع زوجته نجاعت اليه امه فرحة وسعيدة برجوعه ، واخبرته ان اباه السلطان قد مرض وضعفا بصره ، وهو يندم على ما فعل ويقول ، « ليتنى ابقيت ولدا من اولادى الذين نبحتهم ليجلس على العرش » . واسرعت امه الى السلطان وحكت له القصة كلها ، ففرح فرحا شديدا واجلس محمدا على العرش واصبح ملكا ، وعاش مع عروسته الاميرة الجبيلة ورزقوا بالاولاد والبنات .

الفهرس

3	اهداء اكتبهيب
5	تقديم
13	مقدمة
59	من النهار الاول كايوت المش
63	زوجة من الريف
67	السلطان الكبير والسلطان الصغير
70	بهوت النساء
78	الحمار الذكي
82	اللمس الظريف
89	التاجر المخادع
92	اهلها احق منها
98	الكي بالسكين
102	الطائر الازرق
113	مخبرات الذئب والقنفذ
118	الهنافسون
125	مهارة الاصوص
128	البرق
135	مصائب الناس
140	حكاية آفار الذكي
144	الرجل الذي يبيض
149	حكاية اللص والتسولين الثلاثة
159	أشكون الحمار ؟ او من هو للحمار ؟
164	حكاية فتاة من خشب
170	شراب الزبيب
174	طائر الحكمة
187	دئب بلا قلب
191	المراه الذكية

197	« فرطت » او الذنب فنيك لانك لم تأخذ حدرك
202	سيدي محمد بن عمر
211	جحا قاضي النيران
214	دهماء امرأة
219	أبناء المص
229	الاحق لا يصلح لشيء
232	اصدقاء الحطاب وعدوه
239	حكاية بلارج
244	المقزم
255	لاتكثر من الاصدقاء
258	الفتاة والصندوق
265	اخدم يا المتاعس للتعاس
271	الذئب والتفند
277	اولاد الحاكم انبلاطون
288	كل يفنى على ليلاه
291	المقبر والمكتوب
296	الحقى الثلاثة
304	يا اباخذ مملتى
311	ابن القطعة
313	حكاية مولاي احمد القنديل
320	للافغويا او (للاغنو)
331	البرمان المنفاري
336	بميذا عن الاثى
342	راحمق تماما
344	القزم حديدان الحرامى
351	الاخضوان
358	الامير الصغير
369	مولاي محمد الكاس

قريبا سيصدر الجزء الثاني



من هنا كان تقديرنا لهذا العمل الذي أنجزه
صديقنا المصري الأستاذ يسري شاكر في إطار
جمع الحكايات الشعبية المغربية

وهو عمل جليل وضممنا إليه طلب منه سنوات
طويلاً من التتبع والجمع في غير قليل من
العناية الضخمة الرفيعة، وكان سبق له
أن أطلعنا على مشروعه منذ أزيد من ثلاثة
أعوام فاشفقنا عليه مما قد يصيبه من الشقة
والعناء ولكننا لم نلبث أن شجعناه حين أفضاه
مصحماً وبروح قوية عالية على المضي في
البحث الميداني عن الحكاية هنا وهناك
وعلى مواجهة الصعوبات التي تعترضه
مادية ومعنوية، وكنا قد تعرفنا
عليه من خلال مسلسل للأغنية الذي
قدمت التلفزة المغربية حلقاته
الناجحة فاعجبنا بالعمل وقدنا صاحبه
دكتور عباس المراري

طبع ونشر دار النشر المغربية

العدد: 17 درهم

